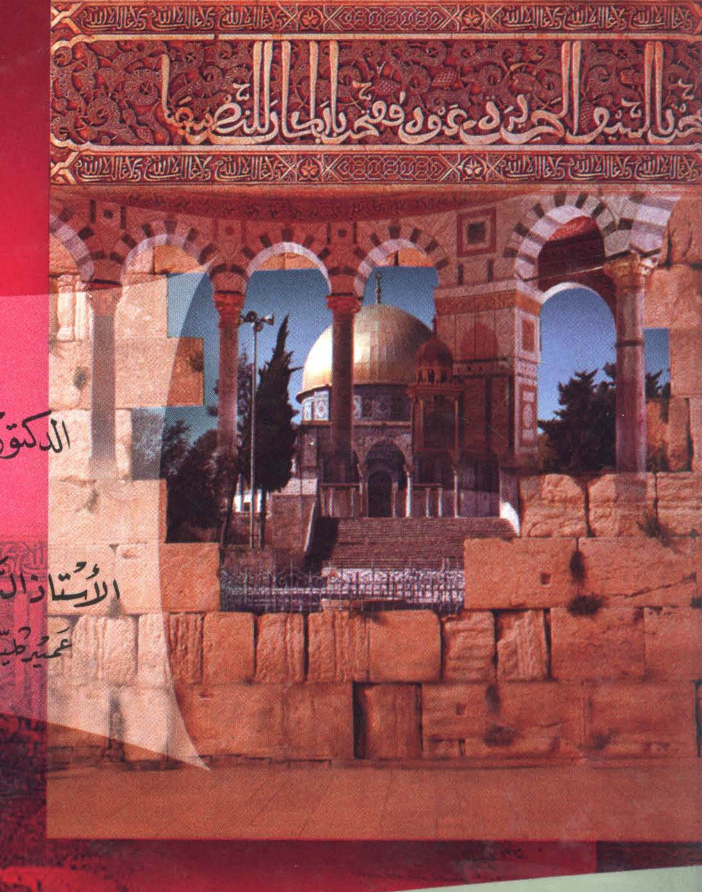
الإسلام واليهودية

دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين



تأليف

الدكتور عماد علي عبد السميع حسين

تقريظ

الأستاذ الدكتور عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

عميد كلية أصول الدين - جامعة الزقازيق (سابقاً)

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

الإسلام واليهودية

دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين

تأليف

الدكتور عماد علي عبد السميع حسين

تقريظ

الأستاذ الدكتور عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

عميد كلية أصول الدين - جامعة الزقازيق (سابقاً)

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

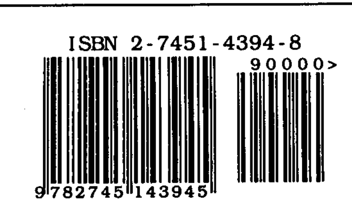
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban


ISBN 2-7451-4394-8

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أُجيزت هذه الرسالة في يوم السبت ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٢ بإشراف الأستاذ الدكتور / **محمد أحمد دياب** رئيس قسم الدعوة بأسيوط ، وعضوية كل من :

الأستاذ الدكتور / **عبد الخالق إبراهيم إسماعيل** عميد كلية أصول الدين جامعة الزقازيق .

الأستاذ الدكتور / **محمود أحمد مبارك** أستاذ الدعوة بكلية أصول الدين جامعة أسيوط .

وقد نالت - بفضل الله تعالى - مرتبة الشرف الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة الجمعة الآية: ٥]

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة النساء الآية ٤٦]

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة الآية ٤٨]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر الآية ٩]

صدق الله العظيم

الإهداء

١] إلى خاتم المرسلين، الذي ما ترك شيئًا حتى الطائر يطير في السماء إلا وعلمنا منه علمًا .

٢] وإلى الصحابة الكرام ، والتابعين والسالكين الدرب الذين كانوا خير خلف لخير سلف ، فأعز الله بهم دينه ونصر ملته .

٣] وإلى والدي الكريمين اللذين ربياني صغيرًا ودعَوَا لي بالخير .

٤] وإلى إخوتي وأحبابي وزملائي وكل من أعان على إخراج هذا البحث .

٥] وإلى من انشغل بالخزف عن الذهب وتلهى عن الدرر بالصدف، وزعم معرفة الله ثم إذا به ينسب له الصاحبة والولد .

٦] وإلى روح أستاذنا العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور/ محمود على حماية رحمه الله تعالى .

إلى هؤلاء جميعًا أُهْدِي هذا البحث

وأسأل الله تعالى أنْ يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

* * *

الشكر والتقدير

وأول وأحق من يشكر في هذا المقام: ربى العلى القدير الذي أستمد منه العون والتوفيق، والذي لو سرنا بدون توفيقه لجنى علينا اجتهادنا كما قال القائل:

إذا لم يكن للفتى عونٌ من الله فأولُ ما يجني عليه اجتهادُه

ثم الشكر والتقدير والعرفان وأسمى آيات الامتنان لأستاذى الفاضل أ. د/ **محمد أحمد دياب** أستاذ ورئيس قسم الدعوة بالكلية وعميد كلية الدراسات الإسلامية (سابقًا) الذي تفضل بالإشراف والتوجيه في هذه الرسالة، برغم أشغاله وأعبائه، التي نسأل الله أن يعينه عليها، وأن يبارك له في ذريته، وأشعر أنني مهما قلت ففي الوصف تقصير، وأتمثل بقول القائل:

ولقد تناولني بنائله فأصابني من علمه سجل

فلأشكرن فضول نعمته حتي أموت وفضله فضل

ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل:

أ. د/ **أحمد محمود مبارك** أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية، وكُلِّي شعورٌ بالعجز عن تقديم شكر يوافي ما له عليَّ وعلى زملائي الباحثين من أيادٍ بيضاء فجزاه الله عني خير الجزاء.

ثم أتوجه بالشكر إلى أساتذتي في قسم الدعوة:

أ. د/ **هاشم عبد الظاهر**

أ. د/ **سلمان سلامة عبد المالك**

وكل الأساتذة والمدرسين غائبهم وحاضرهم.

ثم إلى شيوخي في بقية الأقسام ثم إلى عميد الكلية وأسرتها ثم إلى الزملاء والأصدقاء جزى الله الجميع عنى خيرًا

* * *

تقريظ من الأَستاذ الدكتور

عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

عميد كلية أصول الدين - جامعة الزقازيق (سابقًا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، عبد الله ورسوله، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد/

فقد قيض الله سبحانه وتعالى لي أن أطّلع على هذا البحث وهو بعنوان «الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين» للشيخ/ **عماد علي عبد السميع حسين، وهو من العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.**

والبحث يتكون من مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وخاتمة ومذيل بقائمة للمصادر والمراجع. وقد وضح الشيخ في التمهيد التعريف بالتوراة ومكوناتها وأشهر نسخها ومكانة سفر اللاويين بين أسفارها، وحقيقة اللاويين المنسوب إليهم هذا السفر وأسماء كتّابِه وزمن كتابته واللغات التي كُتب بها وعدد إصحاحاته وفقراته.

والحق يقال أن الرجل لم يترك شيئًا مهمّا إلا وقد تناوله بالتمحيص الدقيق والنظر السديد المفيد.

وتناول الفصل الأولُ الكلامَ عن مدى صلة سفر اللاويين بالوحي السماوي في مباحث ثلاثة: أولها مفهوم الوحي بين العهد القديم والقرآن الكريم، وثانيها عما ينبغي توافره من شروط في الوحي السماوي، وثالثها عن الحجج القوية الدالة على أن الصلة

منقطعة تمامًا بين سفر اللاويين وبين وحي السماء. مما يؤكد لأصحاب العقول السليمة أن ذلك السفر لا علاقة له بالوحي النازل على موسى عليه السلام، ثم انتقل الشيخ عماد إلى الفصل الثاني فتحدث فيه عن العقيدة في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها. حيث مَهَّدَ لذلك ببيان معنى العقيدة الحقة وحاجة البشر إليها. ثم تكلم عن صفات «الإله» في السفر المذكور وحديثه عن الأنبياء وعن اليوم الآخر، مبينًا موقف الإسلام من كل ذلك بما لا يدع مجالاً للشك عن التحريف الذي نال تلك القضايا الهامة ووجوب الرجوع عنها إلى الحق الذي جاء به الدين الحنيف وهو الإسلام، وفي الفصل الثالث تناول الرجل الحديث عما جاء في سفر اللاويين من أخلاق وموقف الإسلام منها بوضوح تام مما يدل على تميز فكره في ذلك المجال.

وكان الفصل الرابع عن قداسة الكهنة كما وردت في ذلك السفر حيث تحدث عن الكاهن، وشروط اختياره، وما يجب أن يلبس ودرجات الكهنوت، ومراسم وطقوس مسح الكاهن، وواجبات الكهنة كما ورد في سفر اللاويين ثم وضح موقف الإسلام من كل ذلك داعياً إلى وجوب الرجوع إلى الحق وترك الباطل لعل في ذلك عبرة لأولي الألباب.

والفصل الخامس ذكر فيه الشيخ العبادات، من حيث الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والأعياد والقرابين والأيمان والنذور كما ورد في سفر اللاويين موضحًا موقف الإسلام من ذلك مما يجعل القارىء يشعر بأن ما جاء في تلك الأمور في نفس السفر ما هو إلا مجرد خزعبلات لا تسمن ولا تغني من جوع وأن الواجب العدول إلى صراط الله المستقيم.

والفصل السادس تكلم فيه الشيخ عن التشريعات المتعلقة بالزراعة وبالبيع والشراء والرق والعتق والإجارة كما ذُكر في سفر اللاويين ثم أتبع ذلك بموقف الإسلام من كل تلك التشريعات موضحًا أنها تشريعات تخدم بعض الناس ولا تخدم غيرهم مما يدل على أنها وضعت لذلك الهدف.

وفي الفصل السابع جاء الحديث عن النظريات السياسية عند اليهود من حيث نظم الحكم، وحقيقة الاستيطان اليهودي وطرافة الأرض الموعودة، والشعب المختار كما ذكر في سفر اللاويين ثم موقف الدين الحق من كل ذلك حتى يتبين للناس مدى المهاترات التي يعتقدها اليهود ويزعمون أنها الحق وما هي في الواقع إلا مجرد تخاريف لا يقدم عليها دليل.

والفصل الثامن تناول فيه الرجلُ الحديثَ عن الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين وبين التلمود حيث عَرَّف التلمودَ ثم أعقبه بذكر ما بين سفر اللاويين وبين التلمود ومن اختلاف وائتلاف . ثم ذكر أهم ما توصل إليه من نتائج وتوصيات وذكر مصادر بحثه ومراجعه .

وهكذا يتبين من خلال هذه الدراسات التي قام بها الشيخ عماد أن ما ورد في سفر اللاويين من عقائد وتشريعات ما هي إلا من وضع البشر ولا تمت إلى الوحي السماوي بأدنى صلة ، وأن الواجب على أصحاب العقول السليمة الرجوعُ إلى الحق ونبذ الباطل وأن الحق هو ما جاء به الإسلام ، كما أضاف ذلك البحث الممتاز إلى المكتبة الإسلامية زادًا كانت تفتقده وأسأل الله العليَّ القدير أن يوفق الشيخ عماد لما يحبه ويرضاه . إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

الأستاذ الدكتور

عبد الخالق إبراهيم إسماعيل

عميد كلية أصول الدين - جامعة الزقازيق (سابقًا)

المقدمة



المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [(١)]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [(٢)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [(٣)]، [(٤)].

أما بعد،،،

فإن دراسة مقارنة الأديان من أشق الدراسات وألذها فى ذات الوقت، ذاك أن صعوبتها تبدو فى تشعب الاتجاهات فيها، فهى تضم جوانب متعددة، عقيدة وشريعة وسياسة... وغير ذلك.

كما أن دراسة مقارنة الأديان مهمة جدًّا، فى حق المسلم، لأن القرآن الكريم قد صرح بأهمية تلك الدراسة، فمرة يقول ويحدث عن إمكان وقوع اللقاءات والحوارات - سواء الشفهية أو المحررة على صفحات الكتب: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [(٥)] وفى سورة الأنعام تأتى الإشارة إلى دراسة الأديان أكثر صراحة: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [(٦)].

ووردت آيات كثيرة فيها لفت النظر إلى أهمية مقارنة الأديان: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).　　(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآيات (٧٠، ٧١).

(٤) هذه المقدمة هى المعروفة بخطبة الحاجة المأثورة عن النبى ﷺ أخرجها الإمام أحمد فى مسنده ١/ ٣٩٢-٣٩٣ عن عبد الله بن مسعود -ط المكتب الإسلامى- بيروت، وهى مروية فى كتب الصحاح.

(٥) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

(٦) سورة الأنعام الآية (١٥٦).

يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [٢] . . . . وغير ذلك كثير .

ودراسة مقارنة الأديان تعتبر أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، ولكن فى إطار واسع وشامل ، بمعنى أن محاسن الإسلام تبدو أكثر حسنًا ووضوحًا عندما تقارن بنقائضها فى غيره .

فإن من المقرر أنه «**لايبنى حق إلا على أنقاض باطل**» قال سبحانه وتعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [٣] .

ولذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «**من لايعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام**» [٤] أى المعرفة الكاملة .

ولعل سر تفريط الجيل المعاصر من المسلمين فى إسلامهم وزهادتهم فيه على هذا النحو المشين يكمن فى أنهم ولدوا من آباء مسلمين (أى مسلمين بالوراثة) فربما عرفوا التوحيد والصلاة والصيام والزكاة . . ولكنهم لم يتخيلوا يومًا ماذا كان يمكن أن يكون من الأمر لو أنهم ولدوا فى أحضان الشرك أو التثليث؟

نعم ربما يصلى ويتعبد ويتقرب إلى ربه ، ولكنه لو تخيل أنه ولد فى غير الإسلام وأنه لايستطيع أن يصلى أو يتعبد أو يتقرب إلا وبينه وبين معبوده وسيط ، إن قرر الوسيط المغفرة غفر المعبود ، وإن سخط الوسيط سخط المعبود - لو تخيل هذا لأدرك قيمة الإسلام .

ومن ثم كان أصحاب النبى ﷺ يعقدون تلك المقارنة بأسلوب بسيط لتظهر لهم محاسن الإسلام أكثر ، فربما نرى الرجل منهم يقول وهو يقارن بين إلهه فى سابق عهده وبين إلهه فى الإسلام : «**لقد كنا قومًا ضلالاً فهدانا الله ، وكان الرجل منا يصنع إلهه من الحلوى فإذا جاع أكله**» [٥] .

فكيف إذا عرفهم الإسلام بإله قوى قادر رحيم خالق رازق لاتدركه الأبصار والأحداق فضلاً عن أن تحويه البطون أو تلوكه الأشداق .

---

(١) سورة النحل الآية (١٧) .
(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٢) .
(٣) سورة الأنبياء الآية (١٨) .
(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٣٢ .
(٥) أبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٢/ ٢٨٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤م .

وفي مجال الأخلاق وجدنا عمر بن الخطاب يتذكر ماضيه في الكفر وهو يقول: **«لقد رأيتني ذات يوم قبل إسلامي وأنا أرعى إبلاً للخطاب وكنت رجلاً فظًا غليظًا»** فإذا به بعد إسلامه يبكي ربما لبكاء صبي أو توجع جائع، ويخفق قلبه خشية أن يسأل عن سخلة عثرت[(١)] -وإن بعدت عنه- لماذا لم يمهد لها الطريق.

ومن هنا كان اختياري لخوض دراسة مقارنة الأديان، وإن كنت لا أدعي لنفسي الفروسية في هذا الميدان، ولكن حسبي أنني كغيري ممن ولدوا مسلمين بالوراثة، فأردت أن أجدد ديني وحياتي[(٢)] وأسهم بهذا الجهد البسيط في تعريف إخواني[(٣)] مقدار النعمة التي أكملها الله وأتمها علينا.

لذلك استخرت الله عز وجل واستشرت أساتذتي الكرام، فكانت بحمد الله هذه الدراسة بعنوان: **«سفر اللاويين دراسة تحليلية نقدية»**.

وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

أسباب اختيار البحث:

أولاً: ما نرى من زيادة التبجح من أتباع الديانات الأخرى للطعن في هذه الملة الغراء والشريعة الحسناء، فقلت أكتب لعل القوم يبصرون الخشبة التي في أعينهم ويغفلون عنها، ويهولهم مايرون من القذى في أعين غيرهم.

ثانيًا: احتدام الصراع اليوم بين الإسلام وأعدائه -يهودًا ونصارى- فلا يجتمع القوم إلا على بغض الإسلام وأهله، وهم يعرفون عنا الكثير، فدراسات مستشرقيهم لعادات المسلمين وطباعهم ودينهم يقصد بها في المقام الأول معرفة نقاط الضعف التي يمكن أن يؤتى منها المسلمون.

فرأيت أن الأمر يحتاج منا إلى أن نعرف عن عدونا أكثر ممانعرف، حتى على الأقل ليفيق المتناومون من أبناء الإسلام ليعرفوا العدو من الصديق.

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب ص ١٦١ -بتصرف- ط مطبعة الأنوار المحمدية- القاهرة ١٩٩١م.

(٢) وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم، قالوا كيف يا رسول الله قال: أكثروا من قول لاإله إلا الله». رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٩) ط المكتب الإسلامي -بيروت-، وقال المنذري في الترغيب (٣/ ٧٥) إسناده حسن.

(٣) وأشهد الله أنني قد استفدت -كثيرًا- في توجيه الدعوة في المسجد من تلك الدراسة، وأحسب أن الناس كانوا يجدون مادة جديدة فيما أعرض عليهم من شرائع الإسلام وعقائده وعباداته مقارنًا بغيره من الأديان، فلله الحمد.

ثالثًا: كما أن هذا السفر أغرانى بدراسته الكم الهائل الذى حواه من التشريعات والعقائد والعبادات، حتى إنهم يسمونه «**دليل الكاهن**» أى فى الإفتاء، وهذا بخلاف سابقيه «**التكوين والخروج**» إذ يغلب عليهما الطابع التاريخى وذكر الأحداث.

فوجدت الفرصة مهيأة لدراسة موسعة فى الشريعة والعقيدة والنظم.

رابعًا: كما دفعنى إلى الكتابة فى هذا البحث مانرى من زهادة الجيل المسلم المعاصر فى تعاليم الإسلام، فرجوت أن يكون الوقوف على نقيض تلك التعاليم من الباطل ممايبعث فى النفس حيوية الإيمان، ويجدد شبابه فى قلوب المؤمنين.

بعد أن اجتمعت هذه الأسباب -وغيرها- سلكت فى البحث منهجًا جاء على النحو التالى:

منهجى فى البحث:

أولاً: اعتمدت على الله ثم على المصادر الأصلية سواء فيما يتعلق بمصادر أهل الكتاب أو بمصادر الإسلام.

ثانيا: عزوت كل قول إلى قائله، فذلك من بركة العلم.

ثالثًا: عرضت الأحكام والعقائد والتشريعات من سفر اللاويين ثم أتبعت ذلك بذكرموقف الإسلام.

رابعًا: آثرت ألا أقتفى أثر أهل الكتاب فى دراساتهم للأسفار حيث يتناولونها بالشرح فيقولون تفسير الإصحاح كذا، وربما تكرر الحديث عن شئ واحد فى أكثر من إصحاح، لذلك قسمت السفر إلى موضوعات وجمعت كل مافى السفر من فقرات حول هذا الموضوع.

خامسًا: ربما تعرضت للأسفار الأخرى غير سفر اللاويين إما لأنها توضح نصًّا فيه أو تنقضه.

سادسًا: حاولت جاهدًا إذا ماعرضت مسألة من وجهة النظر اليهودية أن أذكر ماجاء فى التلمود بصددها.

سابعًا: حرصت على ذكر موقف النصرانية فى أكثر الأحكام التى حواها السفر.

ثامنًا: فى ذكر موقف الإسلام كنت حريصًا على ألا أوسع الأمر عما هو معروض فى السفر، ولكن مع إيجاز لموقف شامل للإسلام فى هذا الموضوع.

تاسعًا: إذا أطلقت كلمة السفر فأكون قد أردت به سفر اللاويين الذى هو موضوع الدراسة.

عاشرًا: ترجمت لأكثر الأعلام والأماكن.

حادى عشر: التزمت الحيدة والإنصاف بعيدًا عن بذاءة الألفاظ، فما رأيته يوافق الوحى السماوى أشرت إليه، ومايرى من إبراز لمحاسن الإسلام فما هو إلا إحقاق للحق.

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وخاتمة، وذيلته بقائمة للمصادر والمراجع وبفهرس للموضوعات.

فأما المقدمة: فكانت عبارة عن فكرة عامة حول الموضوع والأسباب التى دعتنى لاختياره ومنهج السير فيه.

وأما التمهيد: فقد تناولت فيه تعريفًا بالتوراة ومكوناتها وأشهر نسخها، ثم مكانة سفر اللاويين بين أسفار التوراة، وكذلك حقيقة اللاويين الذين ينسب السفر إليهم، وأسماء السفر وكاتبه وزمن كتابته واللغات التى كتب بها وعدد إصحاحاته وفقراته.

ثم جاء الفصل الأول وعنوانه: «**مدى صلة سفر اللاويين بالوحى السماوى**» فى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الوحى بين العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث الثانى: الشروط الواجب توافرها فى الوحى السماوى.

المبحث الثالث: الحجج الدافعة على انقطاع الصلة بين سفر اللاويين ووحى السماء.

ثم جاء الفصل الثانى وعنوانه: «**الجانب العقدى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه**» فى تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: فى معنى العقيدة وحاجة الناس إليها.

المبحث الأول: الإله كما يصوره سفر اللاويين.

المبحث الثانى: حديث السفر عن الأنبياء.

المبحث الثالث: اليوم الآخر فى سفر اللاويين.

ثم جاء الفصل الثالث وعنوانه: «**الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه**» فى مبحثين:

المبحث الأول: الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين.

المبحث الثاني : موقف الإسلام من الجانب الأخلاقي في سفر اللاويين .

ثم جاء الفصل الرابع وعنوانه : «**قداسة الكهنة كما يصورها سفر اللاويين وموقف الإسلام منها**» في أربعة مباحث :

المبحث الأول : «**الكاهن ، وشروط اختياره ، وملابسه الرسمية ، ودرجات الكهنوت في سفر اللاويين**» .

المبحث الثاني : مراسم وطقوس مسح الكاهن في سفر اللاويين .

المبحث الثالث : تعاليم وواجبات وحقوق الكهنة في سفر اللاويين .

المبحث الرابع : موقف الإسلام من الكهانة والتكهن .

ثم جاء الفصل الخامس وعنوانه : «**العبادات في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها**» في تمهيد وثمانية مباحث :

التمهيد : في معنى العبادة وتاريخها .

المبحث الأول : الطهارة في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثاني : الصلاة في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثالث : الزكاة في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الرابع : الصوم في سفر اللاويين وموقف الإسلام منه .

المبحث الخامس : الحج في سفر اللاويين وموقف الإسلام منه .

المبحث السادس : الأعياد في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث السابع : القرابين في سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثامن : الأيمان والنذور في سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

ثم جاء الفصل السادس وعنوانه : «**الجانب التشريعي في سفر اللاويين وموقف الإسلام منه**» في تمهيد وخمسة مباحث :

فالتمهيد : في معنى التشريع وحاجة الناس إليه .

والمبحث الأول : تشريعات تتعلق بالجريمة والعقوبة في سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الثاني : تشريعات تتعلق بالزواج والطلاق في سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الثالث : تشريعات تتعلق بالحلال والحرام من المطعومات والمشروبات

فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الرابع : تشريعات تتعلق بالزراعة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الخامس : تشريعات تتعلق بالبيع والشراء والرق والعتق والإجارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

ثم جاء الفصل السابع وعنوانه : «**نظريات السياسة اليهودية كما يقررها سفر اللاويين وموقف الإسلام منها**» فى أربعة مباحث :

المبحث الأول : نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين .

المبحث الثانى : حقيقة الاستيطان الإسرائيلى للأرض الموعودة فى سفر اللاويين .

المبحث الثالث : نظرية الشعب المختار كما يقررها سفر اللاويين .

المبحث الرابع : موقف الإسلام من نظريات السياسة اليهودية الواردة فى سفر اللاويين .

ثم جاء الفصل الثامن وعنوانه : «**أوجه الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين والتلمود**» فى مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالتلمود .

المبحث الثانى : أوجه الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين والتلمود .

ثم جاءت الخاتمة : فسجلت فيها أهم النتائج والتوصيات التى أسفرت عن البحث .

ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

هذا ، وأرجو الله سبحانه وتعالى ألا يحرمنى ثواب ماأصبت فيه ، وألا يؤاخذنى بما زلت فيه قدمى ، وأرجوه بقوله : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١) .

د/ عماد على عبد السميع حسين

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦) .

التمهيـــد

ويشتمل على :

١- التعريف بالتوراة .

٢- مكونات التوراة .

٣- نسخ التوراة .

٤- مكانة سفر اللاويين بين أسفار التوراة .

٥- حقيقة اللاويين الذين ينسب إليهم السفر .

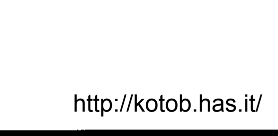
٦- أسماء السفر .

٧- كاتب السفر .

٨- زمن كتابة السفر .

٩- اللغات التى كتب بها السفر .

١٠- عدد إصحاحات السفر .


http://kotob.has.it/

التمهيد

١- التعريف بالتوراة:

التوراة لفظة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس[١] وهى باليونانية (بنتاتيوخ)[٢]، وفى الفرنسية (بانتاتيك)[٣]، وهى تعنى مؤلفًا من خمسة أجزاء، ويسميها اليهود بالناموس أو ناموس موسى عليه السلام وربما استخدم النصارى التوراة للدلالة على مجموع العهد القديم[٤].

وهى عندنا كلام الله المنزل على عبده موسى لهداية البشر فى عصره.

ويرى بعض الباحثين أن التوراة لم تكن تعرف بهذا الاسم منذ القدم، شأنها شأن الأسفار الخمسة التى تتألف منها[٥].

ولكن الذى ينظر إلى نصوص التوراة نفسها يجدها تحمل هذا الاسم فى أكثر من موضع ففى سفر التثنية (وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة)[٦] و (عندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها)[٧].

وهذا هو الذى يصرح به القرآن الكريم ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[٨].

٢- مكونات التوراة:

تتكون التوراة من خمسة أسفار:

السفر الأول: التكوين:

وهو يقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض، إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل فى أرض مصر، مع تفصيل فى قصص آدم وحواء والطوفان، ونسل سام

---

(١) بطرس البستانى: دائرة المعارف ٦/ ٢٦٤ ط دار المعرفة بيروت ١٨٨٢.

(٢) د/ فؤاد على حسنين: التوراة الهيروغليفية ص ٣٩ ط دار الكتاب العربى - القاهرة.

(٣) د/ موريس بوكاى: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص ٣١ ط المكتب الاسلامى بيروت ط٣ ١٩٩٠.

(٤) انظر دائرة المعارف، البستانى ٦/ ٢٦٤.

(٥) راجع التوراة الهيروغليفية ص٣٩.

(٦) التثنية ٣١ : ٩.

(٧) التثنية ٣١ : ٢٤.

(٨) سورة آل عمران الآية (٣).

(أحد أبناء نوح وهو الذى انحدر منه شعب إسرائيل) وغير ذلك[١] .

السفر الثانى : الخروج :

وهو يحكى قصة حياة موسى النبى واختيار الله له ليقود اليهود ويخرجهم من مصر ، كما يشتمل على وصف رحلة اليهود بزعامة موسى فى صحراء سيناء وتسليم الله أحكام الشريعة لموسى ، وإقامة خيمة الاجتماع ، وما صنعه موسى من المعجزات ليؤمن اليهود ويخضعوا لشريعته[٢] .

السفر الثالث : اللاويين :

وهو يعرض أنواع الذبائح والتقديمات والقرابين وطقوسها ، ومسح هارون وبنيه وتكريسهم لخدمة الكهنوت ، وشريعة التطهير ، ومراسيم متنوعة من المواسم والأعياد[٣] .

السفر الرابع : العدد :

وقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم ، وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم . ومن ثم سمى سفر العدد . وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات[٤] .

السفر الخامس : التثنية :

ويقال له تثنية الاشتراع ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم[٥] ، وهو عبارة عن تكرار لسرد الأحداث التى وقعت لليهود فى صحراء سيناء ، والمعجزات التى صنعها الله أمامهم ، والأحكام التى أنزلها عليهم ليتذكروا ويعتبروا بها ويعملوا بمقتضاها ، ويشتمل على بيان بعض الشرائع الجديدة[٦] ، وإقامة يشوع خليفة لموسى ، وتسليم التوراة لحاملى تابوت عهد الرب ، ثم خبر وفاته على جبل نبو[٧] .

---

(١) د/ على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص١٣ ط نهضة مصر ١٩٩٦م .
(٢) زكى شنوده : المجتمع اليهودى ، ص٢٨٨ ط مكتبة الخانجى - القاهرة .
(٣) د/ وهيب جورجى : مقدمات العهد القديم ١/ ١٠٧ ، ١٠٨ بإيجاز ط دار يوسف كمال للطباعة ، ١٩٩٦م .
(٤) د/ وافى الأسفار ، المقدسة ، ص١٤ .
(٥) د/ حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ص١٦ ط دار القلم - دمشق- الطبعة الثالثة ١٩٩٥ .
(٦) زكى شنوده : المجتمع اليهودى ص٢٨٩ .
(٧) د/ وهيب جورجى : مقدمات العهد القديم ١/ ١٢٨ .

تلك هى أجزاء التوراة التى تلقاها جمهور اليهود والنصارى بالقبول والإيمان، فهل هى عندهم جميعًا نص واحد يتفقون عليه؟ يتضح هذا من عرضنا لنسخ التوراة.

٣- نسخ التوراة:

لم أجد فيما وقف عليه الباحثون المهتمون بالمخطوطات القديمة من ذكر أنه توجد مخطوطة أو نسخة خاصة بأسفار موسى الخمسة إلا أن تكون النسخة السامرية وحتى هذه يزاد فيها سفرى يشوع والقضاة وأهم هذه النسخ:

١- النسخة السامرية(١):

وهى غير التى بأيدى سائر اليهود، ويزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون إن التى بأيدى السامرية محرفة مبدلة، وهى تحتوى على أسفار موسى الخمسة، وسفرى يشوع والقضاة(٢).

٢- النسخة العبرانية:

وهى النسخة المعتمدة عند اليهود وجمهور علماء البروتستانت(٣)، وتتكون هذه النسخة من تسعة وثلاثين سفرًا، أى أنها تزيد على السامرية اثنين وثلاثين سفرًا(٤)، وكان إجماع النصارى إلى القرن الخامس عشر منعقد على أن النسخة العبرية محرفة حرفها اليهود سنة ١٣٠م عمدًا لتشكيك النصارى فى النسخة اليونانية التى بأيديهم، حتى ظهرت فرقة البروتستانت فى القرن السادس عشر الميلادى وعكست الأمر وقالت بصحة العبرانية واعتمدتها(٥).

٣- النسخة اليونانية:

وتحتوى -أيضًا- على تسعة وثلاثين سفرًا وهى بمثابة ترجمة مأخوذة عن الأصل

---

(١) تنسب هذه النسخة إلى فرقة السامرية التى نشأت فى إقليم السامرة فى شمال فلسطين بعد السبى البابلى، وقد تمتعت بازدهار فكرى حتى القرن الرابع الميلادى، ثم ذاقت ألوان الاضطهاد على يد جستنيان الرومانى وهى أقل فرق اليهود انحرافًا، وقد أوشكت على الانقراض. انظر د/ عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٣١٩، ٣٢٠ ط دار الشروق القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٢) انظر: ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٠٢ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل - بيروت ١٩٨٥م.

(٣) رحمت الله الهندى: إظهار الحق ٢/ ٤٢٩ تحقيق د/ خليل ملكاوى ط دار الحديث -القاهرة- ١٩٩٢م.

(٤) بدران محمد بدران: التوراة العقل والعلم والتاريخ ص٢٢ مطبعة القدس القاهرة ١٩٧٩م.

(٥) د/ عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٨٣ ط دار الميسرة - بيروت ١٩٨٠م- بتصرف.

العبرى، وهى معتبرة إلى الآن عند نصارى الأرثوذكس وغيرها من كنائس الشرق[١]، وكذلك هى معتبرة عند اليهود الهلينستيين الذين كانوا يتكلمون اللغة اليونانية، رغم أن مخطوطة الترجمة الأولى مفقودة[٢].

هذه هى أشهر نسخ التوراة، وقد ذكر الشيخ/ رحمت الله الهندى أن اليهود كانوا قد أعدموا نسخًا كثيرة للتوارة كتبت فى القرنين السابع والثامن الميلادى لأنها كانت تخالف مخالفة كبيرة ما بأيديهم من النسخ[٣].

٤- مكانة سفر اللاويين بين أسفار التوراة[٤]:

إن لسفر اللاويين أهمية عظيمة بين أسفار التوراة لاحتوائه على كثير من التشريعات التى تتعلق بالكفارات والنذور والقرابين، والتوبة والحلال والحرام، والبيع والشراء، وغير ذلك مما يتعلق بأمور الناس ومعاشهم، وإليه يرجع أحبارهم وكهانهم للإفتاء، حتى إنهم ليسمونه دليل الكاهن.

يقول الأستاذ/ نجيب جرجس:

«قد يقرأ البعض هذا السفر بدون اهتمام، بل قد يضربون صفحًا عن قراءته، والواقع أنه سفر مقدس هام، يشتمل على الكثير من الحقائق الطقسية والروحية والرمزية التى تتصل ليس بالناموس الموسوى فقط بل -أيضًا- بعهد النعمة، ولذلك يجب على المؤمنين أن يقرأوه، ويتفهموا معانيه المقدسة»[٥].

وسفر اللاويين واحد من الأسفار التى هى محل اتفاق عند جميع فرق اليهودية وطوائفها[٦]، وكذلك النصرانية.

---

(١) إظهار الحق ٢/ ٤٢٩-٤٣٠.

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٨ ط دار الثقافة الاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالقاهرة -ط العاشرة ١٩٩٥م.

(٣) انظر إظهار الحق ٢/ ٦٠٩.

(٤) نشير هنا إلى أن ذكر مكانة السفر عند أهل الكتاب، فائدته إقامة الحجة على من يؤمنون به، إذا ماأعان الله على تشريحه وتوضيح مابه من خلل وفساد فى جميع النواحى.

(٥) نجيب جرجس: تفسير الكتاب المقدس -سفر اللاويين ص٨ ط مطبعة مدارس الأحد -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٨م. وانظر قاموس الكتاب المقدس ٨٠٨.

(٦) انظر د/ حسين عبد المطلب: مفهوم الإله عند اليهود ص١٦ ط دار الفردوس للطباعة -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٥- حقيقة اللاويين الذين ينسب إليهم السفر :

اللاويون الذين جعل السفر باسمهم هم أبناء لاوى أحد أبناء يعقوب أو إسرائيل النبى عليه السلام المشار إليهم فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم باسم (الأسباط).

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ (١)

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ (٢)

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ﴾ (٣)

ويرى جمهور المفسرين -عندنا- أن الأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب أو أبناؤه الاثنى عشر وذراريهم (٤).

غير أن الدكتور/ صابر طعيمة قد خالف هذا الجمع الكبير من المفسرين حيث أورد كل الآيات التى جاء فيها لفظ الأسباط فى القرآن الكريم ثم قال : -

«إن مجرد التلاوة لهذه الآيات التى ذكر فيها شئ عن الأسباط فى القرآن كله يؤكد بكل صراحة وقوة أن إخوة يوسف ليسوا هم الأسباط ولا الأسباط منهم . . لأن لفظ الأسباط فى القرآن كله لايصح أن يطلق عليهم لأنه يدل صراحة على غيرهم» (٥).

وكان من القرائن التى اعتمد عليها أن قال : **«تؤكد آية الأعراف (٦) أن الأسباط الأمم الاثنى عشر إنما هم أمم بعدد عيون الحجر الاثنى عشر وأنهم بعد موسى عليه السلام بعديد من القرون والأجيال، وأنه عليه السلام حتى على حكاية التوراة من الجيل الخامس على الأقل**

---

(١) سورة البقرة الآية (١٣٦) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٠) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٦٠) .

(٤) انظر الطبرى جامع البيان ١/ ٦٥٨ ط عيسى البابى الحلبى - القاهرة ١٩٦٨م، القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤١ ط دار الكتاب العربى القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٧م . ، الزمخشرى : الكشاف ١/ ٩٧ ط دار المعرفة بيروت، الآلوسى : روح المعانى ١/ ٣٩٥ ط دار إحياء التراث العربى بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٥م، ابن الجوزى : زاد المسير فى التفسير ١/ ١٥٠ ط المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤م . ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٨٧ ط مكتبة الإيمان -المنصورة- الطبعة الأولى، ١٩٩٦م . ، أبى السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/ ٦٦ ط دار المصحف بالقاهرة، القاسمى : محاسن التأويل ٥/ ١٧٢٢ ط دار إحياء الكتب العربية -القاهرة ١٩٥٧ ، البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٥٦ ط مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية ١٩٦٨، رشيد رضا : تفسير المنار ٩/ ٣٠٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٥) د/ صابر طعيمة : بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم ص١٦٧ ط عالم الكتب - بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(٦) يشير إلى الآية رقم ١٦٠ من سورة الأعراف .

لإسرائيل . . وتؤكد آية الأعراف كذلك أن الله سبحانه قطع هؤلاء الأمم الأسباط فى الأرض وأنه سبحانه أعلم كل أناس مشربهم من الحجر الذى انبجس منه الماء، وأن ذلك كان فى أواخر زمان موسى عليه السلام لأنه كان بعد ما كان بين موسى وهارون وفرعون وهامان، وبعد إسلام السحرة . . وبعد أن جاوز الله ببنى إسرائيل البحر، وبعد أن عبدوا العجل من دون الله عقب أن نجاهم الله، وبعد أن أتم موسى ميقات ربه . . فلا يمكن أن يكون هؤلاء الأسباط اليهود الذين ظلموا أنفسهم -أيضًا- كإخوة يوسف- هم إخوة يوسف، وإنما هم من قوم موسى ومن بعده . . »(١)

ثم يذكر قرينة أخرى مفادها: «أن الأسباط المشار إليهم بالتعريف كانوا أنبياءً ورسلاً، بدليل ماجاء فى سورة النساء ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾(٢) وبدليل التعقيب عليها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ ولعله مع هذا كله قد آن لنا أن نتأكد فى تقرير وأن نقرر فى تأكيد أن إخوة يوسف عليه السلام ليسوا الأسباط»(٣).

ولكن الحق أنه مجرد اجتهاد، وأخذ بالقرائن لايرقى فى تأكيد النتائج إلى هذه الحتمية السالفة.

فالقول بأن ميلاد موسى عليه السلام بعد وفاة كل أولاد يعقوب عليه السلام كدليل على أن الأسباط ليسوا هم إخوة يوسف كلام بغير دليل، ولاتنهض به حجة، فما الذى يمنع أن يكون موسى وهارون أحفادًا من ذرية يعقوب وإن بعد الزمان؟

وأما القول بأن الأسباط المشار إليهم معرفة كانوا أنبياء ورسلا، ولم يكن إخوة يوسف أنبياءً ولا رسلاً فعليه اعتراضان:

الأول: أن هناك غير واحد من العلماء قال بنبوة إخوة يوسف عليه السلام(٤).

الثانى: أن المفسرين أوّلوا الوحى إلى الأسباط الذى استند إليه الدكتور -بأن المراد به الوحى إلى الأنبياء الذين بعثوا فيهم(٥).

---

(١) بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم ص١٦٨-١٦٩ بإيجاز يسير .
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣) .
(٣) انظر المرجع السابق ص١٧٤ بتصرف .
(٤) انظر الطبرى: جامع البيان ١/ ٥٦٨، الرازى: التفسير الكبير ١١/ ١٠٨ ط دار الكتب العلمية - طهران، البيضاوى: أنوار التنزيل ١/ ٢٥٦ .
(٥) انظر محمد رشيد رضا: تفسير المنار ٦/ ٥٧ .

كما أن الذى يراجع المواضع التى ذكر فيها الأسباط فى القرآن يجدهم يلحقون بأبيهم يعقوب فى أربعة مواضع من المواضع الخمسة الواردة فى القرآن كله.

وأما تقطيعهم على عهد موسى عليه السلام اثنتى عشرة أمة فهو تقسيم باعتبار ماوجدهم موسى يقسمون قبائلهم وعشائرهم عليه فأعطى كل سبط عينًا من عيون الحجر التى انبجست إثر ضربه له بالعصا.

أضف إلى هذا: النداءات الكثيرة المتكررة فى القرآن الكريم -لليهود والنصارى من قوم موسى وعيسى- بيا بنى إسرائيل، فلو صح اجتهاد الدكتور لما كان لهذه النداءات معنى، وكما هو معلوم أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام فهل يصح أن يناديهم القرآن فينسبهم إلى غير نسبهم؟

وقد استعملت التوراة كلمة سبط فى إطلاقها على أولاد يعقوب عليه السلام ففى سفر العدد «**أحصوا كل جماعة بنى اسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم.. تحسبهم أنت وهارون ويكون معكما رجل لكل سبط**»[(١)].

«**واستعمال التوراة لكلمة سبط استعمال عبرانى بمعنى جماعة تحت رئاسة رجل واحد**»[(٢)]

هل كان لاوى محسوبًا ضمن الأسباط؟

إن سفر العدد -وقد احتوى على إحصاء كل مايتعلق بجماعة إسرائيل- ينص على أن سبط لاوى لايحسب ضمن الأسباط، ولايكون مستقلاً، بل تناط بهم خدمة الدين، ويوزعون بين الأسباط يقول السفر: «**كلم الرب موسى قائلاً أما لاوى فلا تحسبه ولاتعده بين بنى إسرائيل، بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة.... فيحفظ اللاويون شعائر مسكن الشهادة**»[(٣)] [(٤)].

هل كان لاوى نبيًا؟

لايمكن الجزم بنبوة لاوى وعدمها إلا بتحقيق مسألة نبوة الأسباط وعدمها، والحق أنه وجد نفر قليلون من العلماء قالوا بنبوة الأسباط منهم الطبرى المفسر[(٥)] -فى قول

(١) العدد ١ : ٢-٤ .
(٢) زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص٢٢ .
(٣) العدد ١ : ٤٩-٥٠ .
(٤) انظر: زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص٣٧-٣٨ بتصرف يسير .
(٥) انظر جامع البيان ١/ ٥٦٨ .

له- والرازى[١] والبيضاوى[٢] . . . وغيرهم .

غير أن جمهور العلماء لايقولون بنبوة الأسباط لما وقع منهم فى حق أخيهم يوسف ، لأنه ينافى العصمة ، وردوا ماقاله السالفون بوقوع ذلك منهم قبل النبوة ، واشترطوا العصمة قبل النبوة وبعدها[٣] .

وبهذا يثبت لدينا أن لاوى لم يكن نبيًّا ولا رسولاً .

٦- أسماء السفر :

لسفر اللاويين أكثر من اسم يختلف باختلاف اللغة التى يرد فيها اسم السفر ، فهو فى العبرية باسم «**ويقرا**» وهى اللفظ الأول الذى يبدأ به السفر فى النسخة العبرية ، ومعناها فى العربية «**ودعا**» ، وفى اليونانية والقبطية واللغات الغربية «**ليفنتكوس**» وتعنى اللاويين ، وفى الترجمة اليسوعية[٤] يسمى سفر الأحبار (جمع حبر) ومعناها العلماء ، والمقصود بهم الكهنة[٥] .

ونظرًا لأن هذا السفر قد توسع فى تفصيل الأعمال التى تختص بالكهنة فقد دعاه البعض باسم «**دليل الكاهن**»[٦] .

وفى تسمية السفر بهذه الأسماء الأربعة ، وتوجيهه بهذه النسب مايؤكد أنه ليس وحيًا إلهيًّا كما سنوضح ذلك فى موضعه ، بل هو من عمل الكهان والأحبار اللاويين من أجل أن يضفوا على أنفسهم قداسة شرعية وصبغة إلهية تؤمن مراكزهم .

٧- كاتب السفر :

جاء فى سفر التثنيةماينص على أن موسى عليه السلام هو كاتب الأسفار الخمسة وفيها اللاويون «**وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة من بنى لاوى**»[٧] .

---

(١) انظر التفسير الكبير ١١/ ١٠٨ .

(٢) انظر أنوار التنزيل ١/ ٢٥٦ .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١/ ٢٢٥ ط دار الغد العربى -القاهرة- الطبعة الثانية ، ١٩٩٠م . وانظر : تفسير المنار ٦/ ٥٧ .

(٤) الترجمة اليسوعية : هى ترجمة للكتاب المقدس إلى اللغة العربية قام بإعدادها الآباء اليسوعيون فى لبنان عام ١٨٨٠م . انظر قاموس الكتاب المقدس ص٧٧٢ .

(٥) انظر : نجيب جرجس : تفسير الكتاب المقدس -سفر اللاويين ص٧ ، وانظر : د/ أحمد حجازى السقا : نقد التوراة ص٥٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية ، د/ بدران محمد بدران : التوراة ص١٨ .

(٦) انظر : نجيب جرجس : تفسير الكتاب المقدس -سفر اللاويين ص٧ .

(٧) التثنية ٣١ : ٩-١٢ .

لهذا دأب شراح التوراة إذا ما تناولوا سفرًا من الأسفار الخمسة أن يقولوا: «**لايشك أحد فى أن كاتب هذا السفر هو موسى النبى**»[١].

٨- زمن كتابة السفر:

يذكر سفر الخروج أن موسى عليه السلام بعد خروجه ببنى إسرائيل من مصر إلى برية سيناء أمره الرب أن يقيم خيمة الاجتماع ففعل وكان ذلك فى الشهر الأول من السنة الثانية للخروج[٢]، ويناسب هذا سنة ١٤٩٠ ق.م حسب النسخة العبرية، وهو نفس التوقيت الذى أوحى الله فيه بهذا السفر إلى موسى النبى[٣].

بينما يذكر سفر التثنية أن موسى ماكتب التوراة إلا فى السنة التى مات فيها، يوم أن كان ابن مائة وعشرين سنة -كما يحكى السفر- وسلمها للكهنة من بنى لاوى[٤].

والمقطوع به تاريخيًّا -كما يرى علماؤهم ومؤرخوهم- أن موسى عليه السلام قد مكث فى سيناء بعد خروجه ببنى إسرائيل من مصر مدة أربعين سنة، إذ كان خروجهم فى سنة ١٤٩١ ق.م، وكانت وفاة موسى فى سنة ١٤٥١ ق.م[٥].

وبهذا يصبح فارق الاختلاف فى تحديد زمن كتابة السفر بين الروايتين هو ثمانية وثلاثون سنة!!!.

ثم يأتى سفر يشوع ليخبر أن يشوع هو الذى كتب أسفار موسى الخمسة بعد عبوره نهر الأردن[٦].

ثم يخبر سفر صموئيل الأول عن ضياع الأسفار إثر حرب لبنى إسرائيل مع الفلسطينيين حيث ضاع التابوت بما فيه[٧].

ثم يخبر سفر الملوك الثانى أن حلقيًّا الكاهن[٨] كان قد وجد سفر الشريعة فى الهيكل فى زمن الملك يوشيا فى حوالى ٦٢٢ ق.م[٩].

---

(١) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٧، د/ وهيب جورجى: مقدمات العهد القديم ١/ ٥٩
(٢) انظر الخروج ٤٠ : ١٧ .
(٣) انظر نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٩ .
(٤) انظر التثنية ٣١ : ١-٩ .
(٥) انظر: مقدمات العهد القديم ١/ ٢٦ .
(٦) انظر: يشوع ٨ : ٣٢ .
(٧) صموئيل الأول ٤ : ١-١١ .
(٨) حلقيا: اسم عبرى معناه يهوه قسمى، وهو رئيس الكهنة فى عهد الملك يوشيا ومساعده فى إصلاحه الدينى . انظر قاموس الكتاب المقدس ٣١٤ .
(٩) انظر: الملوك الثانى ٢٢: ٨-١٢ .

ويرى بعض الباحثين الغربيين أن الأسفار الخمسة كتبت فى نحو ٤٤٤ ق.م. بيد عزرا الكاهن[١] ورفاقه من اللاويين[٢].

وبهذا تكون كتابة الأسفار الخمسة -وفيها سفر اللاويين- قد استغرقت نحوًا من ١٠٤٧ عامًا.

ففى أى عام من هذه الأعوام الطوال كتب سفر اللاويين؟

ويرى بعض الباحثين -ممن لهم خبرة باللغات والأساليب التى كتبت بها أسفار العهد القديم أن سفرى اللاويين والعدد قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، أى بعد العودة من النفى البابلى[٣].

فهل يوثق بكلام كتب بعد وفاة صاحبه بنحو تسعة أو عشرة قرون؟

ومما هو جدير بالذكر أن بعضًا من أكابر علمائهم لايجدون إزاء هذا التضارب فى تحديد زمن الكتابة إلا الاعتراف صراحة بأنه من الصعب تحديد تواريخ دقيقة لكتابة الأسفار.

يقول الأستاذ/ موريس فورن: ناظر مدرسة العلوم العليا بباريس وهو يتحدث عن التوراة: «**لو سألنا فى أى وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة، وفى أية حال وظروف، وبأقلام من كتب لانجد أحدًا يجيبنا عن تلك الأسئلة وماشابهها إلا بأجوبة متباينة....**»[٤].

٩- اللغات التى كتب بها السفر:

يتفق علماء أهل الكتاب -يهودا ونصارى- على أن سفر اللاويين قد كتب باللغة العبرية[٥]، شأنه فى ذلك شأن أسفار العهد القديم[٦].

---

(١) عزرا: هو اسم عبرى معناه عون وكان من الكهنة الذين عادوا من بابل بعد الأسر، ويعتبر مؤسس نظم اليهودية المتأخرة فى القرن الخامس ق. م. وكانوا يلقبونه بكاتب الشريعة لاجتهاده. قاموس الكتاب المقدس ٦٢١.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة ٢/ ٣٩١ ط جامعة الدول العربية -القاهرة- ١٩٦٧ ترجمة محمد بدران.

(٣) انظر د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة ص١٧، وانظر لواء: أحمد عبد الوهاب: اختلاف فى تراجم الكتاب المقدس ص٦٨ ط دار التوفيق النموذجية -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٤) عبد الرحمن زاده: الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٣-٢٨٤ ط شركة الأمل للطباعة -القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٨٧- تحقيق د/ أحمد حجازى السقا.

(٥) اللغة العبرية من اللغات السامية وكانت تمتاز ببساطتها، إلى أن أضيفت إليها بعض زيادات فى القرن السادس الميلادى، بالإضافة إلى مادخلها من تغيير فى فترة السبى، وتوالى هذا التغيير حتى أن اليهود فى عهد المسيح كانوا يتحدثون بالآرامية، قاموس الكتاب المقدس ٥٩٨.

(٦) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٨، المجتمع اليهودى ص٢٨٥، وانظر د/ وافى: اليهودية واليهود ص١٤ ط دار نهضة مصر - القاهرة.

وعن هذه اللغة ترجم سفر اللاويين مع أسفار العهد القديم إلى عديد من اللغات أهمها :

١- الترجمة اليونانية أو السبعينية :

وهي أول ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية قام بإعدادها اثنان وسبعون عالمًا من شيوخ اليهود فى عهد بطليموس الثانى فى نحو سنة ٢٨٥ ق . م ، اعتمدوا فيها على أكثر من مرجع وأضافوا إليها بعض الأسفار التى دعيت فيما بعد بالأسفار القانونية[١] .

ولم يعرف إلى الآن على وجه اليقين الأسباب التى أدت إلى هذه الزيادات وهذا الاختلاف[٢] .

٢- الترجمة السريانية :

أخذ فيها العهد القديم عن العبرية ، وقد تم إعدادها فى حوالى القرن الثانى أو الثالث بعد الميلاد ، وتسمى الترجمة البسيطة لبساطة ووضوح أسلوبها[٣] .

٣- الترجمة اللاتينية :

ونقصد هنا الترجمة التى أعدها إيرونيموس فى منتصف القرن الخامس للميلاد ، ونقل فيها العهد القديم من العبرية إلى اللاتينية ، وهى المعتمدة عند الكنيسة الرومانية إلى الآن[٤] .

٤- الترجمة العربية :

توجد ترجمات متعددة للكتاب المقدس -كاملاً- إلى اللغة العربية ، أخذت عن لغات عديدة ، يرجع تاريخها إلى مابعد انتشار الإسلام[٥] .

ويهمنا هنا الإشارة إلى أن هناك ترجمة خاصة للعهد القديم من العبرية إلى العربية ، أعدها سعيد جاوون أو سعيد الفيومى (٨٩٢-٩٤٢م) [٦] .

---

(١) انظر : مقدمات العهد القديم ١/ ٢٩-٣٠ .

(٢) د/ وافى : الأسفار المقدسة ص٢٠ ، ابراهيم خليل أحمد : محاضرات فى مقارنة الأديان ص١١-١٢ ط دار المنار - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

(٣) انظر : مقدمات العهد القديم ١/ ٣٠ .

(٤) انظر : متى بنهام : مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ١/ ١٥-١٦ مكتبة كنيسة الإخوة بجزيرة بدران بشبرا ١٩٦٨م .

(٥) انظر : مقدمات العهد القديم ١/ ٣٣ .

(٦) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص٧٧١ .

وهناك ترجمة -أخرى- إلى العربية تعرف بالترجمة العربية الحديثة كان قد دعا إليها القس عالى سميث المرسل الأمريكى فى عام ١٨٣٧م، وعاونه فى ذلك المعلم بطرس البستانى -صاحب دائرة المعارف الشهيرة- غير أن عالى سميث مات فى ١٨٥٧م ولم يكن قد أتم إلا الأسفار الخمسة، والعهد الجديد وبعض أجزاء أخرى، وهى مأخوذة عن اللغة العبرية -أيضًا-[١].

تلك أهم الترجمات التى أعدت للعهد القديم من اللغة العبرية، وهناك عديد من التراجم الأخرى[٢]، التى يلحظ من كثرتها أن أهل الكتاب لايكادون يتفقون على أصل واحد يمكنهم الرجوع إليه لمعرفة الصواب.

كما نلاحظ أن علماء أهل الكتاب يرقعون فى ترجماتهم من نسخ مختلفة، ويضيفون ماشاءوا، ويسميها بعضهم إضافات قانونية ويصححون كما يقرون هم بذلك[٣].

فمن ياترى الذى أوحى إليهم بتلك الإضافات والتصحيحات؟

١٠- عدد إصحاحات السفر:

إن أسفار الكتاب المقدس جملة لم تكن مقسمة إلى إصحاحات ولافقرات، بل كان كل سفر منها متصلاً من أوله إلى آخره، ولم يكن فى كل هذه الأسفار علامات فاصلة بين الجمل، بل كانت الكلمات ملتصقة بعضها ببعض حتى كان كل سطر منها ككلمة واحدة فدعت الحاجة إلى تقسيم الأسفار إلى فصول وفقرات[٤].

وقد مرت عملية تقسيم الأسفار إلى إصحاحات بفترات زمنية متباعدة، ربما تبدأ من تاريخ ماقبل الميلاد، وتمتد حتى عام ١٥٥٥ للميلاد الذى ظهرت فيه طبعة الفلجاتا[٥].

ويقر علماء اللاهوت فى صراحة -بوقوع أخطاء كثيرة فى هذه التقسيمات إذ كثيرًا مايفصل بين مايجب أن يوصل[٦].

---

(١) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار ١/ ١٧-١٩ .

(٢) فهناك الترجمة الأثيوبية والأرمينية والقبطية . . . وغير ذلك بل ربما كان هناك عدة ترجمات فى لغة واحدة، انظر: مقدمات العهد القديم ١/ ٣٢-٣٣ .

(٣) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٩-٣٠ .

(٤) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ١/ ١٩ .

(٥) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٥ .

(٦) انظر: المرجع السابق: نفس الموضع، وانظر: القس/ جميل حناطرانجان: الكتاب المقدس فى اللغة العربية ص١٣ مطبعة النيل المسيحية -بمصر ١٩٣٦ .

وعدد إصحاحات سفر اللاويين على نسخة البروتستانت سبعة وعشرون إصحاحًا وفقراته (٨٥٦) فقرة.

وبعد هذا التمهيد بين يدى السفر ننتقل إلى الفصل الأول لنرى مدى صلة السفر بوحى السماء.

* * *

الفصل الأول

مدى صلة سفر اللاويين بالوحى السماوى

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الوحى بين العهد القديم والقرآن الكريم .

المبحث الثانى: الشروط الواجب توافرها فى الوحى السماوى .

المبحث الثالث: الحجج الدامغة على انقطاع الصلة بين سفر اللاويين ووحى السماء .

المبحث الأول

مفهوم الوحى بين العهد القديم والقرآن الكريم

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الوحى فى العهد القديم .

المطلب الثانى: أنواع الوحى فى العهد القديم .

المطلب الثالث: مفهوم الوحى فى القرآن الكريم .

المطلب الرابع: أنواع الوحى فى القرآن الكريم .

المطلب الخامس: من أى هذه الأنواع كان وحى القرآن .

المطلب السادس: بعض مظاهر الوحى بين العهد القديم والقرآن الكريم .

المطلب الأول: مفهوم الوحى فى العهد القديم:

إن مفهوم الوحى فى العهد القديم -كما يرى شارحوه- هو إعلان الله عن ذاته المقدسة، وإرادته وغايته، وكشف أسراره لأنبيائه، واستعلان مجده[١].

وقد تكون هذه الإعلانات الإلهية موجهة للشعب ككل من الملوك والقادة والكهنة وكل فرد من الشعب، وقد تكون موجهة إلى الملوك فقط، أو الملوك والقادة فقط، أو الكهنة فقط، أو الملوك والقادة والكهنة، أو الشعب فقط[٢].

والأصل فى تحديد هذا المفهوم استعمال الوحى الإلهى -فى العهد القديم- للفعل العبرى (جالا : Galah) والذى يعنى: (يعلن - يستعلن - يكشف)[٣].

ففى سفر صموئيل الثانى -مثلاً- «**لأنك أنت يارب الجنود قد أعلنت لعبدك داود**»[٤]، وفى سفر صموئيل الأول «**لأن الرب استعلن لصموئيل فى شيلوه**»[٥].

وفى سفر عاموس«**إن السيد الرب لايصنع أمرًا إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء**»[٦].

بل إن سفر الخروج -الذى يروى قصة تلقى موسى النبى لأول وحى -ليخبرنا أن الرب قد نزل على جبل الطور نزولاً حقيقيًا ليعلن لموسى عن ذاته وإرادته، والأدهى من ذلك أن الرب كان يخشى عند نزوله أن يتجرأ الشعب فيقتحم المكان لذلك جعل يأمر موسى أن ينزل إلى الشعب فيحذره الاقتحام، يقول السفر:

«**ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى، فقال الرب لموسى : انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون. . . . فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم**[٧]، ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً. . . .»[٨]

وبهذا ترى أن الوحى عندهم لايقف عند حدود الملك الذى يقوم بتبليغ الأنبياء

---

(١) انظر: عبد المسيح بسيط أبو الخير: الإعلان الإلهى وكيف كلم الله الإنسان ص١١ مطبعة المصريين القاهرة ١٩٩٧م . وانظر: زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص٧٥ .

(٢) عبد المسيح بسيط أبو الخير: الأنبياء والنبوة والتنبؤ ص٨٦ مطبعة المصريين - القاهرة ١٩٩٧م .

(٣) انظر: الإعلان الإلهى ص١١ .

(٤) صموئيل الثانى ٧ : ٧ .

(٥) صموئيل الأول ٣ : ١٢ .

(٦) عاموس ٣ : ٧ .

(٧) الخروج ١٩ : ٢٠-٢٥ .

(٨) الخروج ٢٠ : ١ .

والرسل، بل يتعداه -وذلك فى أكثر أحواله- إلى مجئ الرب بذاته فى صور رجال، وأشكال مرئية، وهيئات جسمية.

يقول القس عبد المسيح بسيط أبو الخير فى كتابه الإعلان الإلهى وكيف كلم الله الأنبياء: «**تكلم الله مع الآباء البطاركة من آدم إلى يعقوب، ثم موسى النبى، وتخاطب معهم فمًا لفم، وسمعوه بآذانهم كما يسمع الإنسان صوت الإنسان... وظهر لهم فى أشكال مرئية للعين رأوا فيها شبه الرب.. ولكن دون أن يروه بلاهوته فى طبيعته النورانية والروحية، وجوهره الذى لايرى، ظهر لهم فى أشكال مؤقتة، وهيئات جسمية مثل الرجال، هذه الظهورات أسماها علماء اللاهوت (الثيؤفانيا) أى الظهور الإلهى**»[١].

وللقارئ الكريم أن يعلم أن هذا المفهوم -الذى أسلفناه- للوحى فى العهد القديم ليس عند هذا القس وحده بل عند أكابر علمائهم، إذ يخبرنا هذا القس المبجل فيقول: «**هذه الظهورات أسماها علماء اللاهوت.....**».

ولك أن تلاحظ -أيضًا- هذا التضارب فى تحديد الفكرة لدى علماء اللاهوت عن الوحى، كيف يذكرون أن الرب يظهر فى هيئات جسمية مثل الرجال، وأشكال مرئية للعين، ثم يقولون: «**دون أن يروه بلاهوته**»؟

وهذه الجزئية الأخيرة كذب صريح يرده العهد القديم نفسه الذى يذكر مجئ الرب -بذاته- إلى يعقوب ومصارعته له، وتوسل الرب إلى يعقوب أن يطلقه قبل أن يطلع الفجر:

«**فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال: لاأطلقك إن لم تباركنى، فقال له: ماسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرنى باسمك، فقال: لماذا تسألنى عن اسمى، وباركه هناك، ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً: لأنى نظرت الله وجهًا لوجه**»[٢].

وما أكثر ماترى من هذا الوحى فى العهد القديم، فالرب ربما جاء بالوحى والإعلان إلى صبى أو إلى مشرك وثنى أو غير ذلك.

وبهذا يتضح لكل ذى بصيرة أن كتاب العهد القديم وشراحه لم يستطيعوا تكوين

---

(١) الإعلان الإلهى ص١٥.

(٢) التكوين ٣٢ : ٢٤-٣٠.

فكرة محددة حول وحى كتابهم، ويزداد الأمر وضوحًا عندما يقف القارئ الكريم على أنواع الوحى فى العهد القديم.

المطلب الثانى: أنواع الوحى فى العهد القديم:

يذكر شراح العهد القديم أن وحى الله إلى الأنبياء كان يتم بوسائل كثيرة أهمها:

١- المخاطبة المباشرة. ٢- الرؤيا فى اليقظة.
٣- الحلم أثناء الليل. ٤- عن طريق الملاك.
٥- حلول الروح القدس على الأنبياء والرسل[١].

* **وأمثلة النوع الأول (وهو المخاطبة المباشرة) كثيرة جدًا منها:**

١- ظهور الله لآدم وحديثه معه -كما يحكيه سفر التكوين- واختباء آدم وحواء من الرب، وسؤال الرب أين أنت يا آدم[٢].

٢- ظهور الله لنوح وحديثه معه فى شأن الطوفان وإهلاك المفسدين فى الأرض **«وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنى إياك رأيت بارًا لدىَّ فى هذا الجيل»**[٣].

٣- ظهور الله لإبراهيم أكثر من مرة:

- مرة فيما بين النهرين **«وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك»**[٤].

- ومرة فى شكيم فى بلوطة مورة[٥]: **«واجتاز إبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض»**[٦].

- ومرة عندما كان ابن تسع وتسعين سنة **«ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملاً»**[٧].

- ومرة عند بلوطات ممرا[٨] أتاه عند باب خيمته فى صورة رجل معه حراس **«وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس عند باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه**

---

(١) انظر: المجتمع اليهودى ص٧٨ (٢) انظر: التكوين ٣: ٨-١٣.
(٣) التكوين ٧: ١. (٤) التكوين ١٢: ١-٢.
(٥) شكيم هى: مدينة قديمة أنشأها الكنعانيون وهى من أقدم مدن العالم، واسمها الحالى نابلس تبعد عن أورشليم ٣١,٥ ميل شمالاً، قاموس الكتاب المقدس ٥١٤، ٥١٥.
(٦) التكوين ١٢: ٦-٧. (٧) التكوين ١٧: ١.
(٨) بلوطات ممرا: هى مدينة حبرون وتسمى الآن مدينة الخليل وهى من أقدم المدن فى العالم على بعد ١٩ ميل إلى الجنوب الغربى من أورشليم. (قاموس الكتاب المقدس ص٢٨٧).

ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض»[١].

٤- ظهور الرب لإسحاق عندما كان فى الأرض جوعا «ظهر له الرب وقال لاتنزل إلى مصر، اسكن فى الأرض التى أقول لك تغرّب فى هذه الأرض»[٢].

٥- ظهور الرب ليعقوب، وتلقى الوحى وهو يصارع الرب[٣].

٦- ظهور الرب لإرميا «ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك»[٤].

٧- ظهور الرب للصبى صموئيل حيث لم يعرفه فى المرة الأولى فلم يوح إليه[٥]، وأوحى إليه لما عرفه فى المرة الثانية: «فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأول صموئيل صموئيل فقال صموئيل تكلم لأن عبدك سامع»[٦].

٨- ومن المخاطبة المباشرة وحيه إلى موسى النبى حيث فزع من منظر الرب وغطى وجهه ثم أوحى إليه الرب قال: «فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر»[٧].

* ومن أمثلة النوع الثانى وهو الرؤيا فى اليقظة:

١- «رؤيا إشعيا بن أموص التى رآها على يهوذا وأورشليم»[٨].

٢- «فتأمل الكلام وافهم الرؤيا»[٩].

٣- «رؤيا عوبديا هكذا قال الرب عن آدوم»[١٠].

٤- «فأجابنى الرب وقال اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح»[١١].

٥- «فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كلم ناثان داود»[١٢].

٦- «وصار كلام الرب إلى إبرام فى الرؤيا قائلاً»[١٣].

والفرق بين رؤيا اليقظة ورؤيا الحلم جاء موضحًا فى العهد القديم فى سفر العدد وهو يحكى عن الوحى الذى جاء لبلعام بن بعور الذى كان معاصرًا لموسى النبى ولكن

---

(١) التكوين ١٨ : ١ .
(٢) التكوين ٢٦ :١-٣ .
(٣) انظر التكوين ٣٢: ٢٤-٣٠ .
(٤) إرميا ١ : ٩ .
(٥) صموئيل الأول ٣ : ٧ .
(٦) صموئيل الأول ٣ : ١٠ .
(٧) الخروج ٣: ٦-١٠ .
(٨) إشعيا ١ : ١ .
(٩) دانيال ٩ : ٢١-٢٣ .
(١٠) عوبديا ١:١ .
(١١) حبقوق ٢:٢ .
(١٢) صموئيل الثانى ٧ :١٧ .
(١٣) التكوين ١٥ : ١ .

من خارج بنى إسرائيل : «وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين، وحى الذى يسمع أقوال الله، الذى يرى رؤيا القدير»[(١)] .

* ومن أمثلة النوع الثالث -وهو الحلم أثناء الليل :

١ - «فقال الله فى الحلم . . . . »[(٢)] .

٢- «وقال لى ملاك الله فى الحلم يايعقوب»[(٣)] .

٣- «وأتى الله إلى لابان الآرامى فى حلم الليل وقال له . . . . »[(٤)]

٤- «تراءى الرب لسليمان فى حلم وقال له . . . . »[(٥)] .

٥- «فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له . . . . . »[(٦)] .

* ومن أمثلة النوع الرابع -وهو الوحى عن طريق الملاك :

١ - «فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالسًا»[(٧)] .

٢- وفى سفر دانيال «وأنا متكلم بعد الصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا»[(٨)] .

٣- وفى سفر زكريا «فقال لى الملاك الذى كلمنى»[(٩)] .

٤- وفى سفر زكريا -أيضًا- «فقلت للملاك الذى كلمنى»[(١٠)] .

ومن أمثلة النوع الخامس وهو الوحى عن طريق حلول الروح القدس على الأنبياء والرسل :

١- قول داود النبى «روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى»[(١١)] .

٢- ويحكى سفر القضاة «فحل عليه روح الرب»[(١٢)] .

٣- وفى سفر صموئيل الأول «فحل عليه روح الرب فتنبأ»[(١٣)] .

٤- وفيه -أيضًا- «وحل روح الرب على داود»[(١٤)] .

وبعد فهذه أنواع الوحى فى العهد القديم -من صفحاته- وكما يراها المؤمنون به،

---

(١) العدد ٢٤ : ٣-٤ .
(٢) التكوين ٢٠ : ٦ .
(٣) التكوين ٣١ : ١ .
(٤) التكوين ٣١ : ٢٤ .
(٥) صموئيل الأول ٣ : ٥ .
(٦) التكوين ٢٠ : ٣ .
(٧) التكوين ١٩ : ١ .
(٨) دانيال ٩ : ٢١ .
(٩) زكريا ١ : ٨ .
(١٠) زكريا ٥ : ١٠ .
(١١) صموئيل الثانى ٢٣ : ٢ .
(١٢) القضاة ١٤ : ٦ .
(١٣) صموئيل الأول ١٠ : ١٠ .
(١٤) صموئيل الأول ١٦ : ١٣ .

وهى تؤكد لدى القارئ الكريم ماكنت قد أشرت إليه من ذى قبل[١] من أن شراح العهد القديم والمؤمنين به لم يستطيعوا تكوين فكرة محددة حول وحى كتابهم.

ألا ترى أن النوعين الأخيرين (الوحى عن طريق الملاك، وعن طريق حلول الروح القدس) هما نوع واحد فروح القدس هو الملاك جبريل عليه السلام.

ومما تجب الإشارة إليه أن العهد القديم كان خليطًا من كل أنواع الوحى -كما يرى علماؤهم- رؤى الليل، ورؤى اليقظة، ومشافهة الرب، وحلول الروح القدس، وبالطبع هذا يفقد الثقة بقداسة هذا العهد.

ألا ترى إلى العجب العجاب: أنه يذكر فى وحى رؤى الليل رؤى للمشركين والوثنيين أمثال فرعون[٢]، ولابان الأرامى[٣]، وأبيمالك ملك جرار[٤]، ونبوخذ نصر[٥].. وغير ذلك.

وماأكثر أضغاث الأحلام التى يعترف علماؤهم بأنها تكررت فى العهد القديم أكثر من مائة وستة عشر حلمًا[٦].

فهل هذا وحى؟ سبحانك ربى هذا بهتان عظيم.

المطلب الثالث: مفهوم الوحى فى القرآن الكريم:

لابد لمعرفة مفهوم الوحى فى القرآن الكريم من معرفة كلمة (وحى) ومدلولها فى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم.

وقد ذكر علماء اللغة عدة معان لهذه الكلمة، كلها تدور حول معنى الإعلام فى خفاء[٧]، وبعضهم يزيد السرعة[٨].

وفى مفهوم الشرع: هو إعلام الله أنبياءه ورسله بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب، بواسطة أو بغير واسطة[٩].

(١) انظر ص١٤ من هذا البحث.
(٢) انظر التكوين ٤١ : ١-٢٥.
(٣) انظر التكوين ٣١ : ٢٤.
(٤) انظر التكوين ٢٠ : ٣.
(٥) انظر دانيال ٢ : ١-٢٨.
(٦) انظر: الإعلان الإلهى ص٣٦.
(٧) انظر: جمال الدين بن منظور: لسان العرب ٢٠/ ٢٥٧ مادة (وحى) ط مصورة عن طبعة بولاق: الفيروزابادى: القاموس المحيط ٤/ ٣٦١ مادة (وحى) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
(٨) انظر: الراغب الأصفهانى: المفردات فى غريب القرآن ص٥١٥ مادة (وحى) طبعة الحلبى.
(٩) انظر: ابن حجر: فتح البارى ١/ ١١ طبعة دار الحديث - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
العينى: عمدة القارى ١/ ١٤ ط دار الفكر - بيروت- ١٩٧٨م.
د/ محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٨٤.
د/ رؤوف شلبى: الوحى فى الإسلام ص٣٠ مطبعة حسان - القاهرة- ١٩٧٨م.

ومن خلال هذا التعريف الدقيق، يمكن أن نحدد أبعاد الوحى القرآنى وهى كما يلى:

١- المُوحِى: وهو الله سبحانه وتعالى.

٢- المُوحَى إليهم: وهم الأنبياء والرسل.

٣- المُوحَى به: وهو الشرع أو الكتاب.

٤- الوسيلة التى يتم عن طريقها وصول الوحى.

ومجرد المقابلة بين مفهوم الوحى فى القرآن الكريم والعهد القديم يعطينا فرقًا واضحًا وهو:

أن الإعلان الذى هو أساس الوحى فى العهد القديم يحمل معنى الظهور، وأما الإعلام فهو إخبار ولكنه يحمل معنى الخفاء.

فعلى الأول يستلزم ظهور المُوحِى وهذا هو الذى نراه يغلب كطابع بارز فى وحى العهد القديم، فما أكثر ما ترى الرب (المُوحِى) إذا أراد أن يعلن عن ذاته أتى إلى المُوحَى إليهم (الرسل) ليبلغهم ويروا هم ذاته.

أما الإعلام فإنه إخبار لايلزم منه ظهور المُخبِر وهذا هو الأليق بذات الله سبحانه وتعالى الذى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [١].

المطلب الرابع: أنواع الوحى فى القرآن:

إن أنواع الوحى التى تحدث عنها القرآن الكريم من الكثرة بحيث تفرد لها الرسائل الخاصة، ولكن الذى يعنينا هنا هو أنواع الوحى التى تتعلق برسالات السماء، وقد وردت مجملة فى قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢].

وتشير الآية الكريمة إلى أن الوحى ينقسم إلى قسمين:

١- بواسطة.

٢- بغير واسطة.

فالقسم الأول تحته نوع واحد: وهو الذى يكون بواسطة أمين الوحى جبريل عليه

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٠٣).

(٢) سورة الشورى الآية (٥١).

السلام وهو أشهر أنواع الوحى وأكثرها ورودًا وهو المصطلح عليه بالوحى الجلى[١].

وأما القسم الثانى فتحته أنواع ثلاثة:

١- الوحى تكليمًا: كالذى حصل لموسى عليه السلام ومحمد ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج[٢]. ولابد أن يوضع فى الحسبان أن هذا النوع من الوحى لم تكن فيه رؤية لله[٣] عز وجل بل كان من وراء حجاب.

٢- الوحى إلهامًا يقذفه الله فى قلب من اصطفاه على وجه العلم الضرورى الذى لايستطيع له دفعًا، ولايجد فيه شكًا بأن هذا وحى من الله تعالى[٤]. وذلك مثل ماورد من حديث «**إن روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها...**»[٥].

٣- الوحى عن طريق الرؤيا الصادقة. وذلك مثل رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده، وكرؤيا النبى محمد ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام[٦].

وبعد أن عرفت -أيها القارئ الكريم- أنواع الوحى فى القرآن الكريم، فهل لاحظت فى أى من هذه الأنواع مايذكر فيه أن الرب سبحانه وتعالى يجيئ بذاته إلى الأنبياء، أو إلى الناس فى مضاجعهم[٧]، ولايلقون لذلك بالاً، حتى كأن يقوموا من مضاجعهم إجلالاً للرب سبحانه وتعالى؟

وهناك من يرى أن للوحى أنواعًا أكثر مماذكر، حتى أن ابن حجر يقول: «**وقد ذكر الحليمى أن الوحى كان يأتى على ستة وأربعين نوعًا -فذكرها- وغالبها من صفات حامل الوحى، ومجموعها يدخل فيما ذكر**»[٨].

---

(١) انظر د/ محمد بحيرى إبراهيم: القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين ١/ ٤٦ دار الطباعة المحمدية - القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

(٢) د/ رؤف شلبى: الوحى فى الإسلام ص٢١.

(٣) مسألة الرؤية فى ليلة الإسراء والمعراج مسألة خلافية، الراجح فيها عدم وقوعها وهو الأسلم. انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٩٠.

(٤) الشيخ/ عبد العظيم الزرقانى: مناهل العرفان فى علوم القرآن ١/ ٦٤ ط عيسى البابى الحلبى -القاهرة-.

(٥) ابن عبد البر: التمهيد ١/ ٢٨٤ ط مطبعة فضالة المحمدية -القاهرة- وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥).

(٦) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٤٤ ط المشهد الحسينى -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٦٧.

(٧) يذكر سفر صموئيل الأول «أن الرب جاء إلى صموئيل الصبى وجعل يناديه فلم يعرفه فى المرة الأولى فلما أخبره الكاهن عالى أنه الرب وقال له ارجع واضطجع فى مكانك، فرجع واضطجع فجاء الرب ودعا كالمرات الأول. انظر ٣: ٤-١٥.

(٨) فتح البارى ١/ ٢٥.

المطلب الخامس من أى هذه الأنواع كان وحى القرآن الكريم :

رأينا فى وحى العهد القديم أنه لم يحدد من أى أنواع الوحى هو، حتى شراحه لم يستطيعوا أن يستنتجوا هذا، فهم يخلطون بين رؤى النوم واليقظة، والمخاطبة المباشرة كما أسلفنا.

أما القرآن الكريم فإنه برغم أنه أورد للوحى أكثر من معنى إلا أنه جاء يحمل تحديدًا لنوع الوحى القرآنى، إذ يقول الله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (١).

وهذا يعنى أن القرآن كان من الوحى الجلى.

يقول الدكتور/ محمد بحيرى إبراهيم :

«**اتفق جمهور العلماء على أن وحى القرآن الكريم من قبيل الوحى الجلى، وهو ماكان عن طريق إرسال أمين الوحى جبريل إلى محمد ﷺ ليوحى إليه قرآنًا عربيًّا فى اليقظة لا فى المنام، وبالكلام لا بالإيهام**»(٢).

المطلب السادس : بعض مظاهر الوحى بين العهد القديم والقرآن الكريم :

أقصد بمظاهر الوحى هنا : الحالة التى يكون عليها المُوحَى إليه عند تلقى الوحى من الاستعداد والوعىْ التام والإدراك.

والحق أن مظاهر الوحى لايحددها إلا نبى أوحى إليه وعاين، فيخبر بصدق لاشك فيه.

ويخبرنا النبىْ الخاتم ﷺ عن مظاهر الوحى فيقول حين سئل كيف يأتيك الوحى يارسول الله؟

قال : «**أحيانًا مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علىَّ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال، وأحيانًا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى مايقول**»(٣).

وقد يخبر من يعاين عن قرب بهيئة الموحى إليه حين نزول الوحى، كما أخبرت أم

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١٩٢-١٩٦).

(٢) القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين ١/ ٤٧، وانظر الإتقان ١/ ٤٤، مناهل العرفان ١/ ٦٤

(٣) البخارى بشرح ابن حجر : ك بدء الوحى، الباب الثانى منه (بدون ترجمة) ١/ ٢٣٠ ط دار الحديث - القاهرة- ١٩٩٦م.

المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- قالت :

«**ولقد رأيته -أى رسول الله** ﷺ - ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا»[١] .

وهذا يعنى أن الوحى كله شديد يتطلب حالة روحية عالية من الاستعداد والتهيؤ لما ينزل من كلام رب العالمين[٢] .

أضف إلى هذا أن من ينزل عليه الوحى لابد أن يعى ماينزل عليه ويتفهم مراميه ومقاصده حتى يفهمه للناس .

أما الوحى فى العهد القديم فلا يلمح فيه شئ من هذه المظاهر من الشدة والاستعداد الروحى لما ينزل من الوحى .

بل ربما نزل الوحى والنبى فى حالة لعب أو لهو أو سماع للعود أو الموسيقى ، يذكر سفر الملوك الثانى أن اليشع النبى كان حينما يقف فى مناجاة مع الرب ، وينتظر الوحى ، كان يطلب عوادًا وعندما يضرب العواد تكون عليه يد الرب يقول السفر :

«**فقال اليشع : حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه . . . أنظر إليك ولاأراك ، والآن فأتونى بعواد ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب ، فقال : هكذا قال الرب اجعلوا هذا الوادى جبابًا جبابًا**»[٣] .

وفى سفر صموئيل الأول يذكر أن الرب قال لصموئيل أن يذهب إلى جبعة الله[٤] وعندها سيجد مجموعة من الأنبياء منتظرين الوحى ومعهم دف ورباب وناى وعود فيتنبأ معهم ويحل عليه روح الرب .

«**تأتى إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ، ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر**»[٥] .

إن هذا بالطبع لايوحى باستعداد لتلقى الوحى الإلهى .

---

(١) التخريج من نفس الموضع السابق .

(٢) انظر : فتح البارى ١/ ٢٦ .

(٣) الملوك الثانى ٣ : ١٤-١٦ .

(٤) جبعة الله : جبعة اسم عبرى معناه تل وهى مدينة فى بنيامين عينت للكهنة كانت تقع على الطرف الشمالى لمملكة يهوذا ، وهى على بعد ٤ أميال شمال أورشليم ، شرقى الطريق من أورشليم إلى نابلس قاموس الكتاب المقدس ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٥) صموئيل الأول ١٠ : ٥-٦ .

أكثر مايمكن أن يوحى به أن فرقة فنون شعبية تستعد لعزف بعض الألحان، وترديد بعض المواويل الشعبية للضحك على العامة والسذج.

فإذا ماتركت هذه النقطة إلى نقطة أخرى من مظاهر الوحى فى العهد القديم وجدت عجبًا !!!!

تجد أن النبى يمكن أن يتلقى وحيًا لايعيه ولايدرك معناه.

يقول الأستاذ/ زكى شنوده:

«**وقد يحدث أن يكون النبى مجرد وسيط لتبليغ رسالة من الله بحروفها وبحذافيرها بحيث لايكون له أى دخل فى صياغتها حتى ليحدث أنه هو ذاته لايكون مدركًا لمعناها، ولاسيما إذا كانت الرسالة تتضمن عبارات رمزية أو نبوءات عن المستقبل البعيد، ومن ذلك ماحدث لدانيال النبى بعد أن تلقى وحيًا من الله بنبوءة زاخرة بالرموز الغامضة، إذ تملكته حيرة عظيمة فى تفسيرها وقال**[1]: أما أنا دانيال فأفكارى أفزعتنى كثيرًا... وحفظت الأمر فى قلبى»[2].

ويبدو أنه حتى بعد أن جاءه الملك ليفهمه النبوءة كان متعسر الفهم حتى إنه ليقول له «**افهم يابن آدم**»[3].

وماأكثر الوحى الغير مفهوم فى الكتاب المقدس بأسره، وكأنه طلاسم تحار فيها العقول، ويئن من حملها الضمير، ولكن القاعدة عند عامتهم: إلغاء العقل عند التعارض مع النص.

ومن يستوضح الناس عما يغيب عنهم من معانى الوحى إذا كان أنبياؤهم من البلادة -كما يعتقدون هم ذلك فيهم- بحيث لايفهمون مايوحى إليهم؟

* * *

(١) زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص٧٦.
(٢) دانيال ٧ : ٢٨.
(٣) دانيال ٨ : ١٧.

المبحث الثاني

الشروط الواجب توافرها فى الوحى السماوى

بعد أن عرفنا مفهوم الوحى وأنواعه، وبعض مظاهره، أجد من الضرورى معرفة الشروط التى يجب توافرها فى الوحى السماوى ليحكم القارئ اللبيب -وفق هذه الشروط- فيما إذا كان سفر اللاويين -الذى نحن بصدد دراسته- من كلام الله، ويصلح لأن يكون حجة للمؤمنين به كمصدر للعقيدة، وأساس للتشريع أم لا؟

وأهم هذه الشروط مايلى:

١ - اتصال السند[١]

بمعنى أن ينقل الكلام الذى ينسب إلى وحى السماء بطريق التواتر، بأن يرويه جمع عن جمع تحيل العادة والقرائن اتفاقهم على الكذب.

يقول الشيخ / رحمت الله الهندى:

«اعلم أرشدك الله أنه لابد لكون الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبى الفلانى، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولاتبديل، والاستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لايكفى»[٢].

وتبرز قيمة الإسناد وأهميته فى تعريف الواقف عليه برجاله الذين يتألف منهم الإسناد، وذلك بالبحث عن حالهم فى كتب تراجم الرواة، كما تظهر أهميته فى معرفة اتصاله من انقطاعه[٣].

ولولا الإسناد لا ختلط الصدق بالكذب، والصحيح بالسقيم، ولتمكن أهل الإلحاد

---

(١) السند المتصل: هو ماليس فيه رجل مجهول ولامجروح. انظر الخطيب البغدادى: الكفاية فى علم الرواية ص٢٠ ط دار الكتب العلمية -بيروت-.

(٢) إظهار الحق ١/ ١٠٩.

(٣) د/ محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص ١٥٨ ط دار الكتب السلفية -القاهرة- ١٩٧٨م.

من طمس معالم الوحى، وتحريف الكلم عن مواضعه بالوضع وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت بترًا[١] .

وقد وضع علماؤنا ضوابط بها يعرف انقطاع السند من اتصاله وأهمها :

١- أن يوجد مجهول أو مبهم فى سلسلة الإسناد[٢] .

٢- أن يسقط من الإسناد رجل[٣] .

فإذا وجد أحد الضابطين السابقين فى إسناد ما حكم بانقطاعه .

وماأكثر المجاهيل والمبهمين فى رواة العهد القديم- والجديد أيضًا .

يقول صاحب المختصر فى علم رجال الأثر :

«**إن اليهود ليس لهم إلا السند المرسل**[٤] والمعضل[٥] ولايقربون به إلى موسى إلا وبينهم وبينه أكثر من ثلاثين عصرًا ينتهى بهم إلى شمعون، وكذلك النصارى ليس لهم من الاتصال إلا ماقيل فى تحريم الطلاق، ونُقول الفرقتين فيهما الكذاب والمجهول والانقطاع، ولن يصل النصارى إلى أبعد من بولس»[٦] .

إنك إن أردت أن تتعرف حال رجل ممن يزعمون أنهم رواة ونقلة عند أهل الكتاب، فلن تجد -فى أكثر الأحوال- إلا الإجابة الآتية :

«**يظن أنه كان يعيش فى العصر الفلانى . . . .**» [٧] .

فهل مجرد القول بالظن فى أحوال الرجال يكفى فى إثبات صدقهم الذى يترتب عليه انقطاع السند واتصاله؟

وقد أدرك علماء أوربا قيمة الإسناد فعمدوا إلى ابتكار منهج سموه (توثيق الوثائق التاريخية) فماذا صنعوا؟

---

(١) انظر : الحاكم : معرفة علوم الحديث ص٦ تحقيق السيد معظم حسين ط المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت ١٩٣٥م .

(٢) انظر : الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٢٧، ٢٨ .

(٣) ابن كثير : الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ص٤٠ تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة حجازى - القاهرة- ١٩٣٦ .

(٤) المرسل : هى رواية الرجل عمن لم يعاصره كأن يقول التابعى قال رسول الله كذا . انظر السيوطى تدريب الراوى ١/ ١٩٥ ط دار الكتب الحديثة -القاهرة- ١٩٦٦م .

(٥) المعضل : هو السند الذى سقط منه أكثر من واحد . انظر السابق ١/ ٢١١ .

(٦) عبد الوهاب عبد اللطيف : المختصر فى علم رجال الأثر ص١٠، ١١ مطبعة دار التأليف -مصر ١٩٤٩ .

(٧) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص٤٧١ فى ترجمة رجل اسمه (سكاوى) .

دار منهجهم حول الاعتماد على الحفريات والأوراق المتناثرة، واستعملوا منهج الشك فى تحقيق صدق الوثائق أو كذبها، وأتيح للباحث أن يستعمل خياله لسد فجوات التاريخ[١].

فأين هذا من صيغ النقل والأداء عندنا كالسماع[٢] والعرض[٣] والمناولة[٤] التى بهرت العالم كله؟

يحكى لنا العلامة الشيخ / رحمت الله الهندى أنه:

«جاء يومًا أمير من أمراء الإنجليز فى كتَّاب فى بلدة سهارنفور من بلاد الهند، ورأى الصبيان مشتغلين بتعلم القرآن وحفظه، فسأل المعلم: أى كتاب هذا؟»

فقال: القرآن المجيد، فقال الأمير: أحفظ أحد منهم القرآن كله؟ فقال المعلم: نعم، وأشار إلى عدة منهم، فلما سمع استبعد فقال: اطلب واحدًا منهم وأعطنى القرآن أمتحن، فقال المعلم: اطلب أنت أيهم شئت.

«فطلب واحدًا منهم وكان ابن ثلاثة عشر أو أربعة عشر وامتحنه، فلما تيقن أنه حافظ لجميع القرآن، تعجب وقال: أشهد أنه ما ثبت تواتر لكتاب من الكتب كما ثبت للقرآن يمكن كتابته من صدر صبى من الصبيان، مع غاية فى صحة الألفاظ وضبط الإعراب»[٥].

وهذا يؤكد أن الإسناد خصيصة فاضلة لهذه الأمة، وليس للأمم السابقة هذه الخصيصة ولذلك ضاعت وحرفت كتبها السماوية، كما ضاعت أخبار أنبيائها الصحيحة، وحل محلها كذب الدجالين وافتراءات المستغلين الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً[٦].

---

(١) انظر: د/ يوسف الكتانى: الامام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث ص٣٧، ٣٨ ملحق مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٨هـ.

(٢) السماع: هو سماع لفظ الشيخ الضابط الحافظ، ويقول من روى بهذه الطريقة سمعت وهى أرفع أقسام التحمل والنقل. انظر السيوطى: تدريب الراوى ٢/ ٨.

(٣) العرض: وهو قراءة الحديث على الشيخ الذى يعرف ويفهم بحيث لو حصل من القارئ تحريف أو تصحيف لرده وإلا فلا يصح التحمل بها. انظر السابق ٢/ ١٢.

(٤) المناولة: وهى أن يكتب الشيخ حديثًا ويناوله لمن يروى عنه ويقول له هذا سماعى أو روايتى عن فلان فاروه. انظر السابق ٢/ ٤٥.

(٥) إظهار الحق ٢/ ٥٩٨.

(٦) انظر د/ محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص١٥٨، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٢/ ٢٢١، المختصر فى علم رجال الأثر ص١١.

٢- عدم التناقض والتضارب :

بمعنى ألا تتعارض الأوامر والنواهى والأخبار وجميع التعاليم التى تنسب إلى وحى السماء، بل الجميع يصدق بعضه بعضًا .

ولهذا لفت الله سبحانه وتعالى أنظار المتدبرين إلى هذا الشرط كميزان لمعرفة كلام الله سبحانه وتعالى من غيره فقال فى خاتمة وحيه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١) .

يقول أستاذنا الدكتور / محمود على حماية : -رحمه الله-

«وإذا كان العقلاء من البشر يتحرجون من تعارض أقوالهم وتناقض أفكارهم فكيف بالله القوى الخالق؟» (٢) .

نعم، فكيف بالله القوى الخالق، السميع العليم، الذى أحاط بكل شئ علمًا؟ إن نسبة أى تناقض واضطراب إلى الله تعالى جريمة عظيمة، جعل الله جزاءها الويل والثبور ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٣)

٣- الإعجاز :

فالكلام الذى ينسب إلى وحى السماء لابد أن يتوفر له شئ من الإعجاز، سواء من ناحية تعجيز البشر عن صياغته أو محاكاته أو الإتيان بمثله، أو من ناحية الإخبار بالغيب أو حمل الإشارات المنطوية على أسرار الكون والعلم (٤) .

هذه هى أهم الشروط التى يجب توافرها فى الكلام الذى ينسب إلى وحى السماء، وللأسف فإن سفر اللاويين -الذى نحن بصدد دراسته- لم يتوفر له شئ من هذه الشروط، فهو منقطع السند، ملئ بالتناقض والتضارب، وفى درجة أقل من كلام الفصحاء من البشر وهذا ماسنبينه فى المبحث التالى ضمن الحجج الدامغة على انقطاع صلة السفر بوحى السماء .

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢) .

(٢) د/ محمود على حماية : دراسات فى الكتاب المقدس ص٢٥ .

(٣) سورة البقرة الآية (٧٩) .

(٤) انظر د/ على محمد نصر : مراقى الإيمان فى علوم القرآن ص٦٥ -٧٠ مطبعة الأمانة -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

المبحث الثالث

الحجج الدامغة على انقطاع الصلة بين سفر اللاويين ووحى السماء

أولاً : صيغ الأفعال الواردة فى السفر والتى توحى بحكاية الغائب .

ثانيًا : التكرار العابث .

ثالثًا : توافق أسلوب السفر مع أسفار الأنبياء المتأخرين .

رابعًا : انقطاع السند .

خامسًا : التناقضات الكثيرة التى وردت فى سفر اللاويين .

سادسًا : إثبات التحريف بالتبديل فى سفر اللاويين .

المبحث الثالث

الحجج الدامغة على انقطاع الصلة بين سفر اللاويين ووحى السماء

سأحاول فى هذا المبحث -بمشيئة الله تعالى- تركيز الجهد فى ذكر الحجج الدامغة، والأدلة القطعية على انقطاع صلة سفر اللاويين بوحى السماء، والرجاء فى الله أن يوفق إلى حسن الاستدلال، وأن يفتح بذلك قلوبًا غلفها الضلال، فحال بينها وبين إبصار النور حتى ظنت أنه شيء من المحال، فأقول وأستعين بالله ذى الجلال:

أولاً: صيغ الأفعال الواردة فى السفر والتى توحى بحكاية غائب:

ورد فى سفر اللاويين صيغ لأفعال تدل على أن الذى سجل السفر رجل غائب يحكى أخبارًا سمع عنها ومن ذلك:

أ) عبارة (وكلم الرب موسى قائلاً)(١) وقد تكررت هذه العبارة فى سفر اللاويين أكثر من ٣٤ مرة.

ب) عبارة (وقال الرب لموسى) وقد تكررت فى سفر اللاويين فى موضعين [١٦ : ٢، ٢١ : ١].

ج) عبارة (كما أمر الرب موسى)(٢) وقد تكررت فى السفر أكثر من ٦ مرات تقريبًا، ولو كان الكاتب موسى لقال (كما أمرنى الرب) ولو كان الموحى هو الرب لقال (اصنع كما أمرتك وإن لم تصنع فمابلغت).

د) عبارة (ففعلوا حسب كلام موسى)(٣).

هـ) عبارات (هذه هى الوصايا التى أوصى الرب بها موسى)(٤) و (هذه هى الفرائض التى وضعها الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى)(٥) و (تلك شريعة المحرقة التى أمر الرب بها موسى فى جبل سيناء)(٦).

---

(١) اللاويين ٤ : ١ .
(٢) اللاويين ٨ : ١٣
(٣) اللاويين ١٠ : ٧ .
(٤) اللاويين ٢٧ : ٣٤ .
(٥) اللاويين ٢٦ : ٤٦ .
(٦) اللاويين ٧ : ٣٤ .

هذه بعض نماذج لما ورد فى سفر اللاويين من عبارات تؤكد للعاقل أنه ليس من وحى الله سبحانه وتعالى ولا من كتابة موسى عليه السلام بل هو مجرد حكاية رجل يؤرخ لزمن مضى، وللأسف فإن الأسفار الخمسة ككل فيها من هذه الصيغ كثيرٌ جدًّا، حتى إن الشيخ/ أحمد ديدات -أكرمه الله- يقول:

«**فى الأسفار الخمسة تقرأ أكثر من سبعين ألف**[١] مرة هذه العبارات (وقال الرب لموسى) و (قال موسى للرب) فلا الرب قال ولا موسى كتبه . . . لأن هذا كله مكتوب بصيغة الغائب»[٢] .

وقد ذكر العلامة القرطبى -رحمه الله- وهو يوضح مالدى القوم من فساد وأوهام - شيئًا من تلك العبارات ثم قال: «**وهذا يدلك على أنه ليس مما قاله الرب -جل ذكره- لموسى، ولا مما قاله موسى لهم، أعنى لفظ (وكلم الرب موسى وقال له) وماأشبهه من لفظ الحكاية عنه، وإنما هو شئ حكى عنه بعد انقراضه، وأضيف إلى كلام الله، ثم لايعرفون من الحاكى، وإذا جاز مثل هذا وهم لايشعرون به، جاز أن يكون أكثرها مغيرًا ومبدلاً، وليس من كلام الله ولا من كلام موسى . . .**»[٣] .

وقد تعرض العلامة القرافى -أيضًا- فى أجوبته الفاخرة لأمثال هذه العبارات - كدليل على أن التوراة ليست من وحى السماء- ثم قال: «**وهذه العبارات يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله سبحانه وتعالى ولا من كلام موسى عليه السلام بل هى حكايات من قول الغير لمعنى وقع، ولعل هذا الحاكى أخل باللفظ والمعنى أو بالمعنى وحده، ولم يثبت عندنا عدالته ولامعرفته بل لعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير فيحصل القطع بأن هذه التوراة لايجوز الاعتماد على شيء منها، وأنها مغيرة قطعًا**»[٤] .

وفى رسالة كتبت فى اللاهوت والسياسة، يذكر محررها -وهو فيلسوف يهودى اسمه اسبينوزا- أن بعض علماء اليهود قد شكوا فى نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى

---

(١) لعل فى هذا العدد مبالغة من الشيخ ديدات، ولكن المقطوع به كثرة تكرار هذه الصيغ من الأفعال

(٢) د/ أحمد حجازى السقا: المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجارت ص١٤٢ ط مكتبة زهران -القاهرة- ١٩٨٩ .

(٣) القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص١٨٩ تحقيق أحمد حجازى السقا -ط دار التراث العربى -القاهرة ١٩٨٠ .

(٤) القرافى: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ص١١٥ ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة- ١٩٩٢ تحقيق مجدى محمد الشهاوى .

عليه السلام ولم يجرؤ أحد منهم على الإفصاح عن ذلك صراحة، واكتفوا بالإشارة بألفاظ مبهمة، قال: وأما أنا -أى اسبينوزا- فلن أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعًا.

وجعل يسوق الأدلة المنطقية على عدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى، وكان من بين هذه الأدلة: «حديث الأسفار -الكثير عن الرب وعن موسى بصيغ الغائب»(١).

يقصد عبارات: وقال الرب لموسى ،وكلم الرب موسى. التى أشرت إليها.

وبرغم قوة هذا الدليل ومدى منطقيته، وإقرار العقلاء من علمائهم إلا أنه لازال يوجد من يكابر، وينكر وضوح الشمس فى رابعة النهار.

يقول المعلم بطرس البستانى- صاحب دائرةالمعارف الشهيرة- : «**وقد قبلت الكنيسة المسيحية هذه الأسفار، كأسفار كتبها موسى، وما بها من الاختلاف فى الأسلوب.. قد حمله بعد المدققين المشهورين على الحكم بأنه قد استعمل فى تأليف هذه الأسفار كتابات أقدم منه، ولازال كثير من اللاهوتيين يحامون عن صحة نسبة الأسفار المقدسة بأسرها إلى موسى ذاهبين إلى القول بالنقل عن كتابات أسبق مطابق لكون الكتب المنسوبة إلى موسى هى من الله، وموحى بها.. ولايعتد بقول من قال: إن ورود عبارات (وكلم الرب موسى، وأمر الرب موسى) كدليل على عدم صحة انتسابها إلى موسى، لأن استعمالاً كهذا قد ورد فى أشهر المكتوبات كتاريخ يوليوس قيصر، وليس من يعترض على صحة نسبته لهذا السبب**»(٢).

والرد على هذا المعلم ومن معه من اللاهوتيين بأمرين يسيرين لايأباهما عاقل:

أولهما: هب أنك تقول لصديقك افعل كذا، فما عساه أن يكون تعبيرك؟

هل يمكن أن تقول له: (وقال فلان لفلان اصنع كذا) أو (كلم فلان فلانًا قائلاً اصنع كذا) وأنت فلان الأول وهو فلان الثانى؟ أم ينبغى أن يكون الكلام مباشرا (اصنع كذا، وافعل كذا...)؟

ثانيهما: أن أحدًا لم يقل عن تاريخ يوليوس قيصر ولاغيره من المكتوبات القديمة أنه وحى إلهى، ولا حتى من كلام أحد الأنبياء.

---

(١) اسبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٢٠ ترجمة حسن حنفى -القاهرة ١٩٧١ .

(٢) بطرس البستانى: دائرة المعارف ٦/ ٢٦٤ باختصار يسير .

ثانيًا: التكرار العابث:

قد يضطر المتحدث فى بعض كلامه إلى تكرار، كأن يكون لبعض الأوامر والنواهى لزيادة التأكيد عليها، ولكن لابد أن يأتى التكرار بمعنى جديد، وإلا كان عبثًا، وغالبًا مايكون التكرار تلخيصًا لكلام سابق.

هذا فى كلام البشر، فكيف بالله الذى يتنزه عن العبث؟

إن الذى يراجع الإصحاح الثامن من سفر اللاويين -وهو يحكى مراسم مسح هارون وبنيه للكهانة -يجد أن هذا الإصحاح بأكمله تحصيل حاصل للإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج الذى يحكى نفس هذا الأمر.

ولايكاد القارئ -اللبيب- يلمس فروقًا تذكر، يمكن أن يقال إنها إضافات جديدة فى سفر اللاويين، غير المذكور فى الإصحاح المشار إليه من سفر الخروج.

كل ماهنالك أن كاتب سفر اللاويين جعل يغير صيغ الأفعال من الأمر إلى الماضى وأمثلة ذلك:

١- فى الخروج **«وتقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع، وتغسلهم بماء وتأخذ الثياب، وتلبس هارون القميص وجبة الرداء والصدرة وتشد بزنار الرداء، وتضع العمامة على رأسه، وتجعل الإكليل المقدس على العمامة»**(١).

فيجىء فى سفر اللاويين **«فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء وجعل عليه القميص، ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبة، وجعل عليه الرداء، ونطقه بزنار الرداء وشده به، وجعل عليه الصدرة... ووضع العمامة على رأسه، ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيحة الذهب الإكليل المقدس كما أمر الرب موسى»**(٢).

٢- فى سفر الخروج **«تأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح»**(٣).

فيجئ فى سفر اللاويين **«وأخذ موسى الدم وجعله على قرون المذبح»**(٤).

٣- فى سفر الخروج **«وتقطع الكبش إلى قطعه»**(٥).

فيجئ فى اللاويين **«وقطع الكبش إلى قطعه»**(٦).

٤- فى سفر الخروج **«وتقدم الثور إلى قدام خيمة الاجتماع فيضع هارون وبنوه أيديهم**

---

(١) الخروج ٢٩ : ٤-٧.
(٢) اللاويين ٨ : ٦-٩.
(٣) الخروج ٢٩ : ١٢.
(٤) اللاويين ٨ : ١٥.
(٥) الخروج ٢٩ : ١٧.
(٦) اللاويين ٨ : ٢٠.

على رأس الثور»[(١)] .

فيجئ فى اللاويين «ثم قدم ثور الخطية ووضع هارون وبنوه أيديهم على رأس ثور الخطية»[(٢)] .

٥- فى سفر الخروج «وتأخذ الكبش الثانى فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش فتذبح الكبش، وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هارون»[(٣)] .

فيجئ فى اللاويين «ثم قدم الكبش الثانى كبش الملء، فوضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش فذبحه وأخذ موسى من دمه وجعل على شحمة أذن هارون»[(٤)] .

وهكذا فى كل العبارات، مع شئ من التقديم والتأخير فى الألفاظ، ولكن بنفس تسلسل وترتيب الأوامر الواردة فى الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج.

فهل يمكن أن يكون الله سبحانه وتعالى هو مصدر هذا التكرار العابث؟ أم هل يمكن أن يكون نبيه موسى عليه السلام هو الذى كتب هذا العبث بيده؟

تعالى الله عز وجل، وحاشا نبيه عليه السلام عن العبث.

إنه لايزيد على أن يكون من عمل الأحبار والكهان زيادة منهم فى إضفاء القداسة على أنفسهم، لتأكيد حقوقهم ودعم مراكزهم.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[(٥)] .

ثالثًا: توافق أسلوب السفر مع أسفار الأنبياء المتأخرين:

إنه بالنظر فى أسلوب سفر اللاويين -الذى يفترض أن موسى هو كاتبه- ومطابقته بأسلوب أسفار الأنبياء المتأخرين[(٦)] يتبين أنه ليس هناك فرق يعتد به فى محاورة السفر ومحاورات سائر أسفار الأنبياء المتأخرين، التى كتبت فى مدة الأسر البابلى على الرغم من أن بينهما مدة طويلة.

فعلى سبيل المثال:

١- فى محاورة موسى -على زعمهم- مع قومه فى سفر اللاويين، وهو يوضح لهم

---

(١) الخروج ٢٩ : ١٠ .
(٢) اللاويين ٨ : ١٤ .
(٣) الخروج ٢٩ : ١٩-٢٠ .
(٤) اللاويين ٨ : ٢٢-٢٣ .
(٥) سورة البقرة الآية (٧٩) .
(٦) الأنبياء المتأخرون: تعبير يطلق عند أهل الكتاب على الأنبياء الذين بعثوا فى بنى إسرائيل بعد السبى البابلى.

كيفية تقديم الذبائح والقرابين فى الإصحاحات الرابع والخامس والسادس، هو بنفس الأسلوب واللهجة فى الإصحاحين الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال(١) .

٢- النزعة العنصرية تبدو قاسمًا مشتركًا بين سفر اللاويين وغيره من أسفار الأنبياء المتأخرين، إذ يعرضها سفر اللاويين واضحة فى الإصحاح الخامس والعشرين، تجدها بنفس الأسلوب فى الإصحاح الرابع والأربعين من سفر حزقيال.

٣- لو نظرت فى أسلوب سفر اللاويين فى تحذيره الرب «يهوه» لبنى إسرائيل من المعصية فى الإصحاح السادس والعشرين، لوجدته بنفس الأسلوب فى الإصحاح الثانى من سفر إرميا(٢) .

وهكذا لاتجد كثير اختلاف بين محاورات السفر ومحاورات سائر الأنبياء المتأخرين.

ويؤكد هذا ماقاله العلامة نورتن -من علماء المسيحية- : « **إنه لايوجد فرق يعتد به فى محاورة التوراة ومحاورة سائر الكتب من العهد العتيق التى كتبت فى زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين هذين الزمانين مدة تسعمائة عام، وقد علم بالتجربة أنه يقع الفرق فى اللسان بحسب اختلاف الزمان، فمثلاً إذا لاحظنا لسان الإنجليز وقسنا حال هذا اللسان بحال ذلك اللسان الذى كان قبل أربعمائة سنة وجدنا تفاوتًا فاحشًا، ولعدم الفرق المعتد به بين محاورة هذه الكتب ظن الفاضل ليوسدن الذى له مهارة كاملة باللسان العبرانى أن هذه الكتب صنفت فى زمان واحد**»(٣) .

وإذا أمكن القطع بكتابتها فى زمان واحد يتأخر عن زمن موسى -الذى زعموه كاتبًا لسفر اللاويين- بنحو تسعمائة عام، جاز الجزم بأن هذا السفر قد امتدت إليه يد العبث لتخلقه من جديد بعد أن ضاع -تمامًا- وهذا يقطع صلته بوحى السماء على الإطلاق.

(١) حزقيال: اسم عبرى معناه الله يقوى وهو أحد الأنبياء الكبار ولد فى أورشليم أثناء مدة النبى إرميا، وحمل إلى السبى ٥٩٧ قبل الميلاد وكان شابًا فى ذلك الوقت، وهو صاحب السفر الذى يحمل اسمه فى أسفار العهد القديم. قاموس الكتاب المقدس ٣٠٢ .

(٢) إرميا: النبى هو ابن حلقيا الكاهن، بدأ عمله النبوى فى السنة الثالثة عشرة من ملك يوشيا، ويعتبر من المصلحين فى الديانة اليهودية وسفره حافل بنداءات التحذير لليهود من الفساد. انظر قاموس الكتاب المقدس ٥٢ .

(٣) إظهار الحق ١/ ١١٧، وانظر د/ أحمد عبد الرازق: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص٢، ٣ ط دار التراث بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط -القاهرة- ١٩٨٤م .

رابعًا: انقطاع السند:

الحق أن سفر اللاويين باعتباره جزءًا من التوراة فهو منقطع السند، لأن التوراة كلها منقطعة السند، فقد ضاعت التوراة عدة مرات، ومعلوم أن فقدان الأصل لمرة واحدة كفيل بالتدليل على انقطاع السند.

يحكى لنا سفر التثنية أن موسى عليه السلام كتب التوراة وسلمها للكهنة من بنى لاوى ولرؤساء إسرائيل وأمرهم بقراءتها فى نهاية كل سبع سنين **«وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً فى نهاية السبع السنين فى ميعاد سنة الإبراء فى عيد المظال، حينما يجئ جميع إسرائيل لكى يظهروا أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل فى مسامعهم»**(١).

ويبدو أن موسى عليه السلام كان يعرف تبرم قومه من التكاليف، وصلابة رقابهم إزاءها، وأنهم لامحالة مضيعوها. لذلك جمعهم وأشهد عليهم الأرض والسماء، وأمرهم أن يأخذوا كتاب التوراة ليكون شاهدًا عليهم قال:

«خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدًا عليكم. لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب. فكم بالحرى بعد موتى، اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم»(٢).

وإذا كانت هذه هى صفة هؤلاء الرجال الذين يفترض أنهم هم الناقلون عن نبيهم، وأنهم غير عدول ولا ثقات، فكيف يوثق بما ينقلونه وقد جرحهم نبيهم وماوثق فى نقلهم عنه؟

وبمجرد وفاة موسى عليه السلام عمد بنو إسرائيل إلى التوراة التى أخبرهم موسى بأنها شاهد عليهم فأضاعوها وحرفوها وبدلوها، ظنًّا منهم أنهم بذلك قد تخلصوا من الشاهد الذى قد يحد تصرفاتهم فى نطاق لايرضى طبائعهم ذات الرقاب الصلبة.

ثم يخبر سفر صموئيل الأول بضياع التوراة التى سلمت للكهنة على إثر ضياع

---

(١) التثنية ٣١ : ٩-١١.   (٢) التثنية ٣١ : ٢٦-٢٩.

التابوت فى حرب لبنى إسرائيل مع الفلسطينيين قتل فيها الكهنة القائمون على التابوت : « . . . . . **فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربة عظيمة جدًا، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، وأخذ تابوت الله ومات ابنا عالى حفنى وفينحاس**»(١) .

وحتى بعد أن رد الفلسطينيون التابوت خوفًا منه -كما يحكى السفر السابق- لم يكلف بنو إسرائيل أنفسهم مؤنة الاطمئنان على أسفار التوراة هل هى بداخله أم لا، وظل هكذا حتى جاء عهد يوشيا بن آمون -من نسل داود عليه السلام ٦٤١ ق.م. أى بعد وفاة موسى بأكثر من سبعمائة سنة، وأخذ يعمل على إنقاذ مملكة يهوذا التى أصبحت على حافة الهاوية، وعلى وشك الانهيار، ورأى فيه كاهنه الأعظم حلقيا هذا الميل فى العودة إلى الدين والعمل بالتوراة، فانتهز الفرصة فأعاد كتابة أسفار الشريعة من جديد، وزعم أنه وجدها صدفة وهو يبحث فى الهيكل بعد سبعة عشر سنة من حكم يوشيا(٢) .

وهنا يضع القوم -الذين لايكفون عن ادعاء السند المتصل- أنفسهم فى مأزق عظيم وهو :

«**أن الهيكل قبل عهد يوشيا، وقبل عهد أحاز ملك يهوذا قد تعرض للسلب والنهب والعدوان، ولم يكن مغلقًا على أسرار، فضلاً عن أن الكهنة والسدنة والخدم يدخلونه كل يوم، وليس -بالقطع- فيه من الجوانب أو الحجرات أو السراديب شيئًا يمكن أن لا تكون قد وقعت عليه يد الكهان، وأين كان حلقيًا الكاهن طوال مدة سبعة عشر عامًا من حكم يوشيا، ولم لم يحدد حلقيا أية نسخة تلك التى وجدها من سفر الشريعة أهى التى كتبها موسى وسلمها للكهنة من بنى لاوى؟ أم التى كتبها يشوع وأضاف إليها ماأضاف وحذف منها ماحذف**»(٣) .

---

(١) صموئيل الأول ٤ : ١٠-١١ .

(٢) انظر: قصة الحضارة ٢/ ٣٥٦، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص٢٣، د/ إبراهيم محمد إبراهيم: اليهودية فى أسفارها المقدسة ص١٠٠، وانظر الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى ٨-٢٠ .

(٣) انظر: د/ صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص٦٢، د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٥٧، د/ حسين عبد المطلب: مفهوم الإله عند اليهود ص٤٠، د/ صابر طعيمه التراث الإسرائيلى فى العهد القديم ص٣٠١ ط دار الجيل -بيروت ١٩٧٦ .

كل هذه الدلائل القطعية جعلت العلامة رحمت الله الهندى يقرر :

«أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون، والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينًا، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت هذه النسخة -أيضًا- قبل حادثة بختنصر، وفى حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسًا، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم، ضاعت نسخها أيضًا»(١)

وإذا كان المناطقة يقولون بإمكان إطلاق حكم الجزء على الكل، فمن باب أولى أن يكون الجزء داخلاً فى عموم الحكم الكلى(٢).

وعليه فإن سفر اللاويين باعتباره جزءًا من التوراة -التى ثبت يقينًا انقطاع سندها- منقطع السند بلا ريب.

ومما يجدر ذكره أن أهل الكتاب عند مناقشتهم فى مسألة السند لايجدون إلا الظن والتخمين يقولون به، أو الاعتذار بوقوع المصائب عليهم.

يقول الشيخ / رحمت الله الهندى :

«طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن . . . ، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت : إن الظن فى هذا الباب لايغنى شيئًا فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا»(٣).

خامسًا : التناقضات الكثيرة التى وردت فى سفر اللاويين :

إن الكلام الذى ينسب إلى الله سبحانه وتعالى لابد أن يكون قد خلا من التناقض والاختلاف، لأن التناقض فى الكلام يجعل أجزاءه غير مؤتلفة، يكذب بعضها بعضًا، ويجعل الإنسان فى حيرة أيصدق أول الكلام أم آخره؟ وربما اضطر فى النهاية إلى نبذ تصديق الجميع.

وصدق الله العظيم إذ يقول عن كلامه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

(١) إظهار الحق ١/ ١١٢ .

(٢) انظر : قطب الدين محمود بن محمد الرازى : تحرير القواعد المنطقية ص٦٦ ط مصطفى البابى الحلبى - مصر ١٩٤٨- وبهامشه الرسالة الشمسية للكاتب .

(٣) إظهار الحق ١/ ١١١ .

﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [١] .

والتناقض فى السفر على أقسام ثلاثة :

١- مناقضة السفر لنفسه . ٢- مناقضة السفر لغيره من الأسفار .

٣- مناقضة السفر للحقائق العلمية .

وسأورد أمثلة لكل قسم من هذه الأقسام .

أولاً : مناقضة السفر لنفسه :

١- فى الإصحاح التاسع عشر «**وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك**»[٢] .

فهذا أمر صريح بعدم ظلم الغرباء ، أو التفرقة بين معاملتهم ومعاملة الإسرائيليين .

ثم يأتى السفر فيناقض السفر نفسه فى الإصحاح الثانى والعشرين ، حيث يأمر ألا يطعم الغريب أو الأجنبى من أقداسهم وقرابينهم ، حتى ولو كان نزيل كاهن أو أجيره لأن مجرد أكل الغريب من أقداس بنى إسرائيل يدنسها .

«**وكل أجنبى لايأكل قدسًا نزيل كاهن وأجيره لايأكلون قدسًا**»[٣] .

«**كل أجنبى لايأكل منه . . . فلا يدنسون أقداس بنى إسرائيل التى يرفعونها للرب**»[٤] .

ثم يكذب السفر نفسه -أيضًا- فيأمر بأن يكون اقتناء العبيد والإماء من الشعوب الغريبة بل ومن أبناء المستوطنين النازلين عندهم فيقول : «**وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدًا وإماءً ، وأيضًا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكًا لكم وتملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر . وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف**»[٥] .

أفلا يعد سلب الحرية والاستعباد -هكذا- ظلمًا للغريب الذى أمر السفر نفسه بالإحسان إليه وعدم ظلمه؟

٢- وفى الإصحاح التاسع عشر «**ولاتجرحوا أجسادكم لميت**»[٦] . وهذا نهى صريح

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢) .
(٢) اللاويين ١٩ : ٣٣ -٣٤ .
(٣) اللاويين ٢٢ : ١٠ .
(٤) اللاويين ٢٢ : ١٣-١٥ .
(٥) اللاويين ٢٥ : ٤٤-٤٦ .
(٦) اللاويين ١٩ : ٢٨ .

لعامة الشعب عن السخط والجزع على الأموات. إذ أن الناس كانوا يفرطون فى الحزن على الميت ويعملون أعمالاً رديئة، كأن يدهنوا أجسادهم بصبغة سوداء أو زرقاء، أو أن يمزقوا ثيابهم، وأحيانًا كانوا يجرحون أجسادهم وكانوا يفعلون هذا كعلامة لحزنهم وكتعبير عن شدة محبتهم للميت، فحذر الشعب من هذه الأعمال المتطرفة[١].

وتناقض هذا ماجاء فى السفر نفسه يحمل تصريحًا بجواز البكاء وعمل المناحة على الميت -إلا فى حق الكهنة- حيث يحكى الإصحاح العاشر قصة الكاهنين ناداب وأبيهو -ابنى هارون- وإحراق النار لهما، ثم وصية موسى لهارون وابنيه ألعازار وإيثامار قائلاً:

«لاتكشفوا رءوسكم، ولاتشقوا ثيابكم، لئلا تموتوا ويُسخَط على كل الجماعة، وأما إخوتكم كل بيت إسرائيل فيبكون على الحريق الذى أحرقه الرب»[٢].

٣- وماأعجب أن يكون التناقض لافى سفر واحد ولا فى إصحاح واحد بل فى فقرة واحدة.

ففى الإصحاح التاسع عشر: **«لاترتكبوا جورًا فى القضاء»**[٣].

فهذا أمر صريح بالتزام العدل وتحريه فى عموم القضايا ومع كل الناس.

ثم يأتى آخر الفقرة ليكذب أولها **«بالعدل تحكم لقريبك»**[٤].

ويتضح من هذا الأمر بقصر الحكم والقضاء بالعدل لقريبك أى للإسرائيلى.

ثانيًا: مناقضة السفر غيره من الأسفار:

المثال الأول:

فى سفر اللاويين **«عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجًا لاتكشف عورتها»**[٥]. وهذا صريح فى تحريم النكاح بالأخوات سواء لأب أو لأم.

ويناقضه ماجاء فى سفر التكوين، يحكى زواج إبراهيم بأخته لأبيه -وبالحقيقة- أيضًا- هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة»[٦].

وهذا واضح فى الدلالة على إباحة الزواج بالأخوات فى الشرع الإبراهيمى.

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٤١.
(٢) اللاويين ١٠: ٦-٧.
(٣) اللاويين ١٩ : ١٥.
(٤) اللاويين ١٩ : ١٥.
(٥) اللاويين ١٨ : ٩.
(٦) التكوين ٢٠ : ١٢.

وهنا نسأل معاشر المؤمنين بالعهد القديم أيهما أصح :

الحكم الوارد فى سفر التكوين بالإباحة؟ أم الوارد فى سفر اللاويين بالمنع؟ وأيهما أحق بالاتباع؟ وأى الكلامين مقدس وأيهما غير مقدس؟

فإن قيل بأن الحكمين صحيحان واجبا الاتباع : قلنا : ليس بأعجب فى كلام العقلاء من الجمع بين النقيضين -الإباحة والمنع- ثم القول بأنهما واجبا الاتباع .

وإن قيل بأن حكم سفر التكوين بالإباحة هو الصحيح ، قلنا : لماذا لاتعملون به الآن؟

وإن قيل بأنه غير صحيح ، لزم عليه أن يكون الناس كلهم أولاد زنا .

يقول الشيخ/ رحمت الله الهندى : «**فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا فى شريعة آدم وإبراهيم -عليهما السلام- يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد زنا ، والناكحون زانين وواجبى القتل وملعونين**[١] فكيف يظن هذا فى حق الأنبياء عليهم السلام؟»[٢] .

والخيار هنا -للمؤمنين بالعهد القديم- بين أمرين :

١- الإقرار بالنسخ للحكم الوارد فى سفر اللاويين للحكم الوارد فى سفر التكوين ، وهذا شئ لايقولون بوقوعه فى شئ من كتبهم .

٢- الإقرار بالتناقض والاختلاف .

المثال الثانى :

فى سفر اللاويين «**ولاتأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها**»[٣] . وفيه حكم بمنع الجمع بين الأختين فى عصمة رجل واحد .

ويناقض هذا مافى سفر التكوين إذ يحكى جمع يعقوب بين الأختين ليا وراحيل ابنتى لابان ، وكان مهر كل واحدة منهما أن يخدم أباها سبع سنين[٤] .

ونطالبهم هنا بنفس ماطالبناهم به فى المثال السابق ، فإما أن يقروا بالنسخ وهذا أسلم لهم ولأنبيائهم ، أو لا يقروا بالنسخ وهذا عين التناقض والاختلاف بين الحكمين ، ويترتب عليه أن يكون أكثر أولاد يعقوب عمومًا والأنبياء خصوصًا أولاد زنا ، إذ أكثر الأنبياء الإسرائيلية فى أولادهما[٥] .

---

(١) يشير هذا إلى ما في سفر التثنية «ملعونًا يكون من يضاجع أخته من أبيه أو أمه» ٢٧ : ٢٢ .
(٢) إظهار الحق ٣/ ٦٤٩ . (٣) اللاويين ١٨ : ٨ .
(٤) انظر التكوين ٢٩ : ١٥-٣٠ .
(٥) انظر : إظهار الحق ٣/ ٦٥١ .

المثال الثالث :

فى سفر اللاويين «**عورة أخت أبيك لاتكشف إنها قريبة أبيك**»(١) . وهذا ينص على حرمة زواج الرجل بعمته .

ويعكر على هذا ماجاء فى سفر الخروج يحكى زواج عمران والد موسى النبى بعمته «**وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى**»(٢) .

فإما أن يقروا بأن الزواج بالعمات كان جائزًا قبل شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ بالشريعة الموسوية . وإلا ترتب على عدم الإقرار أمورًا :

١- وجود التناقض والتضارب .

٢- أن يكون موسى وهارون ومريم أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله .

٣- أن لايدخل موسى وهارون ولا أحد من أولادهما جماعة الرب حتى عشرة أجيال ، كما فى سفر التثنية : «**لايدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر**»(٣) .

وبالتالى يكون كل الأنبياء الذين جاءوا فى بنى إسرائيل من بعد موسى وهارون أنبياء غير شرعيين -والعياذ بالله- وحتى الكهانة التى جعلت محصورة فى نسل هارون لمدة عشرة أجيال غير شرعية بالمرة .

٤- ألا يوثق بشئ من أسفارهم مادام قد ثبت أن حامليها غير مستحقين للدخول فى جماعة الرب كما تذكر كتبهم .

المثال الرابع :

فى سفر اللاويين «**وإذا صارت ابنة كاهن لرجل أجنبى لاتأكل من رفيعة الأقداس**»(٤) .

وهو ينص على أن ابنة الكاهن إذا تزوجت برجل أجنبى -أى غير إسرائيلى- فلا يحل لها أن تأكل من رفيعة الأقداس ، وهو يحمل دليلاً -أيضًا- على جواز التناكح بين الإسرائيليين وغيرهم ، حتى فى أقدس العناصر عندهم وهم أبناء الكهنة .

وينقض هذا ماجاء فى سفر التثنية بمنع مصاهرة اليهود لغيرهم من الأمم : «**متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبًا كثيرة من أمامك . . . لاتصاهرهم ، بنتك لاتعط لابنه وبنته لاتأخذ لابنك**»(٥) .

---

(١) اللاويين ١٨ : ١٢ .

(٢) الخروج ٦ : ٢٠ .

(٣) التثنية ٢٣ : ٢ .

(٤) اللاويين ٢٢ : ١٢ .

(٥) التثنية ٧ : ١-٤ .

وهنا أيضًا هم ثابتون على الحكمين لايقولون بنسخ الثانى للأول ولا غيره، بل الجميع كلام منزل.

ومما يجدر ذكره فى التعقيب على هذه الأمثلة الأربعة السابقة والتى ربما كان القول فيها بالنسخ أسلم لهم أن ابن حزم الأندلسى يذكر أن كثيرًا من اليهود ينكرون الشرائع جملة قبل شريعة موسى عليه السلام حينما يحارون فى التوفيق بين نصوص أسفارهم المتضاربة[(١)].

المثال الخامس:

فى سفر اللاويين ينص على أن الكاهن الأعظم رئيس الكهنة لايجوز أن يسخط أو يجزع على الميت بكشف رأس ولا بشق ثياب «**والكاهن الأعظم بين إخوته الذى صب على رأسه دهن المسحة وملئت يده ليلبس الثياب لايكشف رأسه ولايشق ثيابه**»[(٢)].

وهذا يناقض مافى سفر التكوين حيث يذكر أن جدهم إسرائيل حين سمع بخبر أكل الذئب لولده يوسف مزق ثيابه، وناح عليه وأبى أن يقبل عزاءً:

«**فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسًا من المعزى، وغمسوا القميص فى الدم، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا وجدنا هذا، حقق أقميص ابنك هو أم لا؟ فتحققه وقال: قميص ابنى، وحش ردئ أكله، افترس يوسف افتراسًا، فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه وناح على ابنه أيامًا كثيرة فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: إنى أنزل إلى ابنى نائحًا إلى الهاوية، وبكى عليه أبوه**»[(٣)].

وتلك فعال الشعوب الوثنية، أو الجهلاء الذين لم يسلموا لله، ولم يتسلحوا بالإيمان والصبر فى تجاربهم وضيقاتهم كما يقول شراحهم ومحققوهم[(٤)].

فهل يمكن أن يكون نبى الله يعقوب عند بنى إسرائيل فى درجة أقل من درجة رئيس الكهنة؟ أو معدودًا فى الشعوب الوثنية؟ أو من الجهال الذين لم يتسلحوا بالإيمان والصبر؟ حاشا لله وكذبوا.

وهم إذًا بين أمرين:

أولهما: أن يقروا بأن أباهم إسرائيل -حاشاه ذلك- كان وثنيًا أو جاهلاً، وهذا يلزم

---

(١) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٣١.

(٢) اللاويين ٢١: ١٠.

(٣) التكوين ٣٧: ٣١-٣٤.

(٤) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٦٧.

عليه أن يكون بنو إسرائيل جميعًا وثنيين أو جهال.

ثانيهما: أن يقروا بأن يدًا عابثة هى التى سطرت هذا التناقض، وليس هو من كلام رب العالمين.

وقد يقول قائلهم: كيف تنكرون علينا أن يقرر كتابنا بكاء يعقوب على ولده، وعندكم فى القرآن مايقرر ذلك: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [(١)].

والجواب على هذا من وجهين:

الأول: أننا لانناقش -هنا- إثبات بكاء يعقوب وعدمه، وإنما نناقش التناقض فى إصدار الأحكام، إذ كيف يمكن الأخذ بحكمين متضادين؟

الثانى: أن القرآن الكريم ماذكر جزعًا ولاسخطًا، كل ماذكره أنه بكى وحزن عليه، ثم وصفه بأنه كظيم -على فعيل- مبالغة فى وصفه بالصبر، والتذرع به، وحكى قوله حين سمع بخبر أكل الذئب ليوسف ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [(٢)] وحتى عندما فقد الولد الثانى مازاد على أن قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [(٣)].

المثال السادس:

فى سفر اللاويين وصية بعدم السرقة «**لا تسرقوا....**» [(٤)]. وفيه -أيضًا- وصية بعدم جحد الوديعة أو الأمانة ومعاقبة فاعل ذلك: «**وإذا أخطأ أحد... وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبًا أو اغتصب من صاحبه... يرد المسلوب... ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه**» [(٥)].

ويناقض هذا ماجاء فى سفر الخروج من أن موسى عليه السلام أمر بنى إسرائيل أن يطلبوا من المصريين ذهبًا وفضة وأشياء كثيرة ثم يسلبونهم وينصرفون:

«**فيكون حين تمضون أنكم لاتمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وثيابًا وتضعونها على بنيكم فتسلبون المصريين**» [(٦)]. «**وفعل**

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٤).
(٢) سورة يوسف عليه السلام الآية (١٨).
(٣) سورة يوسف عليه السلام الآية (٨٣).
(٤) اللاويين ١٩ : ١١.
(٥) اللاويين ٦ : ٢-٦.
(٦) الخروج ٣ : ٢١-٢٢.

بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين»(١) .

فهل يمكن أن يأمر نبى قومه بالكف عن السرقة وجحد الودائع، ثم يأمرهم بالسلب والنهب على نحو مارأينا من تصريح سفر الخروج؟

وماذا يصنع اللصوص وقطاع الطرق إذا كان هذا شأن الأنبياء -حاشاهم ذلك؟

المثال السابع : (٢)

فى سفر اللاويين «**وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه**»(٣) .

ولكن يناقضه ماجاء فى سفر التثنية من تفرقة واضحة فى التعامل حيث ينهى عن معاملة الإسرائيلى بربا، ويجيزها مع الغريب -الأجنبى- ويذكر أن هذا الظلم والجور يكون سببًا فى حلول بركة الرب :

«**لاتفرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ مما يقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لاتقرض بربا، لكى يباركك الرب إلهك فى كل ماتمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها**»(٤) .

ثالثًا : مناقضة السفر للحقائق العلمية :

الحق أن الكلام الذى ينسب لوحى السماء لايعارض العلم، ولايصادم حقائقه فى أى عصر من العصور.

وذلك لأن وحى السماء هو المنهاج الكامل الذى يصل الأرض بالسماء، ويعلم أهل الأرض كل مايحتاجون إليه لسعادتهم فى الدنيا والآخرة، فهو هادى الإنسان إلى الصراط المستقيم، والعاصم له من الوقوع فى حبائل الغواية والضلالة، ومن هنا جاء الوحى -الحق- ليقص لنا وليعرض طرفًا من مهمة وحى التوراة والإنجيل فيقول : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا

---

(١) الخروج ١٢ : ٣٥-٣٦ .

(٢) ذكرت هذه الفقرة فى المثال الأول من أمثلة مناقضة السفر لنفسه ونستأنس بها هنا فى أمثلة مناقضة السفر لغيره من الأسفار، فليس هناك تكرار .

(٣) اللاويين ١٩ : ٣٣ .

(٤) التثنية ٢٣ : ١٩-٢٠ .

(٥) سورة آل عمران الآيات (٢-٤)

هُدًى﴾ (١).

وبين أن الوحى الإلهى من الدعائم الأساسية على الإطلاق للتقدم والرخاء والرقى فى شتى ميادين الحياة فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وهذا يعنى أن وحى السماء -الحق- لايمكن أن يصادم حقائق العلم التى يفيد منها الناس لسعادتهم فى الدارين، ولكن صدق الله العظيم إذ ضرب مثلاً لبنى إسرائيل الذين أوتوا الهدى الذى يزكيه العلم ويسير معه فى اتجاه واحد، فلم يحسنوا حمله والاستفادة منه، فجعلهم كالحمير تحمل أسفارًا، وهل تدرى الحمير صنوف ماتحمل فوق ظهورها، فضلاً عن أن تعرف ماهو مسطر فى الأسفار؟

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٣).

ومن هنا حرف القوم وحى الله وغيروه ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٤) واستبدلوا هذا المنهج النقى بمنهج وضعوه من عند أنفسهم يصادم الواقع، ويضرب بكرامة العقل عرض الحائط، ولذلك سنرى من المفارقات العلمية فى سفر اللاويين مايعجب له أقل الناس علمًا وثقافة.

وسأعرض نقطة مناقضة السفر للحقائق العلمية -كدليل على انقطاع صلته بوحى السماء- على النحو التالى:

المثال الأول: نفاس المرأة

إن الذى يراجع الإصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين يجده يتحدث عن نفاس المرأة، ومتى ينقطع دم النفاس، ويفصل تفصيلاً يوهم بدقة علمية، فإذا كان المولود ذكرًا ينقطع دم النفاس بعد مدة ٤٠ يومًا **«إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام... ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا فى دم تطهيرها»**(٥).

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٤).

(٢) سورة المائدة الآيات (٦٥، ٦٦)

(٣) سورة الجمعة الآية (٥).

(٤) سورة النساء الآية (٤٦).

(٥) اللاويين ١٢ : ٢-٤.

وإذا كان المولود أنثى ينقطع دم النفاس بعد مدة ٨٠ يومًا «**وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين، ثم تقيم ستة وستين يومًا فى دم تطهيرها**»[١]

وهذا يعنى أن مدة النفاس أو انقطاع الدم بعد ولادة المرأة تختلف باختلاف نوع المولود، ففى الذكر أربعون يومًا والأنثى ثمانون يومًا.

وهذا كلام غير صحيح علميًا؛ إذ أنه من الثابت علميًا فى كتب ومراجع طب النساء والتوليد أنه لاتختلف مدة استمرار الدم بعد الولادة باختلاف نوع المولود بل من الممكن أن تختلف من امرأة لامرأة، وكذلك من الممكن أن تختلف مع امرأة واحدة حسب مرات الولادة، بمعنى أن امرأة واحدة قد تلد المولود الأول (ذكرًا) ويستمر الدم بعده أسبوعًا أو أسبوعين أو أكثر، وقد تلد المولود الثانى (ذكرًا أيضًا) بدون دم أصلاً، فالضابط فى مدة النفاس ليس هو اختلاف نوع المولود، ولكن الحالة الصحية للمرأة أثناء الولادة، كما أنه من الثابت طبيًا أن متوسط الفترة التى يتم فيها انقطاع الدم وعملية التغيرات الارتدادية لجسم الرحم أربعة أسابيع -أيًا كان نوع المولود- وقد تصل فى الحالات القصوى إلى ستة أسابيع -أى ٤٢ يومًا وليس ٨٠ يومًا تكون المرأة فيها قد عادت لحالتها الطبيعية فى غير الحمل[٢].

فهل يمكن أن يكون هذا العبث والخلط باسم الدين والعلم من كلام رب العالمين؟

أين هذا من القرآن الكريم الذى يقرر الحقائق العلمية فى أبسط عبارة ربما تلميحًا أو تصريحًا فيقول عن الحمل والولادة والرضاعة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٣] ثم يقول فى موضع آخر: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٤] ومن هذا استنبط العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوى صحيح[٥]، يزكيه علم الطب الآن ولايعارضه[٦].

---

(١) اللاويين ١٢ : ٥ .

(٢) انظر: Garycunningham: Williams Obstetrics 459.

جارى كنينجهام: وليم فى علم الولادة ص٤٥٩ الطبعة المصرية .

(٣) سورة لقمان الآية (١٤) . (٤) سورة الأحقاف الآية (١٥) .

(٥) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٨١ .

(٦) انظر: Garry/Govan and Others, 3 rd., Edition "Obstetrics illns trated" pag 433.

جارى وجوفان وآخرون: صور توضيحية فى علم الولادة ص٤٣٣ -ط ثالثة- ط الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٨٠ .

المثال الثانى : برص الإنسان :

وفى هذا يتحدث الإصحاح الثالث عشر من سفر اللاويين فى الفقرات من ١ وحتى ٤٦ فيقول :

«وكلم الرب موسى وهارون قائلاً إن كان إنسان فى جلد جسده ناتئ أو قوباء أو لمعة تصير فى جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى . . . الكاهن . . . فإن رأى الكاهن الضربة فى جلد الجسد وفى الضربة شعر قد ابيض ومنظر الضربة أعمق من جلد جسده فهى ضربة برص . لكن إذا كانت الضربة لمعة بيضاء فى جلد جسده ولم يكن منظرها أعمق من الجلد ولم يبيض شعرها يحجز الكاهن المضروب سبعة أيام ، فإن رآه الكاهن فى اليوم السابع وإذا فى عينيه الضربة قد وقفت ولم تمتد الضربة فى الجلد يحجزه الكاهن سبعة أيام ثانية فإن رآه الكاهن فى اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة اللون ولم تمتد الضربة فى الجلد يحكم الكاهن بطهارته . . لكن إن كانت القوباء تمتد فى الجلد بعد عرضه على الكاهن . . . إنها برص . . . وإذا كان الجسم فى جلده دملة قد برئت وصار فى موضع الدملة ناتئ أبيض أو لمعة بيضاء ضاربة إلى الحمرة يعرض على الكاهن ، فإن رأى الكاهن وإذا منظرها أعمق من الجلد وقد ابيض شعرها يحكم . . . إنها ضربة برص أفرخت فى الدملة . . . أو إذا كان فى جلده كى نار وكان حى الكى لمعة بيضاء ضاربة إلى الحمرة أو بيضاء ، وإذا الشعر فى اللمعة قد ابيض ومنظرها أعمق من الجلد فهى برص قد أفرخ فى الكى . .

إذا كان فى القرعة أو الصلعة ضربة بيضاء ضاربة إلى الحمرة فهو برص مفرخ فى قرعته أو فى صلعته . . والأبرص الذى فيه الضربة . . كل الأيام التى تكون الضربة فيه . . يقيم وحده خارج المحلة يكون مقامه»(١) .

ومن هذا يتضح أن الحالات التى يقرر أنها برص هى كمايلى :

١- ظهور القوباء أو ناتئ (انتفاخ أو ورم) فيه شعر مبيض .

٢- أثر الدمامل التى برئت وصار فى موضعها بقع بيضاء مائلة إلى الحمرة وقد ابيض فيها الشعر .

٣- أثر الكى أو حرق النار الذى تظهر فيه بقع بيضاء مائلة إلى الحمرة .

٤- ظهور البقع البيضاء المائلة إلى الحمرة فى القرعة أو الصلعة .

---

(١) اللاويين ١٣ : ١-٤٦ .

كما نجد السفر يقرر أن البرص معد ويوجب أن يعزل الأبرص وأن يقيم وحده خارج المدينة.

وهذه التقارير الجزافية تفتقر إلى الدقة العلمية جدًّا.

إذ الثابت علميًّا فى كتب ومراجع الأمراض الجلدية أن البرص هو مايصيب جلد الإنسان نتيجة لنقص صبغة الميلانين التى تفرزها بعض الخلايا الموجودة فى الجلد، ولايبنى تشخيص البرص على ظهور القوباء أو الآثار التى تبقى فى الجلد من أثر الدمامل أو حرق النار أو الكى، لأن الوراثة لها دور أساسى -ثابت- فى الإصابة بالبرص(١).

كما أن من الحقائق العلمية المقررة أن البرص غير معد تمامًا(٢).

بعد الاستشهاد بكلام الأطباء المختصين الذين أفنوا أعمارًا فى تقرير تلك النتائج، أقول:

إن بعض الوصفات الشعبية قد تكون أكثر دقة من هذا الخلط الذى رأيناه فى السفر، ثم انظر إلى طرائق العلاج التى كان يصفها الكاهن، إذ كان يشق ثوب الأبرص ويجعل رأسه مكشوفة ويغطى شاربيه وينادى نجس نجس(٣).

وهذا الكلام غير صحيح علميًّا من ناحية الصحة النفسية، إذ أن المريض مهما بلغت خطورة مرضه فلا يصارح به حتى لايتأخر شفاؤه.

ولعل الوحى السماوى الحق -الذى جاء يواسى المرضى، ويرفع عنهم الإثم والحرج ويأمر الأصحاء أن ينظروا إليهم بعين الشفقه فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(٤) هو الذى استنبط منه أتباعه فى مجال علم الطب أن رفع روح المريض معنويًّا له أثر طيب وفعال فى تقدم حالته.

لذلك أنشأ أصحاب هذا الوحى عدة أوقاف لعلاج المرضى كان من بينها وقف يسمى «وقف خداع المريض» وهو من جملة وظائف المعالجة فى المستشفيات، وهو

---

(١) انظر:
Dia el Din Abdel Rahim & Others"Short notes on Dermatology &Veneriology". pag 86 ضياء الدين عبد الرحيم وآخرون: علم الأمراض الجلدية والأمراض الجنسية ص٨٦ القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٨٧.

(٣) انظر: اللاويين ١٣ : ٤٥.

(٤) سورة الفتح الآية (١٧).

تكليف اثنين من الممرضين أن يقفا قريبًا من المريض بحيث يسمعهما ولايراهما فيقول أحدهما لصاحبه» ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟ فيرد عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه لابأس فهو مرجو البرء، ولايوجد فى علته مايشغل البال، وربما نهض من فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة أيام[١].

المثال الثالث: برص الثياب:

وفى هذا يتحدث الإصحاح الثالث عشر من سفر اللاويين فى الفقرات من ٤٧ وحتى نهاية الإصحاح فى الفقرة ٥٩ فيصف وصفًا يوهم بالدقة العلمية، فيوضح ما إذا كان البرص أصاب (السُّدى) وهى الخيوط الطولية فى الثوب، أو أصاب (اللحُمة) وهى الخيوط العرضية المتقاطعة فى نسيج الثوب، ويصف الأعراض التى تدعو للاشتباه فى إصابة الثوب بالبرص، وهى: ظهور بقع حمراء أو خضراء فى الثوب (سواء كان الثوب من صوف أو كتان أو جلد). ويذكر أنه بمجرد أن يرى أحد الناس فى ثوبه شيئًا من تلك الأعراض، لابد أن يبادر بعرض الثوب على الكاهن ليعطى تقريره الطبى.

وعلى الفور كان الكاهن يتقمص دور الطبيب، ويقوم بعملية الفحص التى كانت تستغرق سبعة أيام، يحجز فيها الثوب المشتبه فيه، وفى اليوم السابع إذا رأى أن البقعة (الحمراء أو الخضراء) قد امتدت فى الثوب يقرر أنه برص مفسد وبناء عليه يحكم بحرق الثوب بالنار.

وإن حدث ورأى الكاهن أن البقعة (بعد سبعة أيام) لم تمتد فى الثوب يأمر بغسل الثوب (المريض) ويحجزه سبعة أيام أخرى، وفى آخرها إذا رأى أن البقعة لم يتغير لونها يعطى تشخيصه بأن الحالة بها برص، ويحكم بحرق الثوب بالنار -أيضًا-.

وأما إذا كانت حالة الفحص قد أشارت إلى أن البقع بعد غسل الثوب قد تغير لونها يقرر الكاهن أنها ليست برصًا، ويكتفى الرجل -فقط- بإجراء عملية جراحية للثوب يستأصل فيها الجزء المصاب بالبرص.

يقول السفر:

«وأما الثوب فإذا كان فيه ضربة برص ثوب صوف أو ثوب كتان فى السدى أو اللحمة من

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة ص٢٧٠ بتصرف يسير ط المختار الإسلامى القاهرة -الطبعة الثامنة ١٩٨٧- الناشر مكتبة وهبة.

الصوف أو الكتان أو فى جلد أو فى كل مصنوع من جلد، وكانت الضربة ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة فى الثوب أو فى الجلد فى السدى أو اللحمة أو فى متاع ما من جلد فإنها ضربة برص فتعرض على الكاهن فيرى الكاهن الضربة، ويحجز المضروب سبعة أيام فمتى رأى الضربة فى اليوم السابع إذا كانت الضربة قد امتدت فى الثوب فى السدى أو اللحمة فى الجلد من كل مايصنع من جلد للعمل، فالضربة برص مفسد إنها نجسة، فيحرق الثوب أو السدى أو اللحمة من الصوف أو الكتان أو متاع الجلد الذى كانت فيه الضربة لأنها برص مفسد بالنار يحرق، لكن إذا رأى الكاهن وإذا الضربة لم تمتد فى الثوب فى السدى أو اللحمة أو متاع الجلد يأمر الكاهن أن يغسلوا مافيه الضربة ويحجزه سبعة أيام ثانية، فإن رأى الكاهن بعد غسل المضروب وإذا الضربة لم تغير منظرها ولا امتدت الضربة فهو نجس بالنار تحرقه، إنها نخروب فى جردة باطنه أو ظاهره، لكن إن رأى الكاهن وإذا الضربة كامدة اللون بعد غسله يمزقها من الثوب أو الجلد من السدى أو اللحمة ثم إن ظهرت أيضًا فى الثوب فى السدى أو اللحمة أو فى متاع الجلد فهى مفرخة بالنار تحرق مافيه الضربة، وأما الثوب السدى أو اللحمة أو متاع الجلد الذى تغسله وتزول منه الضربة فيغسل ثانية فيطهر، هذه شريعة ضربة البرص فى الصوف أو الكتان فى السدى أو اللحمة أو فى كل متاع من جلد للحكم بطهارته أو نجاسته»[١].

وهذا الكلام فى جملته وتفصيله غير صحيح علميًّا بالمرة.

وذلك لأن أبسط أصول علم الطب تنفى هذا -تمامًا- إذ أن مرض البرص لايصيب الجمادات لأنها لاتحتوى على خلايا حية، وقد أثبت هذا كثيرون من علماء أوربا[٢] فى أبحاثهم الطبية، وعلى رأسهم العالم الطبيب هوويتز (Howitz) فى عام ١٩٧٧م[٣].

حتى أن الأطباء فى تعريفهم لمرض البرص يقولون:

«هو مايصيب جلد الإنسان نتيجة لنقص صبغة الميلانين التى تفرزها بعض الخلايا الموجودة فى الجلد وتسمى (ميلانوسيت) (Melanosit)، ويسمى الآن (طبيًّا) مرض

---

(١) اللاويين ١٣ : ٤٧-٥٩ .

(٢) وإن كان علماء المسلمين قد أثبتوا مثل هذه النتائج من زمن بعيد، لكن الهدف من ذكر علماء أوربا هو الاستشهاد بكلام علماء يؤمنون بسفر اللاويين على أنه وحى منزل . ليكون أبلغ فى الحجة وإقامة الدليل .

(٣) انظر: د/ ضياء الدين عبد الرحيم: علم الأمراض الجلدية ص٨٦ .

البهاق»[١] .

فإن قالوا : لانقصد ببرص الثوب الداء الذى يصيب الإنسان[٢] ، قلت : فلماذا تسمونه البرص إذًا؟

فإذا كنتم تقصدون مايصيب الثياب من تلف بسبب (العتة) ونحوها ، فلم لم يصرح به كتابكم أو يشير إليه ولو ضمنًا؟

كما أن حديث السفر عن البرص الذى يصيب الثياب والبيوت[٣] جاء فى عقب الحديث عن البرص الذى يصيب الإنسان فدل على أنه من جنسه .

والمفترض أن الوحى السماوى بدلاً من أن يرشد الكاهن إلى حرق الأثواب لمجرد أن يرى فيها بقعة حمراء أو خضراء ، يعلمه -أو يعطيه من أصول العلم- مايعينه على ابتكار مايحفظ الأثواب أطول مدة ممكنة من البلى .

وهذا يدلك على مدى الحالة المزرية التى وصل إليها اليهود فى ناحية التخلف العلمى ، وأنهم كانوا ينقلون عن الأمم أخس ماعندهم من عادات وعقائد خرافية ، ولاينقلون عنهم روائع حضاراتهم .

فإن اليهود الذين يذكر كتابهم أنهم كانوا يصنعون -هكذا- بالأثواب -عجزًا منهم عن ابتكار وسائل الحفظ- قد عاشوا فى ظل دول توصلت فى حضاراتها وعلومها إلى ابتكار مايحفظ جثث الموتى ومعهم بعض أثواب إلى يوم الناس هذا .

ويؤكد هذا ما قاله الأستاذ/ غوستاف لوبون فى حديثه عن تخلف اليهود علميًا :

«لم يكن لليهود علوم ولافنون ولاصناعة ولا أى شئ تقوم به حضارة ، واليهود لم يأتوا -قط- بأية مساهمة فى تشييد المعارف البشرية ، واليهود لم يجاوزوا -قط- مرحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ ، وإذا ماصارت لليهود مدن فى نهاية الأمر فقد كانوا فى غاية العجز عن أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم فاضطروا إبان سلطانهم فى عهد سليمان إلى الاستعانة بالخارج ، فجلبوا بنائين وعمالاً لم يكن بين بنى إسرائيل من يساويهم»[٤] .

---

(١) انظر : د/ ضياء الدين عبد الرحيم : علم الأمراض الجلدية ص٨٦ .

(٢) انظر ماقاله أ/ نجيب جرجس فى تفسير سفر اللاويين ص١٤٥ نقلاً عن بعض علماء اليهود .

(٣) برص البيوت سيأتى بعد قريب .

(٤) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص١٥ ترجمة عادل زعيتر ط/ عيسى البابى الحلبى - القاهرة- ١٩٧٠م .

ورحم الله الشيخ/ رحمت الله الهندى إذ يقول معقبًا على شريعة البرص بعد أن ساق نصها -فى سفر اللاويين- بأكمله، يعقب بكلمة طيبة يطالب فيها أصحاب النظر والفهم قائلاً:

«فانظروا إلى هذه الأحكام فإنها ثمرات الأوهام، أيليق إحراق الجلود والثياب بأمثال هذه الوساوس؟»(١) .

وهل يمكن أن يوحى الله سبحانه وتعالى بمثل هذا البله؟

المثال الرابع: برص البيوت:

وفى هذا يتحدث الإصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين فى الفقرات من ٣٣ وحتى ٥٣ فيقول لهم إذا أتوا أرض كنعان التى وعدهم الرب، ورأوا برصًا فى البيوت فليأتوا إلى الكاهن ليخبروه بالأعراض التى رأوها على الجدران، وينتحل الكاهن دور المهندس المعمارى -الطبيب فى ذات الوقت- الذى يعطى قرارات بالصلاحية أو الإزالة.

وأعجب مافى إجراءات العلاج أن الكاهن يأمر بأن يفرغوا البيت قبل أن يدخل هو لئلا يتنجس كل مافى البيت إذا حكم بالبرص.

والحق أن البيت ومافيه كان سيتنجس بدخول الكاهن لابوجود البرص فى الحوائط والجدران!!!

ويوضح الإصحاح -فى شئ من الخيال العلمى- الأعراض، وعملية التشخيص التى قد تسفر عن تقشير البيت وإعادة تمحيره، أو قلع الأحجار المصابة، وربما بهدم البيت كله رأسا على عقب وإلقاء أحجاره خارج المدينة تمامًا يقول السفر:

«وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: متى جئتم إلى أرض كنعان التى أعطيتكم ملكًا وجعلت ضربة برص فى بيت فى أرض ملككم، يأتى الذى له البيت ويخبر الكاهن قائلاً: قد ظهر لى شبه ضربة فى البيت فيأمر الكاهن أن يفرغوا البيت قبل دخول الكاهن ليرى الضربة، لئلا يتنجس كل مافى البيت وبعد ذلك يدخل الكاهن ليرى البيت، فإذا رأى الضربة وإذا الضربة فى حيطان البيت نقر ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة، ومنظرها أعمق من الحائط، يخرج الكاهن من البيت إلى باب البيت ويغلق البيت سبعة أيام، فإذا رجع الكاهن فى اليوم السابع ورأى وإذا الضربة قد امتدت فى حيطان البيت، يأمر الكاهن أن يقلعوا الحجارة التى

---

(١) إظهار الحق ٤/ ١٣٣٥ .

فيها الضربة ويطرحوها خارج المدينة، فى مكان نجس، ويقشر البيت من داخل حواليه، ويطرحوا التراب الذى يقشرونه خارج المدينة فى مكان نجس، ويأخذوا حجارة أخرى ويدخلوها فى مكان الحجارة ويأخذ ترابًا آخر ويطين البيت، فإن رجعت الضربة وأفرخت فى البيت بعد قلع الحجارة، وقشر البيت وتطيينه وأتى الكاهن ورأى وإذا الضربة قد امتدت فى البيت فهى برص مفسد فى البيت إنه نجس فيهدم البيت حجارته وأخشابه وكل تراب البيت ويخرجها إلى خارج المدينة، إلى مكان نجس، ومن دخل إلى البيت فى كل أيام انغلاقه يكون نجسًا إلى المساء، ومن نام فى البيت يغسل ثيابه، ومن أكل فى البيت يغسل ثيابه، لكن إن أتى الكاهن ورأى وإذا الضربة لم تمتد فى البيت بعد تطيين البيت يطهر الكاهن البيت لأن الضربة قد برئت فيأخذ لتطهير البيت عصفورين وخشب أرز، وقرمز وزوفا ويذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى ويأخذ خشب الأرز والزوفا والقرمز والعصفور الحى، ويغمسها فى دم العصفور المذبوح وفى الماء الحى وينضح البيت سبع مرات، ويطهر البيت بدم العصفور وبالماء الحى . . . »[1]

وهذه المسألة تجرى مجرى المسألة الأولى من ناحية كلام علماء الطب، أى أنه - علميًا- لايمكن أن يصيب البرص الجمادات كالحوائط والجدران وغيره لأنه ليس بها خلايا حية . .

وإضافة إلى ذلك فإن اليهود لإلفهم حياة البادية وسكناهم فى الخيام، وعدم إلفهم سكن البيوت والمدن ظلوا بعد دخولهم أرض كنعان -التى اشتهرت بالمدنية والحضارة- يحنون على فكرهم القديم- كحنوهم فى العقيدة على الأصنام- فهم يقولون بأن البرص يصيب الأثواب والجلود التى كانوا يلبسونها ويصنعون منها خيامهم، فحسبوا أن هذا الفكر المتخلف يمكن أن يصدق فى المدن المتحضرة بكل مافيه من الخرافة، وكما تصاب الخيمة بالبرص تصاب حوائط البيت بالبرص.

والتوراة التى حاول كاتبوها إبراز ناحية التقدم العلمى لليهود فأوقعوا أنفسهم فى مآزق عظيمة، وصادموا الحقائق العلمية، هى بذاتها تحدثنا عن تخلف اليهود، ليس فى مجال العمارة والبناء فقط، بل فيما هو أقل من ذلك بكثير، لدرجة أنه لم يوجد بينهم من يجيد صناعة الحدادة لحد السكين أو المنجل أو الفأس والمعول، جاء فى سفر صموئيل الأول:

---

(١) اللاويين ١٤ : ٣٣-٣٥ .

«ولم يوجد صانع فى كل أرض إسرائيل لأن الفلسطينيين قالوا: لئلا يعمل العبرانيون سيفًا أو رمحًا، بل كان ينزل كل إسرائيلى إلى الفلسطينيين لكى يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله. . . وكان فى يوم الحرب[١] أنه لم يوجد سيف ولارمح بيد جميع الشعب الذى مع شاول. . . . . » [٢][٣]

ورحم الله الشيخ/ الهندى، يؤنسنا دائمًا بكلماته -التى هى ثمرة بحث طويل فى هذا المجال- إذ يسوق كلام سفر اللاويين عن برص البيوت ثم يجزم أنه ليس من كلام الله بل هو مجرد أوهام فيقول:

«فهذه الأحكام -أيضًا- من ثمرات الأوهام، أتهدم البيوت بمثل هذه الأوهام التى هى أوهن من نسج العنكبوت؟ أيعتقد عقلاء أوربا أن يكون الثوب أو الجلد أو البيت أبرص قابلاً للإحراق أو الهدم؟» [٤]

سادسًا: إثبات التحريف بالتبديل فى سفر اللاويين:

إن إثبات التحريف بالتبديل شئ هام، ويقوم بناء هذا الدليل على المقابلة بين النسخ التى يفخر أهل الكتاب بكثرتها، وقد لايتيسر لكل باحث عملية المقابلة بين النسخ، ولكن قد يكون النقل من مقابلات أهل الكتاب بين النسخ المختلفة عندهم أكثر فائدة، فهو أقوى وأبلغ فى إقامة الحجة عليهم، لذلك سأنقل فى هذا الموضع نماذج لهذه المقابلات عن علماء أهل الكتاب فى سفر اللاويين، وهم يقابلون فى تفسيراتهم بين النسخ، ويظنونها موضع فخر، وحسبوا أنهم يوردون الآية بقراءات متعددة!!!!.

وغفلوا عن أنهم يفضحون أنفسهم بأيديهم، ويعينون على إظهار الحق من حيث أرادوا كتمانه.

---

(١) هذه الحرب التى دارت بين الفلسطينيين والإسرائيليين فى عهد شاول. انظرها مفصلة فى قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٣.

(٢) شاول هو: اسم عبرى معناه سئل من الله، ويعتبر أول ملوك إسرائيل، خاض حروبًا كثيرة لاسترداد ملك إسرائيل وتوحيد صفهم، وقتل نفسه على إثر انهزامه فى معركة جلبوع انهزامًا ذريعًا، انظر قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٣.

(٣) صموئيل الأول ١٣: ١٩-٢٢.

(٤) إظهار الحق ٤/ ١٣٣٥، ١٣٣٦ ويلاحظ أن الشيخ/ رحمت الله فى تعبيره بأوهن من نسج العنكبوت قد تعدى على التعبير القرآنى «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت» فليس هناك أوهن منه إذ لايستطيع أى إنسان أن يأتى بأبلغ من التعبير القرآنى.

المثال الأول: جاء فى الإصحاح الحادى عشر فى الترجمة العربية «**وكل دبيب يدب على الأرض فهو مكروه لايؤكل**»[١].

وفى الترجمة الكلدانية: «**وكل دبيب يطير نجس لكم**»[٢].

فهل الدب على الأرض يمكن أن يكون بمعنى الطيران؟

المثال الثانى: جاء فى الإصحاح الرابع عشر فى الترجمة العربية «**متى جئتم إلى أرض كنعان التى أعطيكم ملكًا وجعلت ضربة برص فى بيت فى أرض ملككم**»[٣].

وفى الترجمة الكلدانية: «**متى جئتم إلى أرض كنعان التى أعطيكم ملكًا، فإذا بنى إنسان بيته بمواد مسروقة ضربت ذلك البيت بالبرص**»[٤].

ففى الأولى لم يذكر علة الإصابة بالبرص، وفى الثانية جعل علة ذلك هى البناء بمواد مسروقة، فأيهما أثبت؟ وهل هذه الجملة (بمواد مسروقة) سقطت من الأولى أم هى مزيدة فى الثانية؟

المثال الثالث: جاء فى الإصحاح الرابع عشر فى الترجمة العربية عن المتطهر من البرص «. . . . **ثم يدخل المحلة لكن يقيم خارج خيمته سبعة أيام**»[٥].

وفى الترجمة الكلدانية: «**ويقيم خارج الخيمة من بيت مسكنه ولايقترب من زوجته**»[٦].

ففى الأولى حدد مدة الإقامة خارج الخيمة بسبعة أيام، بينما لم يرد فى الثانية ذكر للمدة، وفيها زيادة النهى عن اقتراب الزوجة، وهذه ليست فى الأولى.

المثال الرابع: جاء فى الإصحاح الرابع عشر فى الترجمة العربية «**ويذبح الخروف فى الموضع الذى يذبح فيه . . .**»[٧].

وفى الترجمة الكلدانية «**ويذبح الذابحون الخروف . . . .**»[٨].

المثال الخامس: جاء فى الإصحاح الثامن عشر فى الترجمة العربية «**فتحفظون**

---

(١) اللاويين ١١ : ٤١ .

(٢) القس: وليم مارش: السنن القويم فى أسفار العهد القديم ٢/ ٧٥ ط مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى - بيروت- ١٩٧٣م .

(٣) اللاويين ١٤ : ٣٤ .

(٤) السنن القويم ٢/ ٩٨ .

(٥) اللاويين ١٤ : ٨ .

(٦) السنن القويم ٢/ ٩٣ .

(٧) اللاويين ١٤ : ١٣ .

(٨) السنن القويم ٢/ ٩٤ .

فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . . .» [١] .

وفى الترجمة الكلدانية **«فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان حصل على الحياة الأبدية»** [٢] .

المثال السادس: جاء فى الإصحاح السادس عشر فى الترجمة العربية **« . . . لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء»** [٣] .

وفى النسخة العبرانية **«كفرة»** بدلاً من الغطاء [٤] .

المثال السابع: جاء فى الإصحاح الخامس عشر فى الترجمة العربية **«وإذا طهر ذو السيل . . . يغسل ثيابه، ويرحض جسده»** [٥] .

وفى العبرانية **«وإذا طهر ذو السيل . . يغسل ثيابه، ويرحض بشره»** [٦] ففى الأولى غسل كل الجسد، وفى الثانية غسل **«بشره»** فقط ويعبر به عن العضو الذكرى، فأيهما أصح الأصل أم الترجمة؟ .

المثال الثامن: جاء فى الإصحاح الخامس فى الترجمة العربية **« . . . فيكفر عنه الكاهن من خطيته»** [٧] .

وفى ترجمة واطس: **«يستغفر له الكاهن»** [٨] .

والفرق واضح جدًّا بين العبارة فى النسختين اللتين يفترض أنهما بمعنى ولفظ واحد، فالأولى تفيد أن الكاهن هو الذى يعفى المخطئ من خطاياه، والثانية تفيد أنه يستغفر له ويطلب له المغفرة .

فأيتهما أصح؟ وهل يقوم الكاهن مقام الرب ويفعل أفعاله؟

المثال التاسع: جاء فى الإصحاح الخامس عشر فى الترجمة العربية **«وكل مايركب عليه ذو السيل يكون نجسًا»** [٩] .

وفى العبرانية بنفس النص، وفى السبعينية نفس العبارة بزيادة عبارة **«إلى المساء»** [١٠] .

---

(١) اللاويين ١٨ : ٥ .
(٢) السنن القويم ٢/ ١٢٢ .
(٣) اللاويين ١٦ : ٢ .
(٤) السنن القويم ٢/ ١٠٧ .
(٥) اللاويين ١٥ : ١٣ .
(٦) السنن القويم ٢/ ١٠٣ .
(٧) اللاويين ٥ : ٦ .
(٨) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٤٧ .
(٩) اللاويين ١٥ : ٩ .
(١٠) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١٦٦ .

قال صاحب السنن القويم: «هذه العبارة أصلية يظن أنها سقطت من الآية العبرانية»[١].

المثال العاشر: جاء فى الإصحاح الخامس من سفر اللاويين فى الترجمة العربية «وإذا مس أحد شيئًا نجسًا، جثة وحش نجس أو جثة بهيمة نجسه أو جثة دبيب نجس، وأخفى عنه فهو نجس ومذنب»[٢].

وفى اليونانية نفس الآية لكن بدون عبارة «فهو نجس ومذنب».

يقول وليم مارش: «تركت هذه العبارة من الترجمة اليونانية، ويستدل من ذلك على أن هذه العبارة لم تكن فى النسخة العبرانية التى ترجمت عنها اليونانية . . . ويؤيد ذلك أنه لاحاجة هنا لذكرها فى آخر الآية . . . كذا قال بعض المفسرين».

ثم يقول:

«ولماذا لايقال: إن المترجم إلى اليونانية تركها سهوًا، وأن تكرارها فى العبرانية للتقرير والتوكيد فإن لذلك نظائر كثيرة فى الكتاب المقدس وفى هذا الإصحاح عينه، وكيف كان الأمر فاعتماد الأصل أولى ما لم يقم البرهان القاطع على صحة غيره وهو معدوم عندنا»[٣].

أرأيت مثل هذا التقرير الواضح بالزيادة فى الترجمة العربية مع أنها ليست فى العبرانية ولا اليونانية؟ وهل يصح أن يقال لبعض كلمات -الوحى- لاحاجة هنا لذكرها؟ أم هل يمكن أن يقبل الاعتذار بأن المترجم إلى اليونانية ترك تلك العبارة سهوًا؟

المثال الحادى عشر: جاء فى الإصحاح الأول فى الترجمة العربية -بشأن القربان:
« . . . إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب»[٤].

وفى الترجمة الإنجليزية: « . . . ويقدمها إلى باب خيمة الاجتماع برضاه ومحض إرادته»[٥].

والفرق واضح بين النسختين تمامًا ففى العربية أن الرضا من الرب، وفى الإنجليزية الرضا من العبد، فهل الرب والعبد مترادفان؟

المثال الثانى عشر: جاء فى الإصحاح السابع عشر فى الترجمة العربية « . . .

---

(١) السنن القويم ٢/ ١٠٢.
(٢) اللاويين ٥ : ٢.
(٣) السنن القويم ٢/ ٢٢.
(٤) اللاويين ١ : ٣.
(٥) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١٥.

ولايذبحوا بعد ذبائحهم للتيوس التى هم يزنون وراءها»[(١)] .

وفى الترجمة الإنجليزية : «**ولايذبحوا بعد ذبائحهم للشياطين التى هم يزنون وراءها»**[(٢)] .

فهل كلمة الشياطين تقابل أو ترادف كلمة التيوس[(٣)]؟ وهبها ترادف فهل يذكر الوحى بمرادفه أم بمعناه؟

المثال الثالث عشر : جاء فى الإصحاح الثالث عشر فى الترجمة العربية : «. . . ورأى الكاهن الضربة ، وإذا منظرها أعمق من الجلد وفيها شعر أشقر»[(٤)] .

وفى العبرانية : «**نفس العبارة**» ولكن بتبديل كلمة «**أشقر**» إلى «**أصهب**»[(٥)] . وقد يقال : إن الشقرة والصهبة بمعنى واحد (وهو حمرة مع الميل إلى البياض)[(٦)] ولكن كما سبق أن قلنا : إن دقة التعبير فى الكلام الذى يفترض أنه وحى سماوى تمنع قبول أى تعبير غير الموحى به .

المثال الرابع عشر : جاء فى الإصحاح الثانى فى الترجمة العربية : «**وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب**»[(٧)] .

وفى العبرانية : «**وإذا قرب أحد قربان منحة للرب**»[(٨)] .

ففى الأولى «**تقدمة**» وفى الثانية «**منحة**» ، ومعروف أن التقدمة تكون من الأدنى للأعلى استرضاءً واستجداءً لقضاء حاجة ، والمنحة تكون من الأعلى للأدنى فى حالة العوز أو التكريم[(٩)] .

فأى اللفظين صوابًا؟ وهل يمكن أن يعبر عن الصدقات والقرابين بأنها منحة للرب؟ جل الله عن العوز والحاجة!!!

واللفظ الذى فى النسخة العبرانية ينضح بعقيدة اليهود فى إلههم ، وأنه فقير وهم

---

(١) اللاويين ١٧ : ٧ . (٢) السنن القويم ٢/ ١١٨ .

(٣) التيوس : جمع تيس وهو ذكر من المعز والظباء والوعول . انظر : بطرس البستانى : قاموس محيط المحيط ص٧٦ -ط/ يتبوبرس -لبنان ١٩٨٧- مادة (تاسى) .

(٤) اللاويين ١٣ : ٣ .

(٥) انظر : السنن القويم ٢/ ٨٥ .

(٦) انظر : محيط المحيط (كلمة أشقر ص ٤٧٤ مادة شقر) و (كلمة أصهب ص٥٢١ مادة صهب) .

(٧) اللاويين ٢ : ١ .

(٨) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٤ .

(٩) انظر : أبو هلال العسكرى : الفروق اللغوية ص١٣٩ ط مكتبة القدس -القاهرة- ١٩٩٤م .

أغنى منه، وبالتالى يجودون عليه ويمنحونه المنائح، وصدق الله إذ يقول: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(١)(٢).

المثال الخامس عشر: جاء فى الإصحاح الرابع فى الترجمة العربية «. . . . يأتى **بقربانه تيسًا من المعز ذكرًا صحيحًا**»(٣).

وفى العبرانية: «. . . **يأتى بقربانه تيسًا من المعز الأشعر ذكرًا صحيحًا**»(٤).

فكلمة «**الأشعر**» هل سقطت من العربية؟ أم زيدت فى العبرانية؟

وأكتفى بذكر هذه الأمثلة فإن مثالاً واحدًا كاف فى إثبات التحريف بالتبديل، ويرحم الله العلامة ابن تيمية إذ يقول: «**لايمكن أحدًا من أهل الكتاب أن يدعى أن كل نسخة فى العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا مما لايمكن أحدًا من البشر أن يعرفه باختباره وامتحانه وإنما يعلم مثل هذا بالوحى وإلا فلا يمكن أحدًا من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة فى العالم بكل نسخة من جميع الألسنة . . . وقد رأيناها مختلفة فى الألفاظ اختلافًا بينًا . . .**»(٥).

وعلماء أهل الكتاب برغم أن هذه النقطة ضدهم إلا أنهم يفخرون بها فى مجالسهم، ولذلك نجد القس/ جيمى سواجارت فى مناظرته مع العلامة / ديدات يفخر بأن لكتابهم المقدس أربعة وعشرين ألف مخطوط، فيلقمه العلامة/ ديدات حجرًا فيقول:

«**أخى سواجارت أنت تعرف أن ليس بينهما اثنتان متماثلتان، وعلماؤك يقرون بأنه بين الأربع والعشرين ألفًا التى كتبوها لاتوجد اثنتان متشابهان، إذًا: فكيف تحكم بأن هذه من عند الله، وأن الأخرى ليست من عند الله**»(٦).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١).

(٢) ولقائل أن يقول: أليس فى القرآن مثل هذا التعبير «من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا»؟ فأقول: أولاً: لم تختلف لفظة «قرضًا» على كثرة نسخ المصاحف، ثانيًا: القرض بأبسط مدلول له: أنه عطية مرتجعة، وهو على سبيل المجاز فإن الذى ينفق كالمقرض لله تعالى لايزال يرجو الثواب على نفقته، بخلاف المنحة فهى عطية لاترد.

(٣) اللاويين ٤ : ٢٣.

(٤) السنن القويم ٢/ ١٩.

(٥) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣٨٠ مطبعة المدنى -القاهرة ١٩٦٤.

(٦) د/ أحمد حجازى السقا: المناظرة الحديثة بين ديدات وسواجارت ص١٥١ بتصرف، وانظر: على الجوهرى: مناظرة العصر بين ديدات وشروش ص٣٥ ط/ دار الفضيلة -القاهرة ١٩٩٢.

ولإثبات التحريف بالتبديل ثمرة عظيمة، فتجلية الحق مدعاة لإغراء الناس به.

ولذلك يروى الإمام البيهقى -رحمه الله- أن يهوديًا دخل على المأمون فتكلم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى، فلما كان بعد سنة جاء مسلمًا فتكلم فأحسن الكلام، فقال له المأمون: ماكان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت منى، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فيها نقص وزيادة، وأدخلتها للوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامى[(١)].

وبعد / ....

فقد رأيت -أيها القارئ الكريم- بعد عرض الحجج الدامغة على انقطاع صلة سفر اللاويين بوحى السماء سواء من ناحية السند أو من ناحية الركاكة فى الأسلوب أو من ناحية المتناقضات أو من ناحية اختلاف النسخ أقول:

إن أية عقيدة تبنى على هذا الكلام الباطل فهى عقيدة فاسدة لأن أصل العقيدة إنما يعرف عن طريق الوحى، وإن كان فى القلوب ميل فطرى لأصل العقيدة السليمة، إلا أنه لابد من وحى يزيد بيانًا ووضوحًا، فيعرف من عرف الله مايجب لله ومايستحيل فى حقه، وأسمائه وصفاته، وكذلك الأنبياء والرسل... وغير ذلك من أصول العقيدة.

وبناءً على هذا سنعرض فى الفصل القادم -بمشيئة الله تعالى- الجانب العقدى فى سفر اللاويين.

* * *

(١) جلال الدين السيوطى: الخصائص الكبرى ٣/ ١٢٨ ط/ دار الكتب الحديثة -القاهرة- تحقيق د/ محمد خليل هراس.

الفصل الثانى

الجانب العقدى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : فى معنى العقيدة وحاجة الناس إليها .

المبحث الأول : الإله كما يصوره سفر اللاويين .

المبحث الثانى : حديث السفر عن الأنبياء .

المبحث الثالث : اليوم الآخر فى سفر اللاويين .

التمهيـــد

معنى العقيدة :

هى من عقد بمعنى معقود -بمعنى اسم المفعول- عقد الحبل والبيع والعهد يعقده، شده، والعقد العهد[(١)] .

فالعقيدة أشبه بشئ انعقد عليه القلب، وانطوت عليه الجوانح، انطواءً لايقبل الشك، فهى بمثابة الإيمان بتلك الحقيقة التى انعقد عليها القلب .

وقد تكون هذه العقيدة : عقيدة دينية، وقد تكون عقيدة سياسية أو اقتصادية . . أو غير ذلك .

ومن هنا سنرى فى سفر اللاويين ألوانًا من هذه العقائد، دينية وسياسة وغير ذلك، ونخصص هذا الفصل للعقيدة الدينية، ونرجى عقائد السياسة اليهودية إلى فصل خاص بها سيأتى فى موضعه .

والعقيدة الدينية بالمفهوم الشرعى هى :

«عبارة عن الاعتقاد الجازم بقضايا الألوهية والنبوة والملائكة واليوم الآخر»[(٢)] .

وهذا المفهوم يكاد يكون متحدًا فى كل الرسالات ذات الأصل السماوى[(٣)] .

حتى فى الديانات الوضعية تجد نزعة أصحابها تنحصر فى هذا النطاق، وربما كان الإله من صنع أيديهم إلا أنهم يجعلون له رسلاً وأنبياء، وهم عبارة عن خدام ذلك الوثن . . . وسر ذلك أن الاعتقاد فى هذه القضايا شئ من جملة الفطرة فى الإنسان، بل أساسها .

حاجة الناس إلى العقيدة:

إن الإنسان دائمًا فى حاجة إلى التدين والعقيدة، وإن الدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلاغنى له عن الإيمان بربه وعن عبادته بحال من

---

(١) الفيروزابادى : القاموس المحيط ١/ ٣٢٧ مادة (عقد) .

(٢) انظر : د/ محيى الدين الصافى وآخرين : فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص١٢ ط جامعة الأزهر ١٩٩٣م .

(٣) انظر : د/ لبيب مشرقى وآخرين : التربية الدينية المسيحية ص٢٥٥، ٢٥٦ ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٦م .

الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض -ومنذ عهد الإنسان بالحياة- من عقيدة ودين، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [(١)].

ومما لاشك فيه أن تنظيم حياة الإنسان، وتعديل غرائزه، وتنظيم سلوكه، وتحديد اتجاهاته لايمكن أن تخلقه عقيدة فاسدة، وذلك أن سلوك الإنسان وتصرفه نحو غيره من بنى الإنسان إنما يكون تابعًا لما يعتقد فى هذا الغير، فلو أنك تعامل شخصين أحدهما يتصف بالصدق والآخر قد تعود الكذب والخيانة، فطبيعى إذا كانت عقيدتك نحوهما هكذا، فلابد أن تختلف معاملتك لكل منهما، فالأول تفضى إليه بأسرارك، وأما الثانى فأنت منه على حذر دائمًا، ولاتثق به ولاتطمئن إلى رأيه[(٢)].

وهكذا فإن عقائد كل أمة هى التى تتحكم فى تقاليدها ونظمها وعاداتها، كما تحدد السلوك لأفرادها.

يقول الدكتور القس/ لبيب مشرقى:

«إن العقيدة الدينية السليمة هى بمثابة الصخرة الراسخة لبناء الحياة حيث تتناولها بمنهج سوى سواء فى الفهم أو فى التطبيق»[(٣)].

من كل ماسبق نخلص إلى أن الإنسان من أجل أن يصبح لبنة صالحة فى مجتمع تسوده المحبة والإخلاص والتفانى فى خدمة الجماعة الإنسانية التى يعيش فيها، لابد له من اعتقاد سليم فى وجود إله حق منزه عن النقائص، ثم التيقن بأنه محاسب ومجازى فى اليوم الآخر.

أما المجتمع الذى يتحلل أفراده من عقائدهم فتفسد، يصبح مجتمعًا تسوده الأثرة والأنانية، ويحاول كل فرد أن يحظى بالنصيب الأوفر، غير مبال بغيره من بنى جنسه، ومن ثم فإننا سنرى مقدار الضلال الذى وصلت إليه اليهود فى شتى مناحى الحياة بسبب فساد اعتقادهم.

---

(١) سورة فاطر الآية (٢٤).

(٢) د/ محيى الدين الصافى: فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص٢٠- بتصرف، وانظر: د: آمنة محمد نصير: مباحث فى علوم العقيدة ص١٣، ١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤.

(٣) د/ لبيب مشرقى: التربية الدينية المسيحية ص٢٥٥.

المبحث الأول

الإله كما يصوره سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أسماء الإله فى سفر اللاويين .

المطلب الثانى : هل عبد اليهود آلهة أخرى مع الإله الواحد .

المطلب الثالث : صفات الإله كما يصورها سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الأول

الإله كما يصوره سفر اللاويين

الحق أن موسى عليه السلام الذى ينسب إليه سفر اللاويين زورًا وبهتانًا، مادعا إلا إلى التوحيد، وماعرف إلا الإله الحق الذى يتنزه عن صفات البشر ومماثلة المخلوقين.

وتبدو هذه العقيدة -الصحيحة عن الإله- فى عرض القرآن الكريم لإجابة موسى وهارون -عليهما السلام- عن الأسئلة التى وجهت إليهما عن الإله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ فأجاب: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [(١)].

ثم جعل موسى عليه السلام يعدد بعض صفات الإله الحق فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [(٢)]

ولكن الذى يراجع التراث الإسرائيلى يجد أن تصورهم للإله يختلف تمامًا عن الإله الذى عرفه موسى ودعاهم إليه هو وكل من جاء من بعده من أنبياء بنى إسرائيل.

فهو إله له كثير من صفات البشر وهيئته على هيئتهم، وقد أوحت أسفارهم التى صنعوها بأيديهم بهذه الصورة للإله عبر الأجيال، ففى سفر التكوين «**نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**»[(٣)] «**فخلق الله الإنسان على صورته**»[(٤)].

وأحب أن أذكر القارئ الكريم أننا -هنا- ملزمون بعرض صورة الإله فى السفر موضوع الدراسة لا فى كل العهد القديم، وليكون الأمر أكثر وضوحًا فلابد من التعرض للأمور الآتية:

---

(١) سورة طه الآيات (٤٩-٥٢).
(٢) سورة طه الآيات (٥٣، ٥٤).
(٣) التكوين ١ : ٢٦.
(٤) التكوين ١ : ٢٧.

أولاً: أسماء الإله فى سفر اللاويين.

ثانيًا: هل عبد اليهود آلهة أخرى مع الإله الواحد؟

ثالثًا: صفات الإله كما يصورها سفر اللاويين.

المطلب الأول: أسماء الإله فى سفر اللاويين:

إن الإله الذى تحدث عنه العهد القديم، عرفه اليهود بثلاثة أسماء:

أولها: ألوهيم: وهو أول اسم ذكر فى العهد القديم من أسماء الإله[١]، وهو مشتق من الفعل العبرى (آلاه) الذى يعنى الحلف والمعاهدة، فيكون معنى اسم (ألوهيم) إله العهد[٢].

ثانيها: يهوه، وسنفصل القول عنه بعد قليل.

ثالثها: أدوناى: ومعناه السيد، وقد ورد فى العهد القديم نحو ثلاثمائة مرة بصيغة الجمع . . . وإن كان نفس اللقب قد استعمل للبشر حوالى ٢١٥ مرة، ولكنه دائمًا بصيغة المفرد[٣]، وهو يستعمل فى مخاطبة الله بخشوع ووقار وهيبة، وكان اليهود يستعملون «**أدوناى**» عوضًا عن «**يهوه**»[٤].

ويرى أحد علماء اليهود فى العصر الحديث -وهو العالم سيجموند فرويد- أن «**أدوناى**» محرف عن الإله «**آتون**» أحد آلهة المصريين[٥].

تلك هى أشهر أسماء الإله فى العهد القديم، فأى تلك الأسماء ورد استعماله فى سفر اللاويين؟

الحق أنه بمراجعة السفر تبين أنه قد اقتصر فى السفر على استخدام اسم «**يهوه**» أو «**ياهو**» فى التعبير عن الإله، ويستبدل فى العربية بـ «**الرب**».

يقول القس: منيس عبد النور:

«**ورد اسم يهوه فى التوراة للمرة الأولى فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين**[٦] . . . وقد

(١) انظر: القس: إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى ص٦٩ ط دار الثقافة المسيحية -القاهرة- .

(٢) منيس عبد النور: أسماء الله فى الكتاب المقدس ص١٣ -بتصرف يسير- ط دار الثقافة المسيحية -القاهرة- .

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٤ .

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس ١١٧ .

(٥) انظر: سهيل ميخائيل: التوراة تاريخها وغاياتها ص٨٠ ط/ دار النفائس -الطبعة الثالثة- مصر .

(٦) التكوين ٨ : ١ .

ترجم فى لغتنا العربية فى معظم الأحيان إلى (الرب)[١].

فمن يهوه؟ ومادرجة قداسته عند بنى إسرائيل؟ وهل هو الإله الواحد؟

أ) معنى يهوه: يقول العالم جزينيوس:

«إن اسم «يهوه» مأخوذ من الفعل العبرى «هوى» الذى يعنى الوجود، فهو الرب الكائن والذى يأتى . . . إنه الكائن الواجب الوجود، غير المتغير الأزلى الأبدى»[٢].

ويقول الأستاذ حبيب سعيد وهو يتحدث عن يهوه:

«أصل اللفظة التى أطلقت على الإله الذى صار فيما بعد الإله القومى لإسرائيل واليهودية، والذى صار مرادفًا للإله العظيم كما نفهمه اليوم، يحوطه شئ من الغموض»[٣].

ويقول عالم آخر: **«إن الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة Lord هى يهوا، وكانت العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠م. ، ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة يهواه ياهوفا وكليهما بمعنى سيد أو إله»[٤].**

ويرى الأستاذ / العقاد **«أن اسم يهوه لايعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء الضمير الغائب أى (ياهو)»[٥].**

وأيًّا كان أصل اشتقاق اسم «يهوه» من الفعل العبرى «هوى» الذى يعنى الوجود، أو من مادة الحياة، أو نداء لضمير الغائب «هو» أو لايعرف اشتقاقه، فالمقطوع به أن بنى إسرائيل قد عرفوا الإله بهذا الاسم، وغالوا فى تقديسه والتقرب إليه.

ب) درجة قداسة يهوه:

يقول المفسر اليهودى: موسى بن ميمون القرطبى[٦] تعليقًا على هذا الاسم: **«كل أسماء الله الواردة فى الأسفار المقدسة مأخوذة عن أعمال يقومَ بها، ماعدا اسم يهوه فهو اسم**

(١) أسماء الله فى الكتاب المقدس ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢٤ .

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص١٦٥ ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية -القاهرة- بدون تاريخ .

(٤) المرجع السابق ص١٦٦ -بتصرف يسير .

(٥) عباس محمود العقاد: الله ص١١٣ .

(٦) موسى بن ميمون هو: أبو عمران بن عبيد الله القرطبى فيلسوف يهودى يعتبر من أبرز شخصيات الفكر الدينى اليهودى مات سنة ١٢٠٤م . انظر د/ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ص٢٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م .

علم يتحدث عن شخص الله نفسه»[١] .

ويقول جردلستون فى كتابه مترادفات من العهد القديم :

«نجد التعبير الرائع عن شخص الله السامى فى الاسم يهوه فهو اسم علم يدل على شخص الله وحده، نحن نجد ألوهيم وقد سبقتها (ال) التعريف للتفريق بين الإله الحقيقى والآلهة الكاذبة، ولكنها لاتسبق يهوه أبدًا فإن يهوه هو اسم الإله الحقيقى وحده، وقد يتكلم السفر المقدس عن (ألوهيم الحى) لكنه لايتكلم أبدًا عن (يهوه الحى) لأنه يرى الحياة منفصلة أو بعيدة عن «يهوه» إنه إله الحياة»[٢] .

«ومن الغريب أن يختلف العلماء فى نطق هذا الاسم العظيم كما يختلفون على معناه، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى الغموض الذى أحاط بهذا الاسم فى استعماله، فقد لف اليهود حوله ثوبًا من السرية إذ كانوا لفرط تقديسهم لهذا الاسم لاينطقونه أبدًا، بل يقرأونه «أدوناى» بمعنى **«الرب»** فإذا ورد فى نص الكتاب المقدس **«يهوه أدوناى»** متتابعين، كان على اليهودى أن يقرأهما **«ألوهيم أدوناى»** . . . ولكن اليهودى لاينطق الاسم **«يهوه»** أبدًا. وكان نساخ السفر المقدس يغيرون الريشة والحبر عندما يكتبون اسم **«يهوه»** ويضعون حركات كلمة **«أدوناى»** تحت اسم **«يهوه»** لمعاونة القارئ على تذكر نطق أدوناى بدل **«يهوه»**[٣] .

ج) هل **«يهوه»** هو الإله الواحد :

إن ممايؤسف له أن الإله الذى عرفه اليهود باسم **«يهوه»** وقدسوه- وغالوا فى تقديسه إلى الحد الذى ذكرنا من التحرج من النطق باسمه، وتخصيص محبرة خاصة لكتابة هذا الاسم- لم يكن هو الإله الواحد الذى يعبده كل الناس .

يقول الأستاذ/ حبيب سعيد : **«إن يهوه كان لقبًا لإله سامى فى ذلك العصر خاصة بين قبائل المُديانين الذين عاشوا فى حوريب»**[٤] .

ويقول ول ديورانت : **«عمد اليهود إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا**

---

(١) أسماء الله فى الكتاب المقدس ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

(٣) المرجع السابق ص٢٤، وانظر : أحمد ديدات : الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٦٤ ترجمة محمد مختار -ط/ المختار الإسلامى -القاهرة ١٩٩١ .

(٤) حبيب سعيد : أديان العالم ص١٦٥ .

عليها، وجعلوا منه إلهًا صارمًا، ذا نزعة حربية، صعب المراس، ثم جعلوا لهذه الصفات حدودًا تكاد تبعث الحب في القلوب، ذلك بأن الإله لايطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شئ»(١) .

وقد يقال بأن «**يهوه**» كان الإله الأوحد بالنسبة لليهود، ولكن هذا -أيضًا- مما تنفيه نصوص العهد القديم، التي تؤكد أنه إله من بين آلهة :

ففي سفر الخروج : «**من مثلك بين الآلهة يارب، من مثلك معتزًا في القداسة مخوفًا بالتسابيح صانعًا للعجائب**»(٢) .

وفي سفر التثنية : «**لأن الرب إلهكم هو رب الآلهة ورب الأرباب**»(٣) .

وهذا بالطبع غير فكرة التوحيد ذاتها، لأن عبادة إله من بين آلهة كثيرين معناه أنه وإن قامت هناك فعلاً آلهة كثيرة، فإن واحدًا فقط هو الذي ينبغي أو يجب أن يعبد، أما التوحيد فمعناه أن لايوجد فعلاً ولاينبغي أن يعبد إلا إله واحد(٤) .

يقول ول ديوارنت وهو يتابع سير العقيدة اليهودية :

«**ولم يكن يهوه الإله الوحيد الذي يعترف اليهود بوجوده، أو يعترف هو نفسه بوجوده، وشاهد ذلك أن كل مايطلبه في الوصية الأولى من الوصايا العشر هو أن يقوم مقامه فوق مقام سائر الأرباب**»(٥) .

ولقد تمادى اليهود في فكرة أن «**يهوه**» هو الإله الأوحد لإسرائيل، حتى أنهم آمنوا بأن عبادة «**يهوه**» -الإله الواحد- لاتجوز إلا في أرض إسرائيل، حتى أنه عندما حدث الشتات البابلي انصرف معظم الشعب عن العبادة محتجين بأن العبادة لاتجوز في أرض السبي والشتات. . «**كيف ترنم ترنيمة الرب في أرض غريبة**»(٦) .

ويمكن أن يقال إن الشتات البابلي أحدث هزة عنيفة في نفوس الشعب الإسرائيلي، يتبين منها أن يهوه لم يكن الإله الواحد، ذلك أن بعضهم كفر بعبادة يهوه نظرًا لأنه انهزم أمام إله بابل «**الإله مردوخ**»(٧) .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ٢/ ٣٤٠ .
(٢) الخروج ١٥ : ١٧ . (٣) التثنية ١٠ : ١٧ .
(٤) د/ محمد كمال جعفر : الإسلام بين الأديان ص١٨٥ مطبعة حسان -القاهرة- ١٩٧٧ .
(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣ .
(٦) المزامير ١٣٧ : ٤ .
(٧) انظر : د/ عبد الرحمن نور الدين : رحلة الإنسان مع الأديان ص٥٢ .

المطلب الثانى : هل عبد اليهود آلهة أخرى مع الإله الواحد :

إن اليهود وإن دعاهم أنبياؤهم إلى التوحيد الخالص، إلا أن عقولهم كانت دون المستوى الذى يمكنهم من فهم عقيدة التوحيد، برغم أن عقيدة التوحيد هى التى تنسجم معها الفطرة الإلهية التى فُطر الناس عليها.

فإذا ما أفسد الناس الفطرة بخرق قوانينها، والتعدى على سنن الله فيها، تفسد أخلاقهم وعقائدهم، وتضطرب كل أمور حياتهم.

ومن المعلوم أن بنى إسرائيل قد عاشوا فى أجواء قاتمة من الظلم والتسلط والاستبداد، حتى ألفوا الذل والمهانة، وهذا بالطبع على خلاف الفطرة.

فعيشتهم فى ظل الاستبداد والتسلط -كالعبيد يتنازعهم عدد من السادة- كان لها دور فى تشكيل عقيدتهم فى السيد المعبود، وأنه يمكن أن يكون أكثر من واحد.

يقول أستاذنا الدكتور/ محمد أحمد دياب:

«والثابت تاريخيًا أن الشعب الذى ينشأ فى عهد الاستبداد، ويساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقه، وتذل نفسه، ويذهب بأسه، ويألف الخضوع والمذلة والمهانة، فإذا طال عليه أمد الظلم أصبحت هذه الطباع المكتسبة موروثة كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية، ولذلك لم تفهم هذه الأمة حقيقة الإيمان بالله، ولم تقو عقول هذه الطائفة على فهم الذات العلية، التى تتصف بكل صفات الكمال، وتتنزه عن كل مظاهر النقص، والمخالفة للحوادث كما أخبر به القرآن الكريم وآمن به المسلمون»(١).

وقد حكى القرآن الكريم عدم فهم اليهود لعقيدة التوحيد، رغم دعاء الأنبياء لهم ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٢).

ولقد كانت بداوة اليهود -أيضًا- وراء جنوحهم إلى التعدد، فهم قد ظهروا على مسرح التاريخ بدوًا ورحلاً يخافون شياطين الهواء، ويعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال، ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل، ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبى، لأن عبادة العجول كانت لاتزال حية فى ذاكرتهم منذ أن كانوا فى مصر(٣).

---

(١) د/ محمد أحمد دياب: أضواء على اليهودية ص٤٧ ط دار المنار -القاهرة- ١٩٨٥.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(٣) قصة الحضارة ٢/ ٣٣٨.

حتى بعد انتقالهم إلى فلسطين لازالت بداوتهم تلاحقهم، فوجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، فكان أمرهم كأمر جميع الأجناس المتخلفة -التى تكون فى أحوال مماثلة- فلم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها ودعارتها وخرافاتها، فقدموا القرابين لجميع آلهة آسيا، فقربوا لعشتروت ولبعل ولمولك من القرابين ماهو أكثر جدًّا مما قدموا لإله قبيلتهم «يهوه» العبوس الحقود الذى لم يثقوا به إلا قليلاً من الزمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم[١].

وقد عبد اليهود الأفعى، كما يدل على ذلك أقدم آثارهم، ومنها الأفعى النحاسية، وسر تقديسهم لها أنها تمثل الحكمة والدهاء فضلاً عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان[٢].

وانتشرت -كذلك- بينهم عبادة الآلهة البدائية كعبادة الملائكة والقديسين، والمعتقدات السحرية التى كانت منتشرة فى العبادات القديمة، وظلت عندهم إلى عهود متأخرة[٣].

غير أنه يمكن القول أنه برغم انتشار تلك المعبودات الكثيرة بينهم إلا أن عبادتهم «ليهوه» كانت تعتبر أرقى مراحل العبادة عندهم.

ويؤكد هذا أن جمهرة من علماء الأديان والعقائد يقولون:

«إن إله اليهود «يهوه» هو تطور طبيعى وبطئ من مرحلة تعدد الآلهة التى مر بها اليهود، شأنهم شأن القبائل البدائية الأخرى -التى كان «يهوه» مجرد واحد منها- إلى مرحلة الإله الواحد، وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحرب الشعواء التى يشنها «يهوه» من خلال التوراة على غيره من الآلهة»[٤].

ففى سفر اللاويين **«ولاتعط من زرعك لمولك لئلا تدنس اسم إلهك»**[٥].

وفى الإصحاح العشرين من سفر اللاويين -أيضًا- يبدو «يهوه» وهو فى قمة غضبه وثورته، يتهدد ويتوعد من يعبد غيره من الآلهة، ويجعل جزاءه الرجم، وإن لم يرجمه

---

(١) غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص٢٠، وانظر سفر الملوك الثانى ٢٣: ١٢,

(٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٣٨ بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٣٩.

(٤) انظر: التوراة تاريخها وغاياتها ص٨٠ د/ إبراهيم محمد إبراهيم: اليهودية فى أسفارها المقدسة ص١٦٦.

(٥) اللاويين ١٨: ٢١.

شعب إسرائيل فإنه يغضب عليه وعلى عشيرته، يقول السفر :

«وكلم الرب موسى قائلاً: وتقول لبنى إسرائيل كل إنسان من بنى إسرائيل ومن الغرباء النازلين فى إسرائيل أعطى من زرعه لمولك فإنه يقتل، يرجمه شعب الأرض بالحجارة، وأجعل أنا وجهى ضد ذلك الإنسان وأقطعه من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك لكى ينجس مقدسى ويدنس اسمى القدوس، وإن غمض شعب الأرض أعينهم عن ذلك الإنسان عندما يعطى من زرعه لمولك فلم يقتلوه فإنى أضع وجهى ضد ذلك الإنسان وضد عشيرته، وأقطع جميع الفاجرين وراءه بالزنى وراء مولك من شعبهم»[١] .

ومولك هذا هو إله العمونيين، الذى كانوا يسمونه إله النار، وقد ظنوا أن قوة الشمس حالة فيه، وكان تمثالاً من نحاس على صورة إنسان أجوف لإشعال النار فى داخله، وهو باسط ذراعيه لتقبل القرابين عليهما، وأما رأسه فرأس عجل متوج بإكليل[٢] .

ونلاحظ من نص سفر اللاويين السابق أن غضب «يهوه» -على من يعبد آلهة غيره- ليس خاصًا بالإسرائيليين بل إن الغرباء النازلين فى أرض إسرائيل يجب أن يُقسَروا على عبادة «يهوه» وتقديم القرابين له .

ويبدوا من هذا -أيضًا- أن تصور اليهود للذات العلية كان قد أخذ فى الرقى شيئًا فشيئًا، وجعل يتخلص -نوعًا ما- من شوائب النقص والتجسيم، غير أنه قد بقى لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهًا خاصًا بهم، وهو إله إسرائيل، وأنهم هم أولاده وأحباؤه، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى، وأن إلههم فى صراع مع هذه الآلهة، ولم يتخلص إلههم هذا كل التخلص من صفات الحوادث بل ظل عالقًا به -فى نظرهم- بعض هذه الصفات[٣] .

فهو إله عجيب : يندم، ويبكى، ويتعب ويستريح، ويصارع البشر، ويأمر بالسرقة، ويُرى ماشيًا، ويأتى إلى الناس فى مضاجعهم وغير ذلك .

المطلب الثالث : صفات الإله كما يصورها سفر اللاويين :

الحق أن سفر اللاويين يصف الإله بصفات بشرية، لاتليق بالذات المقدسة،

---

(١) اللاويين ٢٠ : ١-٥ .

(٢) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٢٠ بتصرف يسير .

(٣) انظر : د/ على عبد الواحد واف : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٣٠ .

ولاحتى بفضلاء البشر، ومن ذلك :

١- الإله يسر برائحة الدخان المتصاعد من المحرقات :

يصف السفر الإله بأنه يتلذذ باستنشاق رائحة الدخان المتصاعد من حرق الذبائح، وينتعش جدًّا لهذا الأمر، حيث تكرر فى أكثر من موضع فى السفر عبارة «**رائحة سرور للرب**» وهأنذا أذكر لك مواضعها بالتحديد [١ : ٩ ، ١ : ١٣، ١ : ١٧، ٢ : ٢، ٢ : ٩، ٣ : ٥، ٤ : ٣١، ٦ : ١٥، ٦ : ٢١، ٨ : ٢١، ٢٣ : ١٨]

ويحذر الإله بنى إسرائيل فى نفس السفر أنه إذا غضب عليهم لايشتم رائحة سرورهم فيقول :

«**وإذا كنتم بذلك لاتسمعون لى بل سلكتم معى بالخلاف، فأنا أسلك معكم بالخلاف . . وأصير منكم خربة ومقادسكم موحشة، ولاأشتم رائحة سروركم**»(١) .

فأى إله ذلك الذى يشبه الرجل البطين، الذى يسيل لعابه، وتتحرك أمعاؤه لمجرد أن يشتم رائحة طهى أو إعداد للطعام؟ إنه «يهوه» إله إسرائيل !!!!!

٢- الإله يحب الشحم من الذبائح :

يصف السفر الإله بأنه يحب الشحوم من الذبائح، ويختص بها نفسه، ويحرمه على بنى إسرائيل، ويجعل هذا الحكم فريضة أبدية، يقول السفر :

«**كل الشحم للرب فريضة دهرية فى أجيالكم فى جميع مساكنكم لا تأكلوا شيئًا من الشحم ولا من الدم**»(٢) .

وقد فصل فى أكثر من موضع :

* ففى ذبيحة الإثم : «**وهذه شريعة ذبيحة الإثم . . . يقرب منها كل شحمها الألية والشحم الذى يغشى الأحشاء، والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين**»(٣) .

* وفى ذبيحة السلامة : «**يقرب من ذبيحة السلامة وقودًا للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء، والكليتين والشحم الذى عليهما . . .**»(٤)

وفى ذبيحة الخطية : «**وجميع شحم ثور الخطية ينزعه عنه، الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما**»(٥) .

---

(١) اللاويين ٢٦ : ٢٧-٣١ .
(٢) اللاويين ٣ : ١٦-١٧ .
(٣) اللاويين ٧ : ١-٤ .
(٤) اللاويين ٣ : ٣-٤ .
(٥) اللاويين ٤ : ٨-٩ .

وخوف الإطالة فإنى أحيل القارئ الكريم إلى أرقام المواضع التى ذكر فيها الكلام عن الشحم وحب الإله له واختصاصه به:

[٣ : ٣-٤ ، ٣ : ٩-١٠، ٣ : ١٤-١٥ ، ٤ : ٨-٩، ٤ : ١٩، ٤ : ٢٦ ، ٤ : ٣١ ، ٤ : ٣٥، ٧ : ١-٤، ٧ : ٢٣، ٧ : ٣٠ ، ٨ : ١٦، ٨ : ٢٥ ، ٩ : ١٠، ٩ : ١٩-٢٠، ١٧ : ٦] وهى فى حدود ستة عشر موضعًا.

وليت السفر يكف عند وصف الإله بحبه للشحم، بل إنه يصفه بأنه يغار ممن يأكل الشحم من القرابين، ويجعل الموت جزاءً وفاقًا له: يقول السفر : «**إن كل من أكل شحمًا من البهائم التى يقرب منها وقودًا للرب تقطع من شعبها النفس التى تأكل**»[١].

خبرونا ياأهل الكتاب: لماذا كل هذا الشره على الشحوم؟

يجيب الأستاذ / نجيب جرجس -وهو من أكابر مفسرى العهد القديم: «**وقد اختار الله الشحم لأنه كان يعتبر من أثمن الأجزاء فى الذبيحة، وربما لأنه سهل الإيقاد**[٢]، ولأن الشحم وهذه الأجزاء من الذبائح غنية بمادة الكولسترول الذى تسبب زيادته فى طعام الإنسان أمراضًا كثيرة كارتفاع ضغط الدم، وانسداد الشرايين -وغيرهما- فلعل الله بحكمته أراد أن يجنب الإنسان الإصابة بكثير من الأمراض بمنعه عن الإكثار من تناول هذه الأجزاء من الحيوان»[٣].

فياله من إله -بعد كل هذا الشره- يفيض رحمة وعطفًا !!!

أفلا ينبغى للإله الذى يشفق على عبيده من الأمراض، أن يرفق بهم فى أحكامه، بدلاً من أن يجعل القتل عقوبة لمن أكل شيئًا من الدهن؟

٣- الإله يحب الأحشاء والأكارع:

كما يصف السفر الإله بأنه يحب الأحشاء والأكارع، ويسر برائحة حرقها وشوائها، ففى أكثر من موضع: «**وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء، ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب**». [١ : ٩، ١ : ١٣ ، ٨ : ٢١ ، ٩ : ٤]

٤- الإله يوصى بالملح عند تقديم القرابين:

---

(١) اللاويين ٧ : ٢٥ .

(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٢ .

(٣) المرجع السابق ص٣٥ .

ففى الإصحاح الثانى من السفر : «**وكل قربان من تقادمك بالملح تملحه، ولاتخل تقدمتك من ملح عهد إلهك، على جميع قرابينك تقرب ملحًا**»[(١)] .

ولو سألنا أهل الكتاب : أفهمونا لماذا الملح فى القرابين؟

لقالوا : «**كانت التقدمات تملح بملح لأن الملح يحفظ الأشياء من الفساد**»[(٢)] .

ويبدو أن «**يهوه**» لم تكن عنده الثقة أو القدرة على أن يجدد لنفسه رزقًا إذا نفد مايقدمه له عباده، فكان يطالبهم بتمليح مايرزقونه من تقدمات ليحتفظ بها أطول وقت ممكن ! ! .

٥- الإله يحب الفريك المشوى :

فى الإصحاح الثانى من السفر يطالب «**يهوه**» شعب إسرائيل بتقديم الفريك المشوى بالنار، ثم يأمرهم بدشه وجعله ناعمًا : «**وإن قربت تقدمة باكورات للرب ففريكًا مشويًا بالنار جريشًا سويقًا تقرب باكوراتك**»[(٣)] .

٦- الإله يحب الأكل على الموائد :

فى الإصحاح الرابع والعشرين من السفر يأمر «**يهوه**» شعبه أن يجعلوا الطعام على المائدة صفين أمامه :

«. . **وتجعلها صفين كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب**»[(٤)] .

وكان إعداد المائدة الطاهرة يتم فى ظل طقس معين بحيث كان يقوم بهذا العمل ثمانية من الكهنة، يدخل منهم أربعة إلى القدس ليحملوا الخبز الذى كان موضوعًا على المائدة من السبت الماضى، ويتبعهم آخرون، اثنان منهم يحملان الخبز الجديد، واثنان يحملان إناء اللبان، وحالما يرفع الكاهن الخبز القديم يضع الكاهن الخبز الجديد فورًا بحيث لاتخلو المائدة لحظة واحدة من خبز الحضرة، وكان الكهنة الذين يحملون الخبز الجديد يجعلون أيديهم فوق أيدى الكهنة الذين يرفعون الخبز القديم، ويجعلون الجديد فوق القديم[(٥)] .

٧- الإله يظهر فى صورة سحاب :

فى الإصحاح السادس عشر من السفر يحذر «**يهوه**» من الدخول إلى القدس فى كل

---

(١) اللاويين ٢ : ١٣ .

(٢) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٨ .

(٣) اللاويين ٢ : ١٤ .

(٤) اللاويين ٢٤ : ٦ .

(٥) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٢٦ .

وقت حيث تابوت عهد الرب، لأن الله يظهر على غطاء التابوت:

«وقال الرب لموسى كلم هارون أخاك أن لايدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت، لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء»(١).

ويوضح فى سفر الخروج سر هذا التحذير وهو أن بعض الكهنة كان ربما يحاول خلسة أن يرى الرب كما صنع هارون وابناه ناداب وأبيهو والسبعون من شيوخ إسرائيل يقول السفر:

«ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا»(٢).

جل من لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

٨- الإله يتعب ويستريح:

فى الإصحاح الثالث والعشرين من السفر يذكر أن الرب يتعب ويستريح، ويخصص لنفسه يوم عطلة من العمل ليستعيد نشاطه وقوته:

«ستة أيام يعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس، عملاً مالاتعملوا، إنه سبت للرب فى جميع مساكنكم»(٣).

وكلمة سبت للرب: أى راحة للرب، لأن السبت من السبوت وهو السكون والراحة، والذى يستريح لابد أنه قد أصابه التعب، وفى سفر التكوين يوضح «يهوه» سر تقديسه لهذا اليوم فيقول: **«وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل»**(٤).

فأى إله ذلك الذى يلحقه التعب والنصب؟

إن التعب والنصب من شأنه أن يلحق البشر، أما الإله الحق الذى وجب له كل كمال يتنزه عن لحوق التعب والنصب، إذ يقول -جل ذكره عن نفسه-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٥).

---

(١) اللاويين ١٦ : ٢.
(٢) الخروج ٢٤ : ٩-١١.
(٣) اللاويين ٢٣ : ٣.
(٤) التكوين ٢ : ٢-٣.
(٥) سورة ق الآية (٣٨).

٩- الإله يحب شعب إسرائيل وحده:

فى الإصحاح العشرين يصف السفر الإله «يهوه» أنه يحب شعب إسرائيل وحده، ويميزهم من بين الشعوب:

«**أنا الرب إلهكم الذى ميزكم من الشعوب**»(١)، وفيه -أيضًا- «**تكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى**»(٢). بل إن السفر ليذكر أن «يهوه» لايقبل القرابين من الغرباء لأنها فاسدة: «**ومن يد ابن الغريب لاتقربوا خبز إلهكم من جميع هذه لأن فيها فساد... ولايرضى بها عنكم**»(٣).

بل إن السفر يصور الإله أنه مهما صنع بنو إسرائيل وتخلو عن فرائضه فإنه لايتخلى عنهم لأنهم شعبه، ويرحمهم من أجل آبائهم القديسين الذين أحبهم وأحبوه، ومن أجل عهده معهم، يقول السفر: «**أذكر ميثاقى مع يعقوب، وأذكر -أيضًا- ميثاقى مع إسحاق، وميثاقى مع إبراهيم وأذكر الأرض**»(٤).

ويحكى السفر أن الرب «يهوه» مهما غضب على بنى إسرائيل لعصيانهم فإنه لايتركهم حتى وهم مشتتون متغربون فى أرض أعدائهم:

«**والأرض تترك منهم وتستوفى سبوتها فى وحشتها منهم وهم يستوفون عن ذنوبهم لأنهم قد أبوا أحكامى، وكرهت أنفسهم فرائضى، ولكن مع ذلك متى كانوا فى أرض أعدائهم ما أبيتهم ولاكرهتهم حتى أبيدهم، وأنكث ميثاقى معهم، لأنى أنا الرب إلههم، بل أذكر لهم الميثاق مع الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلهًا أنا الرب**»(٥).

فأى إله ذلك الذى يقف -هكذا- عاجزًا عن الانتقام من العصاة والمعتدين، بحجة أنهم شعب قطع معه عهدًا وميثاقًا؟

إنه إله من صنع شعب إسرائيل، فهم خالقوه، وليس هو خالقهم.

أين هذا من الإله الحق الذى يحدثنا القرآن الكريم عن غيرته على أحكامه وفرائضه، وقدرته على الانتقام ممن يجحدونها، فليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، لاشعب مختار ولامحتار.

---

(١) اللاويين ٢٠: ٢٤.
(٢) اللاويين ٢٠ : ٢٦.
(٣) اللاويين ٢٢ : ٢٥.
(٤) اللاويين ٢٦ : ٤٢.
(٥) اللاويين ٢٦ : ٤٣-٤٤.

يقول تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣).

ويحدثنا كذلك عن إهلاك الظالمين من بنى إسرائيل: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ (٤).

وقد وقع عليهم هذا العذاب وموسى لايزال بين أظهرهم: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (٥).

ونستطيع أن نستنتج من تلك الصورة الغريبة -التى يصور بها سفر اللاويين «يهوه» إله اليهود- أنه لم يكن هو رب العالمين المستحق للعبادة.

بل هو إله خاص بشعب إسرائيل لايأمرهم بل يأتمر بأمرهم، ولايعاقبهم مهما أخطأوا، بل يحارب من أجلهم، ويطرد الشعوب من أمامهم.

وبهذا يتضح -أيضًا- أن فكر اليهود قد انحرف -جدًّا- فى عقيدة الإله، لدرجة كبيرة من الفساد، وبالطبع ترتب على فساد هذه العقيدة -التى هى أساس الفطرة- ظهور الخلل والفساد -أيضًا- فى كثير من العقائد الأخرى، كاعتقادهم فى الأنبياء والرسل، فقد رأوهم مجرد سحرة أو عرافين، وكاعتقادهم فى اليوم الآخر، الذى ربطوه بانتصار «يهوه» لهم من كل الشعوب، وغير ذلك مما سنوضحه فى المبحثين التاليين إن شاء الله.

* * *

---

(١) سورة ق الآية (٣٦).
(٢) سورة القمر الآيات (٤١، ٤٢).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٤٠).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٦٢).
(٥) سورة الأعراف الآية (١٣٤).

المبحث الثانى

حديث السفر عن الأنبياء وموقف الإسلام من ذلك

المبحث الثانى

حديث السفر عن الأنبياء وموقف الإسلام من ذلك

الحق أنه لايمكن فهم النبوة على أحسن وجه إلا من خلال البدء بتحليل لفظة نبى (Nabi) فإن تاريخ اللفظة وتطور دلالتها يتجلى عن بناء كامل من الأفكار والحقائق التى يتعذر فى غيابها النفاذ إلى طبيعة النبوة اليهودية .

إلا أن ظهور اللفظة فى العبرية يكشف عن قبائل استغرقتها نزعة حسية فجة حتى أنه عندما بدأ الرب وحيه إليهم بحثوا عن لفظ يطلقونه على ذلك الذى ينقل إليهم وحى الرب، وحين لم يجدوا فى لغتهم المتداولة مايصلح لذلك اضطروا للاستعارة والاقتراض من اللغات الأخرى المجاورة[١] .

وهكذا ظهرت لفظة (نبى) العبرية وهى تدين بأصل وجودها إلى لغات القبائل والشعوب المجاورة، ويبدو أن هذا الأصل المستعار أكسب اللفظة قدرًا من المرونة والقابلية على اكتساب المعنى المتجدد لأنها لم ترتبط بنظام اشتقاقى أصيل تقيد بالنظام المعجمى الذى تتطور اللغة تبعًا له، ولذا كان تطورها غير مقيد بحيث كان المعنى الذى تعطيه لفظة (نبى) يرتبط بالدور الذى كان يؤديه النبى، ولاشك أنه دور متطور يعنى أن أى تغير فى هذا الدور كان يعنى تغيرًا فى طبيعة النبوة ومعناها، وقد أدى هذا الارتباط إلى التصاق اللفظة بطابع وظيفى[٢] .

ولاشك أن هذا الطابع هو المسئول عن الطابع المنفتح للنبوة اليهودية، الذى جعل منها بناءً مفتوحًا لايكتمل بحيث أصبح فى متناول كل شخص يؤدى وظيفة أو يلعب دورًا فى صياغة حياة الشعب اليهودى أن يصبح نبيًا .

وربما كان هذا الذى يستطيع أداء الدور امرأة فتصبح نبية أيضًا، وأشهر تلك النبيات

(١) د/ على مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ ص٤٠ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص٤١، وانظر: م . ص سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل ص٣٠ ترجمة د/ حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت -بدون تاريخ- (ويقول الدكتور حسن ظاظا: المؤلف (أى سيجال) من أبرز المفكرين اليهود وأكثرهم تبحرًا فى علوم التوراة وأصول الشريعة والعقيدة عندهم، فهو أستاذ للعهد القديم فى الجامعة العبرية فى إسرائيل) .

اللاتى ورد ذكرهن فى التوراة: مريم أخت موسى وهارون، التى جاء عنها فى سفر الخروج «**فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف . . . . .**»[(١)] .

ودبورة التى جاء عنها فى سفر القضاة «**ودبورة امرأة نبية زوجة لقيدوت هى قاضية إسرائيل فى ذلك الوقت**»[(٢)] .

وخلدة التى ذكرها سفر الملوك الثانى «**. . . إلى خلدة النبيه امرأة شلوم . . .**»[(٣)] .

«وكانوا يعتبرون زوجات الأنبياء نبيات -أحيانًا- دون أن تكون لهن أية موهبة نبوية»[(٤)] .

وهذا يؤكد أن اليهود لم يكونوا يفهمون رسالة الأنبياء على أنهم مختارون من الله لتبليغ مشيئته، وإنما اعتبروا الأنبياء كما يعتبرهم معاصروهم من الوثنين طائفة من المشعوذين الذين يتلقنون علوم التنجيم والعرافة وقراءة الغيب ومعرفة الطالع فى مدارس مخصصة لذلك . . . وكان أولئك المدعون بالأنبياء يتخذون التنبؤ حرفة لهم وبضاعة يعرضونها على كل من يطلبها ويتقاضون عليها أجرًا[(٥)] .

وعلى هذا الأساس بنى اليهود معاملاتهم مع الأنبياء، فربما رفعوا الكهنة إلى مصاف الأنبياء، أو هبطوا بالأنبياء إلى درجة الكهانة .

لذلك يقول صاحب معالم تاريخ الإنسانية وهو يتحدث عن اليهود:

«**ويبدو أن الأنبياء الأول أشد الناس شبهًا بالكهنة الأول، فإنهم يستلهمون الوحى، ويقدمون النصح، وربما لم يكن هناك أى فارق كبير بين الكاهن والنبى إبان الأيام الأول التى كانت العبادة فيها تقام على مرتفعات كثيرة فى البلاد، والتى كانت الفكرات الدينية فى أثنائها غير مستقرة نسبيًا**»[(٦)] .

وقد جاء القرآن الكريم يحكى هذا اللون من اعتقاد الناس فى الأنبياء: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [(٧)] . والذين من قبل العرب

---

(١) الخروج ١٥ : ٢٠ . (٢) القضاة ٤ : ٤ .

(٣) الملوك الثانى ٢٢ : ١٤ .

(٤) زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص٨٨، وانظر: د/ إبراهيم محمد إبراهيم: اليهودية فى أسفارها المقدسة ص١٥٨ .

(٥) المجتمع اليهودى ص٨٩ .

(٦) ولز: معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٣٠١-٣٠٢ باختصار -ترجمة عبد العزيز جاويد ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٩٤م .

(٧) سورة الذاريات الآية (٥٢) .

أمم كثيرة، من أكبرهم وأكثرهم أنبياءً بنو إسرائيل، فهم كانوا يرون النبوة ضربًا من السحر والجنون والشعوذة.

ولاشك أن هذا الفهم الخاطئ للنبوة عند اليهود، جعلهم لا يعتقدون لنبى فى عصمة، بل النبى كالكاهن والساحر، يخطئ، ويقارف الآثام.

والذى يراجع أسفار العهد القديم -جملة- يجدها مدنسة بنسبة أخطاء جسام، تقشعر منها الجلود والأبدان، يتحاشاها الفضلاء من البشر، فضلاً عن الأنبياء والرسل، كأن ينسبوا إلى نوح السكر والتعرى(١)، وإلى لوط الزنى بابنتيه(٢)، والكذب والمتاجرة بالعرض لأبى الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم(٣)، والزنى لداود وسليمان(٤)، وغير ذلك كثير...

ويهمنا أن نذكر هنا الأنبياء الذين تحدث عنهم سفر اللاويين -موضع الدراسة- وهما:

١- موسى عليه السلام ٢- هارون عليه السلام

والحق أن السفر لم يتحدث عن موسى وهارون حديثًا مباشرًا، ولكن بما أن السفر يسمى سفر الأحبار (الكهان) فقد تحدث عن الأعمال المناطة بموسى وهارون وهى أعمال الكهانة.

ولعل تركيز سفر اللاويين على هذا اللون من الحديث عن النبيين موسى وهارون هو الذى حدا بالمؤرخ العالمى الكبير: ول ديورانت أن يقرر ويقول:

«ويبدو أن اليهود كانوا ينظرون إلى موسى وهارون على أنهما ساحران، وأنهما كانا يناصران السحرة والعرافين»(٥).

وقد جاء القرآن الكريم يقص لنا قصصًا صريحًا عن فكر الناس وقتئذ فى موسى وهارون، بعد أن تنازع القوم أمرهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾(٦).

---

(١) انظر: التكوين ٩ : ٢١.
(٢) انظر: التكوين ١٩ : ٣٠-٣٧.
(٣) انظر: التكوين ١٠ : ١٠-١٧.
(٤) انظر: صموئيل الثانى ١١: ٣-١٦، الملوك الأول ١١ : ١-٦.
(٥) قصة الحضارة ٢/ ٣٣٩.
(٦) سورة طه الآية (٦٣).

ويقول المعلم شميد: «**إن الشعب كان أكثر الأحيان مايهين موسى، ويتمرمر متزمرًا على الله، فقد عصوه حينما أمرهم بدخول الأرض المقدسة وصدقوا كلامًا كاذبًا، وارتفع فى المحلة أصوات الندب، وكانوا يقولون لو أننا نرجع إلى مصر أو نموت بالبرية، وهذا قد كان خطأ عظيم قدام الله**»(١).

وبرغم أن موسى وهارون -فى نظر بنى إسرائيل- هما بطلا الهروب بالشعب من مصر، لإنقاذهم من فرعون، إلا أن تعامل بنى إسرائيل مع الأنبياء كان بنفس الأسلوب الذى تعاملوا به مع إلههم، فأرادوا أن يسوقوا الأنبياء أمامهم لتحقيق أغراضهم ومطامعهم بدلاً من أن يقودهم الأنبياء إلى الطريق الذى يجب أن يسلكوه.

وإذا كانت وظيفة إله بنى إسرائيل محددة فى أن يحقق لهم النصر على الأعداء، فقد تحددت وظيفة الرسل عندهم فى أن يكونوا واسطة بينهم وبين هذا الإله، وبلغة الحرب -الكامنة فى أعماق بنى إسرائيل- إذا كان إله بنى إسرائيل عندهم هو (رب الجنود) فإن النبى فى بنى إسرائيل يعتبر بمثابة أركان حرب جيش اليهود المحارب(٢).

لذلك من الصعب جدًّا أن تعثر فى سفر اللاويين -أو سائر الأسفار الخمسة- على خطاب مباشر يوجه إلى بنى إسرائيل من غير أن يكون فيه «**وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل**»(٣) أو «**وكلم الرب موسى وهارون قائلاً كلما بنى إسرائيل وقولا لهم**»(٤).

ويتحدث السفر عن موسى وهارون فيبرزهما فى صور مختلفة من ذلك:

١- السفر يبرز موسى وهارون فى صورة خدمة النار فى الديانات الوثنية:

يبرز السفر النبيين موسى وهارون فى صورة الموابذة(٥) الذين يعكفون على خدمة النار فى معابد بلاد الفرس وماشابه، ويتضح هذا من حديث السفر عنهما أنهما الواقفان أمام المذبح لتقديم القرابين، وإيقاد النار:

يقول السفر فى أكثر من موضع:

«**ويجعل بنو هارون الكاهن نارًا على المذبح، ويرتبون حطبًا، ويرتب بنو هارون الكهنة**

---

(١) المعلم شميد: مختصر تاريخ التوراة ص٤٩، ٥٠ طبع بأورشليم فى دير الرهبان الفرنسيسكان ١٨٥٦.

(٢) د/ عبد الغنى عبود: اليهود واليهودية والإسلام ص٣٩ -بتصرف- ط دار الفكر العربى -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٢.

(٣) اللاويين ١٢ : ١.

(٤) اللاويين ١٥ : ١-٢.

(٥) الموابذة: هم كبار رجال الدين فى الزرادشتية.

القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح»[١] .

وفى الإصحاح الثالث « . . ويوقدها بنو هارون على المذبح على المحرقة التى فوق الحطب الذى على النار»[٢] .

وفى الإصحاح السادس «والنار التى على المذبح تتقد عليه لاتطفأ ، ويشعل عليها الكاهن حطبًا كل صباح ، ويرتب عليها المحرقة . . . نار دائمة تتقد على المذبح لاتطفأ»[٣] .

وفى الإصحاح الثامن «وأخذ موسى الدم وجعله على قرون المذبح مستديرًا بإصبعه وطهر المذبح ثم صب الدم إلى أسفل المذبح . . . وأخذ كل الشحم . . . وأوقده موسى على المذبح . . . » [٤] .

وفيه -أيضًا- «وأوقد موسى كل الكبش على المذبح»[٥] .

«فتقدم هارون إلى المذبح وذبح عجل الخطية . . . ثم ذبح المحرقة فناوله بنو هارون الدم فرشه على المذبح مستديرًا ، ثم ناولوه المحرقة بقطعها والرأس فأوقدها على المذبح»[٦] .

«ودخل موسى وهارون إلى خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركا الشعب»[٧] .

فهذه الصورة التى يرسمها السفر للنبيين موسى وهارون صورة وثنية جاهلة ، ولم تكن تختلف عن صورة الموابذة والهرابذة فى الزرادشتية[٨]

فقد كانوا هم الذين يشرفون على شئون العبادات والطقوس الدينية فى هياكل النار[٩] .

ولعل ممايؤكد الشبه بين موسى وهارون -فى الفكر اليهودى- وبين موابذة النار فى الزرادشتية هو الاتفاق فى كثير من الطقوس التى يقوم بها كل منهم ، فإذا كان موسى وهارون قد أمرا أن يوقدا على المذبح نارًا لاتطفأ ، فإن موابذة النار كانوا حريصين على أن يوقد فى كل هياكلهم شعلة من النار ، وأن تظل هذه الشعلة متوهجة[١٠] .

---

(١) اللاويين ١ : ٧-٨ .
(٢) اللاويين ٣ : ٥ .
(٣) اللاويين ٦ : ١٢-١٣ .
(٤) اللاويين ٨ : ١٥-١٧ .
(٥) اللاويين ٨ : ٢١ .
(٦) اللاويين ٩ : ٨-١٣ .
(٧) اللاويين ٩ : ٢٣ .
(٨) ديانة تنسب إلى رجل اسمه زرادشت كان فى نواحى أذربيجان وكان يقول بإله للنور وآخر للظلمة، «يزدان وأهريمان» وهما أساس الموجودات فى العالم، ثم حصلت التراكيب من امتزاجهما . انظر الشهرستانى: الملل والنحل ٢/ ٤٢ ط عيسى الحلبى ١٩٦٨ .
(٩) انظر : أ/ حامد عبد القادر: زرادشت الحكيم ص٩٨ -ط/ دار الكتاب العربى -بيروت .
(١٠) انظر : المرجع السابق ص٨٦، ٨٧ .

ولاشك أن هذه النظرة التى كان ينظرها اليهود لموسى وهارون ومن بعدهما من الأنبياء كانت مليئة بالتأثر من عيش اليهود فى السبى البابلى.

لذلك يقول الأستاذ/ حبيب سعيد:

«لايدهشنا أن نرى اليهود بعد السبى يتأثرون بدين زرادشت، فى كثير من العقائد عن السماء وجهنم، وعن الدينونة ونهاية العالم، وكذلك عقيدة الكهنوت... وغير ذلك»(١).

٢- السفر يجعل هارون كاهنًا طبيبًا لانبيًا مرسلاً:

وتارة أخرى يصور السفر هارون عليه السلام فى صورة الكاهن الطبيب الذى يحصل منافع واسعة، مما يحكم به على المرضى من كفارات للبرء من أمراضهم.

فمريض البرص عند علاجه وطهره يأتى بخروفين ونعجة ودقيق وزيت، يقول السفر:

«وكلم الرب موسى قائلاً: هذه شريعة الأبرص يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن.... فإن رأى الكاهن وإذا ضربة البرص قد برئت من الأبرص، يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران... ثم... يأخذ خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية صحيحة وثلاثة أعشار دقيق تقدمة ملتوتة بزيت....» (٢).

وكذلك مريض السيل، والمرأة التى لا تلد.. الكل يأتى إلى الكاهن الطبيب الذى يبتز أموال المرضى، لا النبى المرسل.

لننظر ماذا يقول القرآن الكريم عن هارون النبى عليه السلام وهو يبين أن إرساله كان رحمة لبنى إسرائيل، يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ (٣).

ويحكى القرآن غباء بنى إسرائيل وكيف فهموا رحمة هارون عليه السلام على أنها ضعف، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ (٤).

فهل يمكن أن يكون هارون -هذا- هو هارون الذى صوره سفر اللاويين ككاهن طبيب يبتز الأموال ويرهق المرضى؟

٣- السفر ينفى عصمة موسى وهارون:

---

(١) أديان العالم ص ١٦٠، ١٦١ بإيجاز.
(٢) اللاويين ١٤: ١-١٠.
(٣) سورة مريم الآية (٥٣).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

وتارة أخرى يصور السفر موسى وهارون أنهما غير معصومين، فهارون يخطئ وموسى يجامله ويحابيه بقبوله التكفير عن خطاياه.

يقول سفر اللاويين:

«وكلم الرب موسى قائلاً: خذ هارون وبنيه... واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع... ففعل موسى كما أمره الرب... فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء... ثم قدم ثور الخطية، ووضع هارون وبنوه أيديهم على رأس ثور الخطية، فذبحه... ثم قدم كبش المحرقة فوضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش فذبحه...»(١).

وخطايا هارون التى يتحدث سفر اللاويين عن تكفيرها -قبل مسحه كاهنًا- كثيرة، من أكبرها عبادة العجل الذى تزعم التوراة أنه صنعه لبنى إسرائيل -فى فترة غياب موسى لتلقى الألواح على جبل الطور- وبنى له مذبحًا، وجعل يرقص ويغنى هو والشعب عراة عنده، حتى جاءه موسى، وقال له: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة، وأمر الشعب أن يقتل كل واحد أخاه للتوبة والتكفير عن الخطيئة(٢).

ولاأدرى لماذا لم يقتل هارون -الذى يتحدث عنه السفر- وهو جالب الخطية العظيمة التى أوجبت قتل كل الشعب؟

أم أنه أخو موسى -الذى يتحدث عنه السفر أيضًا- فاكتفى بالتكفير عن خطيئته دون قتله؟

فأين عصمة الأنبياء؟ هارون يخطئ ويقارف الآثام، وليست أخطاء محتملة للعفو أو المغفرة، بل هو الشرك -أعاذنا الله منه- وموسى يحابى أخاه ويجامله ويعافيه من المصير الذى حكم به على كل الشعب!

أين هذا مماحكاه القرآن الكريم عن عصمة موسى وهارون، وأنهما هاديان يهديان الناس إلى الطريق القويم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

---

(١) اللاويين ٨ : ١-١٩.

(٢) راجع: الإصحاح ٣٢ من سفر الخروج.

(٣) سورة الصافات الآيات (١١٤-١٢١).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [١]. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [٢].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٣].

ومن هنا ندرك أن موسى وهارون اللذان تحدث عنهما السفر، ليسا بالنبيين اللذين يعرفهما المسلمون، ويؤمنون بهما.

ومن طريف مايذكر: «**أن رجلاً من اليهود قدم البصرة**[٤] فجعل يناظر أهلها فقطع جماعة من متكلميها، فبلغ أبا الهذيل[٥] خبره فقال لعمه ياعم: امض بنا إلى هذا اليهودى حتى أكلمه فقال له عمه: يابنى: كيف تكلمه وقد عرفت خبره، وأنه قطع مشايخ المتكلمين؟ فقال له: لابد من أن نمضى إليه، قال أبو الهذيل: فأتيته فوجدته يقرر الناس بنبوة موسى فإذا اعترفوا له بها قال نحن على مااتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ماتدَّعونه[٦]، فتقدمت إليه فقلت: أسألك أم تسألنى؟ فقال: بل أسألك، فقلت: ذلك إليك، فقال: أتعرف بأن موسى نبى الله صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن كان موسى الذى تسألنى عنه هو الذى بشر بنبيّي وشهد بنبوته وصدقه فهو نبى صادق، وإن كان غير من وصفت، فذلك شيطان لاأعترف بنبوته، ثم قال اليهودى: أتقول أن التوراة حق؟ فقال أبو الهذيل: هذه المسألة تجرى مجرى الأولى: إن كانت التوراة التى تسألنى عنها هى تتضمن البشارة بنبيي -عليه الصلاة والسلام- فتلك حق، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقر بها، فبهت وأفحم ولم يدر مايقول»[٧].

وهذا يعنى أن أى وصف لموسى عليه السلام أو توراته غير الذى نعرف من الحق، يجعله وكتابه غير الذى نعرف تمامًا.

---

(١) سورة مريم الآيات (٥١-٥٣). (٢) سورة المؤمنون الآية (٤٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٥).

(٤) البصرة: مدينة فى العراق على شط العرب، تأسست فى عهد عمر بن الخطاب، وتعتبر من أهم المدن فى العراق. انظر: المنجد ٢/ ١٣٤.

(٥) أبو الهذيل: هو أبو الهذيل العلاف أحد شيوخ المعتزلة بالبصرة، وله شطحات كبيرة.

(٦) يقصد: عدم الإقرار بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٧) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٧ ط دار الكتاب العربى - بيروت.

المبحث الثالث

اليوم الآخر فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

المبحث الثالث

اليوم الآخر فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

لقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور، وتؤمن باليوم الآخر، والحساب والجنة والنار، كما أخبرنا بذلك قرآننا المجيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

إلا أنه مع تطاول الأزمان اجترأ اليهود على الوحى المقدس الذى يحمل أصول العقيدة -ومنها عقيدة الإيمان باليوم الآخر- وألفوا أسفارًا خلت من التعرض لذكر عقيدة اليوم الآخر، الذى يجازى الناس فيه على أعمالهم.

«وهذه الأسفار -المنحولة- هى التى شكلت الفكر اليهودى، وجعلت العالم الحاضر هو مجاله الأوحد، وليس وراء ذلك شيء» (٣).

نعم قد يلوح للباحث فى التراث الإسرائيلى -خصوصًا فى أسفار الأنبياء المتأخرين- وجود فكرة البعث، ولكنها فى الحقيقة ارتبطت ارتباطًا كليًّا بفكرة الشعب المختار، ووجوب العمل على بعث سلطانه وإحياء مجده بعد أن زال.

لهذا يقول ول ديورانت:

«إن اليهود قلما يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد فى دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا، ولم تدر فكرة البعث فى خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين» (٤).

---

(١) سورة البقرة الآية (١١١).
(٢) سورة آل عمران الآيات (١١٣، ١١٤).
(٣) انظر د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٢٠٥.
(٤) قصة الحضارة ٢/ ٣٤٥.

ويجب على القارئ الكريم وهو يبحث فى أصول الفكر اليهودى أن يدرك أن فكرة يوم الرب (أو يوم يهوه) التى أخذها اليهود من سفر عاموس[١] لاتعنى اليوم الآخر -وإن قصده عاموس- ولكن تعنى اليوم الذى ينتصر فيه يهوه إله إسرائيل لشعبه المختار.

وآية ذلك أن الإصحاح الخامس من سفر عاموس الذى وردت فيه فكرة يوم الرب يستهله الكاتب بتوجيه نعى لسقوط مملكة إسرائيل يقول: **«اسمعوا هذا القول الذى أنادى به عليكم مرثاة يابيت إسرائيل، سقطت عذراء إسرائيل لاتعود تقوم، انطرحت على أرضها ليس من يقيمها»**[٢].

ولهذا يقول الأستاذ/ شارل جينيبر الفرنسى:

«إن اليهود على عهد عاموس كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء قضيتهم بقضية الله، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى، التى ستكون قد دانت لهم بالخضوع، أما عاموس نفسه فكان يرى أن يوم الرب سوف يمتاز بانتصار العدالة الإلهية التى سيرتعد منها الشعب الإسرائيلى نفسه رعبًا بسبب ما اقترفه من جرائم وآثام»[٣].

على أن يوم الرب الذى قصده الأنبياء الإسرائيليون -وهو اليوم الآخر- كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرون أنه بعيد جدًّا، وأطلقوا عليه -لتأكيد هذا البعد- الاسم العبرى (أحريت هياميم) التى معناها **«آخرة الأيام»** أو **«الآخرة»** أو **«اليوم الآخر»** وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئًا لا على عهد موسى ولا على عهد القضاة[٤].

ومن ثم لانجد من بين فِرق اليهود الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذى يقرره الإسلام، ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان فى حياتهم وفرقة الفرِّيسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعًا فى ديانة موسى، أى أن بعث هؤلاء سيحصل فى

---

(١) انظر سفر عاموس ٥ : ١٨-٢٠ .

(٢) عاموس ٥ : ١-٢ .

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص٩٦ .

(٤) المرجع السابق ص٩٧ .

الحياة الدنيا فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان فى إنكار اليوم الآخر على النحو الذى يقرره الإسلام(١).

وإذا كان كل هذا بمثابة تقريرات حول عقيدة اليوم الآخر فى أسفار اليهود عمومًا، وقد بدا منها أن هناك بعض إشارات لليوم الآخر تأولها اليهود على يوم انتصار الشعب المختار، إلا أنه من المؤسف أن سفر اللاويين قد خلا من التصريح أو التلميح بأدنى إشارة لتلك العقيدة المهمة التى هى من أصول الإيمان فى كل رسالات الأنبياء، وفى هذا دلالة قاطعة على أن هذا السفر ليس من كلام الله سبحانه وتعالى الذى جعل الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، ولا من كلام موسى عليه السلام الذى يحدثنا القرآن الكريم عن إيمانه باليوم الآخر وابتهاله إلى ربه أن يكتب له فيه حسنة تنجيه:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ (٢).

ولا حتى من كلام المؤمنين الصادقين من بنى إسرائيل الذين جاء القرآن الكريم يحكى ويقرر إيمانهم باليوم الآخر ومافيه من ثواب وعقاب:

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (٣).

وهكذا بعد عرض الجانب العقدى، الذى قد وقفنا على كثير من جوانب الخلل والفساد فيه: ضلال فى معرفة الإله الحق، وتشويه للأنبياء والرسل، وإنكار لليوم الآخر...

فهل يمكن لعقول أو قلوب اعتقدت مثل هذا الضلال أن تصدر عنها أخلاق حميدة، أو فعال إنسانية متزنة؟

وهذا ماسأجيب عنه فى الفصل القادم، من خلال عرض الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين -بمشيئة الله تعالى-.

---

(١) د/ على عبد الواحد واف: اليهودية واليهود ص٤٩، وانظر: المجتمع اليهودى ص٣٠٥، وانظر حبيب سعيد: أديان العالم ص١٨٣ . انظر: د/ أحمد عبد الرازق: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص٩٨، ٩٩ . وانظر: د/ مصطفى محمود: من أسرار القرآن ص٣٢ ط دار المعارف . وانظر د/ سعيد مراد: المدخل فى تاريخ الأديان ص٢٤٤ ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية -القاهرة- ٢٠٠٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٦) .

(٣) سورة طه (الآيات (٧٣-٧٧) .

الفصل الثالث

الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين .

المبحث الثانى: موقف الإسلام من الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين .

المبحث الأول

الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : معنى الأخلاق .

المطلب الثانى : الأخلاق اليهودية فى سفر اللاويين .

الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

المطلب الأول: معنى الأخلاق:

الأخلاق لغة: جمع خلق وهو الفطرة والطبع والسجية[(١)] .

واصطلاحًا: حالة من النفس راسخة تصدر عنها الأفعال، فطرية أو مكتسبة ذات آثار فى السلوك محمودة أو مذمومة[(٢)] .

ومن هنا يتضح أن الأخلاق جزء من الفطرة التى فطر الناس جميعًا عليها، بمعنى أن مايمكن أن تقره جماعة إنسانية على أنه خلق حميد أو ذميم (أيًّا كان أساس معرفتهم به الفطرة أو الوحى) لايجوز لجماعة أخرى أن تنكره لكن عندما يتنكب الإنسان فى طرق الانحراف، ويسعى فى طمس معالم الفطرة، تصبح الأخلاق شيئًا نسبيًّا، بمعنى أن الخلق (محمود أو ذميم) يقاس بنسبة إقرار الجماعة له، فربما اتفقت جماعة على أن الكذب فضيلة، أو على أن الغدر سياسة حكيمة، أو أن الغطرسة والظلم دليل القوة، وأن الرحمة عجز وخور . . .

وقد ذكر سفر اللاويين مجموعة من الأخلاق نستعرضها فيما يلى :

المطلب الثانى: الأخلاق اليهودية فى سفر اللاويين:

١- بر الوالدين :

لقد نص السفر على وجوب بر الوالدين واحترامهما، إذ جاء فيه :

«**تهابون كل إنسان أمه وأباه**»[(٣)] وقد سبق أن نصت التوراة فى سفر الخروج فى الوصية الخامسة من الوصايا العشر : «**أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض**»[(٤)] .

وربما فهم من هذا أن إكرام الوالدين يملأ العمر بركة .

---

(١) انظر القاموس المحيط ٣/ ٢٢٢ مادة (خلق) .

(٢) انظر : أحمد بن محمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص٤١ ط المطبعة المصرية ومكتبتها الطبعة الأولى، أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين ٢/ ٥٠٧ ط/ دار النصر للطباعة الإسلامية -الناشر مكتبة الإيمان- المنصورة ١٩٩٦م .

(٣) اللاويين ١٩ : ٣ .

(٤) الخروج ٢٠ : ١٢ .

وربما فهم منه أن ضد البر وهو العقوق يكون سببًا فى قصر العمر، حيث حكمت التوراة فى سفر اللاويين بالقتل على من يسب أبويه، جاء فيه: «**كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه، دمه عليه**»(١).

وقد كان التقليد السائر عند اليهود فى حالة عقوق الأبناء للوالدين أن يأتى الوالدان -أو أحدهما- إلى شيوخ المدينة ويخبران بأن ولدهما معاند وسكير فيرجم، جاء فى سفر التثنية:

«**إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لايسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما، يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته، وإلى باب مكانه، ويقولان لشيوخ مدينته: ابننا هذا معاند ومارد لايسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت**»(٢).

ولكن برغم وضوح النصوص التى تقضى بقتل الولد العاق، وعدم احتمالها للتأويل، فإن علماء اليهود لهم تأويل غريب، يقول الأستاذ/ نجيب جرجس: «**وقد فسر علماء اليهود هذا النص بأن المقصود بالسب الذى يستوجب القتل هو المقترن باسم الرب (يهوه) العظيم، كأن يسب الابن أحد والديه مقسمًا باسم الرب -مثلاً- أو أن يقول: إن أحد والديه ملعون من الرب. وما إلى ذلك، أما من يسب والديه سبًا مجردًا من اسم الرب أو مقترنًا بصفة من صفات الله فقط دون ذكر اسمه كان عقابه الضرب بالسياط**»(٣).

وليت الأمر يقف عند حد التأويل الذى يخفف عن الابن العاق العقوبة من القتل إلى الجلد.

بل إن حاخامات اليهود كتبوا فى التلمود: «**من رأى أن يجامع والدته فسيؤتى الحكمة، ومن رأى أن يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل**»(٤).

فياللعجب: يقتل الذى يسب والديه -وقد يتوب فينصلح حاله- ويؤتى الحكمة من يجامع أمه!!!

ولعل الحاخام الذى أثبت هذه الفقرة فى التلمود كان ذا نفس حيوانية فى الشهوة

---

(١) اللاويين ٢٠ : ٩.

(٢) التثنية ٢١ : ١٨-٢١.

(٣) تفسير سفر اللاويين ص٢٥١.

(٤) د/ محمد على البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٩ ط الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٧، د/ إبراهيم خليل أحمد إسرائيل والتلمود ص٦٨ ط دار العهد الجديد -الناشر مكتبة الوعى العربى -القاهرة- ١٩٦٧.

وله أم جميلة يواقعها، فأراد أن يبرر ذلك لنفسه فكتب، وويل له مما كتب.

ولقد عجب المسيح عليه السلام مما رأى من عقوق الوالدين عند اليهود، ووبخهم قائلاً: **«لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبًا وأمًا فليمت موتًا، وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه، قربان هو الذى تنتفع به، منى، فلا يكرم أباه وأمه فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم»**[١].

أى أن اليهودى كان يعق والديه ويقرب قربانًا مفترضًا أن الفائدة الروحية مماقرب على هذا الوجه تعود على الوالدين... وقد تمسك به الكثيرون من الأبناء العاقين.. وزعموا أنهم بذلك أتموا الوصية الخامسة[٢].

ويلاحظ أن فلاسفة اليهود الذين ذاع صيتهم فى العصر الحديث أمثال «فولتير[٣] وروسو[٤]» قد أسهموا بجهد كبير فى الدعوة إلى عقوق الوالدين، وإلى تفكيك الروابط الأسرية، ومن كلامهما:

«أن الأسرة ليست من طبيعة المجتمع، وأن عرى الجسد حرية له وصحة وسعادة.. وأن معرفة الجميل ليست واجبًا لازمًا على البنين لوالديهم وليست السلطة الأبوية بأمر دائم أو لازم، وأنه من الضرورى تحرير المرأة ونزعها من قيود الدين والأسرة إلى المحافل والمراقص والاجتماعات المختلطة»[٥].

ومما يجدر ذكره أن الملك لويس السادس عشر[٦] رأى فى سجنه بعض مؤلفات فولتير وروسو فقال: هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا[٧].

ولعل الكلام عن بر الوالدين كخلق محمود دعا إليه سفر اللاويين يحتم علينا

---

(١) إنجيل متى ١٥ : ١ .

(٢) متى هنرى: تفسير إنجيل متى ٢/ ١١ :.

(٣) فولتير هو: من مواليد ١٦٩٤م . ولد فى فرنسا قاوم رجال السلطة الدينية والمدنية وتزعم حركة الفلسفة المادية له كتب فى التاريخ والشعر والمسرح والفلسفة . انظر: قاموس المنجد فى اللغة والأعلام ص٥٣٣ ط دار المشرق -بيروت- ١٩٧٣ ط الحادية والعشرين .

(٤) روسو هو: جان جاك روسو كاتب فرنسى ولد فى جنيف ١٧١٢ له تآليف فلسفية وإجتماعية منها العقد الاجتماعى كان لمبادئه تأثير فى نشأة الثورة الفرنسية . انظر السابق ص ٣١٢ .

(٥) الأستاذ/ أنور الجندى: المخططات التلمودية ص٤٧ ط دار الاعتصام -القاهرة- ١٩٧٧م .

(٦) لويس السادس عشر هو: أحد ملوك فرنسا فى الفترة من ١٧٩٢-١٧٩٤ اتهم بعد محاولته الهرب بالخيانة وقتل ١٧٩٣ . انظر: المنجد ص٦١٨ .

(٧) المخططات التلمودية ص٤٧ .

الإشارة إلى مخاطر الماسونية[١]، حيث إن الذى ينضم إلى الماسونية تبدأ عملية تدمير شخصيته وفصله عن مجتمعه وأسرته، وتحطيم الروابط المقدسة التى تربطه بوالديه وبأسرته وعشيرته وحكومته ووطنه فيكون القسم على الشكل التالى:

«أقسم على أن أقطع كل الروابط التى تربطنى بكل إنسان، كالأب والأم والإخوة والأخوات، والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة، وعاهدته على الشكر والخدمة. . .»[٢]

٢- الصدق والوفاء:

لقد حث السفر اليهود على التزام الصدق والوفاء كأخلاق فاضلة جاء فيه:

«ولاتكذبوا ولاتغدروا أحدكم بصاحبه»[٣].

ولايخفى ما فى هذا السياق من الدلالة على التزام تلك الأخلاق مع اليهودى فقط الذى تفيده كلمة (بصاحبه).

ويزيد الأمر وضوحًا معرفة ماجاء فى التلمود بهذا الصدد، فقد جاء فيه مايبيح لليهودي الكذب والغدر والخيانة وهو يعامل الآخرين:

«يجوز لليهودى أن يحلف مائة يمين كاذبة عند معاملته لباقى الشعوب إذ أن اليمين جعل لحسم النزاع بين الناس، أما لغير اليهود من الحيوانات فلا اعتبار لها، ويجوز لليهودى أن يشهد زورًا وأن يقسم على ذلك حسب ماتقتضيه مصلحته مع غير اليهودى»[٤].

وفيه: **«يحق لليهودى أن يغش الكفار، ومحظور عليه أن يحيى غير اليهود بالسلام ما لم يخش ضرره، والنفاق فى هذه الحالة واجب على شرط أن يستهزئ اليهودى بالكافر سرًا»[٥].**

ويتضح من هذا أن الشخصية اليهودية أبعد ماتكون من الصدق والوفاء، وتاريخهم

---

(١) الماسونية: جاءت من كلمة ميس أو ماسون التى تعنى بالإنجليزية والفرنسية (البناء) وتضاف إليها عادة لفظة أخرى هى «فرى» ومعناها أخ أو فرانك بالفرنسية يعنى الصادق فتصبح فرى ميسن أو فرانك ماسون يعنى إخوة البناء، وتعرفها دائرة المعارف البريطانية بأنها أكبر جميعة سرية فى العالم، لها شعارات براقة، وأعمال خداعة تهدف منها إلى هدم المجتمعات وتدميرها، انظر: محمد عزت عارف: نهاية اليهود ص١١٦ ط مؤسسة بدران للطباعة -جدة- ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: د/ إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود ص١٣٦ .

(٣) اللاويين ١٩ : ١١ .

(٤) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦٠، وإسرائيل والتلمود ص٧٠ .

(٥) المرجع السابق ص١٥٧ .

ملئ بالكذب والغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

لذلك يقرر أكثر الدارسين للشخصية اليهودية: أن اليهودى بطبعه كذاب ومراوغ وخداع[(١)].

٣- الرحمة بالعجزة والضعفاء:

ثم حث السفر على الرحمة بالضعفاء والعجزة وأصحاب العاهات، جاء فيه: **«لاتشتم الأصم، وقدام الأعمى لاتجعل معثرة بل اخش إلهك»**[(٢)]. **«من أمام الأشيب تقوم وتحترم الشيخ وتخشى إلهك»**[(٣)].

فأصحاب العاهات والضعفاء يستحقون العطف والرثاء والمساعدة، وليس من اللائق أن نضايقهم بوجه من الوجوه.. فلا تنتهز فرصة كونه أصم لايسمع فتشتمه، أو أعمى فتضع له الحجر فى الطريق للضحك عليه[(٤)].

والذى يقرأ تعاليم التلمود يرى أن الرحمة بالضعفاء والعجزة هنا ليست خلقًا عامًّا، وإنما الضعفاء ضعفاء اليهود والعجزة عجزتهم لاغير، جاء فى التلمود: **«الشفقة ممنوعة للأجنبى فإذا رأيته واقعًا فى نهر أو مهددًا بخطر فيحرم على اليهودى إنقاذه»**[(٥)].

«ويحرم على اليهودى أن ينجى أحدًا من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها بل عليه أن يسد الحفرة التى وقع فيها الأجنبى بحجر»[(٦)]، **«ليس من العدل أن يشفق الإنسان اليهودى على أعدائه ويرحمهم»**[(٧)].

ومن هذا ندرك أن الواقع الإسرائيلى الآن ينفى أن يكون للقوم أخلاق يرحمون بها الضعفاء والأطفال، فإن رصاصهم لايفرق بين أعمى ولابصير، ولاسميع ولاأصم، ولاصغير ولاكبير، إنما هو رصاص أعمى يطلقه أناس أعمى الحقد قلوبهم.

كل هذا يحدث على الرغم من العدد الهائل من الكتابات والتقارير والمنظمات التى تعمل من أجل حقوق الإنسان فى إسرائيل، وتكشف الحقائق البشعة وراء أقنعة

---

(١) انظر: د/ محمد جلاء إدريس: الشخصية اليهودية ص٦٢ ط دار روتابر ينيت -القاهرة- ١٩٩٣م، د/ رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ص١١٨-١٥٨ سلسلة عالم المعرفة عدد يونيو ١٩٦٨م.

(٢) اللاويين ١٩ : ١٤.

(٣) اللاويين ١٩ : ٣٢.

(٤) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٢.

(٥) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٩.

(٦) المرجع السابق ص١٥٨.

(٧) المرجع السابق ص١٥٧.

الديمقراطية[١] واحترام القانون والتى يحلو لحكام إسرائيل التغنى بها فى كل مناسبة . . والواقع أن إسرائيل ليست دولة ديمقراطية سوية بالمفهوم الأخلاقى المبنى على معايير القيم الإنسانية ، لأن ممارستها العنصرية وانتهاكها الدائم لحقوق الإنسان الفلسطينى والعربى على أرض فلسطين تطغى على ديمقراطيتها .

وقد جاء فى التقرير الدورى لمنظمة «بيتسيلم» لحقوق الإنسان فى المناطق المحتلة فى صفحة ١٢ من إصدارها الرابع فى أكتوبر ١٩٩٩ بقلم د/ دافنا جولان (اليهودية) تقول : **«عندما كتبنا التقرير فى عام ١٩٩١ فكرنا فى الأساس فى أسلوب الإعلان الجدى عنه ، وذلك للتغلب على حاجز الإنكار والإبعاد ، لقد أردنا أن نقول باللغة الأكثر أمانة وصدقًا : أنه توجد عمليات تعذيب فى إسرائيل هنا طوال الوقت ، واليوم وبعد مرور ٨ سنوات فإن عمليات التعذيب مستمرة كل يوم . كل يوم ليس بعيدًا عنا فإن رجال جهاز الأمن العام لم يعملوا بمفردهم ، فهناك جنود اعتقلوا الفلسطينيين وقادوهم لغرف وقاعات التحقيق ، وعمال نظافة قاموا بتنظيف الغرف من آثار الدماء ، وأطباء وقعوا على أن الشباب صالحين بدنيًا للتحقيق ، وقضاة امتنعوا عن التدخل بما يحدث هناك ، ومحامون دافعوا عن ضرورة وجود هذه الأساليب ، وكل ذلك ونحن نشرب البيرة فى حانات الرقص ، نحن أيضًا العاملون فى مجال حقوق الإنسان والذين لانجد اللغة الملائمة أو أننا مشغولون أكثر من اللازم بحيث لانستطيع السعى وبذل الجهد»**[٢] .

وفى جريدة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ١/ ١١/ ٢٠٠٠ تحت عنوان مرآة أمام أعيننا كتبت الصحفية الإسرائيلية «عميراهيس» كم هو طبيعى أن يتعرض ٤٠ ألف إنسان لأكثر من شهر فى بلدة الخليل القديمة لحظر تجول كامل ، وذلك من أجل رفاهية وسلامة ٥٠٠ يهودى ، وكم هو طبيعى ألا يوجد تقريبًا إنسان واحد يتحدث أو يعلم ذلك لدينا ، وكم هو طبيعى أن يتم إغلاق ٣٤ مدرسة لآلاف من أبناء الفلسطينين منذ أكثر

---

(١) الديمقراطية : كلمة يونانية معناها حكم الشعب ويراد بها الحالة التى يكون فيها زمام الأحكام بيد عموم الأمة . . وبه لايختل النظام ويحافظ على الشرائع ويقوم النظام من تلقاء نفسه ويسود السلام . . وإذا حدث أن خرج أحد عن الصراط القويم يجتمع الشعب فى الساحة العمومية فيحكمون عليه ولاتكون فيهم رئاسة لأن لهم جميعًا رأى واحد . انظر : بطرس البستانى : دائرة المعارف ٢٣٢ ، ٢٣٣ . ويلاحظ أن الديمقراطية على خلاف النظام الإسلامى .

(٢) أ/ منير محمود : وجه إسرائيل الحقيقى وزيف الإدعاء بأنها دولة ديمقراطية -مقال بمجلة مختارات إسرائيلية -يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالقاهرة عدد فبراير ٢٠٠٠ ص٨٠ ، ٨١ .

من شهر، وأن يظل أطفالهم محبوسين مخنوقين ليل نهار فى منازل مكدسة ومزدحمة، فى حين أن أطفال الجيران -اليهود- يعبثون ويلهون كالمعتاد فى الشوارع بين ومع الجنود»(١).

فهل التعذيب فى المعتقلات الإسرائيلية وشل حركة الحياة بغرض الحظر من الرحمة بالضعفاء؟ وهل للجنود الإسرائيليين من رفاهية الحس مايجعلهم يبحثون عن الأصم والأعمى وأصحاب الأمراض والضعفاء فى وسط المحظورين ليرحموهم؟

٤- العدل والمساواة

ومن الأخلاق التى وردت فى سفر اللاويين خلق العدل والمساواة وهو ضد الظلم والجور والمحاباة، جاء فيه:

«**لا ترتكبوا جورًا فى القضاء، لا تأخذوا بوجه مسكين، ولاتحترم وجه كبير**»(٢).

وهذا يعنى أن يكون الإنسان عادلاً فى أحكامه فلا يجور فيها، ولا يفرق بين فقير ولا غنى ولا يحابى ولا يجامل، وفى نفس الوقت لا تأخذه الشفقه بالمسكين المذنب فيحكم لصالحه بدون حق لأن هذا يجعله يتمادى فى الإجرام.

وكذلك لايحابى الغنى أو الكبير فيحكم له بدون حق لأن هذا يجعل الغنى أو الكبير يتمادى فى آثامه واعتداءاته(٣).

ولكن الذى ينظر إلى بقية السياق يعرف أنه عدل مع اليهودى ومساواة مع اليهودى، وأما غيره فلا:

«**بالعدل تحكم لقريبك**»(٤).

كما أن التلمود يأمر اليهودى: «**إذا جاء الأجنبى والإسرائيلى أمامك بدعوى فاستعمل الغش والخداع حتى تجعل الحق لليهودى**»(٥).

كما يأمر التلمود بعدم المساواة بين اليهودى وغيره من الأمميين ويصفهم بأنهم خنازير نجسة، جاء فيه:

«**الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون**

---

(١) المرجع السابق ص٨١ -بتصرف يسير.
(٢) اللاويين ١٩ : ١٥.
(٣) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٣ بتصرف.
(٤) اللاويين ١٩ : ١٥.
(٥) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٨، إسرائيل والتلمود ص٦٣.

لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم»[(١)] .

وهذه النصوص تجعلنا نفهم تركيبة الشخصية الإسرائيلية والعوامل التى أدت على مدى السنين لبلورة وتكوين تلك الشخصية العنصرية .

«فإنه إذا كان التناقض وازدواجية المعايير هى سمات تسيطر على تصرفات المجتمع الإسرائيلى المدنى، فإن ازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين تعتبر جريمة أخلاقية وقانونية إذا ما مارستها سلطة قضائية أو تشريعية أو بالطبع تنفيذية، وهذا فى واقع الأمر مايدور يوميًا فى إسرائيل التى تدعى أنها واحة الديمقراطية واحترام القانون فى منطقة الشرق الأوسط»[(٢)] .

وقد أوضحت منظمة «بيتسليم» لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة هذه الازدواجية والبعد عن العدل والمساواة فى تقريرها لشهر أكتوبر ١٩٩٩ جاء فيه :

«إن إسرائيل وقعت حقا على المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وقبلت على نفسها تنفيذ القانون الدولى وقت الحرب والمفصل فى إتفاقية جنيف إلا أنه عندما يكون المقصود حقوق الفلسطينيين فإن إسرائيل تعرف كيف تشرح بلغة قضائية منمقة لماذا القانون الدولى لايسرى عليهم بالفعل، والمحكمة العليا تصدق على ذلك وتقبله، إن هذه المحكمة مكنت وزير الدفاع من تقييد ٤١٥ شخصًا وتعصيب أعينهم وإرسالهم للمنفى فى لبنان على الرغم من أن الطرد محظور حظرًا تامًا فى القانون الدولى إن هذه المحكمة تتيح مرارًا وتكرارًا نسف أو هدم منازل المشتبه فى تورطهم فى مخالفات أمنية بالبلدوزر . . وأخيرًا فإن محكمة القضاء العليا فى إسرائيل بتشكيل واسع من تسعة قضاة تخبطت وارتكبت لسنوات طوال ظلمًا ليس له سابقة أو مثيل فى العالم كله . . . »[(٣)] .

وخير الشهود من كان من أهلها ! ! !

ولكن ماذا علينا أن نفعل أمام هذا الوضع الغريب المتدنى أخلاقيًا، إن الطريق طويل وشاق قبل تقديم الحلول النظرية : والتى يصعب تطبيقها على أرض الواقع الحالى، وأول خطوات هذا الطريق هو قراءة هذا الواقع اللاأخلاقى بعمق بهدف الوصول إلى الحقيقة فالحقيقة هى أهم سلاح سنتزود به فى المرحلة الحالية .

---

(١) المرجع السابق ص١٥٦، ١٥٧ .

(٢) انظر مجلة مختارات إسرائيلية ص٨١ نفس العدد المشار إليه من قبل .

(٣) المرجع السابق ص٨١ .

٥- التحذير من البغضاء والحقد وحب الانتقام:

ثم دعا السفر -كذلك- إلى الحب والتسامح، وحذر اليهود من البغضاء والحقد وحب الانتقام، جاء فيه:

«لاتبغض أخاك فى قلبك... لاتنتقم ولاتحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك»(١).

والناظر فى السياق يجد أنها أخلاق محمودة، ولكن ينقصها النظرة الشمولية، فهو يحذر من البغضاء، ولكن ليست بغضاء كل الناس وإنما بغضاء اليهودى، وينهى عن الانتقام ولكن ليس الانتقام من كل الناس، ولا الحقد على كل الناس، وإنما على الشعب اليهودى، ويأمر بالحب، ولكن حب قريبه اليهودى.

والبغضاء والحقد وحب الانتقام تعتبر من أكثر الأمراض الأخلاقية والاجتماعية انتشارًا بين اليهود.

وحتى إن رأينا سفر اللاويين يأمر بالحب والصفح وبعدم الحقد والبغضاء كأخلاق تلتزم مع اليهودى فقط، فإن تاريخ اليهود يثبت أنهم لم يتخلقوا بتلك الأخلاق يومًا ما، فصفحات العهد القديم مليئة بما كان من وقائع وحروب طاحنة بين أسباط بنى إسرائيل.

يحكى سفر القضاة:

أنه فى عهد يفتاح الجلعادى -أحد قضاة بنى إسرائيل- لما حارب العمونيين حدث أن جاءه رجال سبط أفرايم وقالوا له: لماذا عبرت إلى بنى عمون ولم تدعنا للذهاب معك، وبعد مشاحنة بينهما قامت حرب طاحنة قتل فيها اثنان وأربعون ألفًا من أفرايم(٢).

وفى حرب دارت بين سبط بنيامين وبقية أسباط بنى إسرائيل استمرت أيامًا، هلك فى اليوم الأول اثنان وعشرون ألف رجل، وفى اليوم الثانى هلك ثمانية عشر ألف رجل من بنى إسرائيل(٣).

ثم هزم بنو إسرائيل سبط بنيامين فقتلوا منهم خمسة وعشرين ألف رجل ومائة رجل، وتتبعوهم إلى مدنهم فقتلوا منهم ثمانية عشر ألفًا، ثم عاد بنو إسرائيل فضربوا

---

(١) اللاويين ١٩ : ١٧، ١٨ .

(٢) انظر القضاة ١٢ : ١-٧ .

(٣) انظر القضاة ٢٠ : ١٧-٢٦ .

كل من فى مدن بنيامين حتى البهائم، وكل ماوجد فيها، وأحرقوها بالنار[١].

وهذه نماذج يسيرة مما ورد من بغض بنى إسرائيل بعضهم لبعض، لأن الإسرائيلى مادي بطبعه ولامجال للعواطف فى حياته.

أضف إلى هذا أن اليهود لم يكفوا يومًا عن العداء الذى كان يقوم بين فرقهم المختلفة وتكفير كل فرقة للأخرى.

وقد تقصى الباحثون قديمًا وحديثًا مقدار البغضاء والحقد والعداء الذى كان بين فرق اليهود، فابن حزم[٢] والشهرستانى[٣] -مثلاً- يقرران أن اليهود كانوا يبغضون بعضهم بعضًا وتكفر كل فرقة منهم أختها[٤].

وكذلك فى العصر الحاضر كان من أشهر وأدق الدراسات التى بحثت صراعات اليهود هى دراسة الدكتور/ رشاد عبد الله الشامى[٥] «**القوى الدينية فى إسرائيل**» بيّن فيها نشأة الأحزاب والقوى الدينية فى إسرائيل والعقائد التى تؤمن بها، والأيديولوجيات التى تتبناها، والصراعات التى تدور بينها وبين القوى العلمانية فى الدولة، وكذلك حروب الحاخامات التى تصل إلى حد التشهير وتكفير كل منهم للآخر[٦].

وأما حقد اليهود وكراهيتهم لغيرهم فلا حد له، فحب الانتقام عند اليهودى من غيره أشبه بشهوة جامحة، يتلذذون بالدماء، ويتقربون إلى إلههم بإزهاق أرواح البشر.

والطابع الغالب على أسفار اليهود هو ذكر الحروب وتمجيد الانتصارات الإسرائيلية.

فمثلاً: يحكى سفر القضاة مافعله باراق بن زبولون حين حارب يابين ملك كنعان، حيث قتل كل جيش الكنعانيين بحد السيف فلم يبق منهم ولاواحد -على حد تعبير

(١) انظر القضاة ٢٠ : ٣٥-٤٨ .

(٢) ابن حزم هو: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد بقرطبة ٣٨٤هـ - ٩٩٤م وكان أبوه من رجال السياسة كان له بصر نافذ فى مختلف العلوم توفى ٤٥٦ هـ . انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥ ط/ دار صادر -بيروت ١٩٧٧ تحقيق د/ إحسان عباس .

(٣) الشهرستانى هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد ولد فى سنة ٤٧٩هـ فى بلدة شهرستان، وكان إمام عصره فى علم الكلام عالمًا بفنون كثيرة من العلوم . انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٣ .

(٤) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/ ٧٨، الملل والنحل ٢/ ١٩ .

(٥) د/ رشاد عبد الله الشامى -أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية وآدابها بكلية الآداب -جامعة عين شمس .

(٦) انظر: القوى الدينية فى إسرائيل ص١١ ط/ سلسلة عالم المعرفة -عدد يونيو ١٩٩٤م .

السفر- وكان قوام جيش الكنعانيين تسعمائة مركبة[١].

ويحكى السفر ذاته أن جدعون -أحد القادة العسكريين فى عهد القضاة- قام بالانتقام من المديانيين والعمالقة لمجرد أن أغنامهم وبقرهم وحميرهم كانت تتلف زرع بنى إسرائيل[٢]، فقتل منهم مائة وعشرين ألف رجل من مخترطى السيف وتتبعهم إلى المدينة فهدم حصونها وقتل رجالها[٣].

ويحكى سفر صموئيل الأول: أن شاول ملك إسرائيل لما ذهب لحرب الفلسطينيين حلَّف شعب إسرائيل قائلاً: **«ملعون الرجل الذى يأكل خبزًا إلى المساء حتى أنتقم من أعدائى فلم يذق جميع الشعب خبزًا. . فضربوا فى ذلك اليوم الفلسطينيين. . وثار الشعب على الغنيمة فأخذوا غنمًا وبقرًا وعجولاً»**[٤].

والرب الذى يأمر بالعفو والصفح فى سفر اللاويين نراه يبلغ به الطيش وحب الانتقام أعلى ذراه فيأمر شاول ملك إسرائيل قائلاً:

«. . هكذا يقول رب الجنود إنى قد افتقدت ماعمل عماليق ياإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر، فالآن: اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله ولاتعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعًا، بقرًا وغنمًا وجملاً وحمارًا»[٥].

ولكن شاول لما جاء إلى مدينة العماليق وهزمهم خالف أمر الرب فعفا عن خيار الغنم والبقر وعن كل الجيد من الحيوانات، فأغضب هذا العفو رب الجنود، فأوحى إلى صموئيل أنه ندم على أنه جعل شاول ملكًا على إسرائيل لأنه خالف سياسته الانتقامية[٦].

وواضح أن مافعله شاول من العفو عن خيار الغنم والبقر. . وباقى الحيوانات لم يكن صفحًا نابعًا من قلوب رحيمة، وإنما كان استحسانًا للجيِّد من الحيوانات.

جدير بالذكر أن النكبات والأزمات التى مرت باليهود تنمى فيهم روح العداء وحب الانتقام، فتجد اليهودى كلما تذكر حادث الخروج من مصر واضطهاد الفراعنة لهم، أو حادث الأسر البابلى[٧]، . . . .

---

(١) انظر القضاة: الإصحاح الرابع.
(٢) انظر: القضاة ٦: ٣-٦.
(٣) انظر القضاة ٨: ١٠-١٨.
(٤) صموئيل الأول ١٤: ٢٤-٣٢.
(٥) صموئيل الأول ١٥: ٢، ٣.
(٦) انظر: صموئيل الأول ١٥: ٥-١١.
(٧) الأسر البابلى كان فى نحو عام ٥٨٦ ق. م. وهو الذى دمر فيه بختنصر البابلى مدينة أورشليم وسبى اليهود إلى بابل انظر د/ أحمد شلبى: اليهودية ص٩١.

أو النكبة النازية[١] يشحن بشحنة هائلة من الحقد وحب الانتقام .

«وقد كانت النكبة النازية -فى العصر الحديث- من العوامل التى لها أعمق الأثر فى تشكيل عقلية وأخلاق الإسرائيليين، وكانت ردود فعلها والمحاولات المتوالية لفهمها ذات تأثير كبير على الإسرائيليين كأفراد وكمجتمع»[٢] .

فقد بالغ اليهود فى تضخيم الحادث[٣]، وصنعوا منه وثنًا للبكاء والعويل يتحتم على من ينتمى لليهودية أن يصلى إليه مؤديًا طقوس النواح والصراخ . . .

ولقد خُصص لضحايا النكبة النازية يوم حداد خاص، كما تحدد يوم آخر لذكرى ضحايا الحروب العربية الإسرائيلية، ويبدأ اليوم الأول فى ٢٧ أبريل بصفارات الإنذار التى تبعث الرهبة فى بلد تسوده الحرب بصفة دائمة، وتظل تدوى فى أنحاء البلاد لمدة دقيقتين كاملتين فى أشد ساعات الصباح نشاطًا فتتوقف الحركة، وفى أنحاء إسرائيل تقام احتفالات خاصة بهذه المناسبة، فتغلق أماكن الترفيه والمسارح ودور السينما والبارات والنوادى الليلية، وتصدر كبريات الصحف ملاحقًا خاصة، ويعقد الكنيست جلسة خاصة، وتبث الإذاعة والتلفزيون برامجًا خاصة . . وفى المدارس يرددون على مسامع التلاميذ ماحدث فى النكبة . . وقد أثارت طريقة تدريس ذكريات النكبة فى المدارس الإسرائيلية مشكلة فى السنوات الأخيرة، ولكن وزارة التربية والتعليم أعلنت أن المدرس يمكنه أن يعارض تدريس الجنس للصغار ولكنه لايستطيع أن يتخلص من دروس النكبة النازية لتلاميذ الحضانة[٤] .

وتجدر الإشارة إلى أن أكثر قادة إسرائيل الأوائل كانوا فقدوا جميع أسرهم أو جزءًا منها فى النكبة النازية، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم مازالت هذه المسألة تطارد الساسة الإسرائيليين وتنغصهم بأبعادها الأخلاقية، فهؤلاء القادة ربما كانوا أطفالاً فى

---

(١) النكبة النازية هى التى قام هتلر الألمانى فيها بأعمال جنونية فقتل فيها أناسًا كثيرين كان اليهود منهم، والنازية نسبة إلى الحزب القومى الاشتراكى الذى أسسه هتلر فى ألمانيا وكان يطلق عليه النازى انظر: المنجد فى اللغة والأعلام ص٧٠٤ ط دار المشرق -بيروت ١٩٨٤ .

(٢) د/ رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص١٩١ بتصرف.

(٣) حيث إن اليهود لم يكونوا من الناحية العددية أكثر ضحايا، فإن النازيين قتلوا وخنقوا بالغاز ملايين البولنديين والروس، ولكن اليهود أشاعوا فى العالم أن النازيين قتلوا منهم نحو ستة ملايين، وهذا كذب. انظر: و . ت ماليسون: الولاء المزدوج الذى تفرضه الصهيونية وإسرائيل على اليهود فى ضوء القانون الدولى العام ص٩٤، ٩٥ ط/ مركز دراسات الشرق الأوسط -القاهرة .

(٤) انظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص١٩١-١٩٣ .

معسكرات الموت النازية وقضوا أعوامًا فيها، فاعتقدوا أن السبيل الوحيد لتجنب المصير الذى حل بآبائهم وأسرهم هو النضال من أجل الحياة بالأسنان والأظافر -إذا لزم الأمر- وحتى بعد زوال الخطر الذى كان النازيون مصدره لكن الأطفال لم يكن بوسعهم التكيف مع التغير الذى حدث، فكل شخص غير معروف لهم يبدو فى نظرهم عدوًا لهم، وكل وضع جديد يبدو فى نظرهم تهديدًا لأرواحهم، وكان الحفاظ على أرواحهم هو دافعهم الوحيد، وماأن وصل هؤلاء الصغار إلى فلسطين حتى كانوا قد بلغوا سن الرشد وفى داخلهم شعور حاد محدد بالهدف، قوامه أن ماحدث لهم لايجب أن يحدث لأطفالهم[(١)].

وقد قام الباحث الأمريكى «**بارى بليخمان**» بدراسة حول الآثار المترتبة على الانتقامات الإسرائيلية كمحاولة لتقييم عام ١٩٧٠، وأفرد جانبًا كبيرًا من دراسته لتناول الانتقامات الإسرائيلية فى الفترة من عام ١٩٥٨ حتى قبيل عام ١٩٦٧، وبالرغم من اعتماده على الإحصائيات وردود الفعل على الجانب العربى والإسرائيلى إلا أنه انتهى إلى أن الانتقام الإسرائيلى هو سلوك قومى إسرائيلى، وأن إسرائيل تعتبر الانتقام صورة شرعية من صور السلوك القومى[(٢)].

٦- النهى عن الوشاية:

لقد جاء فى دعوة السفر الأخلاقية النهى عن الوشاية باعتبارها خلق ذميم، قال: «**لاتسع فى الوشاية بين شعبك**»[(٣)].

والوشاية هى: السعاية بالكذب للوقيعة، يقال وشى وشاية نم وسعى بفلان، كذب فيه وبه إلى السلطان أو الطاغية للإيقاع به[(٤)].

وكما هى العادة فى كون الخلق الذى يريد السفر التوجيه نحوه أو التحذير منه لايعدو أن يكون خلقًا قوميًا إسرائيليًا، وهذا ماتفيده عبارة «**بين شعبك**».

ولخطر الوشاية كمرض خلقى كان الحكماء يضربون مثلاً فى أنّ السباع القوية إذا دخل عليها الثعلب الرَّواغ على ضعفه أهلكها ودمرها، وفى الملوك الحصفاء يدخل

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) المرجع السابق ص١٦٤، ١٦٥ نقلاً عن: د/ حفنى قدرى: الإسرائيليون من هم؟ (دراسات نفسية) ص٤٤٠ ومابعدها ط القاهرة ١٩٨٤م.

(٣) اللاويين ١٩ : ١٦.

(٤) انظر القاموس المحيط ٤/ ٣٩٢ مادة (وشى).

بينهم الوشاة فى صورة الناصحين حتى يفسدوا نيتهم على وزرائهم المبالغين فى نصيحتهم، المجتهدين فى تثبيت ملكهم إلى أن يغضبوا عليهم، ويصرفوا عيونهم عنهم، ويصيروا من محبتهم وإيثارهم على آبائهم وأولادهم إلى أن لايملؤا عيونهم منهم، وإلى أن يبطشوا بهم قتلاً وتعذيبًا، وهم غير مذنبين ولامجترمين ولامستحقين إلا الكرامة والإحسان(١) .

وتاريخ اليهود فى الوشاية والسعاية وتدبير المؤامرات حافل جدًّا، يعجز المتقصى لأطرافه أن يحيط به، ولكن يكفى أن نعلم -إجمالاً- أن أكبر الثورات العالمية كالثورة الفرنسية(٢)، أو الثورة الشيوعية(٣)، أو الحربين العالميتين الأولى والثانية(٤)، وكثير من الانقلابات العسكرية التى تحدث فى العالم إنما هى من صنع اليهود وسعيهم بالوشاية، تارة بضرب الحكومات بعضها ببعض، وتارة بضرب الحكومات بشعوبها .

فالثورة الفرنسية مثلاً كانت تستمد مبادئها من كتابات اليهود، فكتاب روسو «**العقد الاجتماعى**» كان يطلق عليه الفرنسيون إبَّان الثورة «**إنجيل الثورة الفرنسية وكذلك كتاب** «**روح القوانين**» لمونتسكيو، ومن هذين استلهم زعماء الثورة الفرنسية مبادئهم واقتباساتهم(٥) .

وربما كانت هذه أشياءًا ظاهرة، ولكن الغريب الذى يثير العجب هو : أنه لما اندلعت الثورة الفرنسية، وأقيمت المقصلة(٦) ليقدم على مذبحها الضحايا بحجة أنهم أعداء الشعب الفرنسى، مع أن منهم من يعرف الشعب براءته، بل إن الشعب ليدهش حين يرى أن من يقرأ بيان القتل اليوم باسم الشعب، يقدم هو نفسه فى اليوم التالى إلى المقصلة باسم الشعب أيضًا؟ فمن كان وراء هذه التطورات

---

(١) انظر : ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص١٧٦ .

(٢) كانت الثورة الفرنسية بداية من ٥/ ٥/ ١٧٨٩ وحتى ٤/ ٨/ ١٧٨٩ . انظر المستشار/ حسن جلال : الثورة الفرنسية ص٧٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر -القاهرة- ١٩٦٠م .

(٣) قامت الثورة الشيوعية فى روسيا فى عام ١٩١٧م .

(٤) قامت الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٤ واستمرت حتى عام ١٩١٨م . وقامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ .

(٥) انظر : وباء العلمانية وهل له مبرر فى العالم الإسلامى ص٤٣ ط مكتبة منارة العلماء -القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، وهو مختصر من رسالة ماجستير للدكتور/ سفر الحوالى بعنوان «العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة» . قدمت فى جامعة أم القرى بالسعودية .

(٦) المقصلة : اسم يطلق على مايقصل به الزرع، وقد يطلق على السيف فيقال سيف قاصل، والتعبير هنا مستعار لتصوير هول المذبحة التى كانت تقصل فيها الرؤوس قصل الزروع . انظر القاموس المحيط ٤/ ٣٧ مادة قصل .

المفاجئة والتدبيرات الغريبة؟![١].

إنها سعاية اليهود ووشايتهم، اليهود الذين يتبجحون فيعلنون أنهم صناع الثورة الفرنسية ومسعروها، جاء فى بروتوكولاتهم:

«تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها الكبرى، إن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدًا، لأنها من صنع أيدينا»[٢].

وفيها أيضًا: **«يجب علينا أن نحرض أوربا ونساعدها على الفتن والعداوة المتبادلة مع القارات الأخرى، وفى ذلك كسب مزدوج لنا، إذ نفرض بتلك الوسائل احترام جميع الدول لنا، لأنها تدرك أن فى مقدرتنا إحداث الثورات أو إقرار النظام كما نشاء، وحين تعترض حكومة سبيل خطتنا نثير عليها الدولة المجاورة لها لتعلن الحرب عليها، وإذا حاولت الدولتان الاتفاق على معاكستنا فإننا عندئذ نثيرها حربًا عالمية . . .»**[٣]

والانقلابات العسكرية التى حدثت فى تركيا بدءًا من انقلاب مصطفى كمال أتاتورك[٤] اليهودى (المتمسلم) -وعدة انقلابات فى إيران- وصراعاته فيها التى لاتخمد، كلها كانت بسعاية اليهود[٥].

ولقد أصاب وليم كار فى كتابه **«أحجار على رقعة الشطرنج»** حيث ذكر أن اليهود أقاموا الحرب العالمية الأولى للقضاء على الدولة العثمانية تمهيدًا لإنشاء الدولة اليهودية، والحرب العالمية الثانية من أجل إنشاء الدولة بالفعل[٦].

ولعل أحدًا لاينسى الأدوار الجبارة التى قام بها هرتزل وحاييم وايزمان وأعوانهما

---

(١) وباء العلمانية ص٤٤ بتصرف .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، ص٥٠ ترجمة وتعليق أ/ على الجوهرى ط مكتبة ابن سينا - القاهرة ١٩٩٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٦١ البروتوكول السابع .

(٤) مصطفى كمال أتاتورك هو: أول رئيس لجمهورية تركيا، ولد سنة ١٨٨٠ بمدينة سالونيك، التحق بالمدرسة الحربية فى إستانبول، تخرج منها سنة ١٩٠١م، أسس المجلس الوطنى فى تركيا سنة ١٩٢٣م . وألغى الخلافة الإسلامية وانتهج نظامًا غربيًا للإصلاح توفى سنة ١٩٣٨ . انظر: أحمد عطيةالله: القاموس الإسلامى ٢٠/١ .

(٥) انظر: د/ أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونجرس ص٨٠ ط/ دار الاعتصام -القاهرة ١٩٩٤، وانظر: د/ آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين (١٩٠٦-١٩٧٩) ص ٢١١ سلسلة عالم المعرفة عدد أكتوبر ١٩٩٩م . .

(٦) انظر وليم كار: أحجار على رقعة الشطرنج ، ص٢٠ ترجمة سعيد جزائرى د/ دار النفائس - بيروت ١٩٧٦ .

الصهاينة فى السعاية والوشاية ليزيحوا من طريقهم كل من يرفض الموافقة على رغبتهم فى إنشاء وطن قومى لليهود، وإن لم تفلح الوشاية ربما دبروا لاغتياله.

وقد تنبه بعض الزعماء الغربيين لخطر وشاية اليهود، فكان بنيامين فرانكلين -الذى كان أول رئيسٍ لمجلس تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٧٩- يحذر من اليهود فى خطابه التاريخى قائلاً:

«**إن هؤلاء اليهود هم أبالسة الجحيم، وخفافيش الليل، ومصاصو دماء الشعوب، أيها السادة: اطردوا هذه الطغمة**[١] الفاجرة من بلادنا قبل فوات الأوان ضمانًا لمصلحة الأمة وأجيالها القادمة: وإلا فإنكم سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون وستجدون أنهم قد سيطروا على الدولة والأمة، ودمروا مابنيناه بدمائنا، وثقوا أنهم لن يرحموا أحفادنا بل سيجعلونهم عبيدًا فى خدمتهم»[٢].

وعلى حين انطلقت أمثال هذا التحذير مدوية فى أعماق التاريخ، انخدع أكثر ساسة الغرب وزعمائه بوشاية أبالسة الجحيم، فتقاتلوا وتطاحنوا بسبب وبغير سبب، حتى ظهروا وكأنهم رسوم متحركة أو عرائس مسرحٍ تحركها أيدٍ خفية!!!

ولعل جهاز الموساد الإسرائيلى -الآن- هو أبرز صورة لتجسيد ماعليه اليهود من الوشاية والتجسس والتآمر عالميًا.

وهكذا يتضح أن نهى السفر عن الوشاية كخلق ذميم إنما هو خاص بالإسرائيليين وحدهم.

٧- النهى عن التفاؤل والتشاؤم:

ومن الأشياء التى عدها السفر من الأخلاق الذميمة ونهى عنها: التفاؤل والتشاؤم، جاء فيه: «**لاتتفاءلوا ولا تعيفوا**»[٣].

والتفاؤل: ضد التطير، وهو الاستبشار وارتقاب الخير، يقال تفاءل بالشيء تيمن به واستبشر[٤].

والعيافة هى كراهية الشيء، يقال عاف الطعام أو الشراب أى كرهه، وقد يقال فى

---

(١) الطغمة: تعبير يطلق على أوغاد الناس ورذال الطير. انظر القاموس المحيط ٤/ ١٤٢ مادة (طغم).
(٢) نهاية اليهود ص٧٧، ٧٨.
(٣) اللاويين ١٩: ٢٦.
(٤) انظر: القاموس المحيط ٤/ ٢٧ مادة (فأل) المعجم الوجيز ص٤٦ مادة (فأل).

غيرهما، ويستعمل أيضًا فى التشاؤم، يقال: عاف الشيء تشاءم منه[١].

والنهى عن التشاؤم أو العيافة شيء جيد، لأن التشاؤم يجعل الإنسان فى حيز ضيق من الحياة، فهو يرتقب الشر فى كل عمل يتشاءم فيه.

ولكن برغم نهى السفر عن التشاؤم أو العيافة فإن الباحثين فى السمات الأساسية للشخصية اليهودية يقررون أن أهم تلك السمات هى:

«التشاؤم والكآبة والإحساس بالفشل والعدوانية والتشكك»[٢].

والغريب -هنا- أن ينهى السفر عن التفاؤل والتشاؤم فى آن واحد وهما نقيضان؟!

ويزعم أهل الكتاب أنهم نهوا عن التفاؤل والتشاؤم لأنها أمور لاتليق بأولاد الله[٣] الذين يسلمون حياتهم كلها لله المعتنى بهم والمحافظ عليهم[٤].

ولكن هذا كذب صريح يفضحه مانراه من المناظر الكالحة والوجوه العابسة التى نراها دومًا من قادة إسرائيل.

هذه هى بعض أخلاق اليهود كما يصورها سفر اللاويين.

فكيف كان موقف الإسلام من ذلك؟ هذا ماسأعرضه فى المبحث التالى.

* * *

(١) انظر: القاموس المحيط ٣/ ١٧٣ مادة (عاف).

(٢) انظر: د/ رشاد الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية ص١١٨، و د/ قدرى حفنى: الإسرائيليون من هم؟ ص٣٩١.

(٣) تعالى الله عن الولد والصاحبة.

(٤) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٤١ بتصرف يسير.



المبحث الثانى

موقف الإسلام من الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الأخلاق فى الإسلام.

المطلب الثانى: مقارنة الأخلاق الواردة فى سفر اللاويين بنظائرها فى الإسلام.

المطلب الثالث: أهم خصائص الجانب الأخلاقى فى الإسلام.

المبحث الثانى

موقف الإسلام من الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين

المطلب الأول: أهمية الأخلاق فى الإسلام.

لقد اعتنى الإسلام بالجانب الخلقى وأولاه اهتمامًا لايقل أهمية عن الجوانب الأخرى كالعقيدة أو التشريع وغيرهما.

فكثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق -أمرًا بالجيد منها، ومدحًا للمتصفين بها، ومع المدح: الثواب، ونهيًا عن الردئ منها وذم المتصفين به ومع الذم: العقاب- تدل على أهميتها، ومما يزيد فى هذه الأهمية أن هذه الآيات منها مانزل فى مكة قبل الهجرة، ومنها مانزل فى المدينة بعد الهجرة، ممايدل على أن الأخلاق أمر مهم جدًا لايستغنى عنه المسلم، وأن مراعاة الأخلاق تلزم المسلم فى جميع أحواله، فهى تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها فى سوره المكية والمدنية على حدٍ سواء[١].

بل إن نبى الإسلام ﷺ عبَّر عن الدين بحسن الخلق، وذلك عندما جاءه رجل يسأل: قائلاً: ماالدين يارسول الله؟ قال: الدين حسن الخلق، ولازال الرجل يكرر السؤال على النبى ﷺ ويأتيه من خلفه وعن يمينه وعن شماله كالمستقلل لهذه الإجابة، حتى قال له النبى ﷺ يارجل أما تفقه، قلت: الدين حسن الخلق»[٢].

فلا خير فى تدين خلا صاحبه من خلق حسن.

وقال ﷺ «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[٣].

ومن المعانى البارزة فى الجانب الأخلاقى فى الإسلام أن النبى ﷺ حينما دعا إلى محاسن الأخلاق بين أنه قد سبقه فى الدعوة إلى مكارم الأخلاق جمع من الرسل الكرام فلم يتجاهل تلك الجهود المبذولة، بل قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم**

---

(١) انظر: د/ عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص٧٨ .

(٢) أورده الإمام الغزالى فى الإحياء ٣/ ٧٢ وقال الحافظ العراقى حديث مرسل .

(٣) سنن أبى داود ٤٦٨٢ ك السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصه ٥/ ٦٠ وأخرجه الترمذى برقم ١١٦٢ وقال (هذا حديث حسن صحيح) .

الأخلاق»[١] .

المطلب الثانى : مقارنة الأخلاق الواردة فى سفر اللاويين بنظائرها فى الإسلام :

وقد كان موقف الإسلام من الجانب الأخلاقى فى سفر اللاويين كالآتى :

أولاً : فى بر الوالدين :

تناول الإسلام المسألة بإحاطة بليغة بين فيها أن بر الوالدين ليس أمرًا مندوبًا أو مباحًا بل هو واجبٌ قرينٌ لعبادة الله تعالى حتى ولو كانا كافرين ،

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [٢]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾ [٣]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [٥] .

بل فى سورة الأنعام نجد أن الله تعالى يلفت الأنظار إلى وجوب بر الوالدين ببيان أن حرمة العقوق تصل إلى درجة حرمة الشرك بالله تعالى ، يقول الله عز وجل : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ [٦] .

وفى آيات سورة الإسراء تفصيل دقيق للنهج الذى يجب اتباعه فى معاملة الوالدين ومعاشرتهما ، وتشتد فى التوصية بهما حينما يكبران ويضعفان جسمًا وتفكيرًا ومالاً فجسمًا : يبتليان بالأمراض ويحتاجان إلى العناية والخدمة ، وتفكيرًا : يصابان بضعف القوى العقلية وضيق النفس فيحتاجان إلى الحلم والأناة ، ومالاً : فلا يقدران على الكسب والإنفاق ، فإذا بلغا تلك الحالة يجب على الولد أن يحذر أن يقع فيما يغضبهما ولو بأقل شيء وهو كلمة «أف» قال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٨١ ، ورواه مالك فى الموطأ : ك حسن الخلق ، باب ماجاء فى حسن الخلق ٢/ ٦٩٠ وقال ابن عبد البر هذا حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح .

(٢) سورة النساء الآية (٣٦) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٢٣) .

(٤) سورة لقمان الآيات (١٤ ، ١٥) .

(٥) سورة الأحقاف الآية (١٥) .

(٦) سورة الأنعام الآية (١٥١) .

لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [١].

وجاء فى الحديث عن الحسين بن على مرفوعًا: «**لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من «أف» لحرمه**»[٢].

ثم وضح القرآن بقية المنهج فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [٣].

أى تواضع لهما بفعلك، وادع لهما بالرحمة فى كبرهما وعند وفاتهما[٤].

بل إن الإحسان للوالدين ليس فقط فى حال حياتهما بل بعد مماتهما، فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله: هل بقى على من بر أبواى شئ بعد موتهما أبرهما به؟ قال: نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لارحم لك إلا من قبلهما، فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما»[٥].

وعظم الإسلام حق الوالدين وذلك ببيان مايبذلان من جهد مضن فى سبيل أن يكبر الأولاد، فمهما بذل الأولاد من البر بعد ذلك فهو شيء قليل، لذلك جاء رجل فى الطواف حول البيت الحرام وهو يحمل أمه يطوف بها، فسأل النبى ﷺ -هل أديت بهذا حقها؟ فقال: لا، ولا بزفرة واحدة»[٦].

كما بين الإسلام قبح سب الوالدين وذكر أنه من أكبر الكبائر فقال رسول الله: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يارسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه**»[٧].

فبين قبح هذا الفعل وفظاعته ولكنه لم يحكم بالقتل كما فى سفر اللاويين، وذلك لأن الضمائر المؤمنة والقلوب الموصولة بالله، ربما كان أخلف عليها أن تلقى حتفها من أن ترتكب كبيرة.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٣).

(٢) السيوطى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/ ١٧٤ ط: دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت - لبنان.

(٣) سورة الإسراء الآية (٢٤). (٤) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٢.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٩٧ وهو عن مالك بن ربيعة الساعدى.

(٦) مسند الحافظ البزار وهو عن سليمان بن بريدة عن أبيه، والحديث (ضعيف) قال فيه الحافظ ابن كثير «فيه الحسن بن أبى جعفر وهو ضعيف» التفسير ٥/ ٤٣.

(٧) البخارى بشرح ابن حجر: ٥٩٧٣ ك الأدب، باب لايسب الرجل والديه ١٠/ ٤٨٧.

ومن حكمة الإسلام أنه فتح باب التوبة لمن يقع فى عقوق الوالدين، ونلحظ هذا فى التقرير الإلهى الذى جاء فى سورة الإسراء بعد ذكر آيات البر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (١).

ولم ينس الإسلام -بعد كل تلك التوجيهات للأبناء- أن طبائع بعض الآباء والأمهات قد تكون شريرة برغم بر الأبناء، فوجه الآباء خير توجيه، قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله والدًا أعان ولده على بره بطاعته**»(٢).

وقال ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**»(٣).

ومن هنا نرى أن الإسلام لم يجعل مسؤلية البر كلها على الأبناء وحدهم، وإنما أشرك فيها الآباء، وجعلهم الأساس فى البر والإحسان، وهذا عكس ما فى سفر اللاويين حيث قرر أن من سب والديه يقتل ودمه عليه، وماعلى الرجل إذا ماسبه ولده إلا أن يذهب لشيوخ مدينته ليخبرهم لينفذوا فيه القتل دون أن يسألوه بينة أو يفهموا حيثيات هذا العقوق!!

ومن طريف مايذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه رجل يشكو عقوق ولده له، فاستدعاه عمر، فقال الولد: ياأمير المؤمنين هل لى أن أعرف ماحق الولد على أبيه؟ قال: نعم، أن يحسن اسمه، وأن ينتقى أمه، وأن يعلمه شيئًا من القرآن، فقال الولد: ياأمير المؤمنين لقد سمانى جعلاً(٤)، واستولدنى من أمة، وماعلمنى حرفًا من القرآن، فالتفت عمر إلى الرجل وقال: لقد عققت ولدك قبل أن يعقك(٥).

فانظر رحمك الله كيف علم الإسلام أتباعه الحكمة فى فصل الأمور، ووضع المسؤليات فى مواضعها وفى أهلها.

ولعل من الإنصاف أن نذكر هنا أن الإسلام قد أقر مافى الوصية الخامسة التى جاءت فى سفر الخروج تنص على أن بر الوالدين سبب فى طول أيامه على الأرض،

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٥).

(٢) العجلونى: كشف الخفا برقم ١٣٧٦ /١ /٤٢٧ ط/ دار الكتب العلمية -بيروت ١٩٨٨ وقال روى عن على وابن عمر مرفوعًا بسند ضعيف.

(٣) ابن عبد البر: التمهيد ٢/ ٣٠٩ ط/ مطبعة فضالة المحمدية -القاهرة- تحقيق سعيد أحمد أعراب.

(٤) الجعل هو: اسم يطلق على الشئ القليل الدميم. انظر القاموس المحيط ٣/ ٣٣٨ مادة (جعل).

(٥) راجع ابن القيم تحفة الودود فى أحكام المولود ص٢٠٠ ط دار الريان للتراث: القاهرة.

فقد قال نبى الإسلام ﷺ: «من سره أن يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه»(١).

كذلك قرر الإسلام أن بر الوالدين كان ضمن الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢).

ومن هنا نعلم أن بنى إسرائيل قد أمروا بالبر والإحسان إلى الوالدين، ولم يؤمروا بقتل الذى يسب والديه، ولابجلده كما تأول بعضهم (إن كان السبب غير مقترن بيهوه) ولا أمروا بمجامعة أمهاتهم كما يقول التلمود!!.

ومن تمام بيان موقف الإسلام من مسألة بر الوالدين، أُوجِّه تحذيرًا لكل مسلم من خطر الماسونية التى تدعو إلى تحطيم الروابط الأسرية -كما رأينا(٣)- والتى أوشك ألا يخلو شيء فى حياتنا من أصابع الماسونية(٤).

ثانيًا: الصدق والوفاء فى أخلاق الإسلام:

وأما عن الصدق والوفاء فهما من أبرز الأخلاق الإسلامية. فقد اعتبر الإسلام الصدق فضيلة أساسية ضرورية للاجتماع الإنسانى ولولاها ماقامت شريعة، ولا استنارت سبل الهداية، ولاحفظ العلم.

وقد امتدح الإسلام الصدق والصادقين وحث عليه فى كثير من آيات القرآن الكريم تصل إلى نحو ١٤٨ موضعًا، فتارة يحض على مصاحبة الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (٥) وتارة يبين أن الصدق هو ملاك الحياة بكل مافيها من عقائد وشرائع وأخلاق وسياسات وفنون، فيذكر جملة من العقائد والشرائع والآداب ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (٦).

إذ الحياة بدون الصدق معدومة المعنى، مهدومة المبنى، وهى كلا حياة.

وتارة يربط الصدق بالجزاء فى اليوم الآخر ويثبت فلاح الصادقين فيقول سبحانه

(١) الطبرانى: المعجم الكبير برقم -١٨٢٢ ١١/ ٣٠٧، ورواه الحاكم: المستدرك ٤/ ١٦٠ وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) سورة البقرة الآية (٨٣).

(٣) انظر ص ٨٦ من هذا البحث.

(٤) راجع فى هذا الكتاب «الأصابع الخفية» للأستاذ/ أحمد عبد الله - ط بيت الحكمة للنشر والتوزيع- القاهرة.

(٥) سورة التوبة الآية (١١٩).

(٦) سورة البقرة الآية (١٧٧).

وتعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى -أيضًا- : ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (٢) .

وتارة بذكر نماذج من المثل العليا للصادقين ليحذوا الناس حذوهم، فيقول -مثلاً- في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٣) ، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (٤)

وتارة أخرى يرغب في الصدق بذم الكذب والكذابين وقد ورد ذلك في نحو ٢٤٨ موضعًا في القرآن الكريم (٥) .

فتارة يبين أن الكذب أقبح المنكرات فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦) .

وتارة يبين أن الكذب يؤدي إلى النفاق: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧) .

وتارة يبين مقدار الفضيحة التي تلحق الكذابين يوم الحشر الأكبر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٨) .

وتارة يبين أن الكذب قرين الكفر: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٩) .

وتارة يحذر من الكذب بذكر عاقبة أهله فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (١٠)

وتارة يبين بلادة الكذابين وكيف يخيل إليهم أنهم حتى في يوم الحساب يمكن أن يروج كذبهم كما كان يروج في الدنيا غير أن الله فاضحهم: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ

---

(١) سورة المائدة الآية (١١٩) .
(٢) سورة الأحزاب الآية (٢٤) .
(٣) سورة مريم الآية (٥٠) .
(٤) سورة مريم الآية (٥٦) .
(٥) انظر د/ محمد حسن الحمصي: فهرست ألفاظ القرآن الكريم ص١٨٧ مادة (كذب) ط دار الرشيد - دمشق .
(٦) سورة الأنعام الآية (٢١) .
(٧) سورة التوبة الآية (٧٧) .
(٨) سورة هود الآية (١٨) .
(٩) سورة النحل الآية (١٠٥) .
(١٠) سورة البقرة الآية (١٠) .

لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ (١) .

وتارة يبين أن الكذاب لايهتدى فى حياته إلى خير : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢) .

وفى السنة المطهرة عشرات الأحاديث التى عالجت مرض الكذب منها :

ماجاء عن أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- قالت : ماكان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب»(٣) .

وحذر من الكذب فى كل شيء ، فبدأ ببيان المقدار الذى يعد كذبًا ، فقد جاءته امرأة تقول : «**يارسول الله إن إحدانا إن قالت لشيء تشتهيه لا أشتهيه ، أيعد ذلك كذبًا؟ فقال : إن الكذب يكتب عند الله كذب ، حتى تكتب الكذيبة كذيبة**»(٤) .

وقال : «**من قال لصبى تعال هاك -أى أعطيك- ثم لم يعطه فهى كذبة**»(٥) .

واعتبر المزاح كذبًا من الكذب ، قال ﷺ : «**ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له**»(٦) .

وحذر من الكذب فى البيع والشراء وبين أنه ماحق للبركة «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»(٧) .

وحذر من الكذب فى التبليغ عنه قال : «**من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»(٨) .

هذه صورة موجزة لعلاج الإسلام لمرض الكذب وتوجيهه نحو الصدق كخلق حميد وقيمة وفضيلة من الفضائل الإنسانية .

والصدق فى الإسلام خلق عام مع المسلم وغير المسلم ، وحرمة الكذب مع غير المسلم كحرمته مع المسلم ، وذلك لعموم النصوص الواردة فى هذا .

ومن شأن تلك الصورة الشاملة -إذا صادفت عقولاً منصفة وقلوبًا سليمة- أن تغرى

---

(١) سورة المجادلة الآية (١٨) . (٢) سورة غافر الآية (٢٨) .

(٣) صحيح الترمذى ١٩٧٣ ك البر والصلة ، باب ماجاء فى الصدق والكذب (٤/ ٣٤٨) وقال حديث حسن .

(٤) الإمام أحمد : المسند ٦/ ٤٣٨ . (٥) الإمام أحمد : المسند ٢/ ٤٥٢ .

(٦) الطبرانى : المعجم الكبير ١٩/ ٤٠٣ .

(٧) البخارى بشرح ابن حجر ٢١١٠ ك البيوع ، باب البيعان بالخيار مالم يتفرقا ٤/ ٤٠٣ .

(٨) البخارى بشرح ابن حجر : ١٠٧ ك العلم ، باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١/ ٢٥٣ .

الناس بالتزام الصدق وتنفرهم من الكذب .

فهل رأيت شيئًا من هذا فى توراة وتلمود بنى إسرائيل؟

توراتهم التى تقول «**لاتكذبوا ولاتغدروا أحدكم بصاحبه**» فقط ! !

وتلمودهم الذى يقول : «**يجوز لليهودى أن يحلف مائة يمين كاذبة عند معاملته لباقى الشعوب**» ! ! ! !

وأما عن الوفاء بالعهود، واحترام المواثيق والتحذير من الغدر :

فلابد أن نعلم أنه ليس هناك دين احترم المواثيق والعهود كما احترمها الإسلام، وليس هناك دين أبغض الغدر وكره أهله كما كرهه الإسلام .

فقد حث الإسلام على الوفاء بالعهد قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [(١)] ، ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [(٢)] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [(٣)] . ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ [(٤)] .

ونادى بنى إسرائيل لما عرف عنهم من الغدر ونقض العهد : ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [(٥)] .

ومدح الذين يوفون بالعهد بأنهم العقلاء : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [(٦)] .

وذم الغادرين الذين لايوفون بعهد فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [(٧)] .

وبين أن الوفاء بالعهد لايعد له أى ثمن، والذى يعدل به ثمنًا -مهما كان- هو محروم لانصيب له : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [(٨)]

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [(٩)] .

ولاأريد أن أستطرد فى إيراد الآيات القرآنية التى تحث على الوفاء وتذم الغدر، فقط

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٤) .
(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٢) .
(٣) سورة المائدة الآية (١) .
(٤) سورة النحل الآية (٩١) .
(٥) سورة البقرة الآية (٤٠) .
(٦) سورة الرعد الآيات (١٩، ٢٠) .
(٧) سورة الرعد الآية (٢٥) .
(٨) سورة آل عمران الآية (٧٧) .
(٩) سورة النحل الآية (٩٥) .

أريد أن ألفت النظر إلى تقريرات القرآن الكريم عن اليهود وغدرهم ونقضهم العهود فمثلاً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) . ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (٢) .

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣) .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (٤) .

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٥) .

فهذه تقريرات صارخة فى كشف سوء أخلاق اليهود، وبيان غدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق، ورحم الله الدكتور/ محمد الصادق عرجون إذ يقول: «**اليهود أنقض أمة لعهد، وأغدر شعب بميثاق، وأخون جماعة لأمانة . . . فهم متواصون على النكث بالعهد، يعهد سلفهم إلى خلفهم بذلك وصية من الآباء إلى الأبناء، ومن الجدود إلى الحفدة، وهذا هو العهد الوحيد الذى حافظوا عليه فلم يخيسوا به، ولم ينقضوه، عهدهم على ألا يفوا بعهد لله ولا للناس**»(٦) .

والإسلام حينما يكره الغدر يكرهه حتى ولو كان بكافر، لأن الفضيلة لا تتجزأ فيكون المرء وفيًا مع قوم غادرًا أو خائنًا مع آخرين .

ولذلك يقول المصطفى ﷺ: «**أيما رجل أمن رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء ولو كان المقتول كافرًا**»(٧) .

كما نجد القرآن الكريم يوجب رعاية العهد والوفاء به مهما كانت الظروف حتى فى

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٠) .
(٢) سورة المائدة الآية (١٣) .
(٣) سورة النساء الآية (١٥٥) .
(٤) سورة الأنفال الآيات (٥٥، ٥٦) .
(٥) سورة المائدة الآية (٧٠) .
(٦) د/ محمد الصادق عرجون: الموسوعة فى سماحة الإسلام ١/ ٢٣٥ ط مؤسسة سجل العرب -القاهرة ١٩٧٢ .
(٧) عبد الرازق الصنعانى: المصنف برقم ٩٦٧٩ باب جهاد النساء والقتل والفتك ٥/ ٣٠٠ ط المكتب الإسلامى -بيروت ١٩٨٣ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .

حال الحرب يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (١). أى أعلمهم بردك لعهدهم.

ويوجب الإسلام على أتباعه نصرة إخوانهم، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار لم تجز النصرة، لأن وسيلتها الخيانة ونقض العهد، والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

وقال بعض الفقهاء: «**لايجوز للمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل ديارهم بأمان منهم، لأن خيانتهم غدر ولايصلح فى دين الإسلام الغدر**»(٣).

وقال بعض الفقهاء: «**إذا أطلق الكفار الأسير المسلم واستحلفوه أن يبعث إليهم بفدائه أو يعود إليهم لزمه الوفاء قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾. ولأن الرسول ﷺ قال: «إنا لايصلح فى ديننا الغدر»**»(٤).

فهل رأيت وفاءً كهذا؟

والإسلام لم يشأ أن يجعل أتباعه مكتوفى الأيدى أمام ناكثى العهود وناقضى المواثيق، الذين يطعنون من الخلف دائمًا، وإنما رسم لهم الطريق يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

وقال لنا فى الذين ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٦). قال العلماء: نكل بهم وغلظ عقوبتهم لعلهم

---

(١) سورة الأنفال الآية (٥٨). (٢) سورة الأنفال الآية (٧٢).

(٣) ابن قدامة الحنبلى: المغنى ٨/ ٤٥٨ بتصرف -يسير.

(٤) المرجع السابق ٨/ ٤٨٣. (٥) سورة التوبة الآيات (١٢-١٤).

(٦) سورة الأنفال الآية (٥٧).

يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك[١] .

فهلا أفاق المسلمون ونهضوا بأخلاق دينهم، حتى تعود إليهم كرامتهم وثقة الناس بهم .

ثالثًا: الرحمة بالعجزة والضعفاء فى الإسلام:

لقد شمل الإسلام العجزة والضعفاء بصنوف من الرعاية والإحسان، فقد خفف عنهم من التكاليف ماقد يشق عليهم كالجهاد أو غيره عن عدم الاستطاعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾[٢] .

ورفع الحرج عنهم فى أن يأكلوا من بيوت إخوانهم المؤمنين قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ﴾[٣] .

قال مجاهد[٤]: نزلت هذه الآية ترخيصًا للمرضى والزمنى فى الأكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية، وذلك أن قومًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم مايطعمون به ذهبوا إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله تعالى فى هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتحرجون أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكيه . . فأنزل الله هذه الآية[٥] .

وقال سعيد بن المسيب[٦]: « **نزلت فى أناس كانوا إذا خرجوا مع النبى** ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرونهم أن

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧٥ . (٢) سورة التوبة الآية (٩١) .

(٣) سورة النور الآية (٦١) .

(٤) مجاهد هو: ابن جبر المكى مولى بنى مخزوم من أكابر مفسرى التابعين تتلمذ على يد ابن عباس وسأله عن التفسير آية آية ولد ٢١ هـ فى خلافة عمر ومات ١٠٤هـ وعمره ثمانون سنة . انظر: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٣٤٣ ط دار صادر -بيروت- .

(٥) الواحدى: أسباب النزول ص٢٧٥، ٢٧٦ .

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى المدنى من سادات التابعين كان رأسًا فى العلم فى المدينة، اشتهر بالعلم فى الحلال والحرام، وكان من أحفظ الناس لأقضية عمر توفى ٩٤هـ، انظر: طبقات الحفاظ للسيوطى ص١٧، ١٨ . تحقيق على محمد عمر ط: مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٣م .

يأكلوا مما فى بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، فكانوا يتقون أن يأكلوا منها ويقولون نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية»(١).

وبين الإسلام كذلك أن معاونة الأعمى والأصم والكبير وعموم الضعفاء سبب فى سعة الرزق وجلب النصر، قال رسول الله ﷺ: « **إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم**»(٢).

ومثل هذا التقرير جعل المجتمع يتنافس على خدمة ورعاية الزمنى وذوى العاهات، حتى رأينا الخليفة عمر بن الخطاب يتسابق هو ورجاله فى خدمة عجوز من عجائز المدينة كل منهم يريد أن يكنس لها خيمتها ويعد لها طعامها(٣).

وشمل الإسلام -كذلك- فى عطفه على المرضى والزمنى، مرضى أهل الكتاب وزمناهم:

ففى عقد الذمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: «**وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابه آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله**»(٤).

ورأى عمر بن الخطاب شيخًا يهوديًا يسأل الناس فسأله عن ذلك فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأته إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال مايكفيهم ويصلح شأنهم، وقال: «**ماأنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابًا ثم نخذله عند الهرم**»(٥).

ولما قدم عمر الجابية مر فى طريقه بقوم مجذمين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت(٦).

ومن هذا يتضح أن الرحمة بالعجزة والضعفاء فى ظل الإسلام مبدأ عام يشمل كل ضعيف وعاجز فى المجتمع الإسلامى مسلمًا وغير مسلم.

---

(١) أسباب النزول ص٢٧٦ .

(٢) عبد القادر بدران: تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٥/ ٤٣٨ ط دار المسيرة -بيروت- ١٩٧٩ وله شاهد فى الصحيح .

(٣) انظر: أبى الفرج بن الجوزى: سيرة عمر بن الخطاب ص٦٦ ومابعدها ط مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة ١٩٩١م .

(٤) القاضى أبو سيف: الخراج ص١٤٤ ط دار المعرفة -بيروت .

(٥) المرجع السابق ص١٢٦ .

(٦) أحمد بن يحيى البلاذرى: فتوح البلدان ص١٧٧ ط مؤسسة المعارف -بيروت- ١٩٨٧ .

رابعًا: العدل فى الإسلام:

الإسلام دين يحب العدل والمساواة، ويأبى أن يظلم الناس لأى أمر من الأمور.

وقد حث الله تعالى المؤمنين على التزام العدل فى كل أمر، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (٣).

وأمر النبى ﷺ أن يقول: «**قل أمر ربى بالقسط**»(٤). أى بالعدل.

والعدل فى الإسلام خلق عام يشمل العدل مع المسلم وغير المسلم، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٥). أى لايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل مع أى أحد، صديقًا كان أو عدوًا(٦).

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (٧). فالناس هنا عموم البشر مسلمين وغير مسلمين.

ومناسبة نزول هذه الآية توضح كيف أن العدل فى الإسلام يأبى إلا أن يدان المتهم ولو كان مسلمًا وأن يبرأ البرئ ولو كان يهوديًا.

فقد جاء أن رجلاً من المسلمين سرق درعًا ثم وضعه عند يهودى -كأمانة- فحامت التهمة حول اليهودى، وهمَّ النبى ﷺ أن يدافع عن المسلم حسب ظواهر الأمور، ولكن الوحى جاء مقرًا للعدالة ففضح المجرم المسلم، وبرأ اليهودى البريء، وأمر النبى ﷺ بالاستغفار مما هم به فنزلت: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (٨).

ونزلت آيات خاصة فى إيجاب وتقرير الحكم بالعدل مع اليهود، من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠).
(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٢).
(٣) سورة النساء الآية (٥٨).
(٤) سورة الأعراف الآية (٢٩).
(٥) سورة المائدة الآية (٨).
(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٨.
(٧) سورة النساء الآية (١٠٥).
(٨) انظر الواحدى: أسباب النزول ص١٤٨ والآيتين رقم (١٠٦، ١٠٧) من سورة النساء.

شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [١] .

وقد جاء أن عبد الله بن رواحة [٢] لما بعثه النبى ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم أرادوا أن يرشوه فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أجدادكم من القردة والخنازير، ومايحملنى حبى إياه وبغضى لكم على ألا أعدل فيكم فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض» [٣] .

واليهود برغم إقرارهم بأن السموات والأرض قامتا بالعدل حاولوا كثيرًا أن يصرفوا المسلمين عن العدل والحكم به.

قال ابن عباس [٤] -رضى الله عنهما- إن نفرًا من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم، وأنا إن اتبعناك، اتبعنا اليهود ولن يخالفونا، وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى عليهم فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [٥] .

وإذا لاحظنا فى تحذير سفر اللاويين من الجور فى القضاء توجيه إلى عدم مجاملة الغنى لغناه، أو مجاملة الفقير لعدم توقع وقوع الظلم منه -كما رأينا- فإن هذا يوافق مافى القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٦] .

قال ابن كثير [٧] -رحمه الله-: «**كونوا قوامين بالقسط أى بالعدل، ولايصرفنكم عنه**

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٢).

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا ومابعدها إلى أن استشهد بمؤته، انظر: ابن حجر العسقلانى: الإصابة فى تمييز الصحابة ٤/ ٨٣ ط نهضة مصر - القاهرة.

(٣) على بن أبى بكر الهيثمى: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/ ١٢٢ ط دار الكتاب العربى -بيروت ١٩٨٢م.

(٤) عبد الله بن عباس هو: ابن عبد المطلب القرشى ابن عم رسول الله (ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل بخمس كان فقيهًا عالمًا، انظر: ابن حجر العسقلانى الإصابة فى تمييز الصحابة ٤/ ١٤١.

(٥) سورة المائدة الآية (٤٩).

(٦) سورة النساء الآية (١٣٥).

(٧) ابن كثير هو: عماد الدين بن كثير القرشى الدمشقى ولد نحو سنة ٧٠٠ هـ كان محبًا للعلم منذ صغره وله مؤلفات فى مختلف العلوم وكان شيخه ابن تيمية يحبه جدًا لنبوغه توفى سنة ٧٧٤هـ ودفن فى دمشق، انظر: ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٤٥ ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- ١٩٨٦

صارف، حتى ولو كان القضاء فيه مضرة عليك أو على والديك أو أقاربك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا، ولاتحابى غنيًا لغناه فتحكم له، ولاتشفق على فقير لفقره فتقضى له، ولايحملنكم الهوى والعصبية وبغضة الناس إليكم عن العدل فى أموركم وشئونكم، بل الزموا العدل على أى حال كان»(١) .

وقد جاء أن هذه الآية نزلت فى غنى وفقير اختصما إلى النبى فرأى أن الفقير لايظلم الغنى، وكان ضلعه مع الفقير، ولكن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يقوم بالقسط فى الغنى والفقير فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ حتى بلغ ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (٢) .

وهكذا توافق عبارة التوراة: «**لاترتكبوا جورًا فى القضاء لاتأخذوا بوجه مسكين ولاتحترم وجه كبير**» آية القرآن: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ ولكن يبقى للقرآن فضله فى عموم أمره بالعدل، فى حين قالت التوراة بعد عبارتها السالفة «**بالعدل تحكم لقريبك**» .

ولم يكن موقف الإسلام من خلق العدل فى سفر اللاويين مجرد نصوص تحفظ فتتلى فى عيد للقرآن أو للسنة(٣) دون أن تنزل إلى ساحة الواقع .

«**فتاريخ الإسلام يحفظ كيف التزم القضاء الإسلامى العدل مع غير المسلمين لأبعد الحدود فمن ذلك مايروى: «أن عليًا بن أبى طالب اختصم هو ويهودى إلى عمر بن الخطاب، فلما مثلا بين يديه كان عمر ينادى عليًا بيا أبا الحسن -أى يكنيه- وينادى اليهودى بيا يهودى، فغضب على من ذلك، حتى سأله عمر: ماأغضبك؟ قال ياأمير المؤمنين: كنيتنى وجردته»**(٤) .

وكتب رجل من نصارى مصر إلى عمر بن الخطاب أن ابن الوالى عَمْرَ بن العاص قد ضرب ابنه حينما غلبه فى سباق كان بينهما، فكتب عمر إلى عمر بن العاص كتابًا شديد اللهجة جاء فيه:

«**. . . إلى العاص بن العاص، أما بعد: فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨ بتصرف يسير .

(٢) الواحدى: أسباب النزول ص١٥٢ .

(٣) إنما أقصد التعريض بما يفعل اليهود من تلاوة للنصوص فى عيد التوراه ولكن لاحظ لهم من الفهم أو التنفيذ .

(٤) انظر الألبانى: إرواء الغليل ١/ ٢٤٢ (ضعيف) .

أحرارًا، فإذا بلغك كتابى هذا فأعط الدرة لابن القبطى ليضرب بها ابن الأكرمين»[١] .

ويحدثنا الشعبى أن عليًا رضي الله عنه ضاعت منه درع فوجدها عند نصرانى، فأقبل به إلى القاضى «**شريح**» يخاصمه، وقال على: هذه الدرع درعى ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصرانى: ماتقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانى: ماالدرع إلا درعى وماأمير المؤمنين عندى بكاذب!! فالتفت شريح إلى على وقال: ياأمير المؤمنين، ألك بينة؟ فابتسم على وقال: أصاب شريح، مالى بينة، فقضى بالدرع للنصرانى، فأخذها ومشى خطوات ثم رجع، فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضى عليه، أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. الدرع والله درعك ياأمير المؤمنين، سقطت منك وأنت منطلق إلى صفين[٢] .

أفرأيت عدل الإسلام كيف حمل الخليفة على أن يمثل للقضاء مع مخالف له فى العقيدة، وكيف لم يحاول استغلال سلطانه ونفوذه؟ وكيف لم يجامله القاضى مع عدم شكه فى صدقه!!!.

ولم يكن هذا فى الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام فقط بل امتد إلى يوم الناس هذا، حتى أن المؤرخ الإسرائيلى/ صموئيل أتينجر يذكر أن اليهود الذين عاشوا فى ظل الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر بدأوا يعرضون عن التحاكم فى المحاكم الحاخامية، ففقدت المحاكم اليهودية المكانة المرموقة التى كانت تتمتع بها، ثم يقول «**ولاشك أن السياسة التى انتهجتها الدولة تجاه غير المسلمين شجعت اليهود على نظر قضاياهم أمام محاكم الدولة**»[٣] .

ويحكى الشيخ/ أبو الحسن الندوى[٤] أن نزاعًا قام بين المسلمين والهنادك فى قرية من قرى بلاد الهند على قطعة أرض ادعى الهنادك أنها معبد لهم، والمسلمون أنها مسجد لهم ولم يطمئن حاكم البلد الإنجليزى إلى النتيجة من دلائل الفريقين، فقال

---

(١) انظر: أبى الفرج بن الجوزى: سيرة عمر بن الخطاب ص ١٠٠، ١٠١ .

(٢) انظر: ابن كثير البداية والنهاية ٨/ ٤ .

(٣) د/ صموئيل أتينجر: اليهود فى البلدان الإسلامية ص٢٥٨ بتصرف يسير .

(٤) أبو الحسن الندوى: من أكابر علماء المسلمين زار مصر ودرس بها وله مؤلفات قيمة توفى ١٩٩٩ -رحمه الله تعالى- .

للهنادك: هل يوجد فى القرية مسلم تثقون بصدقه وأمانته أحكم على رأيه؟ قالوا: نعم، وسموا شيخًا من علماء المسلمين وصالحيهم، فطلبه الحاكم إلى المحكمة، فلما جاءه الرسول قال: قد حلفت أن لا أرى وجه إفرنجى، ورجع الرسول فقال الحاكم: لابأس، ولكن احضر وادل برأيك فى القضية، فحضر الشيخ وولى دبره إلى الحاكم، وقال: الحق مع الهنادك فى هذه القضية[1].

ويمتدح غوستاف لوبون القضاء الإسلامى فيصفه بالعدل يقول: «**ونظام القضاء والمرافعات عند المسلمين بسيط إلى الغاية، إذ يقوم بالقضاء قاضى معين من قبل ولى الأمر، يحضر الخصوم أمامه، ويترافعون إليه مشافهة، ويعرضون عليه بيناتهم التى قد تكون قائمة على الإقرار أو الشهادة أو التحليف، فينطق بالحكم حالاً، وتكون أحكام أولئك القضاة عادلة على العموم مع بساطة تلك الطرق، فروح العدل نامية كثيرًا فى العرب، ويرجع نموها فيهم إلى أن العدل أساس الحياة فى تلك المجتمعات التى لاتزال على الفطرة**»[2].

ويقول الدكتور -المصرى- نظمى لوقا: «... ومـاأرى شريعة أدعى للإنصاف، ولاشريعة أتقى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟﴾ [3].

وبعد كل هذه التقارير الواقعية والشهادات التى أدلى بها من ليسوا من المسلمين هل يمكن ادعاء المؤمنين بسفر اللاويين -يهودًا ونصارى- أنهم يحبون العدل وأن الإسلام دين الظلم والعصبية؟

ويبقى أن أقول: إن ادعوا هم ذلك وصدقوا أنفسهم فينبغى ألا ينخدع المسلمون.

خامسًا: الحب والصفح والعفو فى الإسلام:

الحب وصفاء السريرة والصفح والعفو: خصال حميدة عميقة الأثر فى النفوس البشرية.

«**فالحب يحول الحلو مرًا، والتراب تبرًا، والكدر صفاء، والألم شقاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذى يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت وينفخ**

---

(١) أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢٥٠ بتصرف ط/ مكتبة الدعوة بالأزهر.

(٢) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص٣٩١ بإيجاز -ترجمة عادل زعيتر- ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠.

(٣) د/ نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول ص٢٦ ط دار الكتب الحديثة -القاهرة- ١٩٥٩.

فيه الحياة»[(١)] .

ولقد دعا الإسلام إلى الحب وترك البغض، وجعله أساسًا للإيمان، فهو بمثابة عقيدة، فالمؤمن يحب الله واهب الحياة ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[(٢)] . ويحب الطبيعة فهى من آثار ماصنع المليك، وهى ليست عدوًا له، بل هى مسخرة لتعينه على القيام بالغاية التى من أجلها وجد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٣)] وقال -أيضًا-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)] .

ويحب الناس جميعًا لأنهم إخوته فى الآدمية، وشركاؤه فى العبودية لله، وعقيدته لاتأمره بنزعات عنصرية أو نعرات قومية، فهو على يقين أن الناس جميعًا لآدم وآدم من تراب، وتلك الرحم العامة هى التى أشار الله سبحانه وتعالى إليها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[(٥)] .

ولما كان البغض والحقد من الأمراض النفسية التى تفعل بالروح فعل الأوبئة بالأجسام، دعا الإسلام إلى صفاء السريرة وتنقيتها من الضغائن والأحقاد، فقال رسول الله ﷺ: «**لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[(٦)] .

والحقد والبغض خصال ذميمة تقود إلى حب الانتقام، وكراهية الخير للناس وتمنى نزول الشر بهم.

وقد كشف الله سبحانه وتعالى فى قرآنه المجيد عن بعض الطبائع النافرة عن الإيمان وأنها يمكن أن تبغض وتحقد لا لشيء إلا أن الله سبحانه وتعالى قد منح الآخرين فضلاً وخيرًا، ومن أحقد تلك الطبائع: طبائع اليهود.

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن

---

(١) هذه الكلمات للصوفى الكبير جلال الدين الرومى، وقد نقلتها عن كتاب «الإيمان والحياة» للدكتور/ يوسف القرضاوى ص١٥٥ ط مكتبة وهبة ١٩٨٧ .

(٢) سورة السجدة الآية (٧) .

(٣) سورة النحل الآية (١٢) .

(٤) سورة الجاثية الآية (١٣) .

(٥) سورة النساء الآية (١) .

(٦) البخارى بشرح ابن حجر: ٦٠٦٥ ك الأدب، باب من أثنى على أخيه بمايعلم ١٠/ ٥٨٣ .

يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١) .

فهذه آيات تفضح صنيع اليهود حين ذهبوا إلى المشركين ليقلبوهم ضد النبى ﷺ وشهدوا لهم بأن عبادتهم الأوثان خير من دين محمد، وبينت الآيات أن بغضهم لمحمد وأتباعه لمجرد أن الله سبحانه وتعالى رزقه النبوة وهو ليس من بنى إسرائيل، فحال الحسد بينهم وبين تصديقه، وليس الله سبحانه وتعالى فى منحه النبوة لمحمد ﷺ ظالمًا لهم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى فى أسباط بنى إسرائيل -الذين هم آل إبراهيم- نبوات كثيرة فمنهم من آمن ومنهم من صد وكفر (٢) .

وفضح بنى إسرائيل وكشف للمسلمين طويتهم الحاقدة فى آيةٍ أخرى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ﴾ (٣) .

وبين سبحانه وتعالى مقدار الحق والبغضاء التى يكنها أهل الكتاب للإسلام والمسلمين ونهاهم عن اتخاذهم بطانة لهم قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤) .

قال ابن كثير -رحمه الله-: «**وقوله سبحانه وتعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أى من غيركم من أهل الأديان... لأنه قد لاح على صفحات وجوههم، ومن فلتات**

(١) سورة النساء الآيات (٥١-٥٥) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥ .

(٣) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٤) سورة آل عمران الآيات (١١٨-١٢٠) .

ألسنتهم العداوة . . مع ماهم مشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله - مالايخفى مثله على لبيب عاقل»[(١)] .

كما أخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب يهودًا ونصارى -أولئك الذين تضطرم قلوبهم بغضًا وحقدًا للناس -هم فيما بينهم أكثر الناس تباغضًا وتحاقدًا برغم مايظهرون من الود والإءتلاف قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [(٢)] وقال سبحانه وتعالى عن النصارى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [(٣)] وقال سبحانه وتعالى : ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [(٤)] .

ومما لاينسى فى موقف الإسلام من البغض والكره أنه قد وجه تلك الخصال نحو عدو تشترك الإنسانية جمعاء فى بغضه وكرهه ، إنه الشيطان ، قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [(٥)] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [(٦)] .

فإذا ماحالف هذا العدو أحدًا من جماعة البشر استحق أن يبغض كما يبغض حليفه الشيطان ، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [(٧)] .

وهذا يعنى أن دائرة البغض والكره فى ظل تعاليم الإسلام قد ضاقت جدًا وحصرت فى نطاق أن يكون البغض والكره لله وفى الله .

قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»**[(٨)] .

وهذا يعنى أن المسلم إذا أبغض مخالفه فى العقيدة لايبغضه لمصلحة شخصية ولا لمنفعة ذاتية ، وإنما يبغضه لأنه حاد عن طريق الله السوى .

ولما كان الحقد والبغض قد يدفعان الإنسان فى كثير من الأحيان إلى الانتقام فقد

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٥ ، ٦٦ بإيجاز .
(٢) سورة المائدة الآية (٦٤) .
(٣) سورة المائدة الآية (١٤) .
(٤) سورة الحشر الآية (١٤) .
(٥) سورة فاطر الآية (٦) .
(٦) سورة البقرة الآية (١٦٨) .
(٧) سورة النساء الآية (٧٦) .
(٨) سنن أبى داود ٤٦٨١ ك السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصه ٥/ ٦٠ .

جاء الإسلام دعوة إلى العفو والصفح حتى عن أشد الناس إيذاءًا، وأمر النبى ﷺ أن: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١).

وامتدح الله سبحانه وتعالى أهل العفو والصفح قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

حتى حينما بين أنه يجوز رد السيئة بمثلها أرشد إلى أن العفو أفضل قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾(٤).

قال ابن كثير -رحمه الله- معقبًا على تلك الآية: «**شرع العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، وأخبر أن ذلك لايضيع عنده**»(٥).

وكذلك أمر الإسلام أتباعه بالعفو والصفح(٦) عن أهل الكتاب برغم حسدهم وحنقهم عليهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٩٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٣٤).
(٣) سورة التغابن الآية (١٤).
(٤) سورة الشورى الآيات (٤٠-٤٣).
(٥) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٣٧ بتصرف يسير.
(٦) قال بعض العلماء بنسخ آيات العفو والصفح بآية السيف فى التوبة ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢١٠، وأبو حيان فى البحر المحيط ٣/ ٤٤٦.
ولكن الراجح أن آيات العفو غير منسوخة بآية السيف، قال الطبرى موجهًا القول بعدم النسخ: «يجوز أن يعفو عنهم فى غدرة هموا بها أو نكثة عزموا عليها مالم ينصبوا حربًا دون أداء الجزية» انظر جامع البيان ٦/ ١٠١
وقال القرطبى -أيضًا- موجهًا القول بعدم النسخ: «فاعف عنهم واصفح مادام بينك وبينهم عهد وهم أهل ذمة». انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١١٦.
وبمثل هذين التوجيهين قال الشيخ ابن تيمية فى الصارم المسلول ص٢٢١، وكذلك الزركشى فى البرهان ٢/ ٤١، ٤٢، وكذلك السيوطى فى الإتقان ٣/ ٦٦، وهناك توجيه قيم للشيخ/ رشيد رضا قال فيه: «وردوا القول بالنسخ لقتال النبى صلى الله عليه وسلم اليهود قبل نزول التوبة، وكون آية التوبة نزلت بقبول الجزية وهو يتفق مع العفو والصفح، فإنهم بخيانتهم صاروا محاربين واستحقوا أن يقتلوا، وقبول الجزية منهم يعد صفحًا وعفوًا عن قتلهم وإحسانًا إليهم، وثم وجه آخر هو أن الأمر بالعفو والصفح إنما هو عن الخيانات الشخصية لا عن نقض العهد الذى يصيرون به محاربين لايؤمن جوارهم، وهو أظهر من جعل الأمر بالعفو مقيدًا بشرط محذوف تقديره إن تابوا وءامنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وهذا ملخص مايقال فى رأى الجمهور».
انظر المنار ٦/ ٢٣٨.

بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٢] .

ومواقف عفو النبى ﷺ عن اليهود تجل عن الحصر، وما أجلاهم يوم أجلاهم عن المدينة إلا حينما كثر فسادهم وسدوا كل طريق للعفو عنهم .

وأخبر القرآن الكريم أن أمة بنى إسرائيل كثيرًا ما عوملت بالعفو ولكنها لم تضع العفو عنها -موضع الامتنان .

وأيضًا أنهم عبدوا العجل من دون الله ومع ذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٣] . أخبر أنهم قالوا لموسى أرنا الله جهرة ومع ذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [٤] .

وفى خطاب وجه لأهل الكتاب يذكرهم بأن نبى الإسلام ﷺ كثيرًا مايعفو عنهم : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [٥] .

وبعد فهذه دعوة الإسلام إلى الحب وترك البغض، وإلى العفو وترك الانتقام، فهل رأيت حبًا عنصريًا كالذى دعا له سفر اللاويين، أو هل رأيت شيئًا من روح العداء السافرة الحاقدة التى قد بثتها التوراة على العموم فى أجيال اليهود .

ذم الوشاية فى الإسلام :

وذم الإسلام الوشاية والسعاية واعتبرها مرضًا خلقيًا، إن لم يسع صاحبه فى علاجه حجبه عن الجنة، فقال رسول الله ﷺ : **«لايدخل الجنة نمام»** وقال ﷺ : **«أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وإن من أبغضكم إلى الله المشاءون بين الناس بالنميمة المفرقون للإخوان»**[٦] .

بل إن الإسلام يبين أن الذى يسعى بالوشاية لايرشد أبدًا فيقول ﷺ : **«الساعى بالناس**

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩) .
(٢) سورة المائدة الآية (١٣) .
(٣) سورة البقرة الآية (٥٢) .
(٤) سورة النساء الآية (١٥٣) .
(٥) سورة المائدة الآية (١٥) .
(٦) الإمام أحمد : المسند ٤/ ١٩٤بلفظ قريب .

إلى الناس لغير وشدة»[١] وفى رواية : «**لايسعى على الناس إلا ولد بغى، وإلا من فيه عرق منه»**[٢] . وهذه أصدق صفة تصدق على اليهود اللقطاء .

بل ونجد أن أتباع الإسلام يرفضون الوشاية بكل طريق، فقد دخل رجل على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ليسعى برجل عنده فقال له عمر : إن شئت نظرنا فى أمرك فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [٣] وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [٤] وإن شئت عفونا عنك، فقال : العفو ياأمير المؤمنين ولاأعود إليه أبدًا[٥] .

ونظرة الإسلام للوشاية هنا نظرة عامة ليس فيها قيد كالذى فى سفر اللاويين «**لاتسع بالوشاية بين شعبك**» وإنما تحرم السعاية حتى ولو كانت للإيقاع بيهودى! .

التفاؤل والتشاؤم فى الإسلام :

الإسلام دين يدعو إلى الأنس ولو بالكلمة، ويكره كل مايوحش النفس حتى ولو كانت مجرد تخيلات .

ولذلك حبب الفأل إلى الناس لأنه يحدث راحة فى النفس وسكينة تأنس بها الروح، وحذرهم من التشاؤم والتطير لأنه يخيم على النفس بسحابة من الهم وقد لايكون له أصل تمامًا .

بدأ الإسلام فبين أن التشاؤم والتطير مرض أخلاقى متأصل فى نفوس كثير من أهل القرون الماضية، وحكى القرآن كيف أنهم كانوا يتطيرون، لا من صوت طائر ينعق أو عين تتحرك أو كلمة تسمع فقط، ولكنهم كانوا يتطيرون بدعاة الخير فقد قال قوم صالح له : ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [٦] وكان فرعون وقومه إذا أصابتهم السيئة تشاءموا وظنوا أن موسى ومن معه هو مصدرها ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [٧] .

---

(١) أورده الإمام الغزالى فى الاحياء ٣/ ٢٢٣ وقال الحافظ العراقى فى تخريجه أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى فقال : له أسانيد هذا أمثلها .
(٢) أورده الحافظ العراقى فى هامش الإحياء ٣/ ٢٢٣ وعزاه للطبرانى .
(٣) سورة الحجرات الآية (٦) . (٤) سورة القلم الآية (١١) .
(٥) إحياء علوم الدين للغزالى ٣/ ٢٢٢ بتصرف يسير .
(٦) سورة النمل الآية (٤٧) . (٧) سورة الأعراف الآية (١٣١) .

وحكى كذلك إجابات الأنبياء للمتطيرين ﴿طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [(١)] وهذا يعنى أن الشر ليس فى المتطير به، وإنما هو حالة نفسية استقرت فى نفس المتطير.

وكان النبى ﷺ: «**يحب الفأل ويكره التشاؤم**»[(٢)] ويقول ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له**» ويقول ﷺ: «**لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر**»[(٣)].

كذلك راعى الإسلام طبيعة النفس البشرية الضعيفة، وأنها يمكن فى لحظات ضعف الإيمان أن تصاب ببعض الأمراض الخلقية التى تنغص العيش كالتشاؤم والحسد والظن، فينبغى على المرء إذا أصابه شيء من تلك الأمراض ألا يتمادى فى تسليم نفسه للمرض.

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لايسلم منهن أحد: الظن والطيرة والحسد، فإذا ظننت فلاتحقق، وإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغ**»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «**مامنا إلا وقد تطير ولكن يذهبه الله بالتوكل**»[(٥)].

المطلب الثالث: أهم خصائص الجانب الأخلاقى فى الإسلام:

بعد أن تعرضنا لمجموعة من الأخلاق بين اليهودية والإسلام لابد أن القاريء اللبيب قد وقف على أبرز خصائص الأخلاق الإسلامية، ولكن فى إيجاز نثبت أهمها على سبيل التقرير.

١- الوحى السماوى مصدر الأخلاق الإسلامية:

وهذه خصيصة بارزة جدًا فى الأخلاق الإسلامية، فما من خلق إلا أرشد إليه - أو عدل ما اعوج عنه- الوحى الكريم، سواء فى الكتاب أو السنة، وقد مضى بنا قول النبى ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٦)].

فالأخلاق حينما يكون مصدرها وحى السماء يشعر المؤمنون بأن التزامهم بتلك

---

(١) سورة يس الآية (١٩).

(٢) سنن ابن ماجه ٣٥٣٦ ك الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ٢/ ١١٧٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٣٥٣٩ ك الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ٢/ ١١٧١.

(٤) عبد الرازق الصنعانى: المصنف ١٩٥٠٤ ك الجامع باب الطيرة ١٠/ ٤٠٣.

(٥) البيهقى: السنن الكبرى: ك القسامة، باب العيافة والطيرة والطرق ٨/ ١٣٩ ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ١٣٥٣هـ.

(٦) سبق تخريجه ص ١٠٠ من هذا البحث.

الأخلاق ليس نافلة بل هو واجب .

أما حينما تفقد الأخلاق مصدرها السماوى، أى يضع الناس لأنفسهم أخلاقًا يتخلقون بها تصبح نسبية فى أكثر أحوالها، كما أن الناس سيفقدون تبعًا لذلك الشعور بسلطان الأخلاق عليهم .

يقول الدكتور/ نظمى لوقا وهو يتحدث عن الأخلاق الإسلامية : «**إن المصدر السماوى للأخلاق فى العقيدة الدينية هو الحافز الدائم للمرء على الارتفاع بنفسه وسلوكه وعواطفه فوق طبيعته الأرضية ورغائبه الحسية، وأنانيته الحيوانية**»(١) .

٢- شمول الأخلاق الإسلامية :

فالأخلاق الإسلامية من الشمول بحيث لم يؤمر المسلم بالتزامها مع إخوانه المسلمين فقط، ولكن مع جميع الناس حتى ولو خالفوه فى العقيدة .

ومن الأدلة على ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢) .

وقوله ﷺ : «**وخالق الناس بخلق حسن**»(٣) .

فليست نظرة الأخلاق فى الإسلام نظرة عنصرية وإنما هى نظرة شاملة عامة .

كما أن من شمول الأخلاق الإسلامية أنها تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء كان الغير فردًا أم جماعة .

وشمول الأخلاق الإسلامية بهذا المعنى يعد -فوق أنه خصيصة دينية- خصيصة حضارية راقية .

ولذلك يقول غوستاف لوبون وهو يعد شمول الأخلاق لونًا راقيًا من ألوان الحضارة : «**وكانت أخلاق العرب فى أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرًا من أخلاق أمم الأرض قاطبة، ولاسيما الأمم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم ممايستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى، ولاسيما الأمم الأوربية أيام الحروب الصليبية**»(٤) .

٣- تمهيد الإسلام للأخلاق فى النفوس :

---

(١) محمد الرسالة والرسول ص١٤٢ .

(٢) سورة البقرة الآية (٨٣) .

(٣) الإمام أحمد ٥/ ١٥٣ .

(٤) غوستاف لوبون : حضارة العرب ص٤٣٠ .

حين دعا الإسلام إلى الأخلاق راعى أن الإكراه على الفضيلة لايصنع أناسًا فضلاء، كما أن الإكراه على الإيمان لايوجد أناسًا مؤمنين.

من أجل هذا جعل الإسلام يرغب فى الفضائل فربما خلع على الملتزمين بها خلعة المدح والثناء. فيقول سبحانه وتعالى فى الصدق ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١) ويمتدح أهل الوفاء بالعهد بأنهم العقلاء فيقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢).

وخلع على الكاظمين الغيظ خلعة الإحسان قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

ومثل هذا الأسلوب يمكن للأخلاق فى النفوس ويغريها بالتزامها، وهذا خلاف مارأينا فى سفر اللاويين إذا أراد أن يحث على التزام فضيلة سلك مسلك الأمر والنهى لاغير «**لاتكذب لاتغدر لاتحقد**» وهكذا. . . .

٤- ربط الأخلاق الإسلامية بالجزاء الأخروى:

وكان من أبرز الخصائص للأخلاق الإسلامية أنها جاءت من مصدر الوحى الشريف مرتبطة بالجزاء الأخروى بمعنى أن يذكر ثواب أصحاب الفضيلة وعقاب أصحاب الرذيلة.

فالصدق -مثلاً- يقول تعالى فى جزاء أهله ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (٤)، ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٥).

وفى الكذب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٦).

ويقول فى عاقبة الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٧).

ويقول فى أهل الوفاء بالعهد وواصلى الأرحام ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧).
(٢) سورة الرعد الآيات (١٩، ٢٠).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٣٤).
(٤) سورة الأحزاب الآية (٢٤).
(٥) سورة المائدة الآية (١١٩).
(٦) سورة هود الآية (١٨).
(٧) سورة آل عمران الآية (١٣٦).

يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ (١).

ويقول فى الذين ينقضون العهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

وهكذا فى كل دعوة للأخلاق فى الشريعة الإسلامية ربطت بالجزاء الأخروى.

وقد رأيت الأخلاق فى سفر اللاويين ليست إلا لمصالح دنيوية خاصة، وكيف لا تربط التوراة الأخلاق بالجزاء الأخروى وقد كفرت به إطلاقًا!.

هذا ولابد من معرفة أن فساد الجانبين العقدى والأخلاقى قد قام على توسيع دائرة الخلل والفساد فيهما رجال زعموا لأنفسهم قداسة قد تصل إلى قداسة الإله نفسه، وافترضوا لأنفسهم حقوقًا وامتيازات، وجعلوا تفسير الدين حكرًا عليهم دون سواهم، وهذا ماسأوضحه فى الفصل القادم: قداسة الكهنة كما يصورها سفر اللاويين وموقف الإسلام منها.

* * *

(١) سورة الرعد الآيات (٢٢-٢٤).

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٧).

الفصل الرابع

قداسة الكهنة كما يصورها سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: (الكاهن، وشروط اختياره، وملابسه الرسمية، ودرجات الكهنوت) فى سفر اللاويين.

المبحث الثانى: (مراسم وطقوس مسح الكاهن) فى سفر اللاويين.

المبحث الثالث: (تعاليم وواجبات وحقوق الكهنة) فى سفر اللاويين.

المبحث الرابع: (موقف الإسلام من الكهانة والتكهن).

المبحث الأول

الكاهن، وشروط اختياره، وملابسه الرسمية، ودرجات الكهنوت في سفر اللاويين

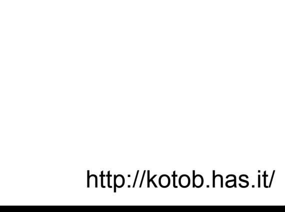
ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: من هو الكاهن؟.

المطلب الثانى: شروط اختيار الكاهن.

المطلب الثالث: ملابس الكهنوت كما يحددها السفر.

المطلب الرابع: درجات الكهنوت عند اليهود كما فى سفر اللاويين.



المبحث الأول

(الكاهن، وشروط اختياره، وملابسه الرسمية، ودرجات الكهنوت في سفر اللاويين)

المطلب الأول: من هو الكاهن؟

الكاهن اسم فاعل من كهن يكهن كهانة إذا قضى بالغيب وحدث به، وهو في العبرانية كهن وفي السريانية كهنا، والجمع كهنة وكهان.

والكاهن عند اليهود -والنصارى والأمم- هو الذي يقدم الذبائح والقرابين، وربما كان مأخوذًا في الأصل من معنى القضاء بالغيب.

وقيل هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة الغيب[١].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «**الكاهن هو خادم دين، وفي اصطلاح الكتاب المقدس: هو الشخص المخصص لتقديم الذبائح**»[٢].

ويقول الأستاذ/ زكي شنوده: «**الكاهن في الاصطلاح العام هو الذي يكرس نفسه لخدمة الدين متوسطًا بين الله والناس، وفي اصطلاح التوراة: هو بالتخصيص الذي يقوم بتقديم الذبائح لله**»[٣].

ومن هذا يتضح أن الكاهن هو الذي يقوم بإقامة الشعائر والطقوس الدينية على اختلافها، وبدونه لاتصح الشعائر والطقوس من أفراد الشعب.

المطلب الثاني: شروط اختيار الكاهن:

يذكر سفر اللاويين عدة شروط كان لابد من توافرها في اختيار الكاهن وهي:-

١- أن يكون من ذرية هارون، يقول السفر: «**تلك مسحة هارون ومسحة بنيه.. يوم تقديمهم ليكهنوا للرب**»[٤].

---

(١) انظر: بطرس البستاني: محيط المحيط (ص٧٩٦) مادة (كهن)، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس (ص٧٩١).

(٣) المجتمع اليهودي (ص١٢٧).

(٤) اللاويين ٧: ٣٥.

وهذا يعنى أن الله قد حصر الكهنوت فى ذرية هارون دون سواهم من عشائر سبط لاوى، ودون سواهم من أسباط اليهود الأخرى، ومن ثم أصبح لايصح لأحد ولو كان ملك اليهود ذاته أن يؤدى وظيفة الكاهن مالم يكن من ذرية هارون[١].

٢- وأن يكون ذكرًا، حيث جاء فى السفر عبارة: «**خذ هارون وبنيه معه، والثيات، ودهن المسحة... واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع**»[٢].

وجاء فى شأن بعض الذبائح التى كانوا يحسبونها فى أعلى درجات القداسة «**كل ذكر من بنى هارون يأكل منها فريضة وهرية فى أجيالكم**»[٣].

وبمقتضى هذا التخصيص أصبح كل ذكر من ذرية هارون كاهنًا، وله أن يمارس وظيفة الكهنوت[٤].

٣- وأن يكون خاليًا من العيوب، جاء فى السفر: «**إذا كان رجل من نسلك فى أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه، لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم لارجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوائدى**[٥]، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد، ولاأحدب[٦] ولا أكثم[٧] ولامن فى عينه بياض، ولا أجرب ولا أكلف[٨] ولامرضوض الخصى، كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لايتقدم ليقرب وقائد الرب... لئلا يدنس مقدسى»[٩].

وكان يتم تنفيذ هذا الشرط عن طريق فحص شيوخ الشعب لمن رشح للكهنوت، والشخص اللائق كان يلبس ثيابًا بيضاء، ويعمل وليمة لرفاقه الكهنة، وأما الشخص الذى يعلنون عدم لياقته فكان يلبس ثيابًا سوداء تمييزًا له عن إخوته، وكان يعتبر كاهنًا، ولكن لايقوم بالأعمال الهامة، مثل تقديم الذبائح وباقى الأعمال المتصلة بالقدس، بل كانت تسند إليه أعمال أقل شأنًا مثل إعداد الحطب للمحرقات وغيرها...[١٠]

---

(١) المجتمع اليهودى ص١٣٨ بتصرف.
(٢) اللاويين ٨ : ٢ .
(٣) اللاويين ٦ : ١٨ .
(٤) المجتمع اليهودى ص١٣٨ .
(٥) الزوائدى هو: الذى أحد أعضائه شاذ فيه زيادة ككون أحد الكتفين أو الرجلين أكبر من الأخرى أو الزيادة فى الطول أو العرض أو الحجم. انظر السنن القويم ٢/ ١٥٤ .
(٦) الأحدب هو: من به بروز فى الظهر ودخول الصدر والبطن. انظر محيط المحيط ص١٥٢ مادة حدب.
(٧) الأكثم هو: الناقص الخلق على مافهمه علماء الهيكل. السنن القويم ٢/ ١٥٥ .
(٨) الأكلف هو: من بوجهه مثل الحبوب السوداء الصغيرة الضاربة إلى الحمرة. السنن القويم ٢/ ١٥٥ .
(٩) اللاويين ٢١ : ١٦-٢٣ .
(١٠) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص٢٦٩).

وهذه هى الشروط الثلاثة فى سفر اللاويين، وهناك شرط رابع فى سفر التثنية :

٤- وهو ألا يكون الكاهن أو المرشح للكهنوت ابن زنى، حيث جاء فيه «**لايدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لايدخل منه أحد**»[١] .

*** ويلاحظ فى هذه الشروط مايلى :**

أولاً : الإجحاف بحق بقية الأسباط فى -حتى- مجرد الطموح فى القيادة الدينية، التى تعتبر القيادة الروحية .

ثانيا : تاريخ اليهود يشهد بأنهم لم يلتزموا تلك الشروط، فعلى مر الزمان دخل جماعة الرب من هو ابن زنى، بل إن الكهنة أنفسهم جعلوا المعابد مواخير لفعل الفاحشة .

ثالثًا : تشتت اليهود واضطهادهم أدى إلى اختلاط أنسابهم، فأصبح من الصعب المحافظة على عراقة النسل، فلا يعرف نسل هارون من غيره .

رابعًا : لم نلمح فى تلك الشروط أدنى إشارة لاشتراط القدرات العلمية بالشريعة، أو حتى اشتراط التقوى والورع، بل كان الاهتمام بالمظاهر لاغير، وبالطبع أدى هذا إلى أن تقلد القيادة الدينية عند اليهود رجال أجلاف، لايفقهون من حقيقة الشريعة الموسوية شيئًا، فوقعوا فى التحريف والتبديل، فضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل .

وبهذا يتضح أن هذا التشديد فى انتقاء الكهنة واختيارهم لم يكن من أجل الحفاظ على الشريعة، بل كان لأغراض شخصية أشبه بعمل الإقطاعيين فى احتكار المناصب العليا .

أضف إلى هذا أن اليهود الآن لم يلتزموا تلك الشروط كاملة : فعلى سبيل المثال الشرط الذى ينص على أن يكون الكاهن ذكر قد أبطلته اليهودية الإصلاحية ورسمت بعض النساء حاخامات فى ١٩٧٣ ووافقت اليهودية المحافظة على ترسيم النساء كحاخامات فى ١٩٨٥م .[٢] وهذا كفر صريح بالتوراة وتعد لتعاليمها .

المطلب الثالث : ملابس الكهنوت كما يحددها السفر :

يحدد سفر اللاويين للكهنة ملابسًا مخصوصة، على حسب رتبة الكهنوت،

---

(١) التثنية ٢٣ : ١، ٢ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٤٧٦ .

فلرئيس الكهنة (الكاهن الأعظم) ملابس خاصة، وللكهنة العاديين ملابس خاصة. فأما ملابس رئيس الكهنة فقد وردت ضمن الكلام عن مراسم طقوس مسح هارون للكهانة فى الإصحاح الثامن «. . **وجعل عليه -أى هارون- القميص، ونطقه بالمنطقة، وألبسه الجبة، وجعل عليه الرداء، ونطقه بزنار الرداء، وشده به، ووضع عليه الصدرة، وجعل فى الصدرة الأوريم والتميم، ووضع العمامة على رأسه، ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيحة الذهب الإكليل كما أمر الرب موسى**»[١].

ومن هذا يعرف أن ملابس رئيس الكهنة كانت تتكون من ثمانية قطع هى:

١- القميص ٢- الجبة ٣- منطقة القميص ٤- الرداء

٥- منطقة الرداء (الزنار) ٦- الصدرة (مايوضع على الصدر).

٧- العمامة (وعليها صفيحة الذهب مكتوب عليها قدس للرب).

٨- السراويل وهى وإن لم تذكر إلا أن لبسهم لها بعد الغسيل بديهى[٢].

وغالبًا ماكانت هذه الأثواب من الكتان[٣].

* وأما ملابس الكهنة العاديين: فكانت تتكون من أربع قطع وهى:

١- السراويل ٢- القميص ٣- المنطقة (مايشد على الوسط).

٤- القلانس (وهى التى تقابل عمامة رئيس الكهنة)[٤].

وقد أشار السفر إلى هذا بقوله:

«**قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة ونطقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب موسى**»[٥].

وقد أوضح سفر الخروج أن هذه الثياب -أيضًا- كانت من الكتان[٦].

ويلاحظ أن كهنة اليهود لم يلتزموا هذا التشريع بدليل أن الحاخامات الآن يلبسون الزى الأوربى البدلة والقبعة. . أفليس هذا من تعدى الشريعة التى يزعمون الإيمان بها!!!

---

(١) اللاويين ٨ : ٧-٩ .

(٢) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص٧٢) .

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس (ص٢٣٨) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس (ص٢٣٨) .

(٥) اللاويين ٨ : ١٣ .

(٦) الخروج ٢٨ : ٤٢ .

المطلب الرابع : درجات الكهنوت عند اليهود كما فى سفر اللاويين :

تنحصر درجات الكهنوت عند اليهود فى ثلاث درجات :

١- الكاهن الأعظم ٢- الكهنة ٣- اللاويين

وفى سفر اللاويين نجد أوامرًا للكهنة على حدة، وأوامرًا للكاهن الأعظم، مما يدل على أن لكل منهما درجة معينة(١) .

فرئيس الكهنة كان هو أعلى درجات الكهنوت عند اليهود، وكان يشترط فيه أن يكون البكر من ذرية هارون، وكان يسمى الكاهن الأعظم، أو الكاهن الرأس، وقد ظل أزمانًا طويلة هو الحاكم الفعلى لليهود، وكان هو المشرف على خيمة الاجتماع والهيكل، ولم يكن مسموحًا لغير رئيس الكهنة أن يدخل قدس الأقداس، ولم يكن ذلك يحدث إلا يومًا واحدًا فى كل عام وهو يوم الكفارة . . وكان رئيس الكهنة يظل فى وظيفته حتى الموت(٢) .

ومع أن تلك درجة روحية عالية، إلا أن تاريخ اليهود يبين أن منصب رئيس الكهنة أصبح مطمعًا للطامعين فى الثروة والجاه والسلطان . . وأصبحوا يشترون هذا المنصب شراءًا ويحتالون على الوصول إليه بالرشوة والخيانة والدسائس والمؤامرات، ولو أدى هذا إلى هدم الشريعة وعبادة الأوثان(٣) .

أما الكهنة (العاديون) فيعتبرون معاونين للكاهن الأعظم فى تقديم القرابين والذبائح اليومية والأسبوعية، وقد تزايد عدد الكهان بدرجة كبيرة حتى أن داود الملك قسمهم إلى أربع وعشرين فرقة . . وكانت هذه الفرق تمارس وظائفها الدينية بالتتابع يوم السبت(٤) .

وأما اللاويين فهم كل نسل سبط لاوى عدا ذرية هارون، وهؤلاء كان يقوم على أكتافهم كل خدمة المعابد، وكانوا ينقسمون من حيث اختصاصهم إلى أربعة أقسام :

* فالقسم الأول : هم القضاة والكتبة .

* والقسم الثانى : هم مساعدوا الكهنة فى خدمة الهيكل .

---

(١) اللاويين ٢١ : ١، ١٠ .

(٢) انظر المجتمع اليهودى (ص١٣٢، ١٣٣) .

(٣) انظر : المجتمع اليهودى (ص١٣٤) .

(٤) السابق (ص١٤٤) بتصرف .

* والقسم الثالث: هم الموسيقيون الذين يقومون بالترتيل والترنيم فى الهيكل.

* والقسم الرابع: هم البوابون المكلفون بالحراسة[١].

وكانت خدمة اللاويين فى الهيكل تبدأ من سن الثلاثين كما يذكر سفر العدد[٢]، ثم خفضت إلى الخامسة والعشرين[٣]، ثم إلى سن العشرين[٤].

وكان اللاويون متوسطين بين الكهنة وسائر الشعب، فلم يكن يجوز لهم تقديم القرابين منفردين ولا إحراق البخور، ولا رؤية الأشياء المقدسة إلا مغطاة، وإنما كانوا مختصين بمساعدة الكهنة[٥].

وتلك الدرجات السابقة فى الكهنوت اليهودى، لم تستمر إلا إلى فترة السبى البابلى، وبعده سقط الكهنوت اللاوى، ولذلك نجد كثيرًا من الشراح إذا فسروا عبارة «**فريضة دهرية فى أجيالكم**»، قالوا: أى مادام الكهنوت اللاوى قائمًا[٦].

وبعد العودة من السبى بدأ اليهود يستعيضون عن الهيكل بما أسموه (المجمع) وبالتالى تغيرت ألقاب الكهنوت، فكان كل مجمع له رئيس يعتبر بديلاً عن الكاهن الأعظم، ومجموعة من الشيوخ ذوى المكانة فى الشعب بدلاً عن بقية الكهنة، ومجموعة من الرعاة والخدام يهيؤن المكان للعبادة، ويعلمون الأطفال التعليم الدينى، ولم يكن بالمجمع كهنة، ولم تكن تجرى فيه طقوس كهنوتية كما كان فى هيكل أورشليم[٧].

* وفى ظل المجامع ظهرت درجات كهنوتية أخرى مثل:

١- المرتل (الحزان) وكان دوره يتمثل فى تلاوة التوراة فى المعبد وإنشاد القصائد الدينية فى الصلوات[٨].

٢- الواعظ (مَجِّيد) وكان يعمل بالتجول للوعظ بين الجماعات اليهودية، وقد زاد هذا اللقب شهرة فى نحو القرن الثامن عشر بازدياد ظاهرة الوعظ بين اليهود[٩].

---

(١) السابق (ص١٥٨) بتصرف.
(٢) العدد ٤ : ٣.
(٣) العدد ٨ : ٢٤.
(٤) أخبار الأيام الثانى (٣١ : ١٧).
(٥) انظر: المجتمع اليهودى (ص١٥٦).
(٦) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص٦٧)، موسى بن ميمون» دلالة الحائرين (ص٣٦٠).
(٧) انظر: المجتمع اليهودى (ص١٨٣).
(٨) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٢٤ بتصرف.
(٩) المرجع السابق ٥/ ٢٢٥ بتصرف.

ثم ظهرت كلمة «**حاخام**» والتى تعنى الرجل الحكيم أو العاقل للدلالة على القائد الدينى للجماعة اليهودية، ويرجع استخدام هذا اللقب إلى عصر تأليف التلمود (أو جمع الشريعة الشفوية)[١].

ولكن يلاحظ أنه مع وجود هذا اللقب الكهنوتى الذى كان يحتاج إلى طقوس وصلوات خاصة للرسامة -وجدت ألقابًا- أيضًا- كانت تطلق على الحاخامات، مثل «**الجاؤنيم**[٢] والأمورائيم[٣] والكتبة[٤] والربانيين[٥] والأحبار[٦]»..

وغير ذلك ألقاب كثيرة كانت تظهر وتنمحى تختلف من بلد إلى بلد، ولكنها ليست درجات كهنونية.

وبعد عرضنا لدرجات الكهنوت عند اليهود والمراحل التى مر بها، يتضح لنا أن ماقرره سفر اللاويين بخصوص الكهنوت الهارونى اللاوى من أنه فريضة دهرية -كذب صريح، وإلا فكيف قبل القوم إسقاطه؟ واستبدلوا به أنظمة أخرى؟.

---

(١) انظر: السابق ٥/ ٢٢٢.

(٢) الجاؤنيم: بمعنى المعظم وهو لقب كان يطلق على الحاخامات رؤساء الحلقات الفقهية التلمودية فى بابل وكانوا يعدون الرؤساء الروحيين ليهود العالم. انظر: موسوعة اليهود ٥/ ١٥٥.

(٣) أمورائيم: بمعنى الشراح أو المفسرين، وكان يطلق على الحاخامات التلموديين فى فلسطين فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين. المرجع السابق ٥/ ١٥٥.

(٤) الكتبة: وهو لقب كان يطلق على الحاخامات اليهود الذين كانوا يقومون بتدريس وشرح الشريعة حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى عام ١٠٠ ق. م.، ويعتبر عزرا أول الكتبة حين وضع أساس الدراسات الحاخامية. المرجع السابق ٥/ ١٥١.

(٥) الربانيين: ومعناها الحرفى «سيد» أو «أستاذ» وهذا اللقب كان يطلق على حاخامات اليهود أيام ظهور النبى («محمد» المرجع السابق ٥/ ٢٢٤).

(٦) الأحبار: وهو لقب كان يطلق على المتبحر فى علوم اليهودية زمن النبى ﷺ، ثم صار لكل عالم. انظر بطرس البستانى: محيط المحيط (ص١٤٤) مادة (حبر).

المبحث الثانى

مراسم وطقوس مسح الكاهن فى سفر اللاويين

يذكر سفر اللاويين مجموعة طقوس كان يفعلها اليهود عند تنصيب كاهن من الكهنة، وقد شغل الحديث عن هذه الطقوس الإصحاح الثامن بأكمله من السفر، ويمكن تلخيصها فى عدة خطوات كمايلى:

١- جمع الشعب إلى باب خيمة الاجتماع: وقد صرح السفر بهذا، حيث جاء فيه «**وكلم الرب موسى قائلاً خذ هارون وبنيه معه.. واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع...**»[١].

وكان يمكن أن يكتفى بجمع الشيوخ ورؤساء الأسباط والوجوه فى الشعب لأنهم يمثلون الشعب، وينوبون عنه، وإن حضر كل الشعب فكانوا ينتظرون خارج الخيمة[٢].

وعلماء الكتاب المقدس يقولون إن السر فى جمع الشعب هو: «**لكى يقف الشعب على رهبة الكهنوت المقدس وجلاله، فيحترموا كهنتهم ويحبوهم ويطيعوهم، ويحترموا كل مايتعلق بعبادة الرب وبالخدمة المقدسة**»[٣].

٢- تغسيل المرشح للكهانة بالماء: وفى هذا يقول السفر: «**فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بالماء**»[٤].

ويقول علماء اليهود أن هذا التغسيل كان يتم فى حفرة أو حوض مملوء بالماء، يغوص فيه الكهنة لا فى إناء، ولم يكن هذا يفعل أمام أعين الشعب، بل من وراء حجاب[٥].

---

(١) اللاويين ٨ : ١-٣ .

(٢) وليم مارش: السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ٢/ ٣٩ بتصرف .

(٣) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص٧٠) بتصرف .

(٤) اللاويين ٨ : ٦ .

(٥) السنن القويم ٢/ ٣٩، ٤٠ بتصرف .

٣- إلباسهم الثياب الكهنونية (التى سبق عرضها).

٤- المسح بدهن المسحة: وكان المسح بدهن المسحة يشمل مسح الخيمة ومافيها، ثم مسح الكاهن الذى يراد ترسيمه للكهانة، وفى هذا يقول السفر:

«ثم أخذ موسى دهن المسحة، ومسح المسكن وكل مافيه وقدسه، ونضح على المذبح سبع مرات، ومسح المذبح وجميع آنيته والمرحضة وقاعدتها لتقديسها، وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه»(١).

وكان المسح بالنسبة لرئيس الكهنة بصب الدهن فوق رأسه صبًا وبالنسبة لمن دونه من الكهنة بمسح جباههم فقط(٢).

٥- تقديم ذبائح الخطية والمحرقة والملء: وكان ذلك يتم بطريقة معينة يكون البدء فيها بذبيحة الخطية ثم المحرقة ثم كبش الملء، هكذا على التعاقب، حيث يضع المراد ترسيمه للكهانة يده فوق رأس كل ذبيحة من تلك الذبائح قبل ذبحها مقرًا بخطاياه، ثم تذبح تلك الذبائح وتقطع، وكان الأمر فى ذبيحتى الخطية والمحرقة أن تحرقا جميعًا، وأما فى كبش الملء فكان يجوز لهم الأكل منه(٣).

٦- الرش من الدم على أذن الكاهن اليمنى، وعلى إبهام يده اليمنى، وإبهام رجله اليمنى، ثم رش الدم على المذبح بطريقة دائرية(٤).

٧- المكث سبعة أيام كاملة فى خيمة الاجتماع: جاء فى السفر **«ومن لدن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا سبعة أيام إلى يوم كمال أيام ملئكم، لأنه سبعة أيام يملأ أيديكم»**(٥).

وفى كل هذه الأيام السبعة كان يتكرر تقديم الذبائح المشار إليها بنفس الطقوس، من حرق مايحرق ورش الدم. . . وغير ذلك(٦).

وهذه هى الطقوس التى كانت تجرى لرسامة الكاهن وتقليده منصب الكهنوت، بعدها كان الكاهن يستطيع القيام بمهام عمله، ولذلك نجد الإصحاح التاسع من السفر يحكى مباشرة الكهنة لأعمالهم بدءًا من أول يوم بعد مضى السبعة أيام التطهرية، حيث قام الكهنة بتقديم الذبائح عن أنفسهم وعن الشعب، وباركوا الشعب حتى تراءى لهم

---

(١) اللاويين ٨ : ١٠-١٢ .
(٢) السنن القويم ٢/ ٤١ بتصرف .
(٣) انظر اللاويين ٨ : ١٤-٣٣ .
(٤) انظر اللاويين ٨ : ٢٣، ٢٤ .
(٥) اللاويين ٨ : ٣٣ .
(٦) انظر السنن القويم ٢/ ٤٤ .

مجد الرب فهتفوا وسقطوا على وجوههم سجدًا[١] .

ويلاحظ أن هذه الطقوس كان التركيز فيها على الشكليات والمظاهر ، ومحاولة بث روح التقديس للكهنة ، وذلك من خلال تعقيد تلك الطقوس ، لأن ديانة اليهود تقوم على أساس أنه كلما كان الشيء مستعصيًا على الفهم كان أرهب فى النفس .

وكان من المتوقع فى تقليد هذا المنصب الروحى الخطير أن يكون أكثر طقوسه حث على طاعة الله عز وجل ، وتبصير بمهام الدعوة وأصولها بدلاً من تلك الوثنيات والشكليات التى يتمسكون بها .

* * *

(١) انظر الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين .

المبحث الثالث

تعاليم وواجبات وحقوق الكهنة فى سفر اللاويين

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعاليم وتوجيهات للكهنة فى سفر اللاويين.

المطلب الثانى: واجبات الكهنة فى سفر اللاويين.

المطلب الثالث: حقوق الكهنة كما فى سفر اللاويين.

المطلب الرابع: موقف النصرانية من كهنوت العهد القديم.

المبحث الثالث

تعاليم وواجبات وحقوق الكهنة فى سفر اللاويين

ترسم الشريعة اليهودية فى سفر اللاويين مجموعة من التعاليم والتوجيهات الخاصة بالكاهن، بالإضافة إلى بيان واجباته الوظيفية وحقوقه، ويمكن تقسيم ذلك إلى مطالب، كما يلى:

المطلب الأول: تعاليم وتوجيهات للكهنة فى سفر اللاويين.

يذكر سفر اللاويين مجموعة تعاليم كهنوتية كان لابد على كل كاهن أن ينفذها وهى:

١- ألا يشربوا خمرًا ولا مسكرًا عند دخول خيمة الاجتماع، وفى هذا جاء فى السفر: «**وكلم الرب هارون قائلاً: خمرًا ومسكرًا لاتشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكى لاتموتوا فرضًا دهريًا فى أجيالكم**»(١).

٢- كان لايجوز لأحد من الكهنة أن يشارك فى تشييع ميت بأى شكل سواء بالملامسة أو التكفين أو الدفن، أو حتى فى حضور مأتمه، ولايجتمع مع الميت فى خيمة واحدة (أو تحت سقف) إلا إن كان الميت من أقاربه المقربين، كزوجته وأبيه وأمه وابنه وابنته وأخيه وأخته التى لم تتزوج، يقول السفر: «**وقال الرب لموسى كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم لايتنجس أحد منكم لميت فى قومه، إلا لأقربائه الأقرب إليه: أمه وأبيه وابنه وابنته وأخيه وأخته العذراء القريبة إليه التى لم تصر لرجل لأجلها يتنجس بأهله لتدنيسه**»(٢)

هذا بالنسبة للكهنة العاديين، أما رئيس الكهنة فلم يكن يجوز له أن يشارك فى جنازة أى ميت، حتى ولو كان من أقرب الأقارب لا أب ولاأم ولاغيره، وفى هذا يقول السفر:

«**والكاهن الأعظم بين إخوته الذى صب على رأسه المسحة... لا يأتى إلى نفس ميتة ولايتنجس لأبيه أو أمه**»(٣).

---

(١) اللاويين ٢١ : ٨، ٩ .

(٢) اللاويين ٢١ : ١، ٤ .

(٣) اللاويين ٢١ : ١٠، ١١ .

٣- كذلك من التعاليم الخاصة بالكهنة: أنه يحرم فى حقهم إظهار السخط والجزع على الميت بأى وجه من الوجوه، وفى هذا يقول السفر: **«لايجعلون قرعة فى رؤوسهم ولايحلقون عوارض لحاهم ولايجرجون جراحة فى أجسادهم مقدسين يكونون لإلههم»**(١).

وقد نهى الكاهن عن هذه الفعال الوثنية لأنه مثال للشعب، يغريهم ويشدهم فى ضيقاتهم(٢).

بل إن السفر يصرح فى موضع آخر بنهى الكهنة عن الجزع على الأموات، وأنهم إن وقعوا فى مثل تلك الفعال لايحل الغضب عليهم وحدهم بل عليهم وعلى الشعب،

يقول السفر: **«وقال موسى لهارون والعازار وإثامار -ابنيه- لاتكشفوا رؤوسكم ولاتشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ويسخط على كل الجماعة»**(٣).

٤- كما تحرم الشريعة اليهودية فى حق الكهنة أن يتزوجوا بزانية أو مطلقة أو أرملة، وتلزمهم بالزواج من العذارى، وقد جاء هذا التوجيه مرة موجه لعموم الكهنة **«امرأة زانية أو مدنسة لايأخذوا ولايأخذوا امرأة مطلقة من زوجها»**(٤).

ومرة موجه إلى رئيس الكهنة **«والكاهن الأعظم.. هذا يأخذ امرأة عذراء أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لايأخذ بل يتخذ عذراء من قومه امرأة، ولايدنس زرعه بين شعبه»**(٥)

ويلاحظ هنا أن الأرملة لم يذكر النهى عنها إلا فى جانب رئيس الكهنة، وهذا يعنى أنه كان يجوز للكهنة العاديين الزواج بالأرامل.

٥- وتمنع الشريعة اليهودية الكهنة عمومًا من دخول قدس الأقداس، إلا الكاهن الأعظم فإنه كان له أن يدخل مرة واحدة فى يوم الكفارة من كل عام، وقد جاء بخصوص هذا التعليم فى السفر:

«وقال الرب لموسى كلم هارون أخاك أن لايدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت»(٦).

وإذا سألنا ماالسر فى هذا التشديد والتحذير من دخول الكهنة إلى قدس الأقداس؟

---

(١) اللاويين ٢١ : ٥، ٦ .

(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين (ص٢٦٤) بتصرف .

(٣) اللاويين ١٠ : ٦ .

(٤) اللاويين ٢١ : ٧ .

(٥) اللاويين ٢١ : ١٠-١٥ .

(٦) اللاويين ١٦ : ٢ .

يجيبنا عن ذلك نخبة من العلماء يوصفون بالتبحر فى دراسة الكتاب المقدس قائلين «**لأن قدس الأقداس هو مسكن الله الأرضى أو هو موضع ظهور مجده لشعبه**»[١].

وهذا الفهم السابق قد استوحاه علماء الكتاب المقدس من تصريح سفر اللاويين بذكر العلة من منع الكهنة من دخول قدس الأقداس إذ فيه «**لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء**»[٢].

هذه هى أهم التوجيهات والتعاليم التى كانت الشريعة اليهودية تفرضها على الكهنة، وكان من المفترض أن تكون تعاليم تؤدب وتهذب الكهنة، ولكن الواضح بُعدها عن هذا الهدف، إذ هى فى مجملها منصبة على الغلو فى تقديس الكهنة وجعلهم عنصرًا ممتازًا، فما عسى أن يفعل النهى عن شرب الخمر عند دخول المعبد لرجل يشرب من الخمر حتى يترنح، فإذا جاء إلى مكان العبادة لبس مسوح التقوى، وتظاهر بالطاعة، وماعساه أن يفعل النهى عن الزواج بزانية لرجال تحكى كتبهم أنهم كانوا يضاجعون النساء اللاتى يأتين إلى المعبد للصلاة.

حيث يحكى سفر صموئيل الأول أن أحد الكهنة الكبار فى إسرائيل كان أبناؤه وهما كاهنان أيضًا -يسميهما السفر فيقول: «**وكان هناك ابنا عالى حفنى وفينحاس كاهنا الرب**»[٣] وكانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع[٤]، وبرغم هذا يحكى السفر أنه لما حدثت حرب بين بنى إسرائيل والفلسطينين كان هذان الكاهنان الزانيان هما اللذان استأمنهما الشعب على تابوت عهد الرب الذى كانوا يستنصرون به على أعدائهم[٥]!!!!.

المطلب الثانى: واجبات الكهنة كما فى سفر اللاويين:

تفرض الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- على الكهنة عددًا من الواجبات، كان يجب عليهم القيام بها، وهى كمايلى:

١- تقديم القرابين والذبائح: سواء كانت اليومية كمحرقة الصباح والمساء، أو الأسبوعية كمحرقة السبت أو الشهرية أو السنوية كمحرقات يوم الكفارة وغيرها من

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص٧١٨) مادة قدس بتصرف.
(٢) اللاويين ١٦ : ٢.
(٣) صموئيل الأول (١ : ٣).
(٤) يراجع سفر صموئيل الأول ٢ : ٢٢.
(٥) يراجع سفر صموئيل الأول ٤ : ١-٥.

الاحتفالات الدينية التى يتقرر فيها شيء من القرابين والذبائح .

وسفر اللاويين من أكثر الأسفار تفصيلاً لهذا الواجب الكهنوتى، إذ يوضح للكاهن طريقة تقديم القرابين وكيفية تقطيعها والطقوس اللازمة لذلك[١]، والأنواع التى تصلح لعمل القرابين، بطريقة صعبة معقدة غاية التعقيد.

حتى أن ول ديوارنت يقول :

«**ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة**»[٢] .

٢- إيقاد النار المقدسة : كذلك من واجبات الكهنة إيقاد النار على المذبح، إيقادًا متواصلاً، وقد جاء فى سفر اللاويين بخصوص هذا الواجب الكهنوتى : «**وكلم الرب موسى قائلاً : أوصى هارون وبنيه قائلاً . . النار على المذبح تتقد عليه لاتطفأ، ويشعل عليها الكاهن حطبًا كل صباح، ويرتب عليها المحرقة، ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة نار دائمة تتقد على المذبح لاتطفأ**»[٣] .

وكان يتبع القيام بمهمة إيقاد النار مهمة أخرى هى التبخير، وقد حددت الشريعة اليهودية طريقة تركيب البخور وأوصافه فى سفر الخروج[٤]، وكان على الكاهن وهو يؤدى هذا الواجب أن يحاذر من أن يقدم بخورًا غير الذى نصت عليه الشريعة، وإلا عوقب بالموت، ويحكى سفر اللاويين قصة مخالفة الكاهنين (ناداب وأبيهو) ابنى هارون فيقول :

«**وأخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو كل منهما بجمرته، وجعلا فيهما نارًا ووضعا عليها بخورًا، وقربا أمام الرب نارًا غريبة لم يأمرهما بها، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب**»[٥] .

ولما كان مثل هذا الواجب لايجوز لأحد القيام به غير الكهنة -كما أفهموا الشعب- فإن تاريخ اليهود فى أسفارهم يحكى أن أحد ملوك اليهود، ويسمى (عزيا) راودته نفسه ذات يوم أن يحطم تلك الأساطير الكهنوتية التى تجعل إيقاد النار والبخور على المذبح حكرًا على الكهنة، فتقدم وأوقد بخورًا على المذبح فى الهيكل، ودخل وراءه نحو ثمانين من الكهنة ليمنعوه، وقالوا له ليس لك أن توقد للرب، بل للكهنة

---

(١) وقد أوضحت كل طقس فى موضعه .

(٢) قصة الحضارة ٢/٣٤٦ .

(٣) اللاويين ٦ : ٨ -١٣ .

(٤) الخروج ٣٠ : ١-١٠ .

(٥) اللاويين ١٠ : ١، ٢ .

بنو هارون المقدسين للإيقاد، ولكنه غضب عليهم فأصيب بالبرص فى جبهته، ولازال البرص به حتى مات[(١)] .

وهذا يدلك على أن الشعب بأسره كان لايرى فى هذه المهام الكهنوتية إلا الخرافة والشعوذة، ولكنه كان لايستطيع أن يجيل فكرًا كهذا فى خاطره خشية أن تلحقه اللعنة إذا حاول الاجتراء على الكهنة كما لحقت هذا الملك .

٣- القيام بعملية التطهير : وكان هذا من أخص واجبات الكهنة، وكان يشمل تطهير البيوت[(٢)]، وتطهير المذنبين من آثامهم[(٣)]، وتطهير المرضى[(٤)] .

وكان الهدف من إسناد هذه المهمة إلى الكهنة أن يغرس فى نفوس الشعب أن الكهنة هم المصدر الأساسى للطهارة فى كل شيء .

وهذا مانص عليه سفر اللاويين كثيرًا من نحو : «**كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم . . . مقدسين يكونون لإلههم**»[(٥)] . أى طاهرين .

٤- تفسير الشريعة للشعب :

وهذا الواجب الكهنوتى يتضمن قيام الكاهن بتوضيح الأحكام الواردة فى شريعتهم، وتفسير مقاصدها، وكان الكهنة حريصون على سلوك طرق ملتوية من التفسير، حيث يجعلون للنص ظاهرًا وباطنًا، ممايجعل محاولة تفسير التوراة أو التلمود مهمة صعبة لغير الكهنة، ولذلك يقول ول ديوارنت : «ولم يكن أحد غير الكهنة **يستطيع أن . . يفسر الطقوس والأسرار الدينية تفسيرًا آمنًا من الخطأ**»[(٦)] .

ولم تكن مهمة تفسير الكهنة للشريعة مقصورة على التفسير داخل المعبد، بل إن اليهود اتخذوا لها مدارسًا عرفت باسم مدارس التفسير فى أجيال مختلفة، حاولت جاهدة تكبيل الفكر اليهودى وجعله حبيس تفسيرات هؤلاء الكهنة (الحاخامات) التى كثيرًا ماكانت تجنح إلى الشطط والغلو فى فهم النصوص[(٧)] .

وكان يتبع هذا الواجب الكهنوتى مهمة التعليم الدينى، فقد كان يقوم بها الكهنة

---

(١) انظر سفر أخبار الأيام الثانى ٢٦ : ١٦ - ٢١ .
(٢) انظر اللاويين ١٤ : ٥٢-٥٣ .
(٣) انظر اللاويين .
(٤) انظر اللاويين ١٤ : ١-٢٠ .
(٥) اللاويين ٢١ : ١-٦ .
(٦) قصة الحضارة ٢/٣٤٦ .
(٧) يراجع فى هذا بتوسع : (كتاب الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى للدكتور/ عبد الرازق أحمد قنديل) وهو من مطبوعات دار التراث بالقاهرة .

أيضًا، وقد أشار سفر اللاويين للتعليم فى الإصحاح الرابع عشر، إذ جاء فيه: «هذه هى الشريعة . . . للتعليم فى يوم النجاسة ويوم الطهارة»(١) .

وتروى أخبار إسرائيلية فى هذا الإطار عن قسوة الكهنة على الأطفال فى القيام بهذه المهمة، ولعل أصدق من يرويها هو من عايشها، لذلك تقول الأخت / مريم جميلة (وكانت يهودية فهداها الله للإسلام): «ويبدأ التعليم الدينى بدخول الطفل إلى القيدار (وهو نظير الكتّاب الإسلامى)، وتعطى له الحلوى فى أول درس يحضره لتشجيعه، ولكن تبدأ بعد ذلك صعوبة الدراسة وتعقيدها، ويدخل الطفل فى هذه المرحلة إلى باب التوراة، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة تعليم الكتب الخمسة، ولايبدأ الطفل بقراءة سفر التكوين لما يحويه من قصص طريفة بل بسفر الأحبار (اللاويين) بتفاصيله الثقيلة عن الأضاحى، وتقرأ التوراة فى هذه المرحلة الأولية بشرح راشى الجر الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى، والكتب التى يطالعها الطفل هى الكتب القديمة مصفرة الأوراق من التوراة، ويجرى التعليم عن طريق حفظ معانى الكلمات العبرية الثقيلة مع ترك الفهم لمراحل تالية، ويمكث الأطفال فى بيت المعلم من الصباح حتى حلول الليل، حتى يسمع لأصواتهم أزيز همهمة تقطعها صرخة هنا وهناك حينما تنزل عصا المعلم على طفل ساه أو مشتت الذهن، وفى هذه الغرف المظلمة سيئة التهوية يتعلم الأطفال القراءة والترجمة (ترجمة معانى التوراة العبرية) لتأهيلهم لمراحل تعليمية أخرى»(٢) .

ويتشدد الكهنة (أو الحاخامات) بخصوص التعليم الدينى فيمنعون منه النساء، حتى أن بعضهم يفتى بأن الذى يعلم ابنته التوراة كمن يعلمها الفحش، ويرون أن الأمر الوارد فى التوراة بتعليم الأبناء ينطبق على الصبيان دون البنات، وذلك حسب المعنى الحرفى لكلمة الأبناء فى اللغة العبرية، وذهب أحد الحاخامات إلى القول بأنه يفضل أن تضيع كلمات التوراة عن أن تعلم لامرأة، وعندما ذهبت امرأة إلى حبر تسأله عن العجل الذهبى وبخها قائلاً بأنه لاعلم للمرأة إلا فيما يتصل بالمعزل(٣) .

ولكن يبدو أن حديث الأخت/ مريم جميلة عن منهج الكهنة (الحاخامات) فى

---

(١) اللاويين ١٤ : ٥٧ .

(٢) د/ محمد يحيى: رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة إسلام الكاتبة الأمريكية المهندية مريم جميلة) ص ٧٨، ٧٩ بتصرف يسير -ط المختار الإسلامى- القاهرة ١٩٨٥م .

(٣) انظر: المرجع السابق ص٨٣، ٨٤ .

التعليم كان أقرب للانطباق على المنهج التوراتى الذى يفصل واجبات الكهنة بهذه الطريقة أيام قيام الكهنوت الهارونى، وحتى بعد زوال الكهنوت الهارونى وقيام الحاخامات بمهمة تفسير الشريعة وتعليمها كانوا على نفس النهج (إلا أنهم لم يكونوا من ذرية هارون).

ويلاحظ فى السنوات الأخيرة أن الأمور تبدلت تمامًا فى ظل اتجاهات العلمنة فى التجمعات اليهودية، حيث تدرجت النساء اليهوديات فى التعليم الدينى حتى رسمن حاخامات فى عام ١٩٧٢، وفى عام ١٩٧٣ وافقت اليهودية المحافظة على السماح لهن بقراءة التوراة فى المعبد، ثم وافقت اليهودية المحافظة على ترسيم الإناث كحاخامات محافظات ١٩٨٥، وكمنشدات عام ١٩٨٧، وقد اتسع النطاق بطبيعة الحال ليشمل كل الشعائر[١].

٥- ومن واجبات الكهنة: قبض الصدقات والنذور وجباية الأعشار، وفى الإصحاح السابع والعشرين من السفر ماينص على تفويض الكاهن فى قبض وتقدير النذور والأعشار، وتقويمها فى حالة الرغبة فى فك المنذور إذا لم يكن نقودًا: ففيه: **«يوقف أما الكاهن فيقومه الكاهن»**[٢]. **«حسب تقويمك ياكاهن هكذا يكون»**[٣]. **«وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو . . . قدس للرب»**[٤]. **«وأما كل عشر البقر والغنم فكل مايعبر تحت العصا يكون العاشر قدسًا للرب»**[٥].

يقول الأستاذ/ نجيب جرجس:

«كان اللاويون يجمعون العشور تحت إشراف أحد الكهنة، حيث كانت تودع فى المخازن لحفظها وتنظيم صرفها . . . ومع ذلك فقد كانت الحالة الروحية تسوء جدًا لدرجة أن الكهنة وأحيانًا رؤساء الكهنة كانوا يحاولون أن يغتصبوا العشور كلها لأنفسهم متعدين بذلك شريعة الرب وأوامره»[٦].

ويلاحظ أن الأستاذ / المبجل -سالف الذكر- برغم تصريح أسفار اليهود باختلاسات الكهنة، وتنديد المصلحين بفعالهم[٧]، إلا أنه يقرر فى وجل فيجعل ذلك

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٤٧٦.
(٢) اللاويين ٢٧ : ٨.
(٣) اللاويين ٢٧ : ١٢.
(٤) اللاويين ٢٧ : ٣٠.
(٥) اللاويين ٢٧ : ٣٢.
(٦) تفسير سفر اللاويين ص٣٩٤.
(٧) انظر فى ذلك سفر نحميا ١٣ : ٢٨، إرميا ٦ : ١٣، إشعيا ١ : ٢٣.

مجرد محاولات من الكهنة .

ويبدو أن ول ديوارنت كان أكثر جرأة ووضوحًا حين قال عن الكهنة : «وكانوا **يأخذون العشور على نتاج الضأن وينتفعون بمابقى فى الهيكل من القرابين فنمت ثرواتهم، وجمعوا بذلك أموالاً ضخمة وثراءًا عظيمًا، وامتازت ثرواتهم بأن عدت مقدسة، وبذلك أصبحوا فى كثير من الأحوال أقوى من الملوك أنفسهم**»(١) .

٦- وكان من واجبات الكهنة أيضًا القضاء بين الشعب فى خصوماته، حيث أنه فى الإصحاح السادس من سفر اللاويين يذكر مجموعة من الجرائم، خيانة وغصبًا وإنكار أمانة، وجحد لقطة . . ثم يأمر بالإتيان إلى الكاهن للتقاضى، ولتكفير هذا الإثم(٢) .

وقد كان تقليد هذه الواجب الدينى للكهنة بابًا واسعًا لكسب الأموال عن طريق الرشوة، حتى أن إرميا لما قام بدعوته الإصلاحية جعل يصف حال اليهود بمافيهم الكهنة، فيقول : «**من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب**»(٣) . وجاء على لسان إشعيا وهو يصف أورشليم فى أيامه مخاطبًا لها : «**رؤساؤك متمردون، كل واحد منهم يحب الرشوة، ويتبع العطايا، ولايقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لاتصل إليهم**»(٤) .

وأيضًا -لما جعل عاموس ينعى على اليهود حالة الانحطاط التى وصلوا إليها قائلاً :

«**ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايقون البار، الآخذون الرشوة، الصادون البائسون فى الباب . . .**»(٥) ماشغب عليه إلا الكهنة وهيجوا عليه الملك فى ذلك الوقت، جاء فى سفر عاموس :

«**فأرسل أمصيا كاهن بيت إيل إلى يربعام ملك إسرائيل قائلاً قد فتن عليك عاموس فى وسط بيت إيل . . لأنه هكذا قال عاموس يموت ير بعام بالسيف . . فقال أمصيا لعاموس أيها الرائى اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكل هناك خبزًا وهناك تنبأ، وأما بيت إيل فلا تعد تنبأ فيها لأنها مقدس الملك وبيت الملك**»(٦) .

هذه هى أهم الواجبات التى نيطت بكهنة اليهود، وهى توضح كيف وضع كهنة

(١) قصة الحضارة ٢/ ٣٤٦ بتصرف .
(٢) انظر : اللاويين ٦ : ١ .
(٣) إرميا ٦ : ٣ .
(٤) إشعيا ١ : ٢٣ .
(٥) عاموس ٥ : ١٢ .
(٦) عاموس ٧ : ١٠-١٣ .

اليهود أنفسهم بين الله وبين الشعب، وبرغم أنها واجبات والمفترض أنها تكاليف وأعباء، لكن الكهنة فهموا هذه الواجبات على أنها تشريف وليس تكليف، بمعنى أن القيام به مفخرة لهم.

وقد استوحوا هذا الفهم من نص فى سفر العدد يخبر أن واجبات الكهنوت مقصورة على أبناء وذرية هارون الكاهن، وإذا حاول أجنبى الاقتراب فإنه يقتل، يقول سفر العدد:

«وقال الرب لهارون أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس، وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم، وأيضًا إخوتك سبط لاوى سبط أبيك قربهم معك فيقترنون بك ويوازرونك . . . عطية أعطيت كهنوتكم والأجنبى الذى يقترب يقتل»(١).

وفى مقابل هذه الواجبات التى كان يقوم بها الكهنة سنت لهم الشريعة اليهودية كثيرًا من الحقوق والامتيازات.

المطلب الثالث: «حقوق الكهنة كما فى سفر اللاويين».

لقد نصت الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- لجماعة الكهنة على مجموعة من الحقوق والامتيازات المعنوية والمادية.

* فأما المعنوية فتتمثل فى التقديس والتعظيم:

وقد نص السفر على هذا الحق صراحة، إذ جاء فيه الخطاب للشعب:

«فتحسبه مقدسًا، لأنه يقرب خبر إلهك، مقدسًا يكون عندك»(٢).

وقد يفهم من هذا النص المعنى البسيط من الاحترام والتقدير للعالم، ولكن طريقة حديث سفر اللاويين -وغيره- عن قدرات الكاهن فى الصفح وتكفير الذنوب ومحو الخطايا، وعلاج الأمراض، وبالجملة قيامه بدور الوسيط بين الله وبين الشعب- تبين أن الذى يفهمه اليهود من هذا النص لايقف عند حد التقدير والاحترام، ولذلك رأينا فيما أسلفنا من قول الكاتبة اليهودية المهتدية مريم جميلة أن أول مايبدأ به فى التعليم الدينى اليهودى هو سفر الأحبار، وذلك لما فيه من تركيز على غرس قداسة الأحبار فى نفوس اليهود منذ البداية.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء اليهود، فهم دهاة مكرة أذكياء، ولكنهم مع هذا فهم

---

(١) العدد ١٨ : ١-٧ .

(٢) اللاويين ٢١ : ٨ .

في تعاملهم مع كهنتهم يلغون كل هذا الذكاء والدهاء.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

« . . . والحبر من أحبارهم ترى منه العجب العجيب من الناموس الذى يعتمده، والسنن التى يحدثها، ولايعترض عليه أحد -أى من اليهود- بل تراهم مسلمين له، وهو يحتلب درهم ودرهمهم، وإذا بلغه عن يهودى طعن عليه، صبر عليه حتى يرى منه جلوسًا على قارعة الطريق يوم السبت، أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبنًا أو خمرًا، أو خرج عن بعض أحكام المشنا والجمارا فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضه ونسبه إلى الخروج عن اليهودية فيضيق به البلد على هذه الحال، فلا يسعه إلا أن يصلح مابينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال، فيقول لليهود: إن فلانًا قد أبصر رشده ورجع للحق، وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودى . . . »(١)

واليهود فى تقديسهم للكهنة يروون الأساطير والخرافات، فعلى سبيل المثال، يقول العلامة المحقق السموءل بن يحيى -وكان من أعاظم أحبار اليهود بالمغرب-

«فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة مالفق منه هذه التوارة التى فى أيديهم، ولذلك بالغوا فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن(٢) يظهر على قبره الذى عند البطائح بالعراق، لأنه عمل لهم كتابًا يحفظ دينهم»(٣).

وليس أمر التقديس خاصًا بعزرا وحده، بل بكل الكهنة فى مختلف العصور، حتى بعد زوال الهيكل والكهنوت الهارونى كان اليهود ينطلقون فى تقديسهم للحاخامات من اعتقادهم بأن أصول الحاخامات ترجع إلى فترة الهيكل.

وندع الدكتور/ صموئيل أتينجر(٤) ليحدثنا عن مغالاة اليهود فى تقديس الكهنة حتى بعد موتهم، فيقول:

«وكان اليهود يحرصون دائمًا على الإعلاء من مدى تقوى الحاخام (الكاهن) وقدراته على الإتيان بالمعجزات والتكهن بالمستقبل»(٥).

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص١٧٠، ١٧١ بتصرف يسير ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع -القاهرة ١٩٩٠.

(٢) كان الوقت الذى كتب فيه السموءل هذا الكلام فى نحو ٥٧٠ هـ.

(٣) بذل المجهود فى إفحام اليهود ص٤٤.

(٤) صموئيل أتينجر: مؤرخ إسرائيلى بارز ولد عام ١٩١٩ فى مدينة كييف فى روسيا، ويعمل منذ عام ١٩٦٥ أستاذ للتاريخ اليهودى الحديث بالجامعة العبرية بالقدس. انظر كتاب: اليهود فى البلدان الإسلامية ص٤٤٧.

(٥) انظر: المرجع السابق ص٣٠٦.

وللتوضيح يضرب المثال بيهود المغرب، فيقول: «**تأثرت طريقة الحياة اليهودية فى مناطق عديدة من المغرب بالشخصيات اليهودية التى كان ينظر إليها بوصفها شخصيات تنتمى إلى عالم الأولياء والقديسين . . وكان يطلق على هؤلاء -الحاخامات عادة لقب «الصديقين»** كما كان يطلق عليهم فى أحيان أخرى لقب «ولى البلاد» الذى كان يعنى ضمنًا أنه بمقدور الولى رعاية الطائفة وحمايتها، وكان أبناء الطبقات الشعبية فى المجتمع اليهودى يؤمنون أنه بمقدور الأولياء الإتيان بالمعجزات حتى بعد موتهم . . . وتفيد التقاليد اليهودية فى المغرب أن أصول كل هؤلاء الحاخامات تعود إلى فترة الهيكل الثانى . . . وكانت هناك أنواع مختلفة من الإيمان بمقدرة الصديقين على الإتيان بالمعجزات، فكان اليهود يؤمنون أنه بمقدور هؤلاء شفاء المرضى، وتمكين المرأة العاقر من الإنجاب، وتمكين العجزة من السير على أقدامهم، والمكفوفين من الإبصار، ونتيجة لأن اليهود كانوا يؤمنون بأن الصديقين والأولياء يحافظون على حياة المدينة وأمنها فقد ساد اعتقاد مفاده أن هؤلاء الأولياء يوفرون الحماية لأبناء المدينة من كافة أنواع الشرور، ولم يكتف اليهود بالإيمان بقدرات الصديق إذ كانوا يولون أيضًا قدرًا كبيرًا من القداسة لكل مايحيط بقبر الصديق والولى من حجارة وأشجار وغيرها، وكان زوار هذه القبور يأخذون أى مخلفات حول هذا المكان ويحتفظون بها إيمانًا بأنها ستوفر لهم الأمن . . . وحينما كان يتشكك أى فرد فى قدرات الصديق أو الولى كان لزامًا عليه أن يشعل بضع شموع على قبر الصديق أو يذبح بقرة أمام قبره بغرض أن ينال رضاه ومغفرته وكرس بعض حياتهم لخدمة هذه القبور . . وفى مصر فقد أصبح قبر الحاخام يعقوب أبو حصيرة الذى دفن فى محافظة دمنهور عام ١٨٨٠ مزارًا ليهود مصر . . . »[(١)]

وحتى لايظن القارىء الكريم أن هذا العرض السابق عن غلو اليهود فى تقديس أحبارهم قاصر على أصحاب الفكر الصوفى (القبالاة) فإننا نقتطف بعض نصوص من التلمود جاءت تؤكد على تقديس الأحبار ورفعهم لدرجات الألوهية من ذلك:

١ - **«من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية»**[(٢)] .

(١) المرجع السابق ص٣١٤-٣١٧ بإيجاز وتصرف (قلت: وأبو حصيرة يزوره بعض جهلة المسلمين فى مصر) .
(٢) من التلمود ص٢١، ٢٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة .

٢– «إن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولاتغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يومًا الاختلاف بين البارى تعالى وبين علماء اليهود فى مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور»(١).

٣– «إن أقوال الحاخامات المتناقضة منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير»(٢).

٤– «حصلت مشاحنة يومًا مابين حاخامين، أحدهما يدعى الرابى (شايا)، والثانى (باركبارة) وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال: كيت وكيت مما ادعوه، ولم يفصل فى الخلاف الواقع بينهما، فجاء الحاخام (روسكى) وقال: إن الحاخامين المذكورين قالا الحق، لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ»(٣).

٥– «اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وفضلاً عن ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات كالشريعة، لأن أقوالهم هى قول الله الحى، فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولاتجادله، فما بالك إذا قال لك: إن يدك اليمنى هى اليمنى، ويدك اليسرى هى اليسرى»(٤).

أرأيت مثل هذا الجنون باسم الشريعة؟ الله سبحانه وتعالى يعترف بغلطه، ويقر بعصمة الحاخامات؟ الله سبحانه وتعالى إذا قال شيئًا فمن حق الحاخامات أن يعارضوه، أما هم إذا قالوا فليس لأحد أن يعارضهم، ولو قالوا إن اليمين هو الشمال والعكس؟

ونرى أن تأكيد التلمود على ماجاء فى سفر اللاويين من إعظام الكهنة وتقديسهم دليلاً واضحًا على أن الأيدى التى كتبت التلمود هى التى كتبت سفر اللاويين مع أن المفترض تقدم زمن كتابة سفر اللاويين على زمن كتابة التلمود.

ولامراء فى أن النتيجة الحتمية لتلك الطاعة العمياء والغلواء فى التقديس هى اجتراء الكهنة على تحريف الشريعة وتبديلها، مادام الاعتقاد سائدًا أن جميع

---

(١) د/ روهلنج: الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص٥٢ ترجمة د/ يوسف نصرالله –ط مطبعة المعارف – مصر ١٨٩٩.

(٢) المرجع السابق ص٥٢.

(٣) المرجع السابق ص٥٢، ٥٣.

(٤) الكنز المرصود ص٥٢.

أقوالهم من عند الله!!!!

*** وأما حقوق الكهنة المادية فهى كمايلى :**

من خلال أسفار التوراة عرف أن «**يهوه**» إله إسرائيل كما وزع الأعمال، واختص سبط اللاويين بالأعمال الدينية[١]، فقد وزع كذلك الحقوق والأملاك على أسباط بنى إسرائيل، ولم يكن من حق سبط اللاويين أن يتملك شيئًا كغيره من الأسباط، وفى مقابل هذا كانوا يعفون من الضرائب، وفرضة الرؤوس، بالإضافة إلى مجموعة من الحقوق التى أخذت شكلاً طقسيًا، وهى تتمثل فيمايلى :-

١- النذور : كان كل نذر يقدمه بنو إسرائيل هو من حق الكهنة اللاويين سوا كان هذا النذر إنسانًا (يفدى) أو حيوانًا أو حقولاً أو غير ذلك، وقد استفاض الحديث عن هذا فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين، وتقرير النذر كواحد من حقوق الكهنة، يقول فيه سفر اللاويين : «**كل محرم هو قدس أقداس للرب**»[٢]. وهذا يعنى أنه نصيب الكهنة[٣].

ويوضح هذا ماجاء فى سفر العدد خطابًا لهارون وبنيه «**كل محرم فى إسرائيل هو لك**»[٤].

٢- الأبكار من كل شئ : سواء أبكار الناس (ويفدى)، أو أبكار الحيوانات، أو أبكار الثمار والزروع، جاء فى سفر اللاويين بشأن أبكار الحيوانات «**لكن الذى يفرز بكرًا للرب من البهائم فلايقدسه -أى لاينذره- أحد فهو للرب**»[٥]، وبشأن أبكار الثمار والزروع «**تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن**»[٦].

وفى سفر العدد : «**كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك**»[٧].

٣- الباقى من القرابين التى كانت تقدم إلى المعبد، فلو أن القربان دمويًا لم يكن يستهلك منه إلا الدم والشحم، وباقى اللحم هو للكاهن، ولهذا جاء بشأن ذبيحتى الخطيئة والإثم : «**ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية لها شريعة واحدة الكاهن الذى يكفر بها تكون له**»[٨].

---

(١) انظر : الخروج ٢٨ : ١ .
(٢) اللاويين ٢٧ : ٢٨ .
(٣) السنن القويم ٢/ ٢١٣ .
(٤) العدد ١٨ : ١٤ .
(٥) اللاويين ٢٧ : ٢٦ .
(٦) اللاويين ٢٣ : ١٠ .
(٧) العدد ١٨ : ١٥ .
(٨) اللاويين ٧ : ٧ .

وفى ذبائح السلامة (الشكر) كان للكاهن صدر الذبيحة وساقها اليمنى : «**ويكون الصدر لهارون وبنيه، والساق اليمنى تعطونها رفيعة للكاهن من ذبائح سلامتكم**»[(١)] . حتى فى ذبيحة المحرقة التى تحرق بكل أجزائها لم يشأ الكهنة أن يحرموا أنفسهم منها بل كانوا يأخذون جلود المحرقات «**والكاهن الذى يقرب محرقة إنسان فجلد المحرقة التى يقرب بها يكون له**»[(٢)] .

وإن كان القربان نباتيًا من دقيق وزيت أو فطائر مخبوزة فلم يكن يستهلك منه فى الحرق إلا شيئًا رمزيًا بمقدار ملء القبضة يسمونه التذكار، والباقى للكهنة : «**وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق : ويسكب عليها زيتًا ويجعل عليها لبانًا، ويأتى إلى بنى هارون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها، ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح . . . والباقى من التقدمة هو لهارون وبنيه**» . وإذا قربت تقدمة مخبوزة فى تنور تكون أقراصًا . . وإن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله فتأتى بالتقدمة التى تصنع من هذه إلى الرب وتقدمها إلى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح، ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقد على المذبح . . والباقى من التقدمة هو لهارون وبنيه قدس أقداس . . »[(٣)] .

كما يذكر السفر أن مائدة السبت كانت من حق الكهنة : «**وتأخذ دقيقًا وتخبزه اثنى عشر قرصًا . . وتجعلها صفين كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب . . فى كل يوم سبت . . فيكون لهرون وبنيه فيأكلونه فى مكان مقدس**»[(٤)] .

٤- الأعشار : كما كان من حق الكهنة أن يأخذوا العشر من كل نتاج بنى إسرائيل سواء الزروع أو الحيوانات، «**وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وثمار الشجر فهو للرب قدس للرب**»[(٥)] ، «**وأما كل عشر البقر والغنم فكل مايعبر تحت العصا يكون العاشر قدسًا للرب**»[(٦)] . فهو معاش الكهنة لأنهم مفروزون لخدمة الرب وليس لهم ميراث فى بنى إسرائيل[(٧)] .

ويدرك القارىء الكريم ضخامة الحقوق المادية المقررة للكهنة حينما يعرف أنهم

---

(١) اللاويين ٧ : ٣٢، ٣٣ .
(٣) اللاويين ٢ : ٨-١٠، ٦ : ١٧-١٨ .
(٤) اللاويين ٢٤ : ٥-٩ .
(٥) اللاويين ٢٧ : ٣٠ .
(٦) اللاويين ٢٧ : ٣٢ .
(٧) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٩٣ .

كانوا يفسرون كل شئ فى الحياة تفسيرًا دينيًا، تحوطه الخطيئة والإثم، بل إن الذى كان يقرب قرابينه للطاعة ربما استطاع الكهنة أن يوقعوه فى خطيئة أخرى وهو يفعل أفعال الطاعة فيحتاج إلى قربان آخر. كما سنوضحه فى مبحث القرابين إن شاء الله.

ولكن كهنة اليهود على الرغم من كل هذه الامتيازات التى قررتها الشريعة لهم لم يلبثوا أن أهملوا واجباتهم الكهنوتية، بل لم يلبثوا أن انحرفوا عن الأخلاق القويمة والصفات الكريمة التى ينبغى أن يتحلوا بها، فضربوا أسوأ الأمثال للشعب متخذين من مهمتهم سبيلاً إلى إشباع جشعهم وطمعهم وإرضاء شهواتهم ونزواتهم البهيمية، بعد أن أصبحت لهم ثروات عظيمة من وراء كل الامتيازات المعطاة لهم[١].

ومع أن الشريعة اليهودية قد منحت هؤلاء الكهنة تلك الامتيازات حتى لايزاولوا أى عمل غير أعمال الكهنوت فإن رؤساء الكهنة أنفسهم كانوا يشتغلون بالتجارة سرًا ويجنون من ورائها أرباحًا طائلة، فقد كانوا ينشؤون حوانيت بجانب الهيكل تسمى «**الشاتوجوت**» وكانوا يبيعون فيها الحمام الذى تقضى الشريعة بتقديمه ذبيحه، وقد عمدوا إلى مضاعفة المناسبات التى يتحتم على الشعب تقديم الحمام فيها، فتضاعفت بذلك مكاسبهم[٢].

غير أنه بعد زوال الكهنوت اللاوى لم تبق هذه الامتيازات المادية كماهى، بل تغير كثير منها حسب النظام الحاخامى الجديد.

يقول الأستاذ/ إبراهيم خليل أحمد

«إن وظيفة الأحبار والكهنة بعد ميلاد المسيح وتدمير أورشليم لم تعد تقصر على سبط لاوى، بل أصبحت حقًا مباحًا لكل يهودى، ووجد فقراء اليهود طريقهم إلى الكهنوت، وسرعان ماارتقوا فى مناصبه، وقد كان معظمهم يكسبون قوتهم بالعمل فى الصناعات المختلفة، . . . وكان الأثرياء من اليهود يجعلونهم فى بعض الأحيان شركاء غير عاملين فى مشروعاتهم المالية أو التجارية أو يؤونهم فى بيوتهم، أو يزوجونهم من بناتهم، ليوفروا عليهم عناء الكد لكسب قوتهم»[٣].

فى العصر الحديث يعطى الحاخامات مكافأة سنوية أو شهرية عن الأعمال التى

---

(١) زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص١٥٢، ١٥٣ .
(٢) انظر: المرجع السابق ص٣٩٣ .
(٣) أ/ إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود ص٢١ بإيجاز وتصرف .

يقومون بها، ولكن ينص فى العقد على أنه يتقاضى الأجر عن الأعمال التى يؤديها خلال الأسبوع، وهى أعمال غير دينية، ولايتقاضى أجرًا عن يوم السبت(١).

ومجمل القول فى قداسة الكهنة (أو الحاخامات) أنها تقوم أساسًا على المفهوم الحلولى -أى حلول الإله فى الأشخاص- فهذا المفهوم قد دعم مركز الحاخامات، وخلع عليهم ضربًا من القداسة، لأنهم مبشروا هذه الشريعة وحملة رايتها، كما أن البنية الحلولية التى جعلت الشعب أهم من الإله، والشريعة الشفوية أهم من الشريعة المكتوبة، أضفت أهمية قصوى على مركز الحاخامات، إذ أصبح الحاخامات أهم من التوراة نفسها، ماداموا قادرين على تغييرها(٢).

المطلب الرابع: موقف النصرانية من كهنوت العهد القديم:

إن النصارى برغم مافى أيديهم من كتب يقدسونها إلا أنهم دائمًا يحاولون الربط بين مابأيديهم (العهد الجديد) وبين العهد القديم، ظنًا منهم بأن ذلك يقوى دينهم ويجعلهم وارثين لكل الناموس.

وبخصوص مسألة الكهنوت: يقول البابا/ شنودة الثالث -بطريرك الكرازة المرقسية: «**الكهنوت لم يلغ، إنما تغير من كهنوت هارونى إلى كهنوت على طقس ملكى صادق**(٣)، من كهنوت يقدم ذبائح دموية إلى كهنوت يقدم الخبز والخمر... وهكذا لم تنقض المسيحية الناموس ولا الأنبياء، إنما ماكان من الناموس مقصودًا بحرفيته بقى كماهو، وماكان رمزًا فهمناه فى المرموز إليه»(٤).

ويسميهم العهد الجديد «**إكليروس**» أى نصيب أو ميراث الله(٥).

وتضفى المسيحية على كهنتها ألوانًا من القداسة والتعظيم كالتى كانت عند اليهود فى العهد القديم، فهم يصرحون بأنهم وكلاء الله(٦).

ويزعمون أن لهم سلطانًا واسعًا فما يحلونه هو الحلال ومايربطونه أو يحرمونه

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٢٢.
(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٢٢ بتصرف.
(٣) ملكى صادق كان ملك شاليم فى عهد إبراهيم، وقد ورد ذكر طقسه هذا فى سفر التكوين.
(٤) انظر: البابا شنوده الثالث: الكهنوت ١/ ١٨ ط الأنباء ويس الأوفست -القاهرة ٢٠٠٠.
(٥) انظر: التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة وتدبير الكهنوت ص٢٢ لجماعة من اللاهوتيين الأرثوذكس.
(٦) انظر: الكهنوت ١/ ٢٥.

هو الحرام، وهو الذى يسمونه سلطان الحل والربط، ويدخل فيه مغفرة الذنوب[١] .

بل وربما أوجبوا لهم السجود، وربما سئل أكابر رجالهم: هل يليق السجود لإحدى رتب الكهنوت كما يفعل البعض؟

فيجيب:

«تعود الناس أن يسجدوا للأسقف احترامًا باعتباره وكيل الله، فهم يسجدون لله فى شخصه»[٢]

وهذا هو النسق الحلولى الذى يعتبر قاسمًا مشتركًا بين اليهودية والنصرانية، ففى اليهودية يحل الله فى الكهنة والأحبار، وفى النصرانية يحل فى الرهبان والأساقفة.

بل إنهم فى سجودهم ليسبحون بحمد الكهنة قائلين: «**أقسم الرب ولن يندم أنك أنت هو الكاهن إلى الأبد -ثم يقولون- ياملك السلام أعطنا السلام**»[٣] .

وبعد كل هذا الكفر يسمونه سجود إكرام وتحية، وليس سجود عبادة!!!!

وأظن أن قومًا يسجدون ويسبحون لايمكن لهم أن يعارضوا قولاً من أقوال رجال الإكليروس المقدس، ومن ثم فالقاعدة عندهم: «**إذا تعارض النص مع العقل فالغ العقل واقبل النص**»[٤] .

ولازال أحبار اليهود ورهبان النصارى تجمعهم آمال مشتركة، ويبارك رهبان النصرانية قرارات أحبار اليهود، ولعل ظهور ماعرف «**بالسفارة النصرانية الدولية فى القدس**» فى الآونة الأخيرة قد فضح ماكان من التكاتف السرى بين اليهود والنصارى، فهى عبارة عن منظمة تؤمن بحرفية التوراة والإنجيل وتعطى اليهود الوعود التى يفترونها، وينطلقون فى هذا الفهم من التوراة التى تقرر أن الله يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم[٥] .

---

(١) انظر بتوسع: التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة ص١١١-١١٤، إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢٣ .

(٢) انظر: البابا شنوده الثالث، الكهنوت ١/ ١٥٨ .

(٣) انظر المرجع السابق: نفس الموضع .

(٤) انظر كتاب (سر الأزل ص١١) نقلاً عن: الله واحد أم ثالوث لمحمد مجدى مرجان ص٧٠ .

(٥) انظر د/ سفر عبد الرحمن الحوالى: القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص٦٣، ٦٤ ط مكتبة السنة - القاهرة ١٤١٤هـ .

المبحث الرابع

موقف الإسلام من الكهانة والتكهن

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: الإسلام يخاطب الأحبار والكهنة.

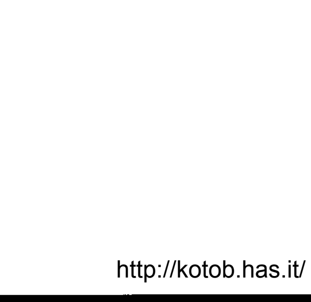
المطلب الثاني: الإسلام يبطل ادعاء الكهان علم الغيب.

المطلب الثالث: الإسلام يفضح ألاعيب الكهنة في أكل أموال الناس بالباطل.

المطلب الرابع: الإسلام ينكر على أهل الكتاب طاعتهم لأحبارهم بدون نظر.

المطلب الخامس: الإسلام رفض أن تكون القيادة الدينية حكرًا على جماعة معينة.

المطلب السادس: الإسلام يلغي الوساطة بين الله وبين العباد.



المبحث الرابع

موقف الإسلام من الكهانة والتكهن

إن الإسلام دين واقعى، ومن أبرز معالم واقعيته أنه دين بسيط، يرفض الشعوذة والدجل، ويأبى الخرافة، ويجعل لكل تابع من أتباعه حظًا موفورًا من الكرامة، وبقدر مايكثر الغرف بالدلاء من النبع العذب يكثر الخير ويعم الرخاء.

المطلب الأول: الإسلام يخاطب الأحبار والكهنة.

والإسلام فى علاجه لقضية الكهانة والتكهن كعادته يرفق ويشتد بحسب ماتقتضيه المواقف، ولذلك لم ينس ماللكهنة والأحبار من مكانة عند اليهود، فتارة يوجه الخطاب للأحبار يستحثهم على قيادة قومهم إلى الخير، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (١).

وفى هذا التخصيص للربانيين والأحبار تذكير لهم بمهمتهم، ومالهم من الرياسة على القوم، وماتقتضيه تلك الرياسة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو أسلوب لطيف فى الإشعار بمكانة هؤلاء الأحبار لو كانوا يفقهون.

كما يتحدث القرآن الكريم عن الكهنة أو الأحبار فيصفهم بأنهم أوعية لحفظ كلام الله عز وجل وينهاهم عن أن يكتموا شيئًا من كلام الله خوف الناس، أو لمجاملة ذوى السلطان، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ (٢).

وسبب نزول هذه الآية: أنه مر على رسول الله ﷺ يهودى محمم مجلود، فدعاهم فقال لهم: أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟ فقال: لا والله، ولولا أنك أنشدتنى بهذا لم أخبرك: نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم، ولكنه كثر فى أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه

(١) سورة المائدة الآية (٦٣).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٤).

الحد، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئًا نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد، فقال النبى ﷺ: «**اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»(١) فنزلت الآيات.

وربما اشتد القرآن فى توبيخ الأحبار لما يرى من كفرهم وصدهم من وراءهم عن أن يبصروا الحق، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- «. . . **كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لايدرى مافيها، فهو يحملها حملاً حسيًا ولايدرى ماعليه، وكذلك هؤلاء فى حملهم الكتاب الذى أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يتفهموه ولاعملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمار لافهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها**»(٣).

المطلب الثانى: الإسلام يبطل ادعاء الكهان علم الغيب:

ثم نظر الإسلام إلى طبيعة عمل الكاهن من نحو التنبؤ بالغيب، والإخبار بالمستقبل.. وغير ذلك، فبين أن هذا الأمر ليس علمًا للغيب، بل يتلخص فى استراق الجن لما كان يقضى الله عز وجل من الأمور حين تتحدث به الملائكة فيما بينها، فيلقون به إلى الكهنة، ولهذا قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾(٤).

وعند البخارى عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال: الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض. . . فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن، ربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء**»(٥).

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٨٦ والحديث عن البراء بن عازب -وهو صحيح أخرجه مسلم فى كتاب الحدود عن يحيى عن أبى معاوية بفظ قريب.

(٢) سورة الجمعة الآية (٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٥٧.

(٤) سورة الجن الآية (٩).

(٥) البخارى بشرح ابن حجر: ٤٨٠٠ التفسير، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم ٨/ ٦٦١.

وهذا يعنى أن مجيء الإسلام أبطل عمل الكهانة، وهذا ماأشار إليه القرآن الكريم فى أكثر من موضع -فى الآية التى أسلفناها على لسان الجن- وفى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۞ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۞ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١). ومسترقوا السمع هؤلاء هم الذين كانوا يعنيون الكهنة على مايدعونه من علم الغيب.

وجعل القرآن الكريم يعلن أن علم الغيب من خصوصيات المولى عز وجل ولايستطيع أى إنسان علم شيء منه إلا إذا أظهره الله عليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ (٢).

وأمر الله نبيه ﷺ أن: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ (٣). ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ (٤).

ولذلك ظن جهلاء العرب أن مايدعوا إليه نبى الإسلام ﷺ من قبيل تنبؤات كهان اليهود وأحبارهم، فوصفوه بأنه كاهن، وربما جاءوا يسألونه عن بعض أمور من العيب.

روى الواحدى فى أسباب النزول عن إياس بن سلمة قال حدثنى أبى أنه كان مع النبى ﷺ إذ جاء رجل بفرس له يقودها.. فقال له: من أنت؟ قال: أنا نبى الله، قال: ومن نبى الله؟ قال: رسول الله، قال متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ غيب ولايعلم الغيب إلا الله، قال: متى تمطر السماء؟ قال: غيب ولايعلم الغيب إلا الله، قال: مافى بطن فرسى هذه؟ قال: غيب ولايعلم الغيب إلا الله، قال أرنى سيفك فأعطاه النبى ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه، فقال له النبى ﷺ أما إنك لم تكن تستطيع الذى أردت، قال: وقد كان الرجل قال: اذهب إليه فأسأل عن هذه الخصال ثم أضرب عنقه (٥).

(١) سورة الصافات الآيات(٦-١٠)
(٢) سورة الجن الآيات (٢٦، ٢٧).
(٣) سورة الأعراف الآية (١٨٨).
(٤) سورة الأنعام الآية (٥٠).
(٥) الواحدى: أسباب النزول ص٢٩١، ورواه الحاكم فى المستدرك ١/ ٧ وصححه، ووافقه الذهبى.

المطلب الثالث : الإسلام يفضح ألاعيب الكهنة فى أكل أموال الناس بالباطل :

ثم عول الإسلام على فضح ألاعيب الكهنة أو الأحبار -والرهبان أيضًا- فى أكلهم أموال الناس بالباطل، فقال سبحانه وتعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (١) .

وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين، ومناصبهم ورياستهم فى الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيء اليهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعًا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعرضهم للذل والصغار وباءوا بغضب من الله تعالى(٢) .

ولازال الأحبار والرهبان إلى اليوم يأكلون أموال الناس بالباطل، ويجمعون مئات الملايين للصد عن سبيل الله، فينفقونها فى دعم الحركات الهدامة، والإعلام الخليع . . وغير ذلك من وسائل الصد عن سبيل الله، ولكن لينفقوا فستكون عليهم حسرة ثم يغلبون، وإلى جهنم سيحشرون .

ومما ذكر القرآن الكريم من ألاعيبهم فى أكل أموال الناس بالباطل، أنهم كانوا يحرفون ويبدلون فى التوراة ليضمنوا معاشهم الذى يتقاضونه من اليهود، ثم يقولون هذا من عند الله، فتوعدهم الله عز وجل بالويل على هذا الكذب، فقال سبحانه وتعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٣) .

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال : «**غيروا صفة رسول الله ﷺ** فى كتابهم وجعلوه آدم سبطًا طويلاً، وكان ربعة أسمرًا ﷺ قالوا لأصحابهم وأتباعهم :

انظروا صفة النبى الذى يبعث فى آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بينوا الصفة، فمن ثم غيروا(٤) .

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٤) .
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤ .
(٣) سورة البقرة الآية (٧٩) .
(٤) الواحدى : أسباب النزول ص٢٩ والأثر صحيح .

المطلب الرابع : الإسلام ينكر على أهل الكتاب طاعتهم لأحبارهم بدون نظر :

ثم نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب، إذ أنهم صدقوا كذب الأحبار والرهبان، وأطاعوهم طاعة عمياء دون أن يسألوا دليلاً أو برهانًا على مايؤمرون به من الشرائع، قال سبحانه وتعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) .

وعبادة القوم للأحبار والرهبان لم تكن إلا هذه الطاعة العمياء دون تحريك النظر .

ولذلك لما قدم عدى بن حاتم على رسول الله ﷺ وكان قد تنصر فى الجاهلية، وهو يقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقال عدى : إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم» (٢) .

وإذا كنا قد رأينا التسليم والطاعة لأقوال الأحبار حتى ولو قالوا مايمجه العقل ويأباه الفكر السليم، فإن الإسلام قد ألغى كل هذا وفتح بصائر الناس ليطالبوا هؤلاء الحمقى بالدليل على صدق مايقولون، ولذلك لما حاول أحبار اليهود -والنصارى- إفهام شعوبهم أنهم المستأثرون بالجنة دون سواهم طالبهم الإسلام بالدليل على هذا، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٣) .

وكان مثل هذا المسلك هزة عنيفة لعروش رجال متسلطين، طالما ألزموا الناس أن يعترفوا لهم بخطاياهم، وأن يقفوا أذلاء يسألونهم الصفح والمغفرة، ومنهم من جعل الجنة قراريط يهب منها من يشاء ويمنع من يشاء، وغالبًا لايهبون الجنة إلا لذوى الأيدى السخية .

وماعرفت أوربا -بمن فيها من اليهود والنصارى- طريق التقدم والنهضة، والخروج من عصور الظلام، إلا من يوم أن درست الإسلام وعلومه ونظمه، ورأت كيف يمكن

---

(١) سورة براءة الآية (٣١) .

(٢) الترمذى : الجامع الصحيح ٣٠٩٥ ك تفسير القرآن، باب سورة التوبة ٥/ ٢٥٩، ١٦٠ وقال هذا حديث غريب .

(٣) سورة البقرة الآية (١١١) .

أن يُراجَع ويُناقَش أكابر الرجال ولايُغضبهم ذلك.

فيقرأون عن عمر بن الخطاب -وغيره- أنه ربما خرج ليعظ الناس فيقاطعه رجل من عامة المسلمين قائلاً: لانسمع لك حتى تخبرنا: وزعت للناس ثوبًا ثوبًا وعليك ثوبين؟ فقال عمر لابنه عبد الله: ناشدتك الله: الثوب الثانى أليس هو لك؟ قال: نعم، فقال الذى عارض قل إذًا نسمع لك(١).

ساعتئذ فتحت أوربا أعينها على النور، ونهضت من كبوتها التى طالما أعثرتها فيها(٢) تقاليد الأحبار والرهبان، ولم تكن هذه الثورة العارمة ضد النصرانية وحدها كما يظن البعض، بل ضد تعاليم آمن بها اليهود والنصارى، وروج لها عصابات من الأحبار والرهبان.

وقد شهدت اليهودية شيئًا من هذا الفوران، ولعل ظهور مصطلح اليهودية الإصلاحية على الساحة خير شاهد على هذا.

يقول الدكتور/ عبد الوهاب المسيرى

«فشلت اليهودية كنسق دينى فى التكيف مع الأوضاع الجديدة التى نشأت فى المجتمع الغربى ابتداءًا من الثورة التجارية وحتى الثورة الصناعية وبعدها... وقد استفاد اليهود الإصلاحيون.... من الأفكار والممارسات الدينية المسيحية البروتستانتية فى ألمانيا مهد كل من الإصلاح الدينى المسيحى والإصلاح الدينى اليهودى»(٣).

المطلب الخامس: الإسلام رفض أن تكون القيادة الدينية حكرًا على جماعة معينة:

ورفض الإسلام أن تكون القيادة الدينية حكرًا على جماعة معينة كآل بيت النبى ﷺ -مثلاً- بل هى حق مشاع، يتبارى فيه المؤمنون، وبمقدار إخلاص النية، والصدق فى التبليغ يكون التقدم والتأخر، وربما لو وجد عبد أكثر حفظًا وأخذًا لكتاب الله عز وجل لتقدم على الحر الذى هو دونه فى أخذ كتاب الله.

---

(١) انظر: ابن الجوزى: سيرة عمر بن الخطاب ص١٤٦.

(٢) وقد يقال بأن الثورة على الدين شملت كل دين حتى الإسلام، ولكن لايخفى على لبيب أن الذين يرفعون شعار الثورة على تعاليم الإسلام من أبنائه هم دعاة التغريب والعلمانية، وليس أدل على تهافت دعواهم من الكم الهائل من كتابات غير المسلمين التى تحوى شهادات منصفة بصلاحية الإسلام لمواكبة كل طور من أطوار الزمان.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٣٧٠.

وواقع الإسلام يحكى هذا، ولذلك يروى الذهبى أن سالمًا مولى أبى حذيفة(١) كان يؤم المهاجرين من مكة إلى المدينة -حتى قدم إليهم رسول الله ﷺ وفيهم عمر بن الخطاب(٢).

وليس فى القرآن بأكمله نص واحد يشير ولو ضمنًا إلى قصر القيادة الدينية على جماعة بأسمائها، حتى حين جاء الأمر بوجوب تخصيص جماعة لحمل أمانة الدعوة كان الأمر عامًا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

بل فى السنة مايجعل الأمة بأسرها لها حق المشاركة فى حمل أمانة الدعوة والتبليغ، كل بقدر طاقته ولو أن يبلغ آية، فيقول ﷺ: «**بلغوا عنى ولو آية**»(٤).

قال العلامة ابن حجر: «**. . . ولو آية واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ماوقع له من الآى ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ماجاء به ﷺ**»(٥).

المطلب السادس: الإسلام يلغى الوساطة بين الله وبين العباد:

نقرأ فى سفر اللاويين -وغيره- مايؤكد على أهمية دور الوسيط بين الله وبين العباد، ولعل أبرز معالم تلك القراءة مانلمحه من حرمان الناس من أى محاولة للقرب من الله مباشرة، ولو أن تكون هذه المحاولة مجرد خطاب يوجه من الله إلى الناس ليشعرهم بآدميتهم، فأكثر الخطابات تكون هكذا:

«**وكلم الرب موسى قائلاً كلم بنى إسرائيل قائلاً**»(٦).

أو «**وكلم الرب موسى قائلاً كلم هارون وبنيه قائلاً: هذه شريعة . . .**»(٧).

أو «**وكلم الرب موسى قائلاً: أوص هارون وبنيه قائلاً: هذه شريعة . . .**»(٨).

أو «**وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهما: كلما بنى إسرائيل قائلين . . .**»(٩).

---

(١) سالم هو: ابن معقل من أهل أصطخر كان مولى لزوج أبى حذيفة فأعتقته سائبة فتولى أبا حذيفة، وكان ينسب إليه حتى نزل النهى عن التبنى: شهد كثيرًا من المغازى مع النبى صلى الله عليه وسلم واستشهد فى معركة اليمامة. انظر: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٨٦ ط دار صادر -بيروت.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ١/ ١٦٨. (٣) سورة آل عمران ١٠٤.

(٤) البخارى بشرح ابن حجر: ٣٤٦١ ك أحاديث الأنبياء، باب ماذكر عن بنى إسرائيل ٦/ ٦٠٤.

(٥) فتح البارى ٦/ ٦٠٤.

(٦) اللاويين [٤ : ١، ٢]، [٧ : ٢٨، ٢٩]، [١٢ : ١، ٢]، [١٨ : ١، ٢].

(٧) اللاويين ٦ : ٢٤، ٢٥. (٨) اللاويين ٦ : ٨، ٩.

(٩) اللاويين [١١ : ١، ٢]، [١٣ : ١، ٢]، [١٤ : ٣٣]، [١٥ : ١، ٢].

أو «**وكلم الرب موسى قائلاً له: كلم هارون قائلاً . . .**»[١].

وليس فى السفر بأكمله نص واحد فيه خطاب مباشر لبنى إسرائيل يشعرهم بقرب من يناديهم، وهذا واضح فى الدلالة على أن الشعب لم يكن في امكانه أن يتصل بالله إلا عن طريق الكهنة بنى هارون، فهم همزة الوصل بينهم وبينه.

فلما جاء الإسلام بين زيف كل هذا، وجعل يخاطب الجماعة المؤمنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾[٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٧].

حتى بنى إسرائيل -أنفسهم الذين طالما حرموا لذيذ خطاب الله- وجهت إليهم فى رسالة الإسلام خطابات مباشرة:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٨].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٩].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[١٠].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[١١].

وجعل الإسلام يعلن قرب الله من عباده فى كل شيء فيقول آمرًا نبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[١٢]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١٣].

ونعى على من يتخذ وسيطًا بينه وبين ربه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ

---

(١) اللاويين ٢١ : ١٦، ١٧.
(٢) سورة الحج الآية (٧٧).
(٣) سورة التحريم الآية (٨).
(٤) سورة الأنفال الآية (٢٤).
(٥) سورة براءة الآية (١١٩).
(٦) سورة براءة الآية (٢٣).
(٧) سورة الأنفال الآية (٢٠).
(٨) سورة البقرة الآية (٤٠).
(٩) سورة البقرة الآية (٤٧).
(١٠) سورة آل عمران الآية (٦٤).
(١١) سورة النساء الآية (١٧١).
(١٢) سورة البقرة الآية (١٨٦).
(١٣) سورة غافر الآية (٦٠).

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١].

ويصور فى صورة متحققة الوقوع كيف تقطع الأسباب بين هؤلاء وبين من اتخذوهم شفعاء ووسطاء فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [٢].

حتى بعد أن ألغى الإسلام دور الوسيط بين الله وبين عباده لم يشأ أن يتركهم إلا بعد أن يؤدبهم بما يحفظ لهم مودة الخالق وقربه، ففى الدعاء -مثلاً- يرى النبى جماعة يرفعون أصواتهم بالتكبير فيقول لهم: «**ياأيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصمًا ولاغائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا**»[٣].

وفى رواية: «**إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[٤] كناية عن قرب الله سبحانه وتعالى من المؤمن.

وبهذا يكون الإسلام قد ألغى نظام الكهانة والوساطة، وأتى عليه من القواعد، وعلى كل نظام يمكن أن يقف بين الله وبين عباده، ولكن برغم هذا كله فقليل من يبصرون... وقليل من يعقلون... وقليل من يعلمون.

وفى ختام عرضنا لموقف الإسلام من الكهانة: نهيب بمن انحرف فكرهم من المنتسبين إلى هذا الدين فغالوا فى تقديس العلماء والأولياء أن يفتحوا على الحق أعينهم، ونهيب بالنافرين عن طريق الله أن يقتربوا، ونهيب بالمقتربين أن يواصلوا ليزدادوا قربًا.

وبعد فهؤلاء الرجال المقدسين قد لعبوا بالفكر اليهودى، وكما لفقوا مجموعة العقائد والأخلاق من قبل، لفقوا مجموعة من العبادات الوثنية، وحملوا الناس على إتيانها، وإذا ماتساءلوا عن أى غموض فيها أفهموهم أن هذا الغموض من أسرار العبادة، ويزداد الأمر وضوحًا بعد عرض الفصل القادم عن «**العبادات فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها**».

---

(١) سورة الزمر الآيتان(٤٣، ٤٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (٩٤).

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ٦٦١٠ ك القدر، باب لاحول ولاقوة إلا بالله ١١/ ٥٨٩ وهو جزء من الحديث.

(٤) الإمام أحمد: المسند ٤/ ٤٠٢.

الفصل الخامس

العبادات فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على ثمانية مباحث

التمهيد : في معنى العبادة وتاريخها .

المبحث الأول: الطهارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثانى: الصلاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثالث: الزكاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الرابع: الصوم فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه .

المبحث الخامس: الحج فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه .

المبحث السادس: الأعياد فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث السابع: القرابين فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها .

المبحث الثامن: الإيمان والنذور فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

تمهيد

فى معنى العبادة وتاريخها

للعبادة معنى عام يشترك فيه كل العباد على اختلاف معبوداتهم، وهو الانقياد والخضوع والتذلل[١].

فعابد الإله الحق يسلم وينقاد ويخضع لربه، وكذلك عابد البقرة والشمس لها يصلى ويركع، وكذلك عابد البشر والحجر والشجر.

وأساس العبادة والخضوع ناتج من شعور الإنسان بحاجة من لا يملك إلى من يملك الضر والنفع والحياة والموت.

وضابط الاستقامة أو الانحراف فى العبادة هو صحة أو فساد العقيدة، بمعنى أن كل نوع من العبادة لدى جماعة من البشر يكون نابعًا من فكرتهم عن الإله.

فلئن اعتقد قوم فى الإله أنه يحب الأكل ويتلذذ به، فإنك ستجد أكثر عباداتهم تدور حول محور القرابين والأطعمة. كما صنع اليهود.

ولقد عبد الإنسان آلهة شتى عبر التاريخ، وانحرف عن عبادة الإله الواحد، فأرسل الله الرسل ليقودوا البشر فى عبادتهم له سبحانه وتعالى وشرع لهم من العبادات ما يرضيه عنهم، ويحقق لهم فى ذات الوقت كل أسباب السعادة المرجوة.

ولكن البشر كثيرا ما كانوا يصمون آذانهم أمام دعوات الرسل، ويتخذون آلهة قومية وعبادات قومية -أيضًا- وربما قلدت بعض الجماعات البشرية بعضها فنقلت عنها طقوسًا وعبادات.

وكانت بنوا إسرائيل من أكثر الجماعات نقلا لطقوس وعبادات الجماعات البشرية الأخرى، حتى أن القارىء للتاريخ القديم يجد أن اليهود دائما ينقلون عن كل الناس، ولا ينقل عنهم أحد.

---

(١) انظر: الرافعى: المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ص ٣٨٩ مادة (عبد) تحقيق د. / عبد العظيم الشناوى - ط دارالمعارف - القاهرة، والعبادة فى الإسلام: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة».

وسنرى فى هذا الفصل انحراف اليهود فى مجال العبادة، كما صوره سفر اللاويين، وسنحاول أن نستقصى أنواع العبادات عندهم من طهارة وصلاة وصيام وزكاة وحج وأعياد وقرابين . . . . وغير ذلك.

* * *

المبحث الأول

الطهارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: معنى الطهارة عند اليهود.

المطلب الثانى: موجبات الطهارة فى سفر اللاويين

المطلب الثالث: علماء اليهود يعدون توسيع دائرة النجاسة من محاسن شريعتهم.

المطلب الرابع: الأشياء التى تمنع منها النجاسة.

المطلب الخامس: كيفية الطهارة عند اليهود.

المطلب السادس: الأعيان النجسة فى سفر اللاويين.

المطلب السابع: موقف النصرانية من أحكام الطهارة فى سفر اللاويين.

المطلب الثامن: موقف الإسلام من أحكام الطهارة فى سفر اللاويين.

المبحث الأول

الطهارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: معنى الطهارة عند اليهود

الطهارة فى العبرية (طهوراه)، ويضادها كلمة (طمأة) أى نجاسة[١] .

وللطهارة عند اليهود معنيان، عام وخاص :

فأما المعنى العام: فهو امتثال أوامر الشريعة، فقد نصت التوراة على هذا وسمته طهارة وقداسة «**فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس**»[٢] . أى طاهرين لأنى أنا طاهر.

والنجاسة بمعناها العام: هى مخالفة أوامر الشريعة، وارتكاب القباحات فقد سمته الشريعة نجاسة، فأشارت إلى مجموعة من التحذيرات ثم قالت: « **بكل هذه لا تتنجسوا لأنه بكل هذه قد تنجست الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم**»[٣] .

وأما المعنى الخاص للطهارة: فهو تنظيف الثياب وغسل الجسم، وتنقية الأوساخ[٤]، وتمييز الطاهر من النجس[٥] .

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس:

«**النظافة الطبيعية غير الطهارة الطقسية**»[٦] .

ومن هذا يتضح أن الشريعة اليهودية كانت تجمع فى مقاصدها من الطهارة بين طهارة الظاهر والباطن.

لذلك يتحدث موسى بن ميمون -الحبر اليهودى القرطبى- عن ذلك فيقول: « **تنظيف الثياب، وغسل الجسم، وتنقية الأوساخ من مقاصد الشريعة، لكن بعد تطهير**

(١) موسوعة اليهود ٥/ ٢٤٣ .

(٢) انظر: موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ص ٦٠٣ ط المركز الإسلامى للطباعة - القاهرة، والنص من سفر اللاويين ١٢ : ٤٤ . .

(٣) انظر: السابق ٦٠٣ والنص من سفر اللاويين ١٨ : ٢٤ .

(٤) انظر: السابق ٦٠٣ .

(٥) اللاويين ١١ : ٤٧ .

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٩ .

الأعمال. وتطهير القلب من الآراء المنجسة والأخلاق المنجسة، أما الاقتصار على تنظيف الظاهر بالتغسيل وتطهير الثياب مع الشره فى اللذات، والتسيب فى المآكل والمناكح فيه غاية الذم»[١].

ويستدل على ذلك بقول إشعيا: «إن الذين يقدسون نفوسهم ويطهرونها فى الجنات وراء واحد فى الوسط ويأكلون لحم الخنزير يفنون معًا»[٢].

فحاصل القول أن ظواهرهم نظيفة مشهورة النقاء والطهارة، أما البواطن فهم مع شهواتهم ولذات أجسامهم، وما هكذا قصد الشريعة، بل القصد الأول تقصير الشهوة وتنظيف الظاهر بعد تنظيف الباطن، وقد نبه سليمان على من يعتمد على غسل الجسم وتطهير الثياب، والأعمال وسخة والأخلاق رديئة[٣]، فقال: «رب جيل طاهر فى عينى نفسه وهو لم يتنق»[٤].

وبناءًا على ما سبق من معرفة معنى الطهارة ومقاصدها فى الشريعة اليهودية، نستطيع - بعد مطابقة هذا بواقع اليهود - أن نحكم بأن اليهود اليوم بعيدين كل البعد عن الطهارة ظاهرًا وباطنًا، وذلك لتعديهم أحكام التوراة.

المطلب الثانى: موجبات الطهارة فى سفر اللاويين

للطهارة فى شريعة اليهود فى سفر اللاويين - أكثر من موجب يوجبها وهى كما يلى:

١] **الجماع**: تقرر شريعة اليهود أن التقاء الزوجين كان يوجب الغسل بالماء، جاء فى سفر اللاويين:

«**والمرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء**»[٥].

يقول صاحب السنن القويم: «**إذا حدث بين رجل وامرأته أى زوجته الشرعية اجتماع**

(١) دلالة الحائرين ص ٦٠٤.

(٢) إشعيا ٦٦: ١٧ ولفظها فى الطبعات الحالية» الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم فى الجنات وراء واحد فى الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معًا» . وهذا يدل على عدم استقرار النسخ على لفظ واحد فى أى عصر.

(٣) دلالة الحائرين ص ٦٠٤.

(٤) أمثال ٣٠: ١٢ ولفظها فى الطبعات الحالية «جيل طاهر فى عينى نفسه وهو لم يغتسل من قذره».

(٥) دلالة الحائرين ص٦٠٤.

واضطجاع، وجب عليهما الاغتسال، والبقاء نجسين إلى المساء.. وقصد الله بذلك التطهير صحة الزوجين، ولعل هذا كان علة مراعاة الاغتسال بعد المخالطة الزوجية عند قدماء الأمم، فإن الهنود والبابليين كانوا يغتسلون على أثر تلك المخالطة [(١)].

٢] الاحتلام: جاء فى سفر اللاويين **«وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض جسده، جاء: ويكون نجسًا إلى المساء»** [(٢)].

واضطجاع الزرع هنا يقصد به خروج السائل المنوى من الرجل من غير إرادته فى الأحلام الجنسية، وقد عرف هذا فى سفر التثنية بعارض الليل [(٣)]، وكان على من عرض له ذلك أن يستحم بماء، ويبقى نجسًا إلى المساء، وكان القدماء من غير اليهود يتطهرون من هذا العارض - كذلك - فكان كهنة المصريين إذا احتلموا يغتسلون بغية التطهر [(٤)].

٣] الحيض: جاء فى سفر اللاويين: **« وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمًا فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء... يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء»** [(٥)].

وإن كانت هذه الفقرة غير مصرحة بوجوب الغسل، إلا أن هذا يعرف من الحكم بالنجاسة، وكذلك من وجوب الغسل على من مس الحائض، فوجوبه عليها من باب أولى.

ويلحق بالحيض الاستحاضة وهى ما يكون من نزول الدم من المرأة أكثر من المدة المعتادة للنساء، جاء فى سفر اللاويين:

«وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أيامًا كثيرة فى غير وقت طمثها أو إذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام نجاستها كما فى أيام طمثها إنها نجسة» [(٦)].

٤] النفاس (أو الولادة) : حيث يذكر الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين الحكم بنجاسة المرأة إذا ولدت كنجاستها فى حيضها، يقول:

«إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام، كما فى أيام طمثها علتها تكون

---

(١) القس وليم مارش: السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ٢/ ١٠٤ .
(٢) اللاويين ١٥ : ١٦ .
(٣) انظر التثنية ٢٣ : ١٠ .
(٤) السنن القويم ٢/ ١٠٤ بتصرف .
(٥) اللاويين ١٥ : ١٩-٢١ .
(٦) اللاويين ١٥ : ٢٥ .

نجسة» وهذا واضح فى إيجاب الغسل عليها .

٥] **الشفاء من مرض السيلان**: وهو ما يسيل من أعضاء الرجل التناسلية من إفراز الحيوان المنوى إفرازًا غير طبيعى، جاء فى سفر اللاويين :

« كل رجل يكون له سيل من لحمه - أى ذكره - فسيله نجس . . . وإذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره ويغسل ثيابه ويرحض جسده بماء حى فيطهر»(١) .

وقد فهم علماء اليهود من هذا أن الغسل إنما يجب على المريض بعد الشفاء، بل بعد سبعة أيام من الشفاء. كما نص السفر - للتحقق من البرء، ويلاحظ هنا أنه كان يشترط فى الماء المستعمل للغسل أن يكون حيًا أى ماءًا جاريًا(٢)، ولا يكمل طهر الذى به السيل إلا بقربان(٣) .

٦] **الشفاء من مرض البرص**: جاء فى سفر اللاويين أن الذى يصاب بمرض البرص ثم يبرأ منه يجب أن يتطهر فيغسل جسده بالماء: **« شريعة الأبرص يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن . . . فيغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء فيطهر»**(٤) .

ولقد كان لليهود بعد استقرارهم مخادع خاصة لهذا الغرض، تعرف باسم مخادع البرص(٥) .

٧] **دخول البيت المصاب بالبرص**: رأينا كيف حكم السفر بأن البرص يمكن أن يصيب البيوت، وهنا يحكم بوجوب الغسل على من دخل بيتًا به برص، فيقول :

«ومن دخل إلى البيت فى كل أيام انغلاقه -للتحقق من البرص- يكون نجسًا إلى المساء، ومن نام فى البيت يغسل ثيابه، ومن أكل فى البيت يغسل ثيابه»(٦) .

وكان علماء اليهود يرون وجوب الغسل على من لمس البيت الذى به برص من الخارج وإن لم يدخل، أو دخل ولو لحظة(٧) .

٨] **مس النجاسات والمتنجسين**: يذكر سفر اللاويين أن مما يوجب الطهارة (الغسل) مس أى شيء من النجاسات أو الأشخاص والمتنجسين، فمن مس حائضا أو مس فراشها أو أى شيء من أمتعتها وجب عليه الغسل، وإذا كانت امرأة لها سيل وكان

---

(١) اللاويين ١٥ : ٢-١٣ .

(٢) السنن القويم ٢/ ١٠٣ .

(٣) دلالة الحائرين ٦٨٢ .

(٤) اللاويين ١٤ : ٢-٨ .

(٥) نظر : السنن القويم ٢/ ٩٣ .

(٦) اللاويين ١٤ : ٤٦، ٤٧ .

(٧) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص١٥٩ .

سيلها دمًا فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء. . . وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء»[(١)].

ومن مس مريض السيل أو فراشه أو متاعه وجب عليه الغسل: «**كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله نجس . . كل فراش يضطجع عليه الذى له السيل يكون نجسًا وكل متاع يجلس عليه يكون نجسًا، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، ومن مس لحم ذى السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، وإن بصق ذو السيل على طاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، وكل ما يركب عليه ذو السيل يكون نجسًا، وكل من مس كل ما كان تحته يكون نجسًا إلى المساء، وكل من مسه ذو السيل ولم يغسل يديه بماء يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء**»[(٢)].

ومس الجنب أو مس الميتة (سواء كانت ميتة إنسان أو حيوان) أو مس حيوان (حى) من الحيوانات المحرمة الأكل يوجب الغسل:

«**ومن مس شيئًا نجسًا لميت أو إنسان يتنجس به لنجاسة فيه فالذى يمس ذلك يكون نجسًا إلى المساء . . يرحض جسده بماء، فمتى غربت الشمس يكون طاهرًا**»[(٣)].

٩] **الأكل من الميتة أو الفريسة سهوًا**: ومما يوجب الطهارة فى شريعة اليهود الأكل من الميتة أو الفريسة، جاء فى السفر:

«**وكل إنسان أكل ميتة أو فريسة . . . يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويبقى نجسًا إلى المساء، ثم يكون طاهرًا**»[(٤)].

وقد يرفض المتنجس الغسل«**وإن لم يغسل ولم يرحض جسده يحمل ذنبه**»[(٥)]. فكان يسلم لحكم الكهنة للعقاب، وقد كانت العقوبة . . الجلد أو القطع من الشعب حسب جرمه أو عناده[(٦)].

١٠] **تقديم المحرقات بالنسبة للكاهن**: كان تقديم المحرقات يستوجب أن يغتسل

---

(١) اللاويين ١٥ : ١٩-٢١ .

(٢) اللاويين ١٥ : ٢-١١ .

(٣) اللاويين ٢٢ : ٤-٧ .

(٤) اللاويين ١٥ :١٧ .

(٥) اللاويين ١٦ : ١٧ .

(٦) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ٢١١ . .

الكاهن غسلاً كاملاً فى مغطس خاص لهذا الغرض[١] .

جاء فى سفر اللاويين :

« . . . **يرحض جسده بماء فى مكان مقدس، ثم يلبس ثيابه ويخرج ويعمل محرقته ومحرقة الشعب، ويكفر عن نفسه وعن الشعب**»[٢] .

١١] **إطلاق التيس إلى عزازيل فى يوم الكفارة** : سنرى فى طقوس عيد الكفارة -قريبًا إن شاء الله- أن من طقوسه أن يؤتى بتيسين ليعترف الكاهن على رأسيهما بذنوب كل الشعب، ثم يضرب بينهما قرعة ليذبح أحدهما ويطلق الآخر فى الصحراء لعزازيل (وهو الشيطان)، فكان علماء اليهود يرون أن الكاهن الذى يقوم بإطلاق تيس عزازيل هذا يجب عليه الغسل .

جاء فى سفر اللاويين :

«**والذى أطلق التيس إلى عزازيل يغسل ثيابه ويرخص جسده بماء**»[٣] . ويقول علماء اليهود : إن الحكمة فى إيجاب الغسل على من يطلق هذا التيس، أن هذا التيس قد تنجس بحمل خطايا الناس، وبالتالى كان لا يسوغ له أن يخالط الناس إلا بعد أن يغسل ثيابه وجسده[٤] .

١٢] **التنصيب للكهنوت** : فقد كان من ينصب كاهنًا يجب عليه غسل طقس كما صنع موسى بترسيم هارون أول الكهنة وبنيه[٥] .

جاء فى سفر اللاويين : « **فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء**»[٦] .

ومن خلال كثرة موجبات الطهارة بتلك الصورة السالفة، يتضح أن دائرة النجاسة عند اليهود واسعة جدًا، بل إننا نرى من موجب واحد من موجبات الطهارة عندهم - وهو مس النجاسات - أن النجاسة أشبه بعدوى المرض فى سرعة انتشارها، فلو وجد شخص واحد (أو أى شىء) متنجس ومسه ألوف اليهود لكانوا مثله فى النجاسة، ولوجب عليهم ما وجب عليه .

المطلب الثالث : علماء اليهود يعدون توسيع دائرة النجاسة من محاسن شريعتهم

والذى يثير العجب هو أن علماء اليهود يعدون توسيع دائرة النجاسة بتلك

(١) السابق ١٨٥ .
(٢) اللاويين ١٦ : ٢٤، ٢٨ .
(٣) اللاويين ١٦ : ٢٦ .
(٤) السنن القويم ٢/ ١١٤ .
(٥) انظر السابق ٢/ ٤٠ .
(٦) اللاويين ٨ : ٩ .

الصورة، من محاسن شريعتهم، ويزعمون أن الغرض من ذلك هو جعل اليهودى دائمًا فى خشية ورهبة.

يقول الحبر/ موسى بن ميمون اليهودى: وهو يتحدث عن الطهارة:

«الغرض فى هذه النصوص كلها... حصول الانفعال لقاصده، وأن يخاف ويرهب، فلما كان هذا هو القصد نهى سبحانه وتعالى الأنجاس عن دخول المقدس مع كثرة أنواع النجاسات، حتى يكاد أن لا تجد شخصًا طاهرًا إلا قليلاً، لأنه إن سلم من لمس ميتة ما يسلم من أحد الحيوانات الدبيبة الكثيرة السقط فى المنازل والأطعمة والأشربة، وكثيرًا ما يعثر بها الإنسان، وإن سلم من هذا، ما يسلم من لمس حائض أو الذى به سيلان أو أبرص أو فراشتهم، وإن سلم من ذلك ما يسلم من مضاجعة زوجته، أو فسق الليل، وحتى لو تطهر من هذه النجاسات فلا يجوز له دخول المقدس حتى تغيب الشمس، ولا يجوز دخول المقدس بالليل... وفى ليلته تلك قد يجامع على الأكثر أو يحدث له أحد أسباب النجاسة فيصبح فى يومه مثل أمسه.. «وبهذه الأفعال تدوم الخشية ويحصل الانفعال المؤدى للخشوع المقصود، وكلما كانت النجاسة أكثر وجودًا كان الطهر منها أعسر وأبعد زمانًا....» (١).

فأين المحاسن المزعومة لتلك الشريعة، وهى بتشددها هذا جعلت الناس ينصرفون عنها، حتى أننا نجد أسفار اليهود تحكى أن الشعب قد انصرف بأسره عن الشريعة حتى جاءتهم أقوال التوبيخ على ألسنة الأنبياء ففى سفر إرميا: « **لماذا قال شعبى قد شردنا لا نجىء إليك بعد**»(٢).

وفى سفر ميخا: « **يا شعبى ماذا صنعت بك وبماذا اضجرتك أشهد علىَّ**»(٣). ورغم هذا جعل الكهنة يفلسفون الشرائع، وإذا تحدث أو تزمر أحد عن تشديد الشريعة ردوا ذلك إلى جهله، يقول موسى بن ميمون: «**إن هذه شريعة الله المأمور بها سيدنا موسى إنما جاءت لتسهيل العبادات، تخفيف الكلف وكل ما عساه أن تتخيله منها أن فيه مشقة أو كلفة صعبة، إنما ذلك بكونك لا تعلم تلك السير والمذاهب الموجودة فى تلك الأيام**»(٤).

وتعرف بوضوح أن توسيع دائرة النجاسة ليس من مقاصد الشريعة اليهودية ولا من محاسنها، بل هو من مقاصد الكهنة - إذا عرفت الأشياء التى تمنع منها النجاسة.

---

(١) موسى بن ميمون: دلالة الحائرين ص ٦٨١، ٦٨٢.
(٢) إرميا ٢: ٣١. (٣) ميخا ٣: ٦.
(٤) دلالة الحائرين ص٦٨٠.

المطلب الرابع : الأشياء التى تمنع منها النجاسة

النجاسة عند اليهود لا تمنع إلا من دخول المَقْدِس (المعبد) وأكل الطعام المقدس (القرابين والذبائح)، وأما ما عدا ذلك فلليهودى أن يمارس أعماله وأشغاله، ويأكل طعامًا عاديًا وهو على نجاسة[١] .

وقد جاء هذا فى أكثر من موضع فى سفر اللاويين، ففى الكلام على النفساء يقول : « **كل شىء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها**»[٢] . ويقول عن الذى يتنجس بمس النجاسات : « **فالذى يمس ذلك يكون نجسًا إلى المساء ولا يأكل من الأقداس**»[٣] .

ولعل السر فى هذا هو أن الكهنة (واضعى تلك التشريعات) أرادوا بهذا التشديد فى أمور الطهارة صرف الناس عن دخول المقدس حتى تبقى مخادعهم مصونة الأسرار، وفى نفس الوقت كانوا يعدون كل ما يدخل المقدس طعامًا مقدسًا، وإذا كان لا يكاد يوجد شخص طاهر -كما يقول علماؤهم- فهذا الطعام والقرابين ليست إلا للطاهرين وهم الكهنة، فالأنجاس يمنعون من أكل الأقداس !!! .

المطلب الخامس : كيفية الطهارة عند اليهود :

وإن كنا نعتقد بأن موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء أتوا اليهود بشرائع الطهارة نقية، إلا أن الواضح أنهم غيروا تلك الشرائع، حتى شابهوا الأمم القديمة فى طهارتها، وكما يقول صاحب السنن القويم «**نعم هى نظافة ولكنها فقدت مصدرها الإلهى**»[٤] .

ويمكن القول بأن الطهارة بالماء، بغمس جميع الجسد فيه متفق عليها فى كل موجبات الغسل -عند اليهود- ولكن هناك بعض طقوس أخرى للطهارة تزاد على الغسل تختلف من شىء لآخر، كما يلى :

١- ففى الجنابة كان يكتفى بغسل الجسد والأثواب .

٢- وفى السيلان من الرجل كان لابد -بعد الغسل- من تقديم ذبيحتين إحداهما محرقة والأخرى للخطيئة، وكانتا تقدمان من فرخ اليمام أو الحمام[٥]، وفى الطهارة

---

(١) دلالة الحائرين ص٦٨٣ .
(٢) اللاويين ١٢ : ٤ .
(٣) اللاويين ٢٢ : ٦ .
(٤) السنن القويم ٢/ ١٠٣ .
(٥) انظر : اللاويين ١٥ : ١٤، ١٥، وانظر : قاموس الكتاب المقدس ٥٨٠ .

من الحيض كان يضاف مثل هذا الطقس تمامًا[١] .

٣- وفى الولادة : كان لابد من تقديم خروف حولى كمحرقة ، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية ، لتطهر من ينبوع دمها ، وإذا لم يمكن تقديم خروف يكتفى بيمامتين أو فرخى حمام ، فيكفر الكاهن عن النفساء فتطهر[٢] .

٤- وفى التطهير من البرص الآدمى : كان يضاف إلى الغسل مجموعة طقوس أخرى تتمثل فى عصفورين حيين ، وخشب أرز[٣] وقرمز[٤] وزوفا[٥] ، ويذبح أحد العصفورين فى إناء خزف على ماء جارى ، والعصفور الآخر يؤخذ من الخشب والقرمز والزوفا ويغمس الجميع فى دم العصفور المذبوح ، وينضح على المقصود تطهيره سبع مرات ويطلق العصفور الحى فى الصحراء ، ويحلق كل شعر المتطهر رأسه ولحيته وحواجب عينيه ، ويقيم سبعة أيام خارج خيمته ، وفى اليوم الثامن يقرب خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية أيضًا ، وثلاثة أعشار دقيق ملتوتة بزيت ، وزيت من غير أن يضاف إلى الدقيق - أيضًا ، ويوقف المتطهر بهيئة معينة أمام خيمة الاجتماع ، ويقوم الكاهن بتقديم الذبائح ، كل ذبيحة حسب نوعها ، ويأخذ من الدم ويضع على شحمة أذن المتطهر اليمنى ، وعلى إبهام يده اليمنى ، وعلى إبهام رجله اليمنى ، ويأخذ من الزيت فى كفه اليسرى وينضح سبع مرات أمام الرب -كما يقول السفر- وما يتبقى من الزيت فى كفه يضع منه على شحمة أذن المتطهر اليمنى ، وعلى إبهام يده اليمنى ، وعلى إبهام رجله اليمنى ، وما تبقى من الزيت يجعله على رأس المتطهر ، ثم يقوم الكاهن بإصعاد المحرقات على المذبح ، ويكفر عنه فيطهر[٦] .

٥- وفى الطهارة من نجاسة مس الميت : كان لا يتم التطهير إلا بوجود رماد العجلة

---

(١) انظر : اللاويين ١٥ : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) انظر : اللاويين ١٢ : ٦-٨ ، وانظر قاموس الكتاب المقدس ٥٨٠ .

(٣) خشب أرز : نوع من أخشاب الأشجار ينمو بكثرة فى جبال لبنان ، وخشبه جيد قابل للدهان وله رائحة عطرية ويعمر أمدًا طويلاً ، قاموس الكتاب المقدس ص٤٩ .

(٤) القرمز : يعنى لون من الألوان ، قريب من البرتقالى أو الأحمر أو الأصفر كان يصنع من نوع من الحشرات ، ووجودها ههنا للرمز إلى الدم الذى فيه الحياة ، التى ستوهب للمتطهر . انظر قاموس الكتاب المقدس ٨٢٥ .

(٥) زوفا : هو نبات عطرى الرائحة ، ينبت فى الجدران وفى الصخور ، وأوراقة مشعرة صغيرة يمكن أن تحمل السوائل فى داخلها للرش ، قاموس الكتاب المقدس ص٤٣٨ .

(٦) انظر : اللاويين ١٤ : ٤ - ٢٠ ، وانظر قاموس الكتاب المقدس ٥٨٠ مادة (طاهر) .

الحمراء[١]، وكان يشترط فيها أن تكون صحيحة لم يعلق عليها محراث قط، وليس بها أى تموجات، ولا شعر غير الأحمر، ولو وجد شعرتان سوداوان فى ظهرها تجعلها لا تصلح، وكان هذا الأمر يحدث فى الماضى حتى القرن السادس الميلادى حين فقد رماد آخر بقرة حمراء طاهرة، ومنذ ذلك الحين واليهود غير طاهرين، ويوجد فى إسرائيل -الآن- معهد لدراسة البقرة الحمراء، وكانت قد نشرت إحدى الصحف الإسرائيلية -فى الآونة الأخيرة- أن أحد الحاخامات الذين يعملون لبناء الهيكل، كان قد فحص بواسطة عدسة مكبرة بقرة حمراء فلم يجد فيها شعرة لونها أسود، ومن ثم فهى صالحة لأن يضحى بها ويستخدم رمادها فى عملية التطهير اللازمة، ولإقامة الطقوس التعبدية، ودخول منطقة المسجد الأقصى - حيث المفترض أن الهيكل كان قائمًا من قبل[٢].

ويتضح من كيفية الطهارة اليهودية، أن طقوسها من التعقيد بمكان، بحيث لا تستطيع معرفة بعض عللها، وكذلك لايستطيع البسطاء من عامة الشعب أداءها دون الكهنة، كما يلاحظ أن أكثر هذه الطقوس وجدت عند بعض القبائل الوثنية التى كانت تجاور بنى إسرائيل، وهذا كاف وحده فى عد بنى إسرائيل -جميعًا- فى المتنجسين وإن تطهروا، لأن التوراة جاءت ناطقة بأن فعل شىء من طقوس الأمم والشعوب المجاورة نجاسة، «**فتحفظون شعائرى لكى لا تعملوا شيئًا من الرسوم الرجسة التى عملت قبلكم، ولا تتنجسوا بها**»[٣].

المطلب السادس: الأعيان النجسة فى سفر اللاويين

لقد توسع كُتَّاب شريعة اليهود فى الأعيان النجسة توسعًا كبيرًا كما يلى:

١] **الحيوانات المحرمة الأكل**: ولذلك نجد سفر اللاويين يسمى مجموعة من الحيوانات المحرمة عند اليهود، كالجمل والأرنب والخنزير، وكل ما لا يجتر ولا يشق ظلفًا إلى ظلفين، ثم يقول: «**من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا إنها نجسة لكم**»[٤].

---

(١) دلالة الحائرين ص٦٨٥، وانظر هذا الطقس مفصلاً فى سفر العدد الإصحاح التاسع عشر بأكمله.
(٢) موسوعة اليهود ٥/ ٢٤٣، ٢٤٤، بتصرف وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨٠ (مادة طاهر).
(٣) اللاويين ١٨: ٣٠. (٤) اللاويين ١١: ٨.

ثم يذكر الطيور النجسة كالنسر والعقاب والحدأة والغراب والنعامة والباز والبوم والهدهد والخفاش . . . ويسمى نحو عشرين نوعًا من الطيور . . . ثم يقول : « **من هذه تتنجسون**»[١] . ثم يذكر الأنواع التى تمشى على الأرض كالفأر والضب والحرباء . . . ثم يقول : « **هذه هى النجسة لكم من كل الدبيب**»[٢] .

وقد اختلف علماء اليهود فى ما إذا كانت الحيوانات المحرمة الأكل نجسة فى حياتها وبعد مماتها ، ويتنجس ملامسها فى كلا الحالين ، أم أن النجاسة تكون بعد موتها فقط ؟

فذهب الفريسيون[٣] إلى أن النجاسة إنما تكون بعد موتها سواء كان الموت طبيعيًا أم عرضيًا ، فمن مس تلك الجثث تنجس ، ولكن إذا كانت حية فمسها لا ينجس ، لأنها كانت تستخدم فى المصالح اليومية كالجمال والحمير والخيل .

وذهب الصدوقيون[٤] إلى عموم الأمر ، وهو أن كل من مس حيوانًا محرم الأكل حيًا أو ميتًا تصيبه النجاسة ، فكان يصعب على الإنسان أن لا يتنجس إذا خرج من بيته بمقتضى مذهبهم هذا[٥] .

ولابد أن يوضع فى الاعتبار أن هذه الحيوانات نجسة بكل أجزائها ، جلدها ولحمها وشعرها وسؤرها .

٢] **ميتة الحيوانات المباحة الأكل** : جاء فى سفر اللاويين : « **وإذا مات واحد من البهائم التى هى طعام لكم فمن مس جثته يكون نجسًا إلى المساء**»[٦] .

---

(١) اللاويين ١١ : ٢٤ .

(٢) اللاويين ١١ : ٣١ .

(٣) الفريسيين : من أكبر فرق اليهود وسموا بهذا أخذًا من كلمة (فروشيم) أى المنعزل ، وذلك لاعتزالهم فى الجماعة الأولى ، ويؤمنون بكل أسفار العهد القديم ، والشريعة الشفوية ، بل إن أحبارهم الذين ألفوا أسفار التلمود ، وانقسموا بعد الميلاد إلى فريقين : هلل وشماس . انظر قاموس الكتاب المقدس ٦٧٤ ، د . / فاروق عبد السلام : الأحزاب السياسية والفصل بين الدين والسياسة ص١٢ ، ١٣ ط مكتبة قليوب للطبع والتوزيع .

(٤) الصدوقيون : من فرق اليهود وحزب من أحزابهم السياسية ، ولا يكاد يتفق على أصل نسبتهم إلى صادوق الكاهن فى عهد سليمان أو إلى كلمة صدوقيم العبرية التى تعنى الأبرار ، ويسمون الأبيقوريون لما عرف عنهم من الشك وعدم الإيمان بالبعث ، ويعدون فى طليعة المسئولين عن محاكمة المسيح فى السنهدرين . انظر : موسوعة اليهود ٥/ ٣٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٩ .

(٥) السنن القويم ٢/ ٦٩ بتصرف .

(٦) اللاويين ١١ : ٣٩ .

فتعد ميتة الحيوان المباح الأكل هنا كميتة الحيوان المحرم الأكل فى النجاسة، ولكن هذا مقصور على لحم ميتة الحيوان المباح أكله دون جلده وعظامه وقرونه فهذه كلها طاهرة عند الفريسيين، أما الصدوقيون والسامريون[(١)] فيقولون بنجاسة الجميع اللحم والجلد وكل ما فى الميتة[(٢)].

٣] الباقى من ذبائح السلامة إلى اليوم الثالث: جاء فى سفر اللاويين: « **ومتى ذبحتم ذبيحة سلامة للرب . . . يوم تذبحونها تؤكل . . . . والفاضل إلى اليوم الثالث يحرق بالنار . فذلك نجاسة لا يرضى به**»[(٣)].

٤] الأحجار والتراب والأخشاب التى تكون فى البيت الذى يصيبة البرص: جاء فى سفر اللاويين: « . . **برص مفسد فى البيت إنه نجس فيهدم البيت حجارته وأخشابه، وكل تراب البيت ويخرجها إلى خارج المدينة إلى مكان نجس**»[(٤)].

٥] الثياب التى يصيبها البرص: جاء فى سفر اللاويين: « . . . . **إذا كانت الضربة قد امتدت فى الثوب . . . فالضربة برص مفسد إنها نجسة فيحرق الثوب**»[(٥)].

٦] الدم: ولكن يلاحظ أن نجاسة الدم لم تعتبر على الإطلاق، ولكن فى حالتين فقط، وهما الحيض والنفاس (من المرأة)، وفى ذلك يقول السفر: « **وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من مسها يكون نجسًا**»[(٦)].

وجاء بشأن نجاسة دم الولادة: « **إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام**»[(٧)]. ولم تعد المرأة النفساء، هى ومن يخالطها أو يخدمها فى تلك الفترة - نجسة إلا لأن الدم الخارج منها مع الولادة نجسًا»[(٨)].

---

(١) السامريين: من فرق اليهود ينسبون إلى اقليم السامرة فى شمال فلسطين، وكان بينهم وبين بقية اليهود عداء لا ينقطع، وكان لهم هيكل خاص فى جرزيم، وتوراة غير التى بأيدى سائر اليهود ليس فيها إلا أسفار موسى الخمسة وسفر يوشع والقضاة ولا تزال جماعة قليلة من السامريين تقيم فى نابلس، ولا يؤمنون بالبعث، ويبطلون كل نبوة فى بنى إسرائيل بعد نبوة موسى ويوشع بن نون . انظر قاموس الكتاب المقدس ٤٥٠، وموسوعة اليهود ٥/ ٣١٩، وما بعدها .

(٢) السنن القويم ٢/ ٧٥ .

(٣) اللاويين ٧: ١٦- ١٨ .

(٤) اللاويين ١٤: ٤٤، ٤٥ .

(٥) اللاويين ١٤: ٥١، ٥٢ .

(٦) اللاويين ١٥: ١٩ .

(٧) اللاويين ١٢: ٢ .

(٨) انظر على سبيل المثال [٣: ١٣، ٤: ١٦، ٤: ٣٤، ٦: ٢٧، ٨: ٢٣، ٩: ٩، ٩: ١٨، ١٤: ١٤، ١٤: ٢٥، ١٦: ٨] .

وأما ما عدا ذلك فقد اعتبر الدم طاهرًا ليس فى نفسه فقط، بل مطهرًا لغيره، فنجد السفر يعرض فى أكثر من موطن(١) رش الدم إما على جدران المذبح للتطهير، أو رشه على المتطهر ووضعه على أصابعه وأذنيه، حتى الكهنة كان رش الدم عليهم من ضمن طقوس طهارتهم، ولعل السر فى هذا هو اعتبار الشريعة اليهودية قداسة القرابين والذبائح بكل أجزائها حتى الدم منها.

٧] **المنى**: وهو الذى يعبر عنه السفر (بالسيل) حيث جاء فيه: « **كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله نجس**»(٢). وقد اعتبر المنى نجسًا فى كل الحالات سواء كان فى الحالات الطبيعية أو المرضية(٣).

ويعلل اليهود نجاسة (المنى) -برغم أنه أصل الإنسان- بأن الإنسان الأول -أى آدم- قد فسدت طبيعته بارتكاب الخطيئة، ولما كان (المنى) عاملاً فى إيجاد أشخاص جدد على نفس الصورة والمثال، اعتبر نجسًا لذلك(٤).

٨] **ميتة الإنسان**: اعتبرت الشريعة اليهودية الإنسان الميت من الأعيان النجسة، وفى سفر اللاويين جاء ما يبين نجاسة الميت بالنسبة للكهنة وحدهم «**كلم الكهنة بنى هارون وقل لهم: لا يتنجس أحد منكم لميت فى قومه**»(٥).

وجاء فى سفر العدد ما يوضح عموم نجاسة الإنسان الميت بالنسبة لكل من لامسه أو حتى دخل الخيمة (أو البيت) الذى فيه ميت دون ملامسة: « **رماد البقرة.. فيكون لجماعة بنى إسرائيل فى حفظ ماء نجاسة.... من مس ميتًا: ميتة إنسان ما يكون نجسًا سبعة أيام، يتطهر به فى اليوم الثالث وفى اليوم السابع يكون طاهرًا**»(٦). ثم يقول: «**هذه هى الشريعة إذا مات إنسان فى خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجسًا.... وكل من مس وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتًا أو عظم إنسان أو قبرًا يكون نجس سبعة أيام**»(٧).

٩] **الجوييم**: وهى كلمة عبرية تعنى الغوغاء أو الدهماء، يستخدمها اليهود للإشارة

---

(١) انظر على سبيل المثال [٣: ١٣، ٤: ١٦، ٤: ٣٤، ٦: ٢٧، ٨: ٢٣، ٩: ٩، ٩: ١٨: ١٤: ١٤، ١٤: ٢٥، ١٦: ٨].

(٢) اللاويين ١٥: ٢.

(٣) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١٦٣.

(٤) انظر السابق ص٦٣.

(٥) اللاويين ٢١: ١.

(٦) العدد ١٩: ٩-١٢.

(٧) العدد ١٩: ١٤-١٦.

إلى الأمم غير اليهودية، والكلمة تنطوى على إيحاءات بالذم والقدح وتفسر فى كثير من الأحيان بالكفار[١].

وقد اعتبر اليهود كل الأمم غير اليهودية من الأعيان النجسة، ومما يدل على ذلك أن سفر اللاويين يحرم عليهم الأكل من القرابين **«وكل أجنبى لا يأكل قدسًا»**[٢]، **«ومن يد ابن الغريب لا تقربوا خبز إلهكم»**[٣].

وعلى الرغم من أن تلك النصوص قد لا يكون مؤداها الإشارة إلى نجاسة غير اليهود، ولكن منعهم من الأمور التعبدية الخاصة باليهود، فإن الحاخامات الذين عاشوا فى الأسر البابلى، وكتبوا التلمود -كما سنعرف فى موضعه- جعلوا يقررون فى التلمود تلك النجاسة، حيث جاء فيه:

«الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة» و **«بيوتهم زرائب حيوانات»**[٤].

ولا زال حاخامات اليهود يلقنون مثل هذا التعليم، ويفتون به، فنجد ضمن فتاوى الحاخامات: **«أن المرأة اليهودية إذا أخذت حمامًا طقوسيًا بعد الدورة الشهرية كان يجب أن تحذر مقابلة فرد من الجوييم أو كلب أو خنزير أو حمار، وإن قابلت أيًا منها كان عليها أن تغير طريقها لأنه سينجسها مرة أخرى»**[٥].

وبعد ذكر أهم الأعيان النجسة عند اليهود -فى سفر اللاويين- لابد من تقرير أن النجاسة عند اليهود تنتشر انتشار النار فى الهشيم، بمعنى أن تنجس الأفراد ليس قاصرًا على مس الأعيان النجسة فقط، بل مس من مس الأعيان النجسة، أو الفرش أو الأمتعة التى تصيبها الأعيان النجسة حتى ولو كانت جافة لا يعلق بمن مسها شيء منها !!!.

وهذا شيء يكاد يعدم الأعيان الطاهرة من الوجود، ويجعل أكثر ما فى الحياة نجاسات، ولعلنا إذا نظرنا إلى سفر اللاويين، وهو يعرض لنا كيف أن عينًا واحدة من تلك الأعيان النجسة يمكن أن تنجس كثيرًا من الأعيان الطاهرة -لتحقق لنا صدق ما استنتجنا.

فنجده يذكر أن الأعيان النجسة التى ذكرها كالحيوانات الميتة والمحرمة الأكل كان من مسها يتنجس، وإذا وقعت فى إناء يتنجس ما فى الإناء، وأما هو فإن كان من

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٤٠.
(٢) اللاويين ٢٢: ١٠.
(٣) اللاويين ٢٢: ٢٥.
(٤) انظر: إبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود ص٦١.
(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٤٤.

الخزف أو الفخار يكسر[١] .

وإذا سقط من هذه الأعيان النجسة على طعام ينظر إن كان رطبًا (أى به ماء) فإنه يتنجس، وإن كان جافًا لا يتنجس[٢] ، كل ما يأتى عليه ماء من كل طعام يؤكل يكون نجسًا»[٣] .

وإذا سقط فى الشراب أو أى شىء من السوائل يتنجس، **«وكل شراب يشرب فى كل متاع يكون نجسًا»**[٤] .

ولكن يستثنى من السوائل الماء الذى بالآبار والعيون فإنه لاينجس جميعه، بل بقدر الموضع الذى يسقط فيه النجاسة[٥] ، **«. . . . إلا العين والبئر مجتمعى الماء تكونان طاهرتين لكن ما مس جثثها يكون نجسًا»**[٦] .

وإذا سقط من تلك الأعيان شىء على التنور أو الموقدة[٧] فكان يجب هدمها : **«وكل ما وقع عليه واحدة من جثتها يكون نجسًا التنور والموقدة يهدمان إنها نجسة وتكون لكم نجسة»**[٨] .

وإذا سقط منها شىء على بذور الزرع فإنه يفرق بين ما إذا كانت البذور جافة فإنها لا تتنجس، **«وإذا وقعت واحدة منها على شىء من بزر**[٩] زرع يزرع فهو طاهر»[١٠] .

وإذا كانت البذور موضوعة فى ماء وسقط عليها شىء من الأعيان النجسة فإنها تتنجس به، **«لكن إذا جعل ماء على بزر فوقع عليه واحد من جثتها فإنه نجس لكم»**[١١] .

ويقول علماء اليهود فى سبب هذا التفريق أن الماء يساعد على تفتيح مسام البذور

---

(١) انظر اللاويين ١/ ٣٣٠ .
(٢) السنن القويم ٢/ ٧٤ .
(٣) اللاويين ١١ : ٣٤ .
(٤) اللاويين ١١ : ٣٤ .
(٥) انظر : نجيب جرجس : مرجع سابق ١٢٣ .
(٦) اللاويين ١١ : ٣٦ .
(٧) التنور: اسم لبناء من الحجر أو الفخار أو اللبن يخبز فيه وكان يوقد بعيدان الحطب أو العشب الموقدة: مكان ذو جدران ثلاثة لإيقاد النار لطهى الأشياء وغير ذلك انظر قاموس الكتاب المقدس ٢٢٣، السنن القويم ٢/ ٧٤ .
(٨) اللاويين ١١ : ٣٥ .
(٩) بزر : هكذا مكتوبة فى أكثر نسخ الكتاب المقدس (بالزاى) وفى الشروح أيضًا، مع أن الكلمة معروف أنها بالذال وليس بالزاى، ولعل القوم يدعون أن ذلك من التوقيف !!! .
(١٠) اللاويين ١١ : ٣٧ .
(١١) اللاويين ١١ : ٣٨ .

فتتأثر بالحيوان الذى سقط عليه[١] .

المطلب السابع : موقف النصرانية من أحكام الطهارة فى سفر اللاويين

لقد نشأت النصرانية فى قلب البلاد التى كان يعيش فيها اليهود، وعاينت ما كان من تشدد القوم فى أمور الطهارة والنجاسة، لدرجة أنهم رأوا أن من تقاليد اليهود الدينية فى الطهارة غسل الأيدى قبل الأكل -وهذا شىء حسن- ولكنهم يشددون النكير على من أكل بدون أن يغسل يديه، ويجعلونه جريمة تعدل الزنا، أو ربما لو وجد مع حاخام ماء لأنفده فى غسل يديه ولا يبالى بالشرب .

يقول متى هنرى :

«**لقد كان تقليد الشيوخ : أن يغسل الناس أيديهم مرارًا عديدة قبل وقت تناول الطعام، وهذا وضعوه ضمن مبادئهم الدينية مفترضين أن الطعام الذى يلمسونه بأيد غير مغسولة يدنسهم . . . وقال الربى يوسيس**[٢] : إن الأكل بأيد غير مغسولة خطية عظيمة كخطية الزنى، أما الربى أكيبا فإنه أودع السجن، وأرسلت إليه مياه لغسل يديه وللشرب، وبعد أن نفدت كمية كبيرة منه غسل يديه بالباقى ولم يترك لنفسه ماء ليشربه قائلاً : إنه يفضل الموت على تعدى تقليد الشيوخ، بل إنهم كانوا لا يأكلون مع من لم يغسل يديه قبل الأكل . . . .» [٣] .

وقد أوضح إنجيل متى شيئًا من معاينة النصارى لتشدد اليهود فى تعاليم الطهارة، فيحكى أن علماء اليهود (من الكتبة والفريسيين) كانوا ينكرون على تلاميذ المسيح عليه السلام أكلهم بدون تطهير أيديهم بالغسل -فيقول : «**حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لايغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزًا، ولكن المسيح عليه السلام أنكر عليهم تعنتهم هذا، وأخبرهم بأنهم يخالفون وصايا الله الحقيقية ويتمسكون بالتقاليد، فيقول إنجيل متى : « فأجاب -أى يسوع- وقال لهم وأنتم أيضًا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم، فإن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أبًا أو أمًا فليمت موتًا، وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه**

(١) انظر : نجيب جرجس : مرجع سابق ١٢٣ .

(٢) الربى يوسيس : كلمة ربى آرمية تعنى السيد، وكانت تحمل اسمى عبارات التقدير والاحترام بين اليهود فى مخاطبتهم معلمًا دينيًا . قاموس الكتاب المقدس ٣٩٨ ويموسيس هذا والربى أكيبا بعده لم أقف لهما على ترجمة .

(٣) متى هنرى : تفسير إنجيل متى ٢/ ٨ ترجمة مرقص داود . ط مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٨٣م .

قربانا هو الذى تنتفع به منى فلا يكرم أباه أو أمه، فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم يا مراؤون»[١] .

وإزاء هذا التشدد رفضت النصرانية كل القيود الموضوعة بشأن الطهارة والنجاسة، واعتبرت كل الأشياء طاهرة، وليس هناك أعيان نجسة، بل النجاسة معنوية، ولذلك يحكى إنجيل متى أن المسيح أجاب اليهود -الذين ناقشوه فى ترك تلاميذه غسل أيديهم عند الطعام- قائلاً: « **ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان**» . ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، وذاك ينجس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة، قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف، هذه هى التى تنجس الإنسان وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس»[٢] .

وجاء فى رسالة بولس إلى تيطس: «**لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق، كل شىء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهر بل قد ينجس ذهنهم وضميرهم**»[٣] .

ويبدوا أن النصرانية كانت قد أخذت من شريعة الطهارة فى سفر اللاويين رموزًا وإشارات لاغير، فأخذوا دم الذبائح التى كانت تقدم فى طقوس الطهارة، كإشارة إلى المسيح، وكان فى هذه غنى لهم عن كل طقوس الطهارة السابقة.

يقول الأستاذ / نجيب جرجس:

«**ونحن إذ اغتسلنا بدم المسيح المطهر، ونلنا نعم الروح القدس المحيى، وتمتعنا بأسرار العهد الجديد السامية والفعالة، نعلم أن ما يشوه جمال حياتنا ويلوثها ويدنسها هو الشر الذى نقترفه، ولكننا فى سقطاتنا وشرورنا وهفواتنا لا نحتاج فى الغالب إلى كل الممارسات التى كان اليهود يمارسونها، وإنما نحتاج دائما إلى الصلاة وسكب النفس أمام الله والإعتراف والتوبة**»[٤] .

وبجانب تلك الإشارات الرمزية، تحكى أسفار النصرانية إقرار المسيح لبعض شعائر الطهارة عند اليهود، ففى حالة تطهير الأبرص الذى جاء الى المسيح نجد أنه

---

(١) متى ١٥ : ٣-٧، وانظر: مرقس ٧: ١-٥ .
(٢) متى ١٥ : ١١-٢٠، وانظر: مرقس ٧: ١٤، وانظر لوقا : ١١: ٣٧-٤٤ .
(٣) رسالة بولس إلى تيطس ١: ١٤، ١٥ .
(٤) تفسير سفر اللاويين ص١٧١ .

شفاه[١] ثم أمره بالذهاب إلى الكاهن للعرض عليه وتقديم قرابين التطهير الموسوية، يقول مرقس:

«فأتى إليه أبرص. . . . فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، وقال له: . . . . اذهب أر نفسك للكاهن، وقدم عند تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم»[٢].

كما نجد أن المعمودية (وهى من أهم أسرار الكنيسة) تعتبر بديلاً عن حمام الطقوس الذى كان عند اليهود، ولكن نطاق المعمودية ضيق جدًا، إذ يمكن أن تكون مرة واحدة فى العمر، فهى للدخول فى النصرانية[٣].

ومما هو جدير بالذكر أن حركة الرهبانية التى ازدهرت فى القرن الرابع الميلادى وكانت وليدة الاضطهادات المادية التى عانت منها النصرانية[٤]، كانت قد رفضت كل تعاليم الطهارة فى سفر اللاويين -وغيره من العهد الجديد- وحتى ما أقره المسيح منها، حيث جعلت تعذيب الجسد والإيغال فى النجاسة مثلاً للكمال فى التدين والطهارة.

يقول ليكى - صاحب كتاب تاريخ أخلاق أوربا:

«ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً فى الدين والأخلاق إلى قرنين، وروى المؤرخون من ذلك عجائب، فحدثوا عن الراهب ماكاريوس أنه نام ستة أشهر فى مستنقع ليقرص جسمه العارى ذباب سام، وكان يحمل دائما نحو قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام فى بئر نزح، وقد عبد الراهب يوحنا ثلاثة سنين قائمًا على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة، فإذا تعب جدًا أسند ظهره إلى صخرة، وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائمًا، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون فى مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثير من الكلأ والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح،

---

(١) نحن نعتقد أن المسيح لا يشفى إلا بإذن الله قال: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران ٤٩ .

(٢) مرقس١ : ٤٠-٤٤، وانظر : لوقا ٥: ١٢-١٤ .

(٣) انظر : متى هنرى: تفسير إنجيل متى ٢/ ٥٤٥، وانظر: القس نجيب مكرم: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص٣٧ طبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٩٠ .

(٤) انظر : زكى شنودة: تاريخ الأقباط ص١٧٨-١٩٢ مطبعة ناشد٠ الروضة بالقاهرة ١٩٩٢ .

ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم فى النجاسات والدنس، يقول الراهب أتهينس: إن الراهب أنتونى لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الإسكندرى بعد زمن متلهفًا: وا أسفاه! لقد كنا فى زمن نعد غسل الوجه حرامًا، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات»[(١)].

وأعتقد أن موقف النصرانية -هكذا- كان بمثابة رد فعل لتشدد اليهود فى شعائر الطهارة، والاهتمام بتطهير الظاهر وترك تطهير الباطن، فلما جاءت النصرانية عولت على طهارة الباطن (أعنى الروح) وأهملت طهارة الظاهر، وكلما حاولت أن ترقع اتسع الخرق عليها حتى اضطرت فى النهاية إلى الخروج إلى مادية جامحة لا تقف على قليل ولا كثير، ولا تلوى على طهارة ولا نجاسة، وأصبحت لا تؤمن بتوراة ولا بإنجيل إلا أن يكون إيمانًا معزولاً عن واقع الحياة، لأن الفطرة السوية ترفض الواقع المصاب بجفاف الروح، وترفضه كذلك إذا كان مصابًا بالمثالية والروحانية الكاذبة.

فماذا كان موقف الإسلام من الطهارة فى سفر اللاويين؟

المطلب الثامن: موقف الإسلام من أحكام الطهارة فى سفر اللاويين

الإسلام دائمًا متميز بوسطيته التى تأبى الغلو والتفريط، ولا تقر من الأمور إلا ما هو وسطًا.

ولقد دعا الإسلام إلى الطهارة دعوة موسعة جعلت قلوب كثيرين ممن عيشتهم أديانهم الباطلة أعمارًا مديدة وهم موغلون فى النجاسة، مبتعدين عن الله، جعلتهم يشتاقون إلى الإسلام، وتخفق قلوبهم إلى الإقتراب من الرب الذى حالت تعاليم الطهارة والنجاسة بينهم وبينه - كما رأينا.

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الطهارة والمتطهرين، وقرر حبهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[(٢)] وقال عن أهل مسجد قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[(٣)].

ودعا كذلك إلى الجمع بين طهارة الظاهر والباطن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أ/ أبى الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٦٨.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٢). (٣) سورة التوبة الآية (١٠٨).

ﵟٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُﵞ [(١)]. فأما طهارة الظاهر فواضحة من قوله سبحانه وتعالى: ﵟوَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡﵞ وأما طهارة الباطن فواضحة من الأمر بهجر «الرجز» الذى هو اسم جامع لكل إثم ومعصية.

وضيق دائرة النجاسة جدًا، فجعل الأصل فى الأشياء الطهارة إلا ما نص على أنه نجس، وحصرها فى مجموعة أعيان نجسة وهى:

١] الميتة: سواء كانت من الحيوانات مأكولة اللحم أو غير المأكولة اللحم، فهى نجسة، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﵟقُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌﵞ [(٢)].

ويلحق بالميتة ما قطع من الحيوان وهو حى فهو نجس، لقولهﷺ: **«ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميته»**[(٣)].

وقد استثنت الشريعة الإسلامية من الميتة ثلاثة أشياء لم تحكم بنجاستها:

الأول: ميتة السمك والجراد، ودليل طهارتها قوله ﷺ: **«أحل لنا ميتتان ودمان: أما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال»**[(٤)].

الثانى: ميتة ما ليس له دم سائل كالنحل والنمل والذباب وغيره، ودليل طهارتها قوله ﷺ فى الذباب: **«إذا سقط الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء»**[(٥)] وإذا وقعت فى شيء فماتت فيه لا تنجسه، وهو الراجح[(٦)].

الثالث: عظم الميتة وقرنها وظفرها وشعرها وريشها وجلدها، ودليل طهارتها قولهﷺ -حين مر بشاة ميتة-: **« هلا استمتعتم بإهابها؟ فقالوا: إنها ميتة، قال: إنما حرم أكلها»**[(٧)] وبعض العلماء يشترط الدباغ لطهارة جلود الميتة، وهذا هو الراجح[(٨)] لما

---

(١) سورة المدثر الآيات (١-٥). (٢) سورة الأنعام الآية (١٤٥).

(٣) الإمام أحمد: المسند ٥/ ٢١٨.

(٤) الدارقطنى - السنن كتاب الأشربة باب الصيد والذبائح والأطعمة ٤/ ٢٧٢، ط دار المحاسن.

(٥) البخارى بشرح ابن حجر ٥٧٨٢ ك الطب، باب إذا وقع الذباب فى الإناء ١٠/ ٣٠٢.

(٦) انظر: فتح البارى ١٠/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٧) البخارى بشرح ابن حجر ٥٥٣١ ك الذبائح والصيد، باب جلود الميتة ٩/ ٧٨٨.

(٨) فتح البارى ٩/ ٧٨٩.

جاء فى مسند أحمد«أيما إهاب دبغ فقد طهر»[١] .

٢] **الدم** : ويشمل دم الآدمى (غير الشهيد)، ودم الحيض والنفاس ودم الحيوان غير المائى الذى يسيل منه فى حال الحياة أو الموت إذا كان سفوحًا (أى مهراقًا)[٢] .

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ . واشتراط سيلان الدم يخرج ما يبقى من عروق الذبيحة فإنه يعفى عنه ، وكان هذا القيد ردًا على تشدد اليهودية فى إيجاب تتبع الدم فى العروق ، ولذلك قال عكرمة -مولى ابن عباس- لولا هذه الآية لتتبع الناس الدم فى العروق كما تتبعته اليهود»[٣] .

ويستثنى من نجاسة الدم - أيضًا - الكبد والطحال ، لقوله ﷺ أحل لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال»[٤] .

٣] **لحم الخنزير** : وهو نجس العين بكل أجزائه من لحم ودم وعظم وشعر وجلد ولو دبغ ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[٥] .

٤] **بول الآدمى وغائطه وقيئه** : إلا بول الرضيع الذى لم يأكل طعامًا فإنه يعفى عنه ، فيكتفى برشه مع أنه نجس ، لما ثبت أن امرأة أتت النبى ﷺ بابن لها لم يأكل الطعام فبال فى حجر النبى ﷺ فنضح عليه ماءًا وقال : ينضح من بول الصبى ويغسل من بول الجارية»[٦] .

٥] **المذى والودى** : فالأول ماء أبيض رقيق يخرج عند ثوران الشهوة أو تذكر الجماع بلا تدفق[٧] ، ودليل نجاسته : الأمر بغسل الذكر منه والوضوء لمن جاء يسأل عنه فقال ﷺ : «**يغسل ذكره ويتوضأ**»[٨] .

والثانى : ماء أبيض كدر ثخين يخرج عقب البول أو عند حمل شىء ثقيل[٩] ، ودليل نجاسته أنه يخرج مع البول أو بعده فيكون له حكمه ، وقال ابن عباس : «وأما

---

(١) الإمام أحمد : المسند ١/ ٢١٩ .

(٢) انظر : د . / وهبة الزحيلى : الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ١٥٠ ط دار الفكر - دمشق ١٩٨٥ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢١٨ والآية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام .

(٤) سبق تخريجة فى الصفحة السابقة فى هامش رقم (٢) .

(٥) د/ وهبى الزحيلى : الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ١٥٠ ، والآية من سورة الأنعام رقم ١٤٥ .

(٦) سنن أبى داود ٣٧٥ ك الطهارة ، باب بول الصبى يصيب الثوب ١/ ١٠٢ .

(٧) النووى : شرح صحيح مسلم ١/ ٥٩٩ .

(٨) مسلم بشرح النووى : ك الطهارة ، باب المذى وحكمه ١/ ٥٩٩ .

(٩) انظر : عبد الرحمن بن محمد المقدسى : الشرح الكبير ١/ ٨٢ ط دار الفكر .

الودى والمذى فقال رسول الله ﷺ: **«اغسل مذاكيرك وتوضأ وضوءك للصلاة»**(١).

٦] **بول وروث وألبان ما لا يؤكل لحمه**: ودليل نجاسة تلك الأشياء، ما صح أن النبى ﷺ أتى الغائط، فأتى بأحجار ليستنزه بها فإذا فيها حجرين وروثة، فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال هذا رجس(٢).

وجاء فى اللبن أنه ﷺ: **«نهى عن لحوم الجلالة وألبانها»**(٣).

وإذا كان هذا الأمر وارد فى لبن الحيوان الطاهر الذى يتغذى على النجاسة، فإن نجاسة لبن الحيوان المحرم الأكل من باب أولى.

وقد مضى العمل على أن أبوال وأرواث وألبان الحيوانات تابعة للحومها، فبول وروث ولبن المحرم الأكل نجس، والعكس(٤).

٧] **سؤر الكلب والخنزير**: وهو ما يبقى فى الإناء بعد شربهما، وهو نجس باتفاق العلماء، ودليل ذلك ما صح أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا**»(٥) وزاد فى رواية: « **أولاهن بالتراب**».(٦) وأما سؤر الخنزير فهو أشد قذارة من الكلب فيأخذ حكمه - أيضًا.

واختلف العلماء فى نجاسة الكلب ككل، فقال بعضهم أنه من الأعيان النجسة وكل ما تولد منه من الفروع سؤر وعرق نجس العين، ويغسل ما تنجس منه سبع مرات، لأنه إذا ثبت نجاسة فم الكلب بنص الحديث -أى السابق- والفم أطيب أجزائه، فبقيته من باب أولى(٧).

ومال بعضهم إلى قصر النجاسة على سؤره فقط، ولا يقاس على بقية جسمه(٨).

٨] **الخمر**: وهى من الأعيان النجسة عند جمهور الفقهاء(٩)، لقوله سبحانه

---

(١) عبد الله بن محمد بن أبى شيبة: المصنف فى الحديث والآثار، ك الطهارات ١/ ١١٥.

(٢) البخارى بشرح ابن حجر ١٥٦ ك الوضوء، باب لا يستنجى بروث ١/ ٣٢٢.

(٣) سنن ابن ماجة ٣١٨٩ ك الذبائح، باب النهى عن لحوم الجلالة ٢/ ١٠٦٤.

(٤) د. / وهبة الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ١٦٠.

(٥) البخارى بشرح ابن حجر: ١٧٢ ك الوضوء، باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان ١/ ٣٤٤.

(٦) مسلم بشرح النووى ٩٢ ك الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب ١/ ٥٧٣.

(٧) د. / وهبة الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ١٥٤.

(٨) انظر: فتح البارى ١/ ٣٤٧.

(٩) انظر: الشوكانى الدرارى المضية فى شرح الدرر البهية ١/ ٢٧، مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة - ١٩٨٦م.

وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ (١) .

وبعد فهذه أهم الأعيان التى اعتبرها الإسلام نجسة ، ويلاحظ ما يلى :

أولاً : لم يعتبر الإسلام الإنسان نجسًا حتى ولو غير مسلم ، واعتبر النجاسة فى الاعتقاد ، وأما قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فجمهور العلماء على أنه ليس بنجس البدن والذات (٢) ، بل الاعتقاد .

وقد كان المشركون وأهل الكتاب يخالطون المسلمين وترد رسلهم ووفودهم على النبى ﷺ ويدخلون مسجده ، ولم يأمر بغسل شىء مما أصابته أيديهم (٣) .

ثانيا : بعد أن حصر الإسلام النجاسات فى تلك الدائرة الضيقة ، قصر التنجس بها على من مسها أو أصابه منها شىء ، بمعنى أن يعلق منها شىء ببدنه أو ثوبه ، لكن لا يوجب وضوءًا ولا غسلاً ، إلا إذا كانت النجاسة قد تولدت من الشخص نفسه .

ولذلك قسم فقهاء الإسلام النجاسة إلى حقيقية وحكمية .

فأما الحقيقية : فهى لغة العين المستقذرة كالدم والبول والغائط ، وكل الأعيان النجسة ، وشرعًا : هى مستقذر يمنع من صحة الصلاة (٤) .

وأما الحكمية : فهى أمر اعتبارى يقوم بالأعضاء يمنع من صحة الصلاة (٥) ، ويشمل الحدث الأصغر (الذى يزول بالوضوء) والحدث الأكبر (الذى يزول بالغسل) .

والنجاسة الحقيقية تقسم -أيضًا- إلى جامدة ومائعة ، فالجامدة كالميتة والغائط ، والمائعة كالبول والدم المسفوح والمذى والودى . . . وغيرها (٦) .

وقد اتفق العلماء على أن الأشياء الجامدة (الطاهرة) إذا وقعت فيها نجاسة جامدة كميتة ونحوها طرحت النجاسة وما حولها ، إذا تحقق أن شيئًا من أجزائها لم يصل إلى غير ذلك منه (٧) . وذلك لقوله حين سئل عن فأرة سقطت فى سمن : « **ألقوها وما حولها**

---

(١) سورة المائدة من الآية (٩٠) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٠ ، ابن العربى : أحكام القرآن ٢/ ٤٦٨ والآية من سورة التوبة رقم ٢٨ ، وانظر : محمود محمد خطاب السبكى : الدين الخالص ١/ ٣٧٣ ط القاهرة ١٣٩٧هـ .

(٣) الشيخ / سيد سابق : فقه السنة ١/ ٢٠ ط دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٨٣م .

(٤) د . / وهبة الزحيلى : الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ١٤٩ .

(٥) انظر : المرجع السابق ١/ ١٤٩ .

(٦) انظر : المرجع السابق ١/ ١٦٧ .

(٧) انظر : فتح البارى ١/ ٤٢٩ .

فاطرحوه وكلوا سمنكم»[(١)] .

وأما الأشياء المائعة (الطاهرة) إذا سقطت فيها نجاسة جامدة فالجمهور على أن ينجس كله بملاقاة النجاسة، لسرعة انتشارها فى السائل[(٢)] . إلا الآبار والعيون فإنه ينزح منها حتى تزال عين النجاسة[(٣)] .

وأما النجاسة المائعة (كبول ودم) إذا سقطت فى مائع تنجس لعدم إمكان الفصل، وإذا سقطت على طاهر جامد تنجس بمقدار ما يلحقه منها[(٤)] .

وأما النجاسة الحكمية: فغير الحقيقية تمامًا إذ هى قاصرة على صاحبها فقط لا تعدوه.

فالجنب والحائض والنفساء لا يترتب من أيهم نجاسة لمن لامسهم أو لمن لا مسوه هم، سواء الأشخاص أو الأشياء، بمعنى أنه لو وضع أحدهم يده فى ماء أو طعام أو غيره أو لامس شخصًا أو فراشًا لا يتنجس.

ولذلك كان النبى ﷺ ربما تفليه المرأة من نسائه وتقول إنى حائض، وهو واضع رأسه فى حجرها، وربما قال لها ناولينى، فتقول: إنى حائض، فيقول: **«حيضتك ليست فى يدك»**[(٥)] . وقالت أم المؤمنين عائشة: كنت أتعرق العرق وأنا حائض فأعطيه النبى ﷺ فيضع فمه فى الموضع الذى وضعت فمى فيه، وأشرب فأناوله فيضع فمه فى الموضع الذى وضعت فمى فيه»[(٦)] .

وكان هذا ردًا على تشدد اليهود فى عزل المرأة ونبذها والقول بنجاسة فراشها ومن خدمها وغير ذلك.

لذلك يروى الإمام أحمد بسنده عن أنس: « **أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت، فسأل أصحاب النبى** ﷺ النبى ﷺ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ حتى فرغ من الآية فقال رسول الله ﷺ اصنعوا كل شىء إلا النكاح» **فبلغ ذلك**

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٢٣٥ ك الوضوء، باب ما يقع من النجاسة فى السمن والماء ١/ ٤٢٨ .
(٢) انظر: فتح البارى ١/ ٤٢٩ .
(٣) انظر: الشوكانى: الدرارى المضية ١/ ٣٠ .
(٤) انظر: فتح البارى ١/ ٤٣٣ .
(٥) مسلم بشرح النووى: ك الطهارة، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ١/ ٥٩٦ .
(٦) أتعرق العرق: أى أقطع القطعة من اللحم .

اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه»[١].

ويعتبر أيضًا ردًا على تفريط النصارى إذ يجامعوهن حائضات.

وربما كان الرجل من أصحابه ﷺ يقابله وهو على جنابة فيغير طريقه -تأدبًا- وحين يسأله، يقول: كنت نجسًا (أى على جنابة) فكرهت أن ألقاك وأنا على جنابة، فيقول له: « **إن المؤمن لا ينجس حيًا ولا ميتًا»**[٢].

وقد رد هذا ما ادعت اليهودية من تنجيس الجنب لغيره أو تنجس الغير من فراش الجنب.

ثالثًا: الأشياء التى تمنع منها النجاسة فى الإسلام:

أما النجاسة الحقيقية (الأعيان النجسة) فهى تمنع من صحة الصلاة إذا وجدت على ثوب أو بدن المصلى أو فى مصلاه[٣]. وبعد ذلك فالمسلم مطالب بالنظافة عمومًا واستقذار النجاسة.

وأما النجاسة الحكمية (جنابة وحيضًا ونفاسًا وكفرًا) فهى تمنع من الصلاة والطواف بالبيت الحرام، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾[٤]. وقاس النبى ﷺ الطواف على الصلاة فقال: « **الطواف صلاة إلا أن الله سبحانه وتعالى أحل فيه الكلام، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير»**[٥].

وتمنع كذلك من مس المصحف وحمله باتفاق العلماء[٦]، ومن قراءة القرآن، والمكث فى المسجد، فقد قال النبى ﷺ: « **لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن»**[٧]، وكان يقول ﷺ: « **إن المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب»**[٨].

وأجاز بعض العلماء المرور فى المسجد لمن به نجاسة حكمية لحاجة، وفهموا

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٣٢، عن أنس. والحديث صحيح معناه عند الإمام مسلم ١/ ٥٩٨.
(٢) البخارى بشرح ابن حجر ٨٣٢ ك الغسل، باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس ١/ ٤٨٦.
(٣) انظر: النووى: منهاج الطالبين ص١٣ ط مصطفى البابى الحلبى - مصر.
(٤) سورة المائدة من الآية (٦).
(٥) الطبرانى: المعجم الكبير ١١/ ٣٤.
(٦) د. / وهبه الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ٣٨٣.
(٧) الترمذى: الجامع الصحيح ١٣١ أبواب الصلاة ١/ ١٣٦.
(٨) سنن ابن ماجه ٦٤٥ ك الطهارة وسننها، باب ما جاء فى اجتناب الحائض المسجد ١/ ٢١٢ وقال فى الزوائد إسناده ضعيف.

ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [(١)].

ويلاحظ أن هذه الأشياء لا يمتنع منها المسلم متى اغتسل مباشرة، بخلاف ما رأينا عند اليهود من أنه يبقى بعد الاغتسال نجسًا إلى المساء، وفى المساء يحرم دخول المعبد وأداء الصلوات.

رابعًا: موجبات الطهارة فى الإسلام:

لمعرفة موجبات الطهارة فى الإسلام لا بد من تقسيم الحدث إلى أصغر وأكبر، فلكل موجباته:

فالحدث الأصغر (فساء أو ضراط) فيه الوضوء، وموجباته:

الصلاة والطواف ومس المصحف[(٢)] للأدلة التى ذكرناها - قريبًا.

والحدث الأكبر فيه الغسل وموجباته:

١] خروج المنى من الرجل أو المرأة بلذة معتادة فى حال النوم أو اليقظة بنظر أو فكر فى جماع أو مباشرة فعلية.

ودليله قول النبى ﷺ: «**فى المذى الوضوء، وفى المنى الغسل**»[(٣)] وحديث: «**هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال: نعم إذا رأت الماء**»[(٤)].

٢] التقاء الختانين ولو من غير إنزال: ودليله قول النبى ﷺ: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل**»[(٥)].

٣، ٤ - انقطاع دم الحيض والنفاس: ودليله قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [(٦)] ولقوله ﷺ للمرأة: «**إذا أقبلت الحيضة دعى الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلى وصلى**»[(٧)].

والنفاس يأخذ حكم الحيض -لأنه دم حيض مجتمع- ولو نفاس بلا دم أصلا على الراجح[(٨)].

---

(١) سورة النساء من الآية (٣٤).

(٢) انظر: القرطبى الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٨٣.

(٣) الترمذى: الجامع الصحيح ١١٤ أبواب الطهارة ١/ ١٩٣، وقال حسن صحيح.

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٢٨٢ ك الغسل، باب إذا احتلمت المرأة ١/ ٤٨٤.

(٥) الترمذى: الجامع الصحيح ١٠٩ أبواب الطهارة ١/ ١٩٨٣ وقال حسن صحيح.

(٦) سورة البقرة من الآية (٢٢٢).

(٧) البخارى بشرح ابن حجر ٣٢ ك الحيض، باب إقبال المحيض وإدباره ١/ ٥٢٤.

(٨) د / وهبة الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته ١/ ٣٦٥.

٥] موت المسلم غير الشهيد باتفاق الأئمة الأربعة، لقوله ﷺ فى الذى سقط عن راحلته فمات: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين**»(١). وقوله لمن غَسَّلن ابنته: «**اغسلنها وابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها**»(٢).

٦] إسلام الكافر: لحديث قيس بن عاصم أنه أسلم فأمره النبى ﷺ أن يغتسل بماء وسدر(٣).

ويلاحظ أن الإسلام قد أقر بعض موجبات الطهارة فى سفر اللاويين ورفض بعضها، فأقر خروج المنى والحيض والنفاس كموجبات للطهارة، ولكنه شرط هذا بحال الصحة، أما المرض فقد خفف فيه فأوجب الوضوء وليس الغسل، ورفض ما فيه عنت ومشقة من نحو مس النجاسات وتقديم القرابين والأضاحى وغير ذلك.

خامسًا: كيفية الطهارة فى الإسلام:

كيفية الطهارة فى الإسلام بسيطة جدًا ليس فيها أى تعقيد سواء كانت وضوءًا أو غسلاً، فالوضوء غسل للأعضاء الظاهرة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(٤).

«**وتوضأ رسول الله ﷺ** فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما، ثم أدخل يمينه فى الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثًا، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين، ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئى هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٥).

والغسل تعميم لظاهر الجسد بالماء بنية، وقد جاء عن عائشة -رضى الله عنها- أن **النبى ﷺ** كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه فى الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله(٦).

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ١٢٦٥ ك الجنائز، باب: الكفن فى ثوبين٣/ ١٦٨ .
(٢) البخارى بشرح ابن حجر ١٢٥٥ ك الجنائز، باب يبدأ بميامن الميت ٣/ ١٦٢ .
(٣) مسلم بشرح النووى: ك الجهاد، باب ربط الأسير وجواز المن عليه ٣/ ١٢٨٦ .
(٤) سورة المائدة الآية (٦) .
(٥) البخارى بشرح ابن حجر: ١٥٩ ك الوضوء، باب الوضوء ثلاثًا ١/ ٣٢٥ .
(٦) البخارى بشرح ابن حجر ٢٤٨ ك الغسل، باب: الوضوء قبل الغسل ١/ ٤٥٠ .

وإذا كنا قد رأينا تشدد اليهودية فى طقوس الطهارة، حيث لم تكتف بالغسل بالماء فقط، بل شرطت طقوسًا أخرى كالقرابين والذبائح ورماد العجلة الحمراء، فإننا نجد الإسلام ييسر أمر الطهارة، فإذا فقد المسلم الماء أو عجز عن استعماله تيمم من صعيد الأرض.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (١).

وهو من خصوصيات هذه الأمة إذ يقول النبى ﷺ وهو يحدث ببعض ما خص به: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلى -وفيها- وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل»** (٢).

وأعتقد أنه من خلال عرضنا لموقف الإسلام من أحكام الطهارة فى سفر اللاويين، يتبين لكل ذى بصيرة بساطة العبادة فى الإسلام ووضوحها، وبعدها عن الدجل والخرافة والغموض، كما يتضح أيضًا أن الطهارة فى الإسلام واحدة من أهم دروس التربية الإسلامية التى تربى المسلم على الإنسانية الراقية، التى تعاف القذارة حسية ومعنوية، وتنأى به عن سفاسف الأخلاق، ورديء السلوك.

---

(١) سورة النساء الآية (٤٣).

(٢) جزء من حديث عند البخارى برقم ٣٣٥ ك التيمم، باب التيمم ١/ ٥٤٤.

المبحث الثانى

الصلاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

المبحث الثانى

الصلاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

الصلاة فى شرائع الأنبياء:

الصلاة فى كل الرسالات السماوية على رأس العبادات التى يوصى بها المولى عز وجل ويأمر عباده أن يقيموها، والقرآن الكريم -باعتباره الكتاب الوحيد الذى لا يزال يجمع كل ما ترك الأنبياء - قد حكى لنا أمر الله سبحانه وتعالى للأنبياء بإقامة الصلاة، فيقول - عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (١).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (٢).

ويحكى لنا أمر الله لبنى إسرائيل بالصلاة حتى فى أحلك الظروف يوم أن كانوا تحت نير الاضطهاد الفرعونى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

بل كان فى أوائل ما أوحى به إلى موسى عليه السلام، الذى ينسبون إليه سفر اللاويين، الأمر بإقامة الصلاة: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ (٤).

وجاء عيسى عليه السلام يحدث بنى إسرائيل وهو فى مهده، قائلاً: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٧٣).
(٢) سورة المائدة الآية (١٢).
(٣) سورة يونس الآية (٨٧).
(٤) سورة طه الآيات (١١- ١٤).
(٥) سورة مريم الآية (٣١).

وجاء محمد ﷺ فجعل يحمل الناس على الصلاة بكل طريق فتارة يأتيه الوحى يخاطب الناس ويأمرهم بالصلاة على أنها من ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام وأنها من أهم مؤهلات الشهادة على الأمم، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿.........فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (١).

وتارة يرغب فيها على أنها طريق الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ (٢). ويبين أنه ليس بدعًا من الرسل فى أمرهم بإقامة الصلاة بل قد سبقه إخوانه النبييون، وجاء ذلك فى صحفهم، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (٣).

وتارة يحذر من التفريط فيها ويبين أنه يوجب العذاب الأليم، فيحكى موقفًا من مواقف القيامة، المصلون فيه يتساءلون: ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤).

ومن هذا ندرك أن الصلاة كانت على رأس العبادات فى شرعة كل نبى، وإن كانت تختلف فى هيئتها من شرع إلى شرع اختلافًا يحتاج فى معرفته إلى نص ثابت.

مفهوم الصلاة عند اليهود:

ليس من اليسير -أبدًا- تحديد مفهوم للصلوات اليهودية لأنها مرت بصور مختلفة، وزيد فيها وأنقص منها كثير من الشعائر، كما أنها تختلف فى بعض الشعائر من فرقة إلى فرقة.

وأنقل عن موسوعة اليهود كلامًا ربما أعان فى تحديد مفهوم الصلاة تقول: **«الصلوات اليهودية (تفيلاه) بالعبرية، وكانت تعنى فى أصلها الإرهاق، أو تعذيب الذات وإظهار الخضوع»**(٥).

والصلوات اليهودية قد مرت بمرحلة تغيير كلى تمامًا - كما يقول أحد علماء الشريعة اليهودية - فقد كانت فى البداية طقسية بالتقدمات والقرابين، فإذا أرادوا أن

---

(١) سورة الحج الآية (٧٨).

(٢) سورة الأعلى الآيات (١٤، ١٥).

(٣) سورة الأعلى الآيات (١٨، ١٩).

(٤) سورة المدثر الآيات (٤١-٤٣).

(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٢٦.

يصلوا لشكر قدموا قربانًا، وإذا أرادوا أن يصلوا لاستغفار من خطيئة قدموا قربانًا، . . . . وهكذا، ثم وضع مكانها صلوات تتلى تلاوة.

يقول الدكتور/ هلال فارحى: [(١)]

« . . وأول تأدية شكر وعبادة من هذا القبيل كانت تقدمات قابيل وهابيل (تكوين ٤/ ٣-٤) وسفر التكوين يذكر جملة صلوات متفرقة وعبادات من الآباء عن هذا القبيل، وتذكر الأسفار التالية فى الكتاب أنواع التقدمات والقرابين التى قرَّ القرار عليها رسميًا . . . . ولذاك العهد[(٢)] لم تكن الصلاة محددة وإجبارية، بل كانت تتلى ارتجاليًا حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية، وعندما خرب الهيكل وسبى بنو إسرائيل من بلادهم إلى بابل، وبطلت التقدمات والقرابين، وضعت الصلوات بدلاً منها إلى يومنا هذا، وهذه العبادات بالصلوات تفوق كثيرًا العبادات القديمة بالذبائح والتقدمات، جاء فى المشنا (البركات ٣٢) أن الصلاة أفضل من القرابين، فإن العبادات بالتقدمات هى عبارة عن تقدمة شىء من مال الإنسان -أى مادة حسية أرضية على مذبح مادى- بخلاف العبادة الروحية بالصلوات، فإنها إظهار عواطف وإحساسات وتقدمة شكر روحية صادرة من نفس الإنسان على مذبح قلبه وعقله وشهواته الجسدية»[(٣)].

وهكذا يجد الباحث فى صلوات اليهود نفسه حائرًا فى تحديد مفهوم للصلاة عندهم، فعلى أي أساس يحدد هذا المفهوم وهى لم تستقر بعد، فهل يحدد هذا المفهوم على الصلاة القربانية المتمثلة فى الذبائح، أم على الصلاة القلبية المتمثلة فى الأدعية والابتهالات والقصائد الشعرية؟

ويمكن أن يقال: إن مفهوم الصلاة اليهودية يدور حول تعذيب النفس وإرهاق الذات، سواء بتقديم القرابين والدماء أو الابتهال والدعاء فى المناسبات، حسبما يرى الآباء والقادة الدينيون فى كل عصر.

الصلوات فى سفر اللاويين من أى أنواع الصلاة:

قبل بيان نوع الصلوات فى سفر اللاويين تجدر الإشارة إلى أن السفر بأكمله قد خلا -تمامًا- من ذكر كلمة (الصلاة)، وهذا أمر غريب للغاية إذ كيف يخلو مثل هذا

---

(١) هلال فارحى هو: د / هلال يعقوب فارحى أحد علماء الشريعة اليهودية المصريين.

(٢) أى عهد عزرا: نحو القرن الخامس الميلادى (قاموس الكتاب المقدس ٦٢١).

(٣) د / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص ١٤١، ١٤٢، نقلا عن كتاب: سدور فارحى: للدكتور/ هلال فارحى ص٤ وما بعدها طبع فى مطبعة الأدون وبرتوموسكوفتش - بمصر ١٩١٧م.

السفر - الذى يمثل الأساس الأول فى تراث الديانة اليهودية -من ذكر واحدة من أهم العبادات؟

ولكن مما سبق من حديث أحد علمائهم عن مفهوم الصلاة -عندهم- والمراحل التى مرت بها، يتضح أن الصلاة التى يتحدث عنها سفر اللاويين من الصلوات الطقسية أو القربانية.

ولهذا نجد السفر يستغرق الإصحاحات العشرة الأولى فى الحديث عن القرابين وكيفية تقديمها والطقوس التى تستتبع ذلك باعتبارها صلوات وضراعات إلى الإله.

ويفصل السفر هذه الصلوات -التى فى صورة قرابين- فيبين أن منها ما يكون طلبًا لغفران الخطيئة، ومنها ما يكون شكرًا للنعمة، ومنها ما يكون لدفع غضب الإله (أى طلب الرضا).

وهذه الصلوات (القرابين) منها ما يكون عامًّا يشترك فيه كل جماعة إسرائيل «**وإن سها كل جماعة إسرائيل . . وعملوا واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثموا، ثم عرفت الخطية التى أخطأوا بها يقرب المجمع ثورًا ابن بقر . . ذبيحة خطية، ويأتون به إلى قدام خيمة الاجتماع، ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الرب، ويذبح الثور أمام الرب . . . ويكفر عنهم الكاهن فيصفح عنهم**»[١].

ومنها ما يكون خاصًّا حسب الحاجات الشخصية : « **وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهوًا بعمله واحدة من مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثم، ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ بها يأتى بقربانه . . . عن خطيته التى أخطأ . ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية . . رائحة سرور للرب ويكفر عنه الكاهن فيصفح عنه**»[٢].

وكذلك الأمر فى صلوات الشكر (ذبائح السلامة) وفى النذور والنوافل. ومن هذه الصلوات ما هو يومى (محرقة الصباح ومحرقة المساء) ومنها ما يضاف حسب المواسم والأعياد والمناسبات (قرابين الأعياد والمواسم) والتى سنذكرها فى مبحث الأعياد فى سفر اللاويين.

ومما تجدر الإشارة إليه -أيضًا- أن هذه الصلوات الطقسية لم تكن تصح إلا فى المعبد اليهودى.

---

(١) اللاويين ٤ : ١٣- ٢٠ .

(٢) اللاويين ٤ : ٢٧-٣١ .

ولهذا يقول أحد علماء الأديان الغربيين : **«وكانت القرابين هى الحدث اليومى عميق الصلة بالمعبد، وكان يقدم قربان فى الصباح وآخر فى المساء»**[١] .

ويقول الدكتور/ هلال فارحى : **«ولم توضع الصلوات الطقسية عند الإسرائيليين إلا بعد تأسيس أمكنة العبادة، كخيمة الاجتماع والهيكل»**[٢] .

وكان اليهود يحسبون أنفسهم فى صلاة ما دامت نار القرابين تتقد على المذبح، فقد أوجب عليهم شرعهم ألا تنطفأ نار المذبح أبدًا. ولكن اليهود نبذوا هذه الصلوات الطقسية واستبدلوها بالصلوات الروحية أو ما يسمونه قربان الشفة، كما يذكر ذلك التلمود فى المشنا فى قسم البركات ٣٢ [٣] .

وهذا يدل على أنه لا الصلاة القربانية ولا الروحية مما جاء به موسى عليه السلام ولا تمت إلى شريعته بأدنى صلة .

إذ أن الصلاة القربانية مادية تقوم أصلاً على إراقة الدماء والنار وحرق الذبائح وغير ذلك، والصلاة الروحية هى مجموعة آيات من التوراة وقصائد شعرية ألفها رجال يتأكلون بالدين، فأنى لمثل تلك العبادة الملفقة أن تسمو بروح المصلى أو أن تهديه إلى ربه؟

---

(١) د / أحمد شلبى اليهودية ص ٢١٦ نقلاً عن: ٣١ Berry Raligions of the woildp .

(٢) انظر: الفكر الدينى اليهودى ص ١٤٣ نقلا عن: سدور فارحى ص٧ .

(٣) المرجع السابق ١٤٣ .

المبحث الثالث

الزكاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الزكاة

المطلب الثانى : هل صرح سفر اللاويين بالزكاة كعبادة؟

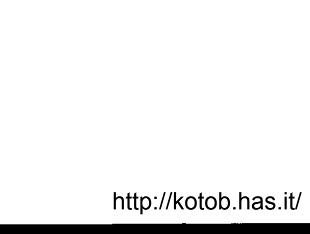
المطلب الثالث : السفر يحدد مقدار الزكاة .

المطلب الرابع : هل يجوز إخراج القيمة .

المطلب الخامس : مصارف الزكاة فى اليهودية .

المطلب السادس : موقف النصرانية من الزكاة فى سفر اللاويين .

المطلب السابع : موقف الإسلام من الزكاة فى سفر اللاويين .



المبحث الثالث

الزكاة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: تعريف الزكاة

الزكاة لغة: النماء والزيادة[(١)].

واصطلاحًا هى: اسم لمال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص على وجه مخصوص يصرف فى وجوه مخصوصة[(٢)].

المطلب الثانى: هل صرح سفر اللاويين بالزكاة كعبادة؟

الحق أنه من النادر جدًّا أن تجد فى المصادر سواء اليهودية أو النصرانية إشارة إلى الزكاة فى اليهودية، وحتى المصادر التى كتبها مسلمون لدراسات فى اليهودية قل أن تشير إلى الزكاة عند اليهود كعبادة، فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى مؤلفات أكبر الباحثين فى الديانة اليهودية كالدكتور/ عبد الوهاب المسيرى فى موسوعته عن اليهود واليهودية، وهى من أشمل المصادر التى ذكرت كثيرا من الشعائر والعبادات اليهودية لكنها لم تشر إلى الزكاة.

وكذلك الدكتور/ حسن ظاظا فى مؤلفه القيم «**الفكر الدينى اليهودى**»، والدكتور/ على عبد الواحد وافى فى «**الأسفار المقدسة قبل الإسلام**»، والدكتور/ أحمد شلبى فى «**اليهودية**».

ولعل هذا راجع إلى أن أسفار اليهودية نفسها قد خلت من تسمية تلك الشعيرة بالاسم الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى.

ودليل ذلك أن سفر اللاويين -الذى هو عمدة الشريعة عند اليهود- بين أيدينا قد خلا تمامًا من ذكر اسم تلك الشعيرة.

غير أنه يفهم من بعض نصوص فى سفر اللاويين الأمر بالإحسان إلى الفقراء

---

(١) انظر: الفيروزآبادى: القاموس المحيط ٤/ ٣٤١ مادة (زكى).

(٢) انظر: محمد بن قاسم الغزى الشافعى: فتح القريب المجيب فى شرح ألفاظ التقريب ص٢٢ ط، مصطفى البابى الحلبى - مصر ١٩٥٢م.

والمساكين، ولكن دون الإشارة إلى أنه أمر تعبدى.

وذلك مثل ما ورد فى الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين: «**وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد، ولقاط حصيدك لا تلتقط، وكرمك لا تعلله، ونثار كرمك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه**»[١].

وهذا يعنى أنه كان يجب على اليهود ألا يحصدوا النباتات حتى حافة الحقل وإلى أقصى حدوده، بل كان عليهم أن يتركوا شيئًا على الحدود للمساكين والغرباء والمحتاجين الذين كانوا يخرجون إلى الحقول فى مواسم الحصاد ليجمعوا فضلات المحسنين من أصحاب الحقول[٢].

ولكن هب أن حافة -أو زوايا- الحقل كانت ضعيفة النبات، وهذا هو الغالب المشاهد - فكيف يكون هذا الفتات زكاة؟ وهل يمكن أن يسد حاجة الفقراء؟

أين هذا من التشريع الذى يقول للناس: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٣].

هذا ويشيد شراح التوراة بمثل ذلك النوع من الإحسان لأنه يرفع عن الفقراء الحرج الذى يشعرون به فى حالة التسول الفردى لأنه كان شيئًا عامًا يشترك فيه كل فقراء الشعب فى وقت واحد، وهو أيضًا فى ذات الوقت وسيلة لتقليل التسول[٤].

وأقول: إن إخراج الزكاة بهذه الصورة ليس رافعًا للحرج، بل هو عين الحرج الذى يذهب بماء الوجه، وليس مقللاً لعملية التسول، بل إنه ينظمها وينميها فى إطار جماعى.

كما أن المفترض أن هذه الزكاة حق واجب فى الأموال، افترضه الله سبحانه وتعالى وتعبد به الناس، فالواجب أن يبادروا بإخراجه وتوصيله لمستحقيه، لا أن ينتظروا حتى يسألوا.

ثم إن إخراج الزكاة بهذه الصورة المقززة التى يرويها سفر اللاويين قد يكون مدعاة

---

(١) اللاويين ١٩ : ٩-١٠ .

(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٢٢٩ بتصرف يسير .

(٣) سورة البقرة من الآية (٢٦٧) .

(٤) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٢٢٩ .

لنشر الفساد، وذيوع الفاحشة إثر خروج النساء والرجال الفقراء إلى الخلاء لالتقاط الحب بهذه الصورة الهمجية، وربما وقع صاحب الحقل مع بعض الفتيات الفقيرات كما يحكى العهد القديم فى سفر راعوث.

وتأكيدًا لهذا الأمر فإننا نذكر ملخصًا لسفر راعوث الذى جاء فى أربع إصحاحات: **« حيث يحكى أنه فى عهد القضاة حدث جوع فى الأرض وكانت هناك فتاة تسمى راعوث مات زوجها وأصبحت تعيش مع حماتها، وذات يوم قالت راعوث الموآبية لحماتها: دعينى أذهب إلى الحقل وألتقط سنابل من وراء من أجد نعمة فى عينيه، فقالت لها: اذهبى يا بنيتى، فذهبت والتقطت فى الحقل وراء الحصادين، فاتفق التقاطها فى قطعة حقل لرجل اسمه بوعز، فلما رآها بوعز قال لغلامه الموكل على الحصادين: لمن هذه الفتاة؟ فأجابه الغلام: إنها فتاة موآبية، قالت دعونى ألتقط وراء الحصادين، فجاءت ومكثت من الصباح إلى الآن، وطلب بوعز.**

-صاحب الحقل- من راعوث ألا تذهب لتلتقط من حقل آخر، فجمعت شيئًا كثيرًا، وفى المساء ذهبت إلى حماتها فسرت بما جمعت، وسألتها عن اسم الرجل الذى التقطت من عنده، فأخبرتها أنه بوعز، فقالت حماتها: إنه ذو قرابة لنا، ويحسن بك يا بنيتى أن تخرجى مع فتياته حتى لا يقعوا بك فى حقل آخر، فلازمت فتيات بوعز حتى انتهى الحصاد[١].

ثم قالت لها حماتها: اغتسلى وادهنى والبسى ثيابك وانزلى إلى بوعز، ولكن لا تعرفى عند الرجل حتى يفرغ من الأكل والشرب، ومتى اضطجع فاعلمى المكان الذى يضطجع فيه وادخلى واكشفى ناحية رجليه واضطجعى، وهو يخبرك بما تعملين، فنزلت راعوث وعملت ما أمرتها به حماتها، فأكل بوعز وشرب وطاب قلبه ودخل ليضطجع، فدخلت سرًا وكشفت ناحية رجليه واضطجعت، وكان عند انتصاف الليل أن الرجل اضطرب فإذا بامرأة عند رجليه، فقال: من أنت. قالت: أنا راعوث أمتك فابسط ذيل ثوبك على أمتك، فبسط عليها ذيل ثوبه وقال: مباركة أنت من الرب لأنك لم تسعى وراء الشبان، كل ما تقولين أفعل لك، اضطجعى حتى الصباح، واضطجعت عنده إلى الصباح، ثم قامت قبل أن يقدر الواحد على معرفة صاحبه، وأمرها ألا يعلم

---

(١) انظر: راعوث: الإصحاحين الأول والثانى.

أحد بمجيئها إليه، ثم قال لها هات الرداء الذى عليك وأمسكيه، فأمسكته، فاكتال ستة من الشعير ووضعها عليها ثم دخل المدينة، فجاءت راعوث إلى حماتها وأخبرتها بكل ما صنع لها الرجل، فقالت لها: اجلسى يا بنيتى حتى تعلمى كيف يقع الأمر، لأن الرجل لا يهدأ حتى يتمم الأمر اليوم»[١].

فليعرنى عاقل من أهل الكتاب عقله ليفسر لى ماذا يعنى أن تغتسل امرأة شابة كراعوث وتدهن وتتطيب وتذهب إلى رجل وتضطجع معه حتى الصباح تحت ثوبه؟ ولماذا يستكتمها الأمر؟ وهل يمكن أن تكون ستة الشعير التى اكتالها بوعز صبيحة مضاجعته للفتاة الموآبية راعوث زكاة؟

إنه ليس إلا أجر بغاء ودعارة درج عليها اليهود!!.

المطلب الثالث: السفر يحدد مقدار الزكاة

وفى سفر اللاويين -أيضًا- ثمة إشارة صريحة لمقدار الزكاة التى يجب على اليهودى إخراجها من أمواله، يقول السفر: «**وكل عشر الأرض من حبوب وأثمار الشجر فهو للرب، قدس للرب، وإن فك إنسان بعض عشره يزيد خمسه عليه، وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسًا للرب، لا يفحص أجيد هو أم ردئ ولا يبدله، وإن أبدله يكون هو وبديله قدسًا لا يفك**»[٢].

ومن هذا يعلم أن مقدار الزكاة هو العشر من كل المحاصيل والبهائم، والذى يراجع أسفار التوراة يجد أن فرض العشر فى موارد الإنسان قديم جدًا، ربما رجع إلى عهد إبراهيم عليه السلام الذى يحكى سفر التكوين أنه أعطى العشر من غنائمه التى غنمها فى حربه ضد الملوك لملكى صادق الكاهن[٣].

ويحكى السفر ذاته -أيضًا- أن يعقوب نذر أن يخرج العشر من كل ما يعطيه الرب من الرزق[٤].

المطلب الرابع: هل يجوز إخراج القيمة؟

قبل إثبات الحكم الذى قرره السفر لا بد من تقسيم العشور إلى قسمين:

١- عشور المحاصيل الزراعية من غلات وثمار.

---

(١) انظر: راعوث: الإصحاح الثالث.
(٢) اللاويين ٢٧: ٣٠-٣٣.
(٣) التكوين ١٤: ١٧-٢٠.
(٤) التكوين ٢٨: ٢٠-٢٢.

٢- عشور البهائم .

أما القسم الأول : فإن السفر ينص على أنه إذا أراد المزكى أن يفتدى العشر الواجب فى محاصيله ، بأن يخرج القيمة فله ذلك بشرط أن يزيد عليه خمسه - أى خمس العشر .

أما القسم الثانى : ينص السفر على أنه لا يجوز فيه إخراج القيمة ، وإن فكر المزكى أن يبدله بالقيمة أخرج العشر وقيمته ، لأنه يعتبر معارضًا لاختيار الرب للعشر الذى يخصه[(١)] .

المطلب الخامس : مصارف الزكاة فى اليهودية

يرى شراح العهد القديم أن مصارف الزكاة فى الشريعة الموسوية كانت محصورة فى مصرفين :

١] **الكهنة اللاويون** : وكان لهم عشر خاص ، لأنهم منقطعون لخدمة الرب ، وليس لهم ميراث فى إسرائيل ، كانوا يأكلون هذا العشر فى أى مكان . ففى سفر اللاويين : « **وكل عشر الأرض من حبوب وأثمار الشجر فهو للرب . . . وأما كل عشر البقر والغنم . . . قدسًا للرب**»[(٢)] .

ويوضح سفر العدد أن الأعشار التى ترفع للرب هى للاويين فيقول : « **إن عشور بنى إسرائيل التى يرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها للاويين نصيبًا**»[(٣)] .

٢] **الفقراء واليتامى والأرامل والغرباء** : وهؤلاء جميعًا كان يخصص لهم عشر من التسعة أعشار الباقية بعد عشر اللاويين ، لكى يأكلوا منه فى احتفالات جميلة مع اللاويين ، وقد كان على أصحاب الأعشار أن يحملوها إلى المكان الذى فيه بيت الرب ، أما إذا طالت المسافة عليهم وصعب حملها ، فلهم أن يبيعوها ويحملوا أثمانها ، ويشتروا ما يروق لهم من الطعام والشراب فى المكان الذى فيه بيت الرب[(٤)] .

ويتضح مما سبق عدة أمور :

أولاً : فداحة مقدار الزكاة بحيث يصبح عُشْرين من إجمالى المحاصيل والبهائم ،

---

(١) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص ٣٩٥ .

(٢) اللاويين ٢٧ : ٣٠-٣٢ . (٣) العدد ١٨ : ٢٤ .

(٤) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص ٣٩٣ .

وهذا شيء كثير يؤدى إلى ضرر أصحاب الأموال وضجرهم وتبرمهم بالتكاليف.

ثانيًا: أن الكهنة اللاويين كانوا يشاطرون فقراء الشعب أموال الزكاة مناصفة فلهم عشر، ولكل فقراء الشعب وأيتامه وأرامله وغربائه عشر.

ثالثا: أن اللاويين كانوا يشاركون الفقراء والمساكين فى العشر الخاص بهم.

وبناء على هذا امتلأت بطون الكهنة واكتظت، ونمت ثرواتهم نماءً فاحشًا، وشاع الفقر وكثر المتسولون فى بنى اسرائيل.

يقول ول ديوارنت عن الكهنة: «وكان هؤلاء طبقة مغلقة، لا يستطيع أحد أن ينتمى إليها إلا أبناء ليفى[١]، ولم يكن من حقهم أن يرثوا مالاً، ولكنهم كانوا معفيين من الضرائب وفرضة الرؤوس وسائر الإتاوات على اختلاف أنواعها، وكانوا يأخذون العشور . . . وينتفعون بما يبقى فى الهيكل من القرابين التى لم تستنفدها الآلهة، ونمت ثروة الكهنة بعد نفى اليهود بنمو المجتمع اليهودى الجديد، نموًا جعلهم أقوى من الملوك أنفسهم . . . ونشأ من هذه الأحوال انتشار الفاقة، واستغلال الأهلين فى إسرائيل»[٢].

ومن هنا يدرك القارىء الكريم أن الزكاة التى تحدث عنها سفر اللاويين -والتشريع اليهودى جملة- غير الزكاة التى فرضها الله سبحانه وتعالى ليتعبد بها الناس، ولتؤدى دورًا عظيمًا فى إحداث التكافل بين أفراد المجتمع، ولا سيما المجتمع الذى لا تزال أنشودته -على الدوام- أنه شعب الله المختار.

المطلب السادس: موقف النصرانية من الزكاة فى سفر اللاويين

لم تحدد النصرانية للزكاة مقدارًا معينًا، بل دعت إلى تقديم العشر من كل مال النصرانى، لكن ليس على سبيل الإلزام، يقول الأستاذ / نجيب جرجس:

«ليس لله العشر أو أكثر من العشر فى أيديهم فقط، وإنما حياتهم وأجسادهم وأرواحهم وكل ما لهم لله، وحياتهم مكرسة تكريسًا تامًا لمجده . . . وأمر العطاء إن كان من جهة

---

(١) ليفى: هو لاوى بن يعقوب.

(٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧ بتصرف، وانظر: د / محمود سلام زناتى: النظم الاجتماعية والقانونية عند العبريين والإغريق والفرس ص ١٥ ط دار النسر الذهبى - القاهرة ٢٠٠٠.

العشور أو غيرها متروك لضمير المؤمن التقى، وحسب طاقته وظروفه، وحسب ما يعمل فيه روح الرب»[(١)] .

كما دعت النصرانية إلى البعد عن الرياء فى الإنفاق، ولذلك يحكى متى عن المسيح قوله : « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس، الحق أقول لكم إنهم استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكى تكون صدقتك فى الخفاء»[(٢)] .

وقد غالت النصرانية فى الدعوة إلى الإنفاق، حتى إنها نادت بتبديد الأملاك، « . . إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى . . . إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السماوات، وأقول لكم أيضًا إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله»[(٣)] . وهذا كان رد فعل لبخل اليهودية التى لم تترك للفقراء إلا زوايا الحقل .

المطلب السابع : موقف الإسلام من الزكاة فى سفر اللاويين

لقد أخبر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى فرض على بنى إسرائيل الزكاة مع الصلاة بنفس الاسم، ولنفس الغرض، وأخذ عليهم العهد والميثاق أكثر من مرة أن يؤدوها .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[(٤)] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

---

(١) تفسير سفر اللاويين ص ٣٩٦، وانظر : الأنبا ألكسندرس إسكندر : الحياة الكهنوتية والرسولية ٦/ ٥٠ ط مطرانية أسيوط للأقباط الكاثوليك .

(٢) متى ٦ : ١-٤ .

(٣) متى ١٩ : ٢١-٢٤ .

(٤) سورة البقرة الآية (٨٣) .

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (١).

ولكنهم سرعان ما أهملوا تلك العهود والمواثيق الحقة، واستبدلوها بعهود من عند أنفسهم زعموا فيها أنهم -على عصيانهم- أبناء لله وأحباء له.

ثم عول الإسلام على إصلاح الخلل الذى أحدثه أحبار اليهودية وما حرفوه من نصوصها، حتى بدت فريضة مجهولة المعالم.

فبدأ أولاً فبين أنها حق معلوم واجب وليست منّة يمتن بها الغنى على الفقير، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ (٢).

وحينما كان النبى ﷺ يبعث الرجل من أصحابه إلى أى بلد ليعلمهم فرائض الإسلام يقول له: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»(٣).

وهذه الآية والحديث: الدلالة فيهما على وجوب الزكاة واضحة، والدلائل على وجوب الزكاة تجل عن الحصر قرآنًا وسنة.

ثم حدد الإسلام النصاب الذى إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة، وأنواع المال، والمقدار الذى يجب إخراجه فى كل نوع من أنواع المال.

ففى النقدين: (الذهب والفضة) بين أنه تجب الزكاة فيما بلغ عشرين دينارًا من الذهب، يخرج منه نصف دينار، وما زاد على العشرين دينارًا يؤخذ ربع عشره كذلك، لقوله ﷺ: «**ليس عليك شىء -يعنى فى الذهب- حتى يكون لك عشرون دينارًا، وحال عليها الحول، ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك**»(٤).

وتجب فيما بلغ مائتى درهم من الفضة، يخرج منها ربع العشر أيضًا وما زاد فبحسابه، لقوله ﷺ: «**صدقة الرقة (الفضة) من كل أربعين درهما: درهم، وليس فى**

---

(١) سورة المائدة الآية (١٢). (٢) سورة المعارج الآيتان (٢٤، ٢٥).

(٣) البخارى بشرح ابن حجر: ١٣٩٥ ك الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/ ٣٢٠.

(٤) سنن أبى داود ١٥٧٣ ك الزكاة، باب فى زكاة السائمة ٢/ ٢٣٠، وانظر: بداية المجتهد ١/ ٢٦٣، وانظر: مسائل الإمام أحمد برواية ابن عبد الله ص ١٦٠ تحقيق زهير الشاويش ط المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٨١م.

تسعين ومائة شيء فإذا ابلغت مائتين ففيها خمسة دراهم»[١]، وقال: «**ليس فيما دون خمس أواق صدقة**»[٢]، [٣].

ويلاحظ هنا أن اليهودية لم تقرر فى النقدين زكاة ولا صدقة.

وفى الزروع والثمار: بين أنها تجب فيما بلغ خمسة أوسق (والوسق ستون صاعًا) من الحنطة، والشعير والتمر والزبيب، لما ثبت أن النبى ﷺ لما بعث أصحابه لجمع الزكاة أمرهم ألا يأخذوا إلا من هذه الأربعة: «**الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب**»[٤].

يخرج نصف العشر إن سقى بآلة، والعشر كاملاً إن سقى بغير آلة، لقوله ﷺ: «**فيما سقت السماء العشر، وفيما سقى بالنضح نصف العشر**»[٥].

وهناك خلاف بين العلماء فى وجوب الزكاة فى غير هذه الأصناف الأربعة[٦]، ولعل النظر فى مصلحة الفقراء يرجح القول بإيجابها فى غير تلك الأصناف.

وفى البهائم: بين أنها تجب فى الإبل إذا بلغت خمسًا وحال عليها الحول، ففيها شاة، ففى الحديث عند البخارى: «**فى أربع وعشرين من الإبل فما دونها: من الغنم كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض**[٧] **أنثى، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمسين وأربعين أنثى ففيها بنت لبون**[٨] **أنثى، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة**[٩] **طروقة الجمل، فإذا بلغت - يعنى ستا وسبعين إلى**

---

(١) سنن أبى داود ٥٧٤ ك الزكاة، باب فى الزكاة السائمة ٢/ ٢٣٢، وانظر ابن رشد: بداية المجتهد ١/ ٢٦٢، مسائل الإمام أحمد ص ١٦٠.

(٢) البخارى بشرح ابن حجر ١٤٤٧ ك الزكاة، باب زكاة الورق ٣/ ٣٧٨.

(٣) فى الوقت الحالى يعد نصاب الذهب ٨٥ جرام عيار ٢١ أو ما يعادلها من الأوراق المالية.

(٤) سنن الدارقطنى كتاب الزكاة باب ما يجب فيه الزكاة من الحب ٢/ ٩٤، وانظر منار السبيل ١/ ١٨٩ للشيخ إبراهيم ضويان - المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٨٤ تحقيق زهير الشاويش، وانظر بداية المجتهد ١/ ٢٧٣، سائل الإمام أحمد ص١٦٧.

(٥) سنن الترمذى ٦٣٩ ك الزكاة، باب ما جاء فى الصدقة فيما يسقى بالأنهار وغيره ٣/ ٣١.

(٦) انظره فى: مغنى المحتاج ١/ ٢٨١، للشربينى ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٩٥٨م، منار السبيل ١/ ١٨٩، بداية المجتهد ١/ ٢٧٣، ٢٧٤.

(٧) بنت مخاض سميت بذلك لأن أمها تمخض بغيرها، وقد استكملت السنة ودخلت فى الثانية والمخاض هو قرب الولادة ووجعها. فتح البارى ٣/ ٣٩٠.

(٨) بنت لبون سميت بذلك لأن أمها بوضع الحمل صارت لبونًا أى ذات لبن، وهى من الإبل ما دخل فى ثالث سنة. فتح البارى ٣/ ٣٩٠.

(٩) حقة سميت بذلك لأنها استحقت أن يركب عليها ويطرق عليها الفحل لتحمل، وهى التى لها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة. فتح البارى ٣/ ٣٩٠.

تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة[(١)]، فإذا بلغت - يعنى ستًا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل، فإذا زادت على عشرين ومائة ففى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها»[(٢)].

وتجب فى الغنم إذا بلغت أربعين شاة، وفى الحديث: « . . . **فى صدقة الغنم . . . إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان، فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث، فإذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة»**[(٣)].

ويلحق بالغنم المعز فهما جنس واحد يضم أحدهما إلى الآخر بالإجماع كما قال ابن رشد، ويشترط فى الغنم مرور الحول أيضًا[(٤)].

وتجب فى البقر إذا بلغت ثلاثين، وحال عليها الحول ففيها تبيع[(٥)] أو تبيعة، فإذا بلغت أربعين ففيها مسنة[(٦)]، فإذا بلغت ستين ففيها تبيعان، فإذا بلغت سبعين ففيها مسنة وتبيع، فإذا بلغت ثمانين ففيها مسنتان، فإذا بلغت تسعين ففيها ثلاثة أتبعة، فإذا بلغت مائة ففيها مسنة وتبيعان، وفى العشرة والمائة مسنتان وتبيع، وفى العشرين والمائة ثلاث مسنات أو أربعة أتبعة، وما زاد ففى كل ثلاثين تبيع، وفى كل أربعين مسنة[(٧)]. ويلحق الجاموس بالبقر.

هذا ولا زكاة فى الخيل والبغال والحمير إلا إذا كانت للتجارة فإنها تعامل معاملة عروض التجارة كما سيأتى.

ولما كانت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان فإن الفقهاء المعاصرين نظروا إلى إتساع عملية الإنتاج الحيوانى على أنها تدر دخولاً وفيرة على أصحابها فهل

---

(١) جذعة: ما لها أربع سنين ودخلت فى الخامسة.

(٢) البخارى بشرح ابن حجر ١٤٥٤ ك الزكاة، باب زكاة الغنم ٣/ ٣٨٧.

(٣) البخارى بشرج ابن حجر ١٤٥٤ ك الزكاة، باب زكاة الغنم ٣/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) انظر: بداية المجتهد ١/ ٢٧٠، الشربينى الخطيب: مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ١/ ٣٧٤.

(٥) التبيع هو: ما له سنة ودخل فى الثانية وسمى بذلك لأنه يتبع أمه -انظر ابن قدامة: الشرح الكبير ١/ ٦٢٢

(٦) المسنة هى: التى لها سنتان. انظر السابق ١/ ٦٢٢.

(٧) انظر: إبراهيم بن محمد بن ضويان: منار السبيل فى شرح الدليل ١/ ١٨٦.

يحرم الفقراء من هذا الخير .

يقول الدكتور : يوسف القرضاوى :

إننا نعرف فى عصرنا حيوانات تتخذ للألبان خاصة وتدر دخلاً وفيرًا على أصحابها، ونعرف فى بعض البلاد دود القز الذى يربى على ورق التوت ونحوه، وينتج ثروة من الحرير الفاخر، ونعرف مزارع الدواجن التى تنتج كميات هائلة من البيض، أو تسمن للحم، ولم يعرف المسلمون فى عصر النبوة، وعصر الصحابة ومن بعدهم هذه الثروات النامية، ولهذا لم يصدروا فيها حكمًا، والجواب : أن ما لم تجب الزكاة فى أصله تجب فى نمائه وإنتاجه، وهذا يعنى قياس ألبان البقر ونحوها من المنتجات الحيوانية على عسل النحل، فإن كلا منها خارج من حيوان لم تجب الزكاة فى أصله، وهو قياس صحيح ولا معارض له فلا ينبغى العدول عنه»، فيؤخذ العشر من صافى إيرادها»[(١)] .

وفى عروض التجارة: بين أنها تأخذ نفس حكم زكاة النقدين فإذا بلغت قيمة الأشياء المعروضة للتجارة ما يعادل عشرين دينار من الذهب (٨٥ جرام حاليًا) يخرج منها ربع عشر القيمة، ويشترط فيه حولان الحول[(٢)] .

وفى هذا يقول رسول الله ﷺ: «**فى الإبل صدقتها وفى الغنم صدقتها وفى البقر صدقتها، وفى البز -الثياب- صدقته**»[(٣)] .

ثم حدد الإسلام مصارف الزكاة فى ثمانية مصارف جمعها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٤)] .

وفى الحديث: «**أن رجلاً أتى النبى ﷺ** فقال أعطنى من الصدقة، فقال: إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك»[(٥)] .

---

(١) د / يوسف القرضاوى: فقه الزكاة ١/ ٤٣٠، ٤٣١- بتصرف ط الرسالة -بيروت ١٩٨١م .

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد ص١٦٢، بداية المجتهد ١/ ٢٧٧ .

(٣) الإمام أحمد: المسند ٥/ ١٧٩ وهو عن أبى ذر .

(٤) سورة التوبة الآية (٦٠) .

(٥) سنن ابى داود ١٦٣٠ ك الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٢/ ٢٨١، ضعيف فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقى وقد تكلم فيه غير واحد .

والأصناف الثمانية هى :

١ ، ٢- **الفقراء والمساكين** : وهم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم .

٣- العاملون على جمع الزكاة وهم الذين يوليهم الإمام أو نائبه ويسمون الجباة .

٤- المؤلفة قلوبهم : وهم الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الإسلام أو تثبيتها عليه لضعف إسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين .

٥- وفى الرقاب : أى يعان المكاتبون لفك رقهم ، ويشترى منه العبيد ويعتقون .

٦- والغارمون : أى الذين تحملوا الديون فى إصلاح ذات البين وتعذر عليهم أداؤها يعطون من الزكاة ما بقى بديونهم .

٧- وفى سبيل الله : وهو الجهاد فى سبيل الله يعطى للمتطوعين للغزو ، ويلحق به بعض العلماء كل طريق موصل إلى مرضات الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل كل المصالح الشرعية العامة التى هى ملاك أمر الدين والدولة .

٨- وابن السبيل : وهو المسافر الذى انقطع عن بلده يعطى من الزكاة ما يعينه على تحقيق مقصده ، نظرًا لفقره العارض ، بشرط أن يكون سفر طاعة [(١)] .

ومن خلال هذا نرى أن الإسلام لم يجعل فى مصارف الزكاة آل بيت النبى ﷺ فإنها تحرم عليهم أصلاً ، ولا جعل علماء الدين كما رأينا سفر اللاويين وقد جعل للكهنة واللاويين عشرًا وللفقراء عشرًا ، وأشرك الكهنة مع الفقراء فى عشرهم .

كما يتضح أن الإسلام قد خفف من غلواء اليهودية التى أوجبت إخراج العشر كاملاً دون تفصيل مما يؤدى إلى الإجحاف بحقوق أصحاب الأموال .

أرأيت كيف جعل الإسلام فى النصاب بداية من ٤٠ إلى ١٢٠ شاة ، شاة واحدة فإذا بلغت مائتين أخرج شاتين ، بينما رأينا سفر اللاويين يجعل فى كل عشر شياه أو بقر واحدة «**وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسًا للرب**» [(٢)] .

وهذا يعنى أن المائتين من الغنم التى أوجب الإسلام فيها شاتين يوجب فيها سفر اللاويين عشرين شاة !!! .

كما أن الإسلام أجاز إخراج القيمة [(٣)] ، ولكن فى حالة إخراج القيمة لم يوجب أن

---

(١) بداية المجتهد ١/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، منار السبيل ١/ ٢٠٧ ، ٢١٠ .

(٢) سفر اللاويين ٢٧ : ٣١ .

(٣) انظر : بداية المجتهد ١/ ٢٧٧ .

يزيد على قيمته خمسًا ولا غيره - كما رأينا فى سفر اللاويين .

كما تجدر الإشارة إلى أن الإسلام رفض ما قرر سفر اللاويين من أنه لا ينظر -عند حصر الأموال لاستيفاء العشر- أجيد هو أم ردىء .

وقرر أن الله «**لا يقبل إلا الطيب**»[١] ونادى المؤمنين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[٢] .

وبرغم هذا التوجيه الباتر لكل جذور الشح فقد بين أنه يجب أن يحذر من أن يفجع أصحاب الأموال فى أموالهم، فكان يقول ﷺ لجباة الزكاة : « .. **وإياكم وكرائم أموالهم**»[٣] .

قال ابن حجر : « **فيه ترك أخذ خيار المال والنكتة فيه أن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا إذا رضوا هم بذلك**»[٤] .

وهذا بخلاف ما رأينا فى سفر اللاويين[٥] الذى يحكم بأن عشور البهائم لا يجوز فيها إخراج القيمة، وإن فكر اليهودى فى مجرد أن يعرض إخراج القمية يكون العشر المقرر وقيمته قدسًا للرب ! ! !

كما نظم الإسلام عملية صرف الزكاة تنظيمًا يحفظ للفقير والمسكين ماء وجهه، فجعل جباة يعينهم الإمام لجمع الزكاة[٦] وصبها فى بيت المال ثم يقوم بيت المال بتوزيعها على المستحقين كما أحصتهم الآية، وسمو الشريعة يظهر هنا فى أن هذا النظام يرفع الحرج عن الفقير فهو عندما يأخذ من بيت المال يأخذ بكل عزة وهو يعتقد يقينًا أنه يأخذ حقًا شرعه الله له .

وهذا بخلاف ما رأينا فى سفر اللاويين حيث نص على أن الفقراء يذهبون لالتقاط الفتات من زوايا الحقول، فى غاية الذلة والمهانة[٧] .

---

(١) جزء من حديث عند البخارى برقم ١٤١٠ ك الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب ٣/ ٣٤١ .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٦٧) .
(٣) البخارى بشرح ابن حجر ١٤٩٦ ك الزكاة، باب إذا تحولت الصدقة ٣/ ٤٣٦، وهو جزء من الحديث .
(٤) فتح البارى ٣/ ٤٣٩ .
(٥) انظر : ص من هذا البحث .
(٦) انظر : مسائل الإمام أحمد ص ١٥٢، وانظر : السرخسى : المبسوط ٢/ ١٦٢ ط دار المعرفة - بيروت ١٩٨٩م .
(٧) انظر ص١٩٧ من هذا البحث .

المبحث الرابع

الصوم فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على ستة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الصوم فى اليهودية .

المطلب الثانى : صفة صوم اليهود .

المطلب الثالث : حكمة مشروعية الصوم فى اليهودية .

المطلب الرابع : أشهر أصوام اليهود .

المطلب الخامس : ملاحظات على أصوام اليهود .

المطلب السادس : موقف الإسلام من أصوام اليهود .



المبحث الرابع

الصوم فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

إن الصوم عبادة روحية اختارها الله سبحانه وتعالى لعباده، يعلنون فيها بلسان الحال والمقال سمو إنسانيتهم الكريمة، التى تحررت من سلطان الغرائز والحيوانية والبهيمية، ودخلت فى عداد عباد الله الصالحين، أولى العزيمة فى الدين، والقوة على تحمل مشاق التكليف، فالصوم انطلاق روحى نحو الملأ الأعلى، تتربى فيه النفوس على الطاعة وترك التمرد والعصيان، ولأمر ما اقتضت حكمة العلى -الأجل- أن يكتب تلك العبادة على كل الأمم لتربيتهم على الطاعة، كما قال سبحانه وتعالى مخاطبًا الأمة الخاتمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

وفى هذا ما يشعر بوحدة الدين فى أصوله ومقاصده - أيضًا.

المطلب الأول: مفهوم الصوم فى اليهودية

كلمة «صوم» العربية تقابلها فى العبرية كلمة «تسوم» وتستخدم كلمة «تعنيت» مرادفًا لها(٢).

ولم يرد فى سفر اللاويين لفظ «الصوم» -ولا فى غيره من أسفار التوراة الخمسة- على أنه فريضة يتعبد بها، وكل ما ورد فى الأسفار الخمسة بعض نصوص قليلة تنحصر فى إطار مايسمى «تذليل النفس» أى قهرها، كالذى جاء فى سفر اللاويين «تذللون نفوسكم»(٣).

وفيه -أيضًا- **«يكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون»**(٤). وفيه: **« فتذللون نفوسكم فى تاسع الشهر -أى الشهر السابع- عند المساء من المساء إلى المساء»**(٥).

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).
(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢١٤.
(٣) اللاويين ٢٣: ٢٧.
(٤) اللاويين ١٦: ٢٩-٣١.
(٥) اللاويين ٢١: ٢٢.

أو ما جاء فى سفر الخروج يحكى صيام موسى عليه السلام عند تلقى ألواح التوراة، يقول: «**وكان هناك عند الرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماءً**»[(١)].

ومن هذه النصوص يتبين أن مفهوم الصوم عند اليهود هو:

الامتناع عن الطعام والشراب من المساء إلى المساء، لتذليل النفس وقهرها فى أيام مخصوصة تحددها الشريعة، اعترافًا بالخطايا والذنوب.

ولذلك فإن شراح التوراة يقولون عن الصوم وعلاقته بالخطيئة:

«**كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يبتدىء بالصوم، خصوصًا إذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية، فإذا ابتدأت بالصوم فى جهادك الروحى فقد أظهرت بغضتك للخطية، وصرت قريبًا من النصرة**»[(٢)].

المطلب الثانى: صفة صوم اليهود

ويزداد القارىء إدراكًا لحقيقة الصوم عند اليهود عندما يعرف صفته، وقبل أن أذكر صفة صوم اليهود من كتابهم، أود الإشارة إلى ما ذكره كتابنا الكريم عن صوم اليهود - والأمم السابقة - حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[(٣)].

ويرى القرطبى أن صفة الصوم الذى كان على اليهود، كالذى فرض علينا مع بعض الفارق فيقول:

«**التشبيه واقع على صفة الصوم الذى كان عليهم من منعهم من الأكل والشرب والنكاح، فإذا حان الإفطار فلا يفعل من هذه الأشياء من نام شيئًا... وقد كان فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله سبحانه وتعالى:** ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾»[(٤)].

وأما العهد القديم فقد وردت فيه مجموعة نصوص تبين منها صفة صوم اليهود:

فتحكى المزامير عن داود «... **أذلل بالصوم نفسى**»[(٥)].

---

(١) الخروج ٣٤: ٢٨.

(٢) د / لبيب مشرقى: التربية الدينية المسيحية ص ٣٠٢.

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٤) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٥٦ والآية رقم ١٨٧ من سورة البقرة، وانظر الماوردى النكت والعيون ١/ ١٨٠ ط دار الصفوة القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٥) المزامير ٣٥: ١٣.

ويحكى سفر نحميا أن بنى إسرائيل اجتمعوا فى عهد عزرا - لعيد المظال فصاموا وعليهم المسوح [١] : . . . . وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر -أى الشهر السابع- اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح» [٢] .

وفى سفر يونان [٣] : « فآمن أهل نينوى [٤] بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحًا من كبيرهم إلى صغيرهم» [٥] .

وفى سفر دانيال [٦] : « . . . . **أنا دانيال كنت ثلاثة أسابيع لم آكل طعامًا شهيًا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع»** [٧] .

ومن هذا يتضح أن صفة صوم اليهود تكاد تنحصر فى النقاط الآتية :

١- الامتناع عن الطعام والشراب من المساء إلى المساء .

٢- أن يلبس الصائم المسوح .

٣- أن يمتنع الصائم من الادهان والتطيب .

ولكن يبدو أن التعاليم التلمودية قد أدخلت على الصوم هيئات أخرى ، فكان اليهودى الصائم يمتنع عن لبس الأحذية الجلدية لمدة خمسة وعشرين ساعة ، من غروب الشمس فى اليوم السابق حتى غروبها فى يوم الصيام ، وكان اليهود فى الماضى -فى أثناء الصوم- يرتدون الخيش ، ويضعون الرماد على رءوسهم تعبيرًا عن الحزن ، ويتركون أيديهم غير مغسولة ، ثم يروحون يصرخون متضرعين باكين [٨] .

---

(١) المسوح : جمع مسح وهو ثوب يمسح بزيت بركة . انظر : القاموس المحيط ١/ ٢٥٨ مادة مسح .

(٢) نحميا ٩ : ١ .

(٣) يونان : اسم عبرى معناه حمامة ، وهو ابن أمتاى من سبط زبولون كان يسكن قريبًا من قرية الناصرة وكان موضوع نبوته إنقاذ بنى إسرائيل من ظلم الأراميين (السوريين) ، وكانت نبوته مطبوعة بطابع وطنى أدبى خلقى ، قاموس الكتاب المقدس ص١١٢٦ .

(٤) نينوى : عاصمة الإمبراطورية الآشورية ، وكانت تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، وقد بناها البابليون وكانت تسمى مدينة الدمار بسبب الحروب التى خاضها أهل نينوى مع الشعوب المجاورة ، قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٠ .

(٥) يونان ٣ : ٥ .

(٦) دانيال : اسم عبرى معناه قضى الله ، أحد الأنبياء الكبار ، ولد فى أورشليم وأسر إلى بابل مع ثلاثة آخرين بأمر نبوخذ نصر ، وعذب كثيرًا لتقواه حتى ألقى فى جب أسود ليكف عن الصلاة فلم ينقطع ، ويعتبر على يديه أطلق الشعب اليهودى فى عهد الملك الفارسى كورش . انظر قاموس الكتاب المقدس ٣٥٨ .

(٧) دانيال ١٠ : ٣ .

(٨) انظر : زكى شنودة : المجتمع اليهودى ص ٢١٤ ، موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢١٤ .

وهذا يخالف صفة الصوم الذى صامه موسى عليه السلام والذى حكت التوراة صفته، وليس فيه كل هذا الغلو فى إذلال النفس من التعرى أو ارتداء الخيش أو هيلان التراب والرماد على الرءوس أو ترك الأحذية الجلدية أو الامتناع عن النظافة .

وهذا يبين أن اليهود لم يفهموا روحانية الصوم، وأنه سر بين العبد وربه ولهذا نرى إشعياء[1] ينكر على اليهود صيامهم بتلك الطريقة التى تدعو للرياء، ويبين لهم أن الأصل فى الصوم أنه سر بين العبد وربه، وأن ما يصنعونه فى أيام صومهم غير مقبول تمامًا، فيقول سفر إشعياء وهو يحكى الأوامر الموجهة إليه :

« . . . أخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم . . . يسألوننى عن أحكام البر يسرون بالتقرب إلى الله، يقولون لماذا صمنا ولم تنظر، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ، ها إنكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون، ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون، ولتضربوا بلكمة الشر، لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء، أمثل هذا يكون صوم أختاره؟ يومًا يذلل الإنسان فيه نفسه يُخنِى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحًا ورمادًا، هل تسمى هذا صومًا ويومًا مقبولاً للرب؟» [2] .

ويبدو أن اليهود أيضًا لم يفهموا حقيقة الصوم وروحانيته بعد تحذير إشعياء لهم، حتى إن المسيح عندما بعث وأدرك اليهود يصومون بالطريقة السابقة، أنكر عليهم ووصفهم بالرياء والعبس، وحذر تلاميذه من مثل صنيع اليهود، فقال كما يحكى إنجيل متى :

«ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك، واغسل وجهك، لكى لا تظهر للناس صائمًا، بل لأبيك الذى فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية» [3] .

وقد شدد اليهود على أنفسهم فى الصوم فصنعوا ما صنعوا حتى قست القلوب، فمنهم من شدد على نفسه مبالغة فى الطاعة، ومنه من شدد رياءً أو سمعة، ومن هذا الغلو حذر نبى الإسلام ﷺ أمته فقال : **«لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قومًا**

(١) اسم عبرى معناه الرب يخلص، واسم أبيه آموص وقد كان إشعياء النبى معاصرًا للملك آحاز ملك يهوذا نحو ٧٣٦ قبل الميلاد، وقد اشتهر بالإصلاح الاجتماعى . قاموس الكتاب المقدس ٨١، ٨٢ .

(٢) إشعياء ٥٨ : ١-٦ .

(٣) إنجيل متى ٦ : ١٦-١٨ .

شددوا على أنفسهم فتلك بقاياهم فى الديارات والصوامع»[(١)] .

ولعل هذا الغلو الذى أحدثه اليهود فى صيامهم، أصبح لا يتمشى مع أدنى مدنيات العالم الآن، فدفعهم هذا إلى تعديل وتطوير العبادات والطقوس والشعائر من جديد.

يقول الأستاذ / عبد الوهاب محمد المسيرى :

«بدأ الإصلاح حين لاحظ كثير من قيادات اليهود انصراف الشباب تدريجيًا عن . . الشعائر اليهودية، بسبب جمودها، وأشكالها التى اعتبروها بدائية متخلفة، فأخذوا فى إدخال بعض التعديلات ذات الطابع الجمالى . . وأصبحت مسألة تحديث الدين اليهودى أو إصلاحه قضية أساسية فى كل الأوساط اليهودية للتوصل إلى صبغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة . . . ويلاحظ أن الشعائر التى اختارها الإصلاحيون ذات طابع احتفالى، ولا تتطلب مشقة كبيرة، كما يمكن تطويعها لتتفق مع إيقاع العصر»[(٢)] .

فأى عبادة تلك التى تطور وتعدل حسب الهوى والمزاج؟ وأى رب ذلك الذى يقبل هذا العبث على أنه عبادة؟

المطلب الثالث : حكمة مشروعية الصوم فى اليهودية

يوضح سفر اللاويين أن الغاية من الصوم، هى : قهر النفس، وإذلالها وكبح جماحها، إذ يقول فى الإصحاح الثالث والعشرين : « . . . **تذللون نفوسكم»** [(٣)]

ويوضح السفر -أيضًا- أن من حكم الصوم تكفير الخطايا والذنوب فيقول : «**ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم . . . لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم أمام الرب تطهرون»**[(٤)] .

وكذلك من حكمة الصوم فى اليهودية : السمو بالنفس روحيًا وتأهيلها للاتصال بالله سبحانه وتعالى فدائما يكون الاتصال من هذا النوع روحيًا، ولهذا نرى صيام موسى عليه السلام الذى حكته التوراة فى سفر الخروج يوضح هذا المعنى، إذ أنه بالصوم أصبح مؤهلاً للاتصال بربه ومناجاته، كما أنه بالصوم تبدو الإشراقات الروحية على الوجه، يقول سفر الخروج :

«وكان هناك عند الرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماء، فكتب

---

(١) سنن أبى داود ٤٩٠٤ ك الأدب، باب فى الحسد ٥/ ٢٠٩ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٠-٢٧٤ .

(٣) اللاويين ٢٣ : ٢٧ . (٤) اللاويين ١٦ : ٢٩، ٣٠ .

على اللوحين كلمات العهد . . . وكان لما نزل موسى من جبل سيناء، ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل، أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه، فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل وإذا جلد وجهه يلمع . . فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه فى جبل سيناء»[١] .

وهذا قريب من حكمته فى الإسلام، إذ حكمته فى الإسلام أنه وسيلة لحصول التقوى، لأن الصوم يجعل النفس تنقاد إلى مرضات الله سبحانه وتعالى وتخاف أليم عقابه بامتثال الأوامر، فأولى بها أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سببًا لاتقاء محارم الله، كما أن الصوم وسيلة إلى شكر النعم، فإن النعم إذا وجدت جهلت، وإذا فقدت عرفت، كما أن الصوم وسيلة للامتناع عن المعاصى لأن الصوم فيه قسر وقهر للنفس، وكبح لها فيما تجمح إليه من الشرور[٢] .

ولكن لما حدث أن غيَّرَ اليهود الحكمة من مشروعية الصوم وجعلوها ترتكز - فقط-حول محور الأحزان المتواصلة، وربطوها بالمناسبات القومية عندهم- لم يحصلوا الهدف المنشود من تشريع الصوم، حيث إن نفوسهم كانت إثر كل صوم تشحن بوابل من الشرور والحنق على كل أبناء العالم، ويزداد الأمر وضوحًا عندما نعرف أشهر أصوام اليهود .

المطلب الرابع : أشهر أصوام اليهود

لليهود جملة من الأصوام منها ما يزعمون أنهم أخذوه عن أنبيائهم، ومنها ما اخترعوه كمناسبات قومية على مر العصور، وسنقسم أصوام اليهود هنا على أقسام أربعة :

الأول : الأصوام الواردة فى سفر اللاويين :

لم يرد فى سفر اللاويين من الأصوام سوى صوم يوم الكفارة الذى تحدث عنه السفر فى الإصحاح السادس عشر : **« ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع عاشر الشهر تذللون نفوسكم، وكل عمل لا تعملون الوطنى والغريب النازل فى وسطكم،**

---

(١) الخروج ٣٤ : ٢٨-٣٢ .

(٢) انظر : د / محمد إسماعيل أبو الريش : الصيام فى الفقه الإسلامى ص١٨-١٠ مطبعة الأمانة - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٩م، د / يوسف القرضاوى : فقه الصيام ص١٠ ط دار الوفاء - المنصورة ١٩٩١م، ود / عبد الرازق نوفل : صوم رمضان ص٨٠-٨٣ - ط دار الجيل - القاهرة - الطبعة الأولى .

لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم أمام الرب»[١].

وفى الإصحاح الثالث والعشرين من السفر -نفسه- « . . . . **فهو يوم الكفارة** . . . . **يكون لكم تذللون نفوسكم . . عملاً ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم»** [٢].

ويسمى هذا الصوم -أيضًا- صوم يوم الغفران، لأنهم يزعمون أن فيه تغفر كل خطاياهم، ويكون فى العاشر من شهر «**تشرى** » الذى يوافق شهر أكتوبر من التقويم الميلادى.

ويبالغ اليهود فى المحافظة على صوم هذا اليوم، حتى أنه لو صادف يوم الغفران يوم سبت لصاموه، وهذا يخالف ما تقرر لديهم من أن أى يوم من أيام الصيام إذا وقع يوم سبت فإنه يؤجل إلى اليوم التالى [٣].

ولعل هذا التمسك راجع إلى ما ورد فى سفر اللاويين من تشديد العقوبة على من يترك صوم يوم الكفارة. إذ يقول فى الإصحاح الثالث والعشرين: «**إن كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عينه تقطع من شعبها»**[٤].

ويصاحب هذا الصوم مجموعة من الطقوس الأخرى سنذكرها عند الحديث عن عيد الكفارة - إن شاء الله.

الثانى: بعض الأصوام الواردة فى باقى أسفار اليهود

وقد ورد فى أسفار العهد القديم -علاوة على ما ورد فى سفر اللاويين- عدة أصوام، يزعم اليهود أنهم أخذوها عن الأنبياء، نذكر منها:

١] **الصوم الكبير**: ويكون هذا الصوم قبل عيد الفصح، ومدته أربعين يومًا، وقد صامه موسى [٥]، حينما خرج لتلقى ألواح التوراة فى المرة الثانية، وقد تحدث عنه سفر الخروج -كما أسلفنا- فى الإصحاح الرابع والثلاثين: « **وكان هناك عند الرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماء، فكتب على اللوحين كلمات العهد . . . .»**[٦].

---

(١) اللاويين ١٦ :٢٩، ٣٠.
(٢) اللاويين ٢٣ :٢٧، ٢٨.
(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢١٤.
(٤) اللاويين ٢٣: ٢٩.
(٥) انظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار ٢/ ١١٦.
(٦) الخروج ٣٤: ٢٨.

٢] **صوم عاشوراء**: ويكون فى اليوم العاشر من الشهر السابق وهو شهر (تشرى)، يقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا: « **ونقل أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع . . . ولعلهم كانوا يسمونه عاشوراء**»[(١)] . والحديث عنه فى سفر الخروج حديث طويل مصحوب بتسبيحات وترنيمات[(٢)] .

وإن صح هذا التحديد لذلك اليوم، فهو اليوم الذى صامه موسى عليه السلام شكرًا لله على نجاته وغرق فرعون وقومه، وقد ظل اليهود يحافظون على هذا الصوم حتى أدركهم الإسلام، وقدم رسول الله ﷺ الى المدينة فوجدهم يصومونه، وسألهم عن ذلك، فقالوا: «**هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**»[(٣)] .

ومما يرجح أن موعد هذا اليوم عند اليهود فى اليوم العاشر من الشهر السابع، هو أن يوم عاشوراء عندنا يكون فى عاشر شهر الله المحرم والمحرم فى السنة القمرية - العربية- هو أول الشهور، وتشرى الشهر السابع فى التقويم الدينى اليهودى، هو الشهر الأول فى التقويم المدنى الذى يقوم على الحساب القمرى - أيضًا .

٣] **صوم السابع عشر من تموز**

وتموز هو الشهر العاشر من التقويم المدنى، والرابع من التقويم الدينى، ويصوم فيه اليهود لمجموعة من الكوارث القومية عندهم، ومنها:

أ- أنه اليوم الذى حطم فيه موسى لوحى الشريعة: « . . . وحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يده وكسرهما فى أسفل الجبل»[(٤)] .

ب- وهو اليوم الذى دخل فيه نبوخذ نصر المدينة المقدسة«**أورشليم**»: «وفى السنة التاسعة لملكه فى الشهر العاشر . . . جاء نبوخذ نصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجًا حولها ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلاً من طريق الباب بين السورين . . وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم . . . . وجميع أسوار أورشليم مستديرًا هدمها كل جيوش الكلدانيين»[(٥)] .

---

(١) تفسير المنار ٢/ ١١٦ . (٢) انظر: الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج .
(٣) البخارى بشرح ابن حجر: ٢٠٠٤ ك الصيام، باب صيام يوم عاشوراء ٤/ ٣٠٠ .
(٤) الخروج ٣٢: ١٩ . (٥) الملوك الثانى ٢٥: ١-١٠ .

ج- وهو اليوم الذى أحرق فيه القائد الرومانى المدعو «بوستهوموس» التوراة فى أورشليم، وأقام تمثالاً فى هيكل اليهود مع علمه بأن ذلك محرم عندهم [١].

د- كذلك يجعلون هذا الصوم ذكرى لبداية مهاجمة «تيتوس» الرومانى لأورشليم بقصد إبادة اليهود من فلسطين سنة ٧٠ ميلادية [٢].

٤] صوم جداليا: [٣].

ويكون فى الثالث من شهر تشرى (الشهر السابع) الذى يوافق شهر أبريل. وهذا الصوم عبارة عن حداد على حاكم فلسطين الذى ذبح بعد هدم الهيكل، وقد جاء الحديث عنه فى سفر الملوك الثانى: « . . . **وفى الشهر السابع -تشرى- جاء إسماعيل بن نثينا من النسل الملكى وعشرة رجال معه وضربوا جداليا فمات وأيضًا اليهود والكلدانيين الذين معه، فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر**»[٤].

٥] صوم أستير: [٥].

ويكون فى الثالث عشر من آذار (الشهر الثانى عشر) فى التقويم الدينى السادس فى التقويم المدنى ويوافق شهر مارس فى التقويم الميلادى.

ويصومه اليهود تذكارًا لهم بأستير الفتاة اليهودية التى استطاعت أن تدخل تحت الملك الفارسى«أحشويروش»، وأن تمكن لقومها اليهود، وأن ترد عنهم كيد هامان وزير الملك«أحشويروش» الذى كان قد احتال على الملك ونزع خاتمه ليكتب كتابًا ينص على قتل كل اليهود وإبادتهم.

يقول السفر: «**وفى الشهر الثانى عشر أى شهر آذار فى الثالث عشر منه حين قرب كلام الملك وأمره من الإجراء فى اليوم الذى انتظر فيه أعداء اليهود أن يتسلطوا عليهم، فتحول ذلك حتى إن اليهود تسلطوا على مبغضيهم، اجتمع اليهود فى مدنهم فى كل بلاد الملك**

---

(١) انظر: د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص ١٩٠ .

(٢) السابق ص١٩٠ .

(٣) جداليا: اسم عبرى معناه يهوه عظيم وهو أحد المتنبئين بالعود والرباب، ضمن الموسيقيين الذين عينهم داود لخدمة بيت الرب . قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٣ .

(٤) الملوك الثانى ٢٥: ٢٥، ٢٦ .

(٥) أستير: اسم من أصل هندى قديم معناه امرأة صغيرة، وكان يطلق على أستير بنت أبيجا اليهودية الجملية من سبط بنيامين . انظر قاموس الكتاب المقدس ص٦٣ .

أحشويروش ليمدوا أيديهم إلى طالبى أذيتهم فلم يقف أحد قدامهم لأن رعبهم سقط على جميع الشعوب . . . فضرب اليهود أعداءهم ضربة سيف وقتل وهلاك ، وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا . . . ثم اجتمع اليهود الذين فى شوش فى اليوم الرابع عشر أيضًا من شهر آذار . . وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفًا ولكنهم لم يمدوا أيديهم إلى النهب . . . . واستراحوا فى اليوم الخامس عشر ، وجعلوه يوم شرب وفرح . . . وكتبت أستيرالملكة ومردخاى اليهودى . . . بإيجاب رسالة النوريم . . . كما أوجبوا على أنفسهم وعلى نسلهم أمور الأصوام وصراخهم . . . . »[1] . فأى صوم هذا ولمن ؟ إذا كان سفر أستير كله قد خلا من لفظ «الله » أو «الرب» فمن الذى افترض عليهم هذا الصوم؟

٦] صوم زكريا :[2] .

وهو صوم غريب يكاد يصل إلى نحو أربعة أشهر ، وهى الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر .

يقول سفر زكريا : **« هكذا قال رب الجنود إن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجًا وفرحًا . . . . »**[3] .

الثالث : الأصوام التى قررها الحاخامات :

وقد قرر الحاخامات صيام أيام أخرى إضافية ، من بينها :

١- صيام أسابيع الحداد الثلاثة ، بين السابع عشر من تموز والتاسع من آب (وهو الشهر الحادى عشر من التقويم المدنى والخامس من التقويم الدينى) . باعتبارها الفترة التى نهب الجنود الرومان أثناءها الهيكل والقدس .

٢- صيام أيام التكفير العشرة بين عيد رأس السنة ويوم الغفران ، وتسمى أيام التوبة .

٣- صيام أكبر عدد ممكن من الأيام فى شهر أيلول .

٤- صيام السابع من آذار باعتباره تاريخ موت موسى عليه السلام ، ويسمونه يوم الغفران الصغير .

---

(١) أستير ٩ : ١-٣٢ .

(٢) زكريا : هو زكريا ابن يهوياداع كان كاهنًا يهوديًا ، اشتهر بالاحترام والإكرام ، وهو نفسه الذى سماه المسيح زكريا ابن برخيا ، وهو معدود من الأنبياء الصغار بعد العودة من السبى البابلى . قاموس الكتاب المقدس ٤٢٨ .

(٣) زكريا ٨ : ١٩ .

٥- صيام الإثنين والخميس من كل أسبوع فهى الأيام التى تقرأ فيها التوراة فى المعبد[١].

الرابع: الأصوام الخاصة:

وإلى جانب ما مضى من الأصوام، فهناك بعض الأصوام التى يصومها اليهود فى مناسبات خاصة منها:

١- الصيام فى حالة موت الأبوين أو المعلم.

٢- صيام العريس والعروس يوم زفافهما.

٣- صيام من رأى كابوسًا فى نومه.

٤- الصيام إذا سقطت إحدى لفائف التوراة على الأرض، يجب على من شهد سقوطها.

٥- صوم أعضاء السنهدرين يوم إصدار حكم بالموت.

٦- صوم عيد استقلال إسرائيل[٢].

المطلب الخامس: ملاحظات على أصوام اليهود

ويلاحظ فى أصوام اليهود عدة ملاحظات منها:

١- الاختراع فى مجال العبادة، فأكثر الأصوام من اختراع الأحبار والكهان، إضافة إلى ما ذكرنا من الاختراع فى صفة الصوم، قديمًا ومحاولات الإصلاح والتعديل - فيه- حديثًا.

٢- أنها من الكثرة بحيث لو صامها اليهود لصاموا أكثر العام، وبالطبع هذا لا يكون من مشرع حكيم، بل هو من غلوهم وتشددهم فى مجال العبادة، الذى غالبًا -فى أكثر الأحوال- ما يئول بهم إلى الضجر وملل العبادة والتذمر منها، وربما نبذها على الإطلاق.

٣- أنها أصوام ترتبط غالبًا بأحزان إسرائيل، فكل ما ذكرنا من الأصوام مطبوع بطابع الحزن، إلا القليل النادر.

٤- أكثر أصوام اليهود ليس إلا مناسبات قومية، ومعلوم أنه لا دخل للقوميات فى مجال العبادة.

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢١٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ٥/ ٢١٤ .

٥- أنها عبادة خرقاء لس لها ثمرة، إذ أنه على كثرة هذه الأصوام لو تمسك بها اليهود لصاروا أتقى الناس، وأرقهم أفئدة، وهذا خلاف ما نرى من سيطرة الروح العدوانية على اليهود.

المطلب السادس: موقف الإسلام من الصوم فى اليهودية

جاء الإسلام فصحح العوج الذى أصاب عبادة الصوم من انحراف اليهود بها عن الغاية منها -كما أبنَّا ذلك- [١].

كما أن الإسلام رفع الحرج والمشقة عن العاجر. عن الصيام قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [٢].

وقد رأى النبى ﷺ فى السفر رجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا: صائم، فقال: ليس من البر الصيام فى السفر» [٣].

كما أن الإسلام نظر إلى الفطرة الإنسانية فخفف عنها فقد كان فى صوم اليهود لايجوز للرجل أن يقرب زوجته بعد إفطاره إلا فى فترة قصيرة جدًّا وهى من الغروب حتى يصلى العشاء أو ينام فإذا فعل ذلك وجب عليه الإمساك حتى غروب اليوم التالى فخفف ذلك فى الإسلام.

روى البخارى بسنده عن البراء بن عازب قال: « **لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله سبحانه وتعالى:** ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ﴾ [٤].

«**وكان رجل من الأنصار صائمًا وكان يومه ذلك يعمل فى أرضه فلما حضر أتى امرأته فقال هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عيناه فنام، وجاءت امرأته فلما رأته نائمًا قالت: خيبة لك أنمت؟ فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى ﷺ** فنزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ إلى قوله

---

(١) انظر ص من هذا البحث.

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٥).

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ١٩٤٦ ك الصوم، باب قول النبى لمن ظلل عليه واشتد عليه الحر ليس من البر الصوم فى السفر ٤/ ٢٢٦.

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٤٥٠٨ ك التفسير، باب أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم / ٢٢٥ والآية رقم ١٨٧ من سورة البقرة.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (١) .

كما أنه لا تنافى بين الصوم فى الإسلام وبين نظافة ظاهر الجسد، فقد كان النبى ﷺ يغتسل ويتوضأ ويستاك وهو صائم» (٢) .

نعم كره بعض العلماء وضع الطيب فى نهار الصوم، وربما كان ذلك لإشعار الصائم بالامتناع عن ترف العيش، ولكن ليس فيه شىء من الدعوة إلى القذارة ووضع التراب فوق الرءوس كما فى اليهودية .

كما أن الإسلام نظر إلى حكم التوراة على من ترك الصوم بالقتل فوجده غاية فى الشدة، وهذا مدعاة لادعاء الناس التدين والتعبد كذبا، وهو باطل فى مجال العبادة .

فحكم الإسلام على المفطر عمدًا -مقرًا بفرضيته- بالقضاء، وبالكفارة على خلاف بين العلماء فى إيجابها .

فبعضهم يرى وجوبها على المفطر عمدًا بجماع فقط، (٣) وبعضهم يرى وجوبها على كل مفطرًا عمدًا حتى ولو بطعام أو بشراب (٤)، والراجح أنها تجب على المفطر عمدًا بجماع فقط (٥) .

وهكذا ندرك مدى سماحة الإسلام ويسر منهجه فى عبادة الصوم، وتصحيحه للخلل والفساد الذى لحقها من جراء تحريف اليهود وميلهم نحو الفهم المادى وحرمانهم من اللذة الروحية للصوم .

---

(١) سنن أبى داود ٢٣١٤ ك الصوم، باب مبدأ فرض الصيام ٢/ ٢٩٥ .
(٢) انظر: فتح البارى ٤/ ١٨٨، ٤/ ١٩٣ .
(٣) مسائل الإمام أحمد ص١٩٠ .
(٤) السابق ص١٩٢، بداية المجتهد ١/ ٣١٣ .
(٥) بداية المجتهد ١/ ٣١٣، مغنى المحتاج ١/ ٤٤٣ .

المبحث الخامس

الحج فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحج عند اليهود فى سفر اللاويين.

المطلب الثانى: موقف الإسلام من عبادة الحج الواردة فى سفر اللاويين.

المبحث الخامس

الحج فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

المطلب الأول: الحج عند اليهود فى سفر اللاويين:

الحج فى معناه اللغوى -عمومًا- يفيد القصد والزيارة[١] .

وفى معناه الاصطلاحى : هو زيارة الأماكن المقدسة ، وتختلف مناسكه من شريعة إلى شريعة ، حيث إن كل شريعة لها مزاراتها ومقدساتها الخاصة .

وتوضح أسفار التوراة أن اليهود قد فرض عليهم الحج إلى القدس ثلاث مرات فى كل عام .

وترتبط تلك العبادة بأكبر ثلاثة أعياد عند اليهود ، وهى عيد الفصح ، وعيد الأسابيع ، وعيد المظال .

جاء فى سفر التثنية : **«ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره ، فى عيد الفطير ، وعيد الأسابيع وعيد المظال ، ولا يحضروا أمام الرب فارغين»** [٢] .

وقد كانت مناسك الحج عند اليهود تختلف من مرة إلى أخرى فى المرات الثلاث ، حسب ارتباطها بطقوس العيد الذى تكون فيه الحجة ، كما وضح ذلك سفر اللاويين .

والذى يراجع تاريخ العبادات اليهودية يجد أن اليهود لم يلتزموا فى حجهم بزيارة مكان معين -كما يلتزم المسلمون بزيارة البيت الحرام-

يقول صاحب موسوعة اليهود :

«وكان اليهود فى بادئ الأمر يحجون إلى مكان غير القدس يسمى «شيلوه»[٣] ولكن حينما دخل داود إلى القدس ، أصبحت القدس مكان العبادة اليسرائيلية والمكان الذى

---

(١) القاموس المحيط ١/ ١٨٨ ، مادة (حج) .

(٢) التثنية ١٦ : ١٦ .

(٣) شيلوه : اسم عبرى معناه : موضع الراحة ، وهى مدينة شمالى بيت إيل قريبًا من نابلس ، ويرجح أنها المسماة الآن سيلون ، تبعد عن أورشليم نحو ٧ أميال شمالاً ، يقال إنها خربت فى زمن القضاة ، قاموس الكتاب المقدس ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

يحج إليه أعضاء جماعة يسرائيل، وقد أسس ملوك المملكة الشمالية هيكلاً حتى لا يحج أحد من المملكة إلى القدس فى مملكة الجنوب . . . .»[١] .

وهذا بخلاف المقصود من عبادة الحج، وهو اجتماع الناس من بقاع مختلفة، وتعبدهم بالمجئ إلى هذا المكان، وهذا يدل على أن اليهود لم يفهموا تلك العبادة ولا المراد منها .

«وقد توقف الحج -عند اليهود- تمامًا بعد هدم الهيكل، ومع هذا استمر بعض اليهود فى الحج فى الأيام المذكورة، وخصوصًا فى عيد المظال، وقد بعثت فكرة الحج فى العصور الوسطى تحت تأثير القرائين، أما الآن فلا يؤدى فريضة الحج سوى المغالين فى التقوى والورع»[٢] فى شكل زيارة لحائط المبكى ونواح ودعاء وذكر عنده، أى أنه حج سياسى . . . . من أجل عودة القدس وبناء الهيكل[٣] .

المطب الثانى: موقف الإسلام من عبادة الحج الواردة فى سفر اللاويين

لقد فرض الحج على المسلمين إلى بيت الله الحرام، ولكنه مشروط بالاستطاعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٤]، وهو كذلك مرة واحدة فى العمر، ولذلك حين أخبر النبى ﷺ الأمة بفريضة الحج قال بعضهم: **« أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا، الحج مرة، فمن زاد على ذلك فهو تطوع»**[٥] .

ولم يؤثر أن الحج فى الإسلام تتغير مناسكه من سنة إلى سنة، بل لما يزال المسلمون وإلى يوم القيامة يؤدون نفس المناسك التى أداها صاحب الرسالة ﷺ ثم قال: **« خذوا عنى مناسككم»**[٦] .

كما أنه لم يثبت أن المسلمين فى حجهم يغيرون مكان الزيارة كأن يحجوا مرة إلى مكة ومرة إلى المدينة، لأنهم يعرفون أن الحج هو إتيان مكة بقصد الزيارة، ولم تتوقف عبادة الحج عند المسلمين حتى فى أحلك الظروف، وفى أقساها، وكل هذا يدل على مقدار الإنحراف الذى وقع فيه اليهود فى عبادة الحج .

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٤/ ١٦٦ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٤/ ١١٦ .

(٣) د / محمد يحيى: رحلتى من الكفر إلى الإيمان « قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص٦٠، ٦١

(٤) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

(٥) سنن أبى داود ١٧٢١، ك الحج، باب فرض الحج ٢/ ١٣٩ .

(٦) البيهقى: السنن الكبرى، ك الحج، باب الإيضاع فى وادى محسر ٥/ ١٢٥ . .

المبحث السادس

الأعياد فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأعياد فى اليهودية.

المطلب الثانى: أهمية الأعياد فى الحياة اليهودية.

المطلب الثالث: التقويم اليهودى.

المطلب الرابع: الأعياد حسب ترتيبها فى سفر اللاويين.

المطلب الخامس: هل من صلة بين أعياد اليهود فى سفر اللاويين والأعياد عند النصارى.

المطلب السادس: موقف الإسلام من الأعياد فى سفر اللاويين.

المبحث السادس

الأعياد فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: تعريف الأعياد فى اليهودية:

الأعياد تقابلها فى العبرية كلمة «حجيم» ومفردها «حج» ويقابلها -أيضًا- كلمة «موعيد» وجمعها «موعاديم» والأخيرة أوسع فى نطاقها الدلالى، فهى تشمل كل الأعياد اليهودية(١).

وسفر اللاويين -فى ترجمات العربية- يسمى الأعياد «**مواسم أو محافل مقدسة** » هذه مواسم الرب المحافل المقدسة التى تنادون بها فى أوقاتها» (٢).

فالأعياد: مواسم تدور مع السنة تحتفل بها طائفة من الناس يجمعهم عقيدة واحدة أو حياة مشتركة، وهو من عاد يعود بمعنى رجع واستدار(٣).

ويتضح مما سبق أن الأعياد التى يحتفل بها اليهود المفترض -حسبما ينص كتابهم- أنها محددة من قبل الرب بأوقاتها، ولكن برغم هذا فإن الكهنة لا يزالون يبتكرون أعيادًا وطقوسًا فى كل عصر.

المطلب الثانى: أهمية الأعياد فى الحياة اليهودية

لقد كان اليهود يقدسون الأعياد عندهم، ويجعلون لها فى قلوبهم مكانة سامية، إذ أنها تذكرهم بحوادث تاريخية تتجلى فيها محبة «يهوه» لشعبه المختار، وكذلك تذكرهم بإحسانه إليهم وبركاته الفياضة فى زرعهم وحصادهم، وتوجب عليهم مع فرحهم أن يتقربوا ويعبدوا الرب، ولا يحضروا إليه فارغين(٤).

وتتمثل أهمية الأعياد فى الحياة اليهودية فى قيامها بدور كبير فى دعم فكرة الشعب

---

(١) انظر: عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/ ٢٦٠- ط دار الشروق - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٢) اللاويين ٢٣: ٤.

(٣) أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى ٥/ ٥٨٣، مكتبة النهضة العربية بالقاهرة.

(٤) انظر: تفسير سفر اللاويين ص٢٨٨.

المختار، تلك الفكرة العنصرية التى لا يفتئون يدخلونها فى كل شىء، ويرتبون عليها كل شىء، فالأعياد تذكرهم بالخروج من مصر، وكيف عاش آباءوهم فى مظالم، وتملأ أنفسهم بحب الانتقام لا من الفرعون الذى أخرج أجدادهم من مصر وحده ولكن من العالم كله.

ولذلك فإن كلمة التهنئة بالعيد عندهم ظلت لفترة طويلة هى **«السنة القادمة فى أورشليم»**(١).

المطلب الثالث: التقويم اليهودى

لاشك أن الأعياد (المواسم والمحافل) ترتبط بأوقات معينة ومحددة، ويلزم لمعرفتها معرفة حساب التقويم اليهودى الذى يسيرون عليه.

والتقويم اليهودى تقويم معقد جدًّا، وسبب ذلك أن حساب الشهور تتبع الدورة القمرية (فالشهر إما ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا) وبذلك تصبح السنة ٣٥٤ يومًا، فى حين أن السنين تتبع الدورة الشمسية، ليستطيعوا الاحتفال بالأعياد الزراعية فى مواسمها، والفرق بين الحسابين أحد عشر يومًا، فكان لابد من تعويض هذا الفرق فى عدد الأيام ليتطابق الحسابان مرة كل عشرين عامًا، فأضافوا شهرًا مدته ثلاثون يومًا فى كل عام ثالث وسادس وثان وحادى عشر، ورابع عشر، وسابع عشر، وتاسع عشر من هذه الدورة العشرينية، لتصبح سنتهم الكبيسة مكونة من ثلاثة عشر شهرًا(٢).

ومن أسباب تعقيد التقويم اليهودى سبب شعائرى بحت فمثلاً لا يمكن أن يقع عيد يوم الغفران أو عيد رأس السنة قبل أو بعد يوم السبت، ولذلك فقد تؤجل بداية السنة عندهم يومًا أو يومين حسب الأحوال فتصبح السنة اليهودية العادية ٣٥٣، أو ٣٥٤، أو ٣٥٥ يومًا، أما السنة الكبيسة فيزاد عليها شهرًا كاملاً فتصبح ٣٨٣ يومًا أو ٣٨٤ يومًا أو ٣٨٥ يومًا(٣).

ولم يكن التقويم اليهودى فى بداية الأمر يحدد تاريخ السنة بشكل مستقر أو متعارف عليه، فكان حساب السنوات يتم بالرجوع إلى أحداث مهمة يسهل تذكرها كالخروج من مصر -مثلا- وفى نحو القرن الثالث الميلادى بدأ وضع التقويم اليهودى

---

(١) د. / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص ١٨٤.

(٢) انظر: د. / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص ١٦٣.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٥٧ بإيجاز يسير.

بالعودة إلى تاريخ الخلق الذى يختلف علماء التلمود فى تحديده، فيجعله بعضهم فى نيسان (أول الشهور)، ويجعله بعضهم فى تشرى (الشهر السابع)، وقد استقر الأمر على جعلة فى تشرى[١].

وترتيب شهور السنة العبرية كما يلى :

م	اسم الشهر	عدد أيامه	ما يقابله فى التقويم الميلادى
١	تشرى	٣٠	أكتوبر
٢	حشوان	٢٩ أو ٣٠	آخر أكتوبر - نوفمبر
٣	كسلو	٢٩ أو ٣٠	آخر نوفمبر - ديسمبر
٤	طبت	٢٩	آخر ديسمبر - يناير
٥	شباط	٣٠	آخر يناير - فبراير
٦	آذار	٢٩	آخر فبراير - مارس
٧	نيسان	٣٠	آخر مارس - أبريل
٨	آيار	٢٩	آخر أبريل - مايو
٩	سيوان	٣٠	آخر مايو - يونيه
١٠	تموز	٢٩	آخر يونيه - يوليه
١١	آب	٣٠	آخر يوليو - أغسطس
١٢	أيلول	٢٩	آخر آغسطس - سبتمبر

(١) المرجع السابق ٥/ ٢٥٧ .

وفى السنة الكبيسة التى يقحم فيها شهر آذار الثانى، يحسب آذار الأول ثلاثين يومًا، والثانى تسعة وعشرين يومًا[١].

وهذا الترتيب السالف يسمى بالتقويم المدنى، وهو مبنى على حادثة كونية هى بداية الخلق وعمران الأرض.

بينما نجد التقويم الدينى يجعل شهر نيسان أو شهور السنة العبرية، وهذا الترتيب الأخير مبنى على الأهمية الخاصة لشهر نيسان عند اليهود إذ كان فيه خروجهم من مصر، وترتب فيه السنة هكذا:

«نيسان - آيار - سيوان - تموز - آب - أيلول - تشرى - حشوان - كسلو - طبت - شباط - آذار»[٢].

وقد لاحظ عدد كبير من الباحثين فى اللغات الشرقية أن أسماء الشهور فى التقويم اليهودى أسماء بابلية، فتموز -مثلا- أحد الآلهة البابلية، وتشرى -أيضًا- بابلية تعنى البداية . . . وغير ذلك[٣].

وهذا يدل على أن اليهود لم يكونوا يومًا -ما- أصحاب حضارة مستقلة، بل هم دائما عالة على حضارات الأمم.

وهذا الترتيب الأخير للتقويم اليهودى هو الذى يرتب عليه اليهود الأعياد والأحداث الدينية عندهم.

المطلب الرابع: الأعياد حسب ترتيبها فى سفر اللاويين

لقد تحدث الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين عن أكثر الأعياد والمواسم اليهودية، وعن طقوسها وكيفية الاحتفال بها، وعن مواقيتها بالحساب العبرى.

وهى كما يلى:

١] يوم السبت: **«ستة أيام يعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس، عملاً ما لا تعملوا، إنه سبت للرب فى جميع مساكنكم»**[٤].

وفى هذا ينص السفر على أن السبت -وهو عيد أسبوعى- أول الأعياد المقدسة عند

(١) المرجع السابق ٥/ ٢٥٧.

(٢) د / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص١٦٣، ١٦٤.

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٥٧.

(٤) اللاويين ٢٣: ٢-٣.

اليهود، وترد أسفار التوراة سر تقديس هذا اليوم إلى أكثر من سبب، فسفر التكوين: يذكر أن الله خلق السماوات والأرض فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع وباركه[١]، ويضيف سفر التثنية سرًا آخر هو تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء «**احفظ يوم السبت وقدسه . . . لا تعمل فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك**»[٢].

وأيا كان سر التقديس ليوم السبت فإن مجموع الروايات يدل على أن الفكر والخيال قد جمح باليهود ليضعوا أنفسهم فى موضع الندية للخالق سبحانه وتعالى فظنوا أن الله عمل ثم استراح، والإنسان يعمل دوره فى الخلق ثم عليه أن يستريح[٣].

ومدة السبت عند اليهود تبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت[٤].

ويوضح سفر اللاويين أهم طقوس الاحتفال بيوم السبت: وهو الكف والامتناع عن العمل فيه «**عملاً ما لا تعملوا**».

وقد تفنن فقهاء اليهود فى تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا كل ما من شأنه أن يشعر بالسعى فى الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل مجهود، فى تحقيق هدف معين لذلك حرموا إيقاد نار يوم السبت، وإن كان أكثرهم قد أباح بقاء النار التى أشعلت قبل الدخول فى السبت والانتفاع بها يوم السبت نفسه[٥] . . . . . كذلك حرموا السفر فى هذا اليوم كتحريم ركوب الدواب قديمًا، وتحريم إيقاد النار التى تنطبق الوصية بها على وسائل المواصلات الحديثة، كالقطار والسيارة والباخرة والطيارة، التى تعتمد فى كل سيرها على النار . . . كذلك يحرم فى يوم السبت إنفاق النقود أو تسلمها فهذا كله عمل أساسه البيع والشراء أو أنواع مشابهة من الاكتساب والأخذ والعطاء بين الناس، ومما يحرم فى يوم السبت الكتابة لأنها فى عرفهم تكون لإبرام العقود، وعقد الاتفاقات ونحوها مما يدخل فى مفهوم الشغل، لذلك جرى

---

(١) التكوين ٢: ٢-٣ . (٢) التثنية ٥: ١٢-١٤ .

(٣) انظر: د / أحمد شلبى : اليهودية ص ٣٠٤ .

(٤) د / عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام ص٦٢ .

(٥) انظر: سفر الخروج ١٦: ٢٣ .

العرف على ألا يخرج اليهودى المتمسك بتعاليم السبت من بيته إلا وقد تأكد أن جيوبه ليس فيها أقلام ولا أوراق ولا نقود ولا كبريت، وأكثرهم يخرج إلى المعبد وليس معه إلا التوارة أو كتاب الصلوات، وبطبيعة الحال كان يحرم عقد الزواج يوم السبت لاحتياج ذلك إلى الكتابة، ودفع الأموال وقبضها فى إعداد الزفاف ونحو ذلك[١].

وحرم الفقهاء اليهود كذلك الحرب الهجومية فى يوم السبت، لكن إذا أعلن الكاهن اليهودى أن المعسكر الإسرائيلى، أو أن أهل هذه الملة فى خطر اعتبرت الحرب دفاعية، وجاز دورانها يوم السبت، ولذلك نلاحظ أن قادة إسرائيل فى الوقت الحاضر حريصون جدًّا على إظهار حروبهم أمام الرأى العام اليهودى والعالمى بشكل حروب دفاعية حتى يتخلصوا من مشاكل السبت وغيرها من مشاكل الحرب الهجومية[٢].

ولقداسة هذا العيد عند اليهود فإن التوراة تجعل القتل جزاءً لمن يخرق الاحتفال بعيد يوم السبت، فيقول سفر الخروج: «**كل من صنع عملاً فى يوم السبت يقتل قتلاً**»[٣].

ويحدد سفر العدد كيفية هذا القتل بأنه رجم بالحجارة حتى الموت فيحكى تنفيذ بنى إسرائيل هذا الحكم فى رجل وجد يحتطب يوم السبت فى عهد موسى النبى - فيقول:

«**ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطبًا فى يوم السبت، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبًا إلى موسى وهارون وكل الجماعة، فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به، فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة، ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى**»[٤].

ولكن برغم هذه التحذيرات الصارمة إلا أن اليهود -وهم شعب صلب الرقبة- كانوا كثيرى الاحتيال على شريعة السبت.

ولعل ما ذكرته التوراة من خبر الرجل الذى رجمه موسى يعتبر حالة فردية إلا أنه بتطاول الأمد عليهم، اجترأ كثير من بنى إسرائيل على شريعة السبت، حتى أنهم كانوا

---

(١) الفكر الدينى اليهودى ص١٦٧ -بتصرف- عن كتاب الصلوات للدكتور/ هلال فارحى اليهودى.
(٢) الفكر الدينى اليهودى ص١٦٧، عن كتاب الصلوات للدكتور هلال فارحى ص٢٥٠.
(٣) الخروج ٣١ : ١٥.
(٤) العدد ١٥ :٣٢-٣٦.

يذهبون إلى البحر فى يوم السبت -وكانت تكثر فيه الحيتان- فيربطونها ويدقون لها الأوتاد على الشاطىء فإذا كان اليوم الذى بعده أخذوها، فلما كثر اعتداؤهم عاقبهم الله بشر عقوبة فجعلهم قردة خاسئين(١).

فذاك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ (٢). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣).

وقد أكد مجموعة من الباحثين الغربيين أن اليهود فى العصور الحديثة قد تأثروا بثقافات المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها، وتجلت مظاهر هذا التأثير فى عدم تمسك اليهود بالتعاليم الدينية، فتخلت أعداد كبيرة من اليهود عن التعاليم الخاصة باحترام قداسة يوم السبت والانتظام فى أداء الصلوات، وعن دراسة اللغة العبرية(٤).

٢] عيد الفصح:

والفصح كلمة عربية يقابلها فى العبرية كلمة (بيساح) وهى تعنى العبور أو المرور أو التخطى(٥).

ويعتبر الفصح أول الأعياد السنوية عند اليهود، ويجب عليهم الاحتفال به مهما كان الأمر، وهو عبارة عن تذكار لليهود بخروج موسى عليه السلام ببنى إسرائيل من مصر ونجاتهم من بطش فرعون، ولذلك كان اليهود يطلقون عليه موسم الحرية، وكذلك عيد الربيع(٦)، أو عيد الفطير.

وقته: يحدد سفر اللاويين وقت عيد الفصح فيقول: «**فى الشهر الأول فى الرابع عشر من الشهر بين العشاءين فصح للرب، وفى اليوم الخامس عشر من الشهر عيد الفطير للرب**» (٧).

---

(١) انظر: سيد قطب فى ظلال القرآن ٣/ ١٣٨٤ ط دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٢م.
(٢) سورة المائدة الآية (٦٠). (٣) سورة الأعراف الآية (١٦٣).
(٤) انظر: صموئيل أتينجر: اليهود فى البلدان الاسلامية ص ٨٥، ترجمة د / جمال أحمد الرفاعى، سلسلة عالم المعرفة عدد مايو ١٩٩٥م.
(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٨.
(٦) انظر: د / حسن ظاظا الفكر الدينى اليهودى ص١٨٢.
(٧) اللاويين ٢٣: ٥-٦.

والشهر الأول فى التقويم الدينى لليهود -كما أسلفنا- هو شهر نيسان الذى يقابله فى التقويم الميلادى أواخر مارس وأكثر شهر أبريل، وقد كان هذا فى السنة الثانية لخروج موسى عليه السلام من مصر.

مدته: يشير سفر اللاويين إلى أن مدة عيد الفصح أو الفطير ثمانية أيام، فيقول: **«سبعة أيام تأكلون فطيرًا، فى اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس، عملاً ما من الشغل لا تعملوا، وسبعة أيام تقربون وقودًا للرب»**(١) وفى سفر الخروج يذكر أن مدة هذا العيد تقع بين يومى الرابع عشر، والحادى والعشرين من شهر نيسان، فيقول:

«فى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساءً تأكلون فطيرًا إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساءً، سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم»(٢).

ورغم أن سفر اللاويين -وغيره من أسفار التوراة- يحدد مدة هذا العيد، إلا أن فقهاء اليهود جعلوها تنقص يومًا لمن يختلفلون به فى فلسطين، ويقولون إن السبب فى هذا هو أن التقويم اليهودى لم يتم تحديده إلا فى زمن متأخر جدًّا بالنسبة لموسى، وخشى المشرعون اليهود من وقوع غلط أو اختلاف عند بُعد مكان إقامة اليهود بالنسبة لفلسطين، فكانوا يزيدون فى الأعياد الكبيرة يومًا من باب الاحتياط، ولكى يتسنى للحجاج المسافرين أن يصلوا إلى الأراضى المقدسة فى الموعد المحدد وكذلك لعدم التمكن من إبلاغ ظهور الهلال لأن الشهور اليهودية قمرية كما علمت(٣).

كيفية الاحتفال بعيد الفصح:

الواقع أن طقوس الاحتفال بعيد الفصح كثيرة ومعقدة جدًّا، ولعل سر ذلك هو تعدد المصادر التى أخذ عنها اليهود تلك الطقوس المختلفة، وهى كما يلى:

١- الاستعداد قبل العيد: يذكر سفر الخروج أن الرب كلم موسى وهارون وأمرهما أن يأمرا بنى إسرائيل بالاستعداد لعيد الفصح ابتداءً من اليوم العاشر من شهر نيسان، فيعدوا ذبائحهم وقرابينهم، **«وكلم الرب موسى وهارون... قائلاً..: كلما كل جماعة إسرائيل قائلين: فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت، وإن كان البيت صغيرًا عن أن يكون كفوًا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس... تكون لكم شاة صحيحة ذكرًا ابن سنة تأخذونه من الخرفان أو من المواعز،**

---

(١) اللاويين ٢٣: ٦-٨.
(٢) الخروج ١٢: ٨-١٩.
(٣) الفكر الدينى اليهودى ص١٨٢.

ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر»[١] .

ولعل تجهيز مثل هذه القرابين هو الذى حدا ببعض الباحثين فى الفكر اليهودى أن يسموا عيد الفصح بعيد الضحية اليهودى[٢] .

ومن خطوات الاستعداد -أيضًا- ما يصنع فى ليلة الرابع عشر التى يسمونها ليلة التفتيش عن الخميرة، حيث يتأكد اليهودى من خلو البيت تمامًا من وجود أى خميرة تصلح للخبز[٣] .

وسر امتناعهم عن أكل الخمير فى هذا العيد، هو أنه يذكرهم بخروج آبائهم من مصر فى عجلة، وكان عجينهم لا يزال فطيرًا لم يتخمر بعد، وفى هذا يقول سفر الخروج :

«فحل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم، فارتحل بنو إسرائيل، وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز ملة فطيرًا إذ كان لم يختمر»[٤] .

٢- بعد مرحلة الاستعداد تجد أن تعاليم التوراة توجب على اليهود أكل الفصح فى وضع طقسى معين، بحيث يبدأ اليهودى فى اليوم الرابع عشر بذبح الخروف، وهم يلبسون نعالهم، ويمسكون عصيهم، ويشدون الثياب على أحقائهم[٥]، ويأكلون بسرعة وعجلة، ولا يأكلون منه إلا مشويًا بالنار مع فطير لا خمير، يقول سفر الخروج :

« . . . ثم يذبحه كل جماعة إسرائيل . . . ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه، ولا تأكلوا منه نيئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماء بل مشويًا بالنار، رأسه مع أكراعه وجوفه، ولا تبقوا منه إلى الصباح، والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار، وهكذا تأكلونه أحقاءكم مشدودة، وأحذيتكم فى أرجلكم، وعصيكم فى أيديكم، وتأكلونه بعجلة هو فصح للرب»[٦] .

---

(١) الخروج ١٢ : ١-٦ .

(٢) انظر : د / حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ص١٨٤ .

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٨ . (٤) الخروج ١٢ : ٣٤-٣٩ .

(٥) الأحقاء : جمع حقو وهو الخصر، والخصر ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع، فشد الثياب على الأحقاء يعنى شدها على الوسط، وهذا يعنى أنهم كانوا فى حالة عرى إلا ما يستر العورة المغلظة فقط .

(٦) الخروج ١٢ : ٦-١١ .

وكان يصاحب هذا الاحتفال الطقسى صخب ورقص ولهو وغناء، وشرب خمر، وضرب بالآلات الموسيقية من المساء حتى الصباح فى فرح مقدس وتسلية بريئة كما[١] يقولون.

ويبدو أن هذا الاحتفال كان يفعله اليهود قبل السبى إلى بابل، حيث كانوا يجتمعون حول الهيكل، وأما بعد السبى فقد تغيرت طريقة الاحتفال بحيث يمكن أن تحتفل كل أسرة فى منزلها، فتجتمع الأسرة ومعها رئيسها، وكل فرد منها يبدأ فى شرب كأس من الخمر بعد أن يتلو عليه شيئًا من توراتهم، ثم يغسلون أيديهم جميعًا، ويضعون خروف الفصح على المائدة صحيحًا مشويًّا، وبجانبه الفطير وبعض الأعشاب المرة، وشيئًا من البلح والزبيب والخل، ويخلطون كل هذه الأشياء ببعضها ويطلقون على هذا الخليط اسم «الشاروسيت»[٢].

وكل هذا يرمز للحياة القاسية المريرة التى عاشها بنو إسرائيل قبل وإبان الخروج من مصر.

ثم يتم تناول هذه الأطعمة حسب نظام معين، فتغمس الأعشاب المرة فى هذا الخليط، ويكسر رغيف الفطير ويخبأ نصفه ليبحث الأطفال عنه، ولا يؤكل هذا النصف إلا بعد نهاية الوجبة، ثم يؤخذ كأساً من الخمر ويشرب، ويبدأ رئيس العائلة فيقص على أفراد أسرته حكاية الفصح وهو مضطجع على أريكته، ويأخذ القص شكل إجابة عن أسئلة يوجهها أطفال الأسرة[٣].

ثم يترنمون بصلاة يسمونها التهليل وهى تتضمن ما فى المزمورين ١١٣، ١١٤، ثم يشرب رئيس العائلة كأسًا ثالثة من الخمر يتلوها بصلاة، ثم يشرب كأسًا رابعة، ثم يترنم الجميع بباقى صلاة التهليل وهى تتضمن المزامير ١١٥-١١٨، ثم ينتهى الحفل بتبادل التهانى[٤].

جزاء من يأكل خميرًا فى أيام الفصح:

ينص سفر اللاويين على أنه لا يجوز أكل الخمير، بل كل الأكل يكون فطيرًا طوال

---

(١) انظر: د / أحمد سعد الدين البساطى: مقارنة بين الشريعتين اليهودية والاسلامية ص١٩٤ ط دار أبو المجد للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

(٢) انظر: زكى شنودة المجتمع اليهودى ص٢٧٣.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/٢٦٩.

(٤) زكى شنودة المجتمع اليهودى ص ٢٧٣.

أيام الفصح، فيقول:

«سبعة أيام تأكلون فطيرًا . . . . » [١].

ويوضح سفر الخروج أن من يأكل خميرًا فى الفصح يجب أن يقتل قتلاً، فيقول:

«إن كل من أكل مختمرًا تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل، الغريب مع مولود الأرض» [٢].

اليهود يمنعون عرب القدس من بيع الخمير فى أيام الفصح:

برغم هذه التعاليم التوارتية المشددة فى النهى عن أكل الخمير فى الفصح إلا أنه قد أقلق السلطات الدينية فى إسرائيل -فى العصر الحاضر- ما ترى من أن كثيرًا من اليهود لايحتفلون بالفصح إلا كمناسبة قومية، وهالهم ما رأوا من تهاون فى طقوس الفصح، وبخاصة خبز الفطير، حيث وجد عدد غير قليل من اليهود يتدافعون إلى المخابز العربية لشراء الخبز المخمر، مما اضطر وزارة الداخلية بالكنيست اليهودى -مؤخرًا- لإصدار قرار يمنع السكان العرب فى القدس من بيع الخبز والمأكولات الأخرى التى تحتوى على خميرة أثناء أسبوع عيد الفصح، باعتبار أن القدس بيت جماعة إسرائيل، وفى الآونة الأخيرة لجأت الحاخامات إلى حيلة شرعية حتى لا تكون هناك أى خميرة فى إسرائيل، فتباع أية خميرة فى إسرائيل لأحد العرب قبل عيد الفصح، ثم تشترى بعد العيد [٣].

الدماء البشرية من أهم طقوس الفصح:

يقرر سفر اللاويين حرمة أكل الدم على اليهودى، وحتى الغريب النازل عنده، ويحكم بالقتل على الذى يأكل دم الحيوان، ويبين أن الرب يغضب ويجعل وجهه ضده، فيقول: **« وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين فى وسطكم يأكل دمًا أجعل وجهى ضد النفس الآكلة الدم، وأقطعها من شعبها، لأن نفس الجسد هى فى الدم»** [٤].

ويقول شراح التوراة فى بيان الأسرار الإلهية فى تحريم الدم: **«حرم الدم احترامًا لحياة جميع الكائنات المرتبطة بدمها، كما أن فيه إقرار بأن الله وحده هو واهب الحياة، وأن**

---

(١) اللاويين ٢٣: ٦ .　　(٢) الخروج ١٢: ١٩ .

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٠ - بتصرف .

(٤) اللاويين ١٧: ١٠-١١ .

الإنسان ليس له سلطان على حياته أو على حياة غيره من الأحياء، كما أنه ينأى بشعبه عن أفعال الشعوب الوثنية التى كانت تسكب الدم للآلهة، أو تستعمله لأغراض أخرى خاطئة أو خرافية»[١].

وبرغم هذا الموقف -النبيل- لشريعة اليهود من الدم، فإنهم قد اعتادوا أن يخلطوا خبز الفطير فى عيد الفصح بدماء بشرية.

فمن أين أخذ اليهود هذه البدعة الوحشية وشريعتهم تحرم عليهم دماء الحيوانات؟

«**من المحتمل جدًا أن يكون جهلة اليهود فى «الجيتو»**[٢] فى جهات متفرقة من العالم بتأثير قرون طويلة من الاضطهاد والاحتقار والفقر والجهل والمرض والخوف، وبتوجيه خاطىء من بعض القادة الروحيين، الذين برعوا فى التأويلات والاستنباطات الغريبة من التوراة والتلمود والقبالة[٣] . . . وغيرها من الكتابات الصوفية الباطنية، من المحتمل جدًّا أن يكون هؤلاء الجهلة من اليهود قد أحدثوا هذه البدعة الوحشية، إشباعًا لما فى نفوسهم من حقد على أبناء الأمم الأخرى؟[٤].

ومن ذلك الشطط فى التأويل أنهم يرون كل الناس غير اليهود بمثابة حيوانات، ومن ثم يستحلون دمهم ويجعلونه قربة يتقربون بها لإلههم.

ولذلك نجد فى وثائقهم التلمودية ما ينص على هذا الفهم المنحرف:

«الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود. . . . والشعب المختار هم اليهود فقط أما باقى الشعوب فهم حيوانات. . ومن العدل أن يقتل اليهودى كل اممى لأنه بذلك يقرب قربانًا إلى الله»[٥].

وقد نقل عن أحد الكتاب اليهود: **«أن حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات، وهذا القتل يحب أن يتم بطريقة تشريعية، والذين لا يؤمنون**

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢١٠.

(٢) الجيتو: تعبير يطلق على مساكن وأحياء اليهود.

(٣) القبالاة: تعبير يطلق على اتجاهات التصوف والروحية فى ديانة اليهود، ويمتازون بالشطط الكثير فى تأويلاتهم وشروحهم. انظر الموسوعة ٥/ ١٦٣.

(٤) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص١٨٦، وانظر: د/ محمود سلام زناتى: مدخل تاريخى لدراسة حقوق الإنسان ص ١٠٨- القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٥) روهلنج: الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٥١ - بتصرف، وانظر: د/ محمود سلام زناتى: من طرائف العادات وغرائب المعتقدات ٢/ ٦٦- دار النسر الذهبى - القاهرة ٩٦.

بتعاليم الدين اليهودى، وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهها الأعظم» [١] .

ولهذا قلما يأتى الفصح -أو الفطير- إلا ويذكر لليهود وحشيتهم فى استنزاف دماء البشر بطريقة بشعة تأباها البشرية السوية فى أحط أطوارها .

وقد تتبع غير واحد من الباحثين سلسلة الجرائم اليهودية فى جانب الحصول على الدماء البشرية، للتحذير من خطر اليهودية عالميًا، فعلى سبيل المثال :

«**عنى الأستاذ/ أنولدلتر بجمع أهم ما يثبت من اقتراف اليهود لجرائم الذبح فى مختلف بلدان العالم منذ منتصف القرن الثانى عشر، وحتى العقد الثالث من القرن العشرين، ودونها فى كتاب نشر فى عام ١٩٣٨ تحت عنوان «طقوس الاغتيال اليهودية»** فذكر نحوا من ستين حادثًا تثبت الجريمة فى كثير منها بأدلة قاطعة، باعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء، وحكم فى بعضها على المجرمين بالإعدام ونفذ فيهم الحكم فعلاً[٢] .

وكتب -كذلك- الأستاذ / حبيب فارس -فى هذا الصدد- كتابًا طبع مرتين، المرة الأولى فى عام ١٨٩١م بعنوان «**صراخ البرئ من بوق الحرية والذبائح التلمودية**»، ثم نشر مرة أخرى فى القاهرة فى الستينيات بعنوان «**الذبائح البشرية التلمودية**»[٣] .

ولا تزال أمثال هذه الأبحاث محل ترصد من الصهيونية العالمية، لإخفائها عن صفحة العالم رأسًا - إن استطاعت .

وأرى أنه لا مجال -هنا- لذكر نماذج من الذبائح البشرية، ولكن -فقط- أكتفى بذكر بعض الطرائق الوحشية التى يتم بها استنزاف دم الضحية .

«**فأحيانًا يتم ذلك عن طريق ما يسمى البرميل الإبرى، وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل إبر حادة توضع فيه الضحية حية فتغرز هذه الإبر فى جسمها، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها، وتظل كذلك فى عذاب أليم حتى تفيض روحها، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل فى أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر فى نفوسهم من لذة وسرور وينحدر الدم فى قاع البرميل ثم يصب فى إناء معد لجمعه، وأحيانًا تقطع شرايين الضحية فى**

---

(١) د / إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود ص١٠٣ .

(٢) د / محمد أحمد دياب: أضواء على اليهودية ص١١٤ .

(٣) انظر: عبد العال الباقورى: العرب وإسرائيل وفلسطين ص ٧٧ - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ١٩٩٨م .

عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها، وأحيانًا تذبح الضحية كما تذبح الشاة ويؤخذ دمها»[(١)] .

وبالطبع كان هذا الطقس الإجرامى يسبب لليهود مشاكل ويعرض أحياءهم للقتل والتنكيل بمجرد اختفاء شخص من مجتمع غير يهودى، فى فترة عيد الفصح[(٢)] .

وفى الآونة الأخيرة آثر اليهود أن يستغلوا ظروف الحروب التى يشعلونها -دائمًا- فى حل مشكلة الحصول على الدماء البشرية اللازمة لتلك الطقوس الدينية، وذلك بخطف أسرى الحروب وضحاياها لاستنزاف دمائهم دون إثارة متاعب أو مشاكل لهم، كما أن تقدم الكيمياء سهل لليهود أسباب حفظ تلك الدماء لوقت طويل[(٣)] .

ولعل القارئ الكريم يدرك من التقارير العالمية عن المذابح اليهودية، والتى غالبًا ما توافق احتفالاتهم بعيد الفصح - أن هذه المذابح ليست إلا وسيلة للحصول على الدماء البشرية.

فمثلاً: مذبحة دير ياسين[(٤)] التى كانت فى ٩ أبريل ١٩٤٨م، والتى قتل فيها نحوًا من ٢٥٠ إنسان، أطفالاً ونساءً وشيوخًا، قطعت أوصال بعضهم، وبقرت بطون البعض الآخر . . . وألقى بجثث مائة وخمسين منهم فى بئر، ولم يخجل اليهود فى بلاغاتهم الرسمية من أنهم قتلوا أكثر من ٢٠٠ من العرب نصفهم من النساء والأطفال[(٥)] .

ومن تقارير البوليس البريطانى عن مذبحة دير ياسين: «**أنهم قد عثروا فى حيفا**[(٦)] على عدد كبير من الشبان العرب قتلى، وقد ذبحوا ذبح الشياه -وقد عرفت أن الذبح بهذا الوضع من طرائق الحصول على الدم- ومثل بجثثهم أشنع التمثيل[(٧)] . وكذلك

---

(١) انظر: مصطفى السعدنى: أضواء على الصهيونية ص١٢٣- ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة، أ / محمد الغزالى: الاستعمار أحقاد وأطماع ص ١٧٥ ط دار الكتب الإسلامية القاهرة ١٩٨٣م .

(٢) د / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص ١٨٥ .

(٣) مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص١٠٦، - بتصرف- ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة - ١٩٧١م، وانظر: أضواء على اليهودية ص ١٢٤ .

(٤) دير ياسين : قرية تقع فى ضواحى القدس .

(٥) انظر: اللواء/ عبد المنصف محمود: اليهود والجريمة ص٧٤، ٧٥ - القاهرة ١٩٦٧م .

(٦) حيفا: اسم مدينة قديمة فى فلسطين .

(٧) اليهود والجريمة ص٧٧ .

عثر على عشرات من الشبان العرب فى طريق بئر السبع ملئ برءوس ممثل بأجسادهم[١].

ومما يؤكد أن قتلى تلك المذابح استنزفت دماؤهم، أن هذه المذبحة هزت العالم المتمدن فأهاب بجمعية الصليب الأحمر الدولى أن تطلعه على الحقيقة، فطلب مندوبها السيد جاك ويجنيبر من الوكالة اليهودية أن تسمح له بزيارة مكان المذبحة، فحيل بينه وبين ذلك، وعوقت زيارته يومًا كاملاً، حاول خلاله الوحوش اليهود أن يزيلوا آثار الجريمة، فجمعوا ما استطاعوا من جثث وأشلاء الضحايا وألقوها فى بئر القرية كى لا يعثر ممثل الصليب الأحمر على شيء، ولكنه عثر على البئر، ولم يستطع التعبير عن رعبه وهلعه واشمئزازه مما رأى إلا بقوله: لقد كان الوضع مروعًا»[٢].

ولا تنسى كذلك مذبحة «قانا»[٣] التى كانت فى ٢٢ أبريل ١٩م، وهكذا باسم التوراة والشريعة تراق دماء البشر لينال اليهود الرضا من «يهوه» المتعطش للدماء.

٣] عيد الباكورة:

معنى الباكورة:

يقال بكر بكورًا خرج أول النهار، وابتكر الفاكهة إذا أخذ أول باكورتها: والباكورة أول ما يدرك من الثمر[٤]. ويسمى فى اللغة العبرية «بكوريم»[٥].

وهو عيد استقبال الغلات الزراعية عند اليهود.

وقته: يحتفل اليهود بعيد الباكورة فى شهر أبيب الذى يوافق بوادر حصاد الشعير لأنه كان ينضج قبل الغلات الأخرى، ويكون فى خلال أيام الفطير -أو الفصح- السبعة، وعلى هذا فإنه يحدث تداخل فى وقت عيدى الفصح والباكورة[٦]. وهو يوافق أوائل شهر أبريل.

---

(١) السابق ص ٧٨، وبئر سبع: هو اسم مدينة تقع على الحد الجنوبى من أرض كنعان، وسميت بهذا لأن إبراهيم أعطى أبيمالك سبع نعاج شهادة على حفرها، وهى بنفس الاسم إلى الآن فى أرض فلسطين. قاموس الكتاب المقدس ١٥٠.

(٢) اليهود والجريمة ص٧٨ -بتصرف-.

(٣) قانا: اسم عبرى معناه: موضع القصب تبعد على نحو ٦ أميال من مدينة صور، ولها تاريخ عريق، قاموس الكتاب المقدس ص٧١٠.

(٤) القاموس المحيط ١/ ٣٩١، مادة (بكرة).

(٥) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٣.

(٦) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٩٤.

وإذا كان الأمر -كذلك- واضحًا من تداخل وقت العيدين، وأن عيد الباكورة لا يزيد على أن يكون شعيرة، أو طقسًا من طقوس عيد الفصح -أو الفطير- فما السر الذى جعل شيوخ اليهود ومشرعيهم يجعلون هذا عيدًا وهذا عيدًا؟

إن السر فى ذلك هو محاولة المشرع اليهودى -دائمًا- اختراع البنود ليرتب عليها أمور القرابين التى لا يستفيد منها أحد -حتى ولا يهوه رب إسرائيل- إلا هو فقط.

متى فرض هذا العيد على اليهود:

يوضح سفر اللاويين أن عيد الباكورة قد فرض على اليهود فى وقت مبكر من تاريخ الشريعة الموسوية إذ يقول السفر: « **وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: متى جئتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم، وحصدتم حصيدها، تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن . . . .** »[(١)].

وهذا يشير إلى أنه فرض عليهم فى برية سيناء، ولما لم يكن بإمكانهم أن يزرعوا فى سيناء أجل هذا العيد إلى ما بعد دخولهم الأرض التى وعدهم بها الرب فى فلسطين (كنعان).

والواقع أنه ليس مما فرضته عليهم الشريعة الموسوية -أصلاً- لا فى الصحراء، ولا حتى بعد دخول الأرض المقدسة، بل ليس هو إلا عيد من الأعياد الرعوية التى يرجع أصلها إلى العبادات الزراعية التى كانت شائعة فى ديانة السلافيين[(٢)]. القدماء[(٣)].

وهذا يعنى أن اليهود قد أخذوا هذا العيد عن غيرهم من القبائل المنتشرة فى شرق آسيا، كعادتهم فى أخذ العقائد والعادات.

قرابين هذا العيد:

يلزم فى هذا العيد عدة قرابين، يوضحها سفر اللاويين فيقول:

« . . . **تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن. . . . وتعملون. . . . خروفًا صحيحًا**

---

(١) اللاويين ٢٣: ٩، ١٠.

(٢) السلافيين هم: أمم كثيرة تتكلم لغة واحدة وكان يطلق عليهم السرامطة وصلوا أوربا قبل العهد المسيحى بقرون كثيرة وكانوا يدينون بالوثنية ويقولون بإلهين أبيض وأسود. انظر: البستانى: دائرة المعارف ٩/ ٧٤٢، ٧٤٣ مادة (صقلب).

(٣) انظر: أ. توكاريف: الأديان فى تاريخ شهوب العالم ص ٢٢٤، ترجمة د / أحمد فاضل - مطبعة الأهالى للطبع والنشر والتوزيع - سورية - الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

حوليًا محرقة للرب، وتقدمته عُشْرين من دقيق ملتوت بزيت. وقودًا للرب رائحة سرور، وسكيبه ربع الهين من الخمر . . . . .»[١].

ويمكن تعديدها كما يلى :

١- حزمة الشعير -أو الحصيد- التى يرددها الكاهن فى هيئة فريك مشوى[٢].

٢- ذبيحة محرقة عبارة عن خروف حولى -أى ابن سنة- صحيح.

٣- تقدمة طعامية مع الخروف وهى عُشران من الدقيق الملتوت بالزيت، وشىء من الخمر يسكب على التقدمة الطعامية.

تناقض السفر بشأن تقدمة هذا العيد :

يلاحظ أن سفر اللاويين قد بين أن وقت عيد الباكورة متداخل مع عيد الفصح، وقد عرفنا فى عيد الفصح أنه لا يجوز أكل أى طعام فيه خمير سبعة أيام الفصح، غير أنا نجد السفر يجيز تقديم الخمير مع باكورات أوائل الأثمار، إذ يقول : « **كل التقدمات التى تقربونها للرب لا تصنع خميرًا، لأن كل خمير وكل عسل لا توقدوا منها وقودًا للرب، قربان أوائل تقربونها للرب، لكن على المذبح لا يصعدان لرائحة سرور»**[٣].

ورغم وضوح النص فى الدلالة على جواز تقديم الخمير مع باكورات الثمار والغلات فى عيد الباكورة، أنقل كلامًا لأحد شراح التوراة فى التعقيب على هذه النقطة يقول :

«كان لا يجوز تقديم الخبز المختمر والعسل إلا مع باكورات أوائل الأثمار، ولكن كان لا يجوز أن يوقد منها على المذبح، بل يكونان من نصيب الكهنة . . . .»[٤].

فكيف ساغ لحملة الشريعة الذين يحرمون أكل الخمير على عامة الشعب فى الفصح، ويحكمون بقطع النفس (الموت) على من يأكل خميرًا فى أيام الفصح، سواء كان إسرائيلى أو غير إسرائيلى ما دام يقيم فى أرضهم؟

وربما زعموا أنهم كانوا سيحتفظون بهذا الخمير إلى ما بعد أيام الفصح !!!، ولكن أقول : أليس قد علمت أن أول طقوس الفصح ليلة تسمى ليلة التفتيش، يفتش فيها اليهودى ليتأكد من خلو بيته من الخمير؟ ، فكيف يجوز أن يوجد الخمير فى المعبد أو خيمة الاجتماع؟

---

(١) اللاويين ٢٣ : ١٠-١٣ .

(٢) انظر : سفر اللاويين ٢ : ١٤ .

(٣) اللاويين ٢ : ١١، ١٢ .

(٤) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٧ .

السفر يحرم على المزارعين الأكل من باكوراتهم:

إن مما يدعو للعجب فى أمر عيد الباكورة هو أن المزارع المسكين الذى يمضى سنته الزراعية فى شقاء وعناء، يكابد رطوبة الماء وآفات الأرض ويجر المحاريث مع الأبقار فى سبيل رعاية المحصول، كيف تحرمه الشريعة من أول قطفات ثماره، وتبيحها للكهنة بحجة أنها للرب؟

يقول سفر اللاويين: « **وخبزًا وفريكًا وسويقًا لا تأكلوا إلى هذا اليوم عينه إلى أن تأتوا بقربان إلهكم فريضة دهرية فى جميع أجيالكم فى جميع مساكنكم**»[١] .

يقول الأستاذ/ نجيب جرجس: « **كان لا يسوغ لهم أن يأكلوا من غلة العام الجديد فى أية صورة، خبزًا أو فريكًا أو سويقًا أو غيرها إلا بعد أن يقدموا حزمة الباكورة للرب . . . .**»[٢] .

إن النفس الإنسانية قد فطرت على الاشتياق لتحصيل ثمرة العمل والجهد، فكيف يتعبد المشرع الناس بأمور هى مضادة للفطرة الإنسانية؟

وهذا يدلك على أن هذه العبادات والشرائع ليست من لدن الخالق الحكيم.

أين هذا من التشريع الحكيم الذى يراعى الفطرة الإنسانية، فيقول للقائم على أمر التشريع أن إذا أخذت قرابينهم -صدقاتهم- فإياك وكرائم أموالهم[٣]؟ .

طريقة الاحتفال بعيد الباكورة:

كان فريق من شيوخ اليهود ومن مجمع السنهدريم يتوزعون فى الحقول المجاورة لأورشليم ومعهم مناجلهم، فيجمعون السنابل بعد غروب الشمس من اليوم السابق للفصح، فى مظهر شعبى بهيج بين هتافات الفلاحين وتهليلهم، وكان كل شيخ يسأل ثلاث دفعات: هل غربت الشمس؟ فيجاوبه الشعب: نعم، ويسأل -أيضًا- أهذا المنجل، أهذا السبت؟ ويجيبونه: نعم، فيحصدون ويجمعون، ثم يذهبون بالباكورة إلى الهيكل، فيتجهز فى صورة فريك يشوى بالنار، ثم يجرش، وينخل الدقيق بثلاثة عشرة منخلاً كل منها يعطى دقيقًا أنعم، ويفرغ الكاهن الزيت يلت به الدقيق، ويوقد ملء قبضته على المذبح، والباقى يكون له مع رفاقه، ثم يذبح خروف المحرقة،

---

(١) اللاويين ٢٣: ١٤ .   (٢) تفسير سفر اللاويين ص٢٩٦ .

(٣) إشارة إلى الحديث الذى رواه البخارى فى ك الزكاة، باب إذا تحولت الصدقة ٣/ ٤٣٦ .

ويصعد على المذبح ويوقد لرائحة سرور الرب ورضاه[١].

ولست -أيها القارئ الكريم- بعد هذه الصورة - فى حاجة للتعقيب على بداوة أمة اليهود، ومعرفة أنهم ناقلون لتلك الطقوس عن شعوب وثنية.

٤] عيد الأسابيع

ويشار إليه فى العبرية بكلمة «**شفوعوت**» أى الأسابيع، وسر تسميته بهذا أنه يأتى بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، وكان يهود مصر الذين لا يعرفونه يسمونه باليونانية «بتيكوست» أى الخمسين، لأنه كان يقع بعد مرور تسعة وأربعين يومًا من اليوم الذى يقدم فيه الفلاحون اليهود أوائل الثمار إلى الكهنة فى الهيكل[٢].

ويسمى -أيضًا- عيد الحصاد، وذلك لأنه يأتى بعد الانتهاء من حصاد القمح ومحاصيل الشتاء[٣].

وقته: يقع هذا العيد فى يومين هما السادس والسابع من شهر سيوان (وهو الشهر التاسع من التقويم المدنى، الثالث من التقويم الدينى) ويقابل يومى ٩، ١٠ من يونيه[٤].

يقول سفر اللاويين فى تحديد وقت عيد الأسابيع: «**ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم إتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة، إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يومًا**»[٥]، [٦].

مناسبة عيد الأسابيع

يحتفل اليهود بعيد الأسابيع لأكثر من مناسبة منها:

أولاً: مناسبة حصاد القمح وباقى الغلات الزراعية، وذلك كالشكر للإله على النعم

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٢٩٤، ٢٩٥.
(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٣.
(٣) المجتمع اليهودى ص٢٧٣.
(٤) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٣.
(٥) اللاويين ٢٣: ١٥، ١٦.
(٦) بطريقة حسابية أوضح نقول: إن إتيان الفلاحين بالباكورة أو حزمة الترديد (الذى أشارت إليه الفقرة التى فى المتن) يكون فى يوم ١٤ نيسان (الذى فيه الفصح) فإذا حسبنا ما تبقى من شهر نيسان بعد الرابع عشر وجدناه ١٦ يومًا، يضاف إليها ٢٩ يومًا (هى شهر آيار)، ثم خمسة أيام من شهر سيوان فيكون المجموع ٥٠ يومًا وفى صبيحة السادس من سيوان يكون أول عيد الأسابيع.

التى يجود بها من ماء وزروع وغير ذلك[١] .

ولعل ما أشار إليه مؤرخ العقائد الأوربى -جيمس هنرى بريستد- من أن حضارة المصريين القدماء وبردياتهم تحوى احتفالات للفلاحين المصريين تشبه احتفال اليهود بعيد الحصاد، إذ نجد فى أناشيد القدماء المصريين وصلواتهم إلى الإله رع -إله الشمس- يقولون :

«سلام لك يا رع يا رب الصدق الذى أمر فوجدت الآلهة . . . خالق الأعشاب للماشية . . . والذى يصنع قوت السمك فى النهر، والطيور التى تجوب السماء . . . والذى يصنع ما يعيش عليه البعوض، وكذلك الدود والحشرات والذى يمد الفئران بحاجاتها فى أحجارها . . سلام عليك يا من خلقت كل ذلك»[٢] .

وهذا يدل على أن اليهود فى احتفالاتهم بهذا العيد يقلدون الشعوب الوثنية، وينقلون عنهم عباداتهم وعاداتهم، وهذا يخرجهم من دائرة التوحيد . .

نعم : إن كل دين يوجب على أتباعه أن يشكروا المنعم على نعمته .

ولكن فرق بين أن يشكر أناس «رع» إله الشمس، وأن يشكر أناس «يهوه» إله اليهود وأن يشكر أناس الله رب العالمين، شكرًا تتجلى فيه أعظم مظاهر النظام والعدالة الاجتماعية والروحية، وليس هذا إلا فى دين يقول للناس : ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣] .

لا دين يقول للناس : إذا احتفلتم بالحصاد فاتركوا الفتات للفقراء، يلتقطونه بطريقة مزرية **«وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى حصادك ولقاط حصيدك لا تلتقط للمسكين والغريب تتركه»** .

ثانيًا : يعتبر عيد الأسابيع تذكارًا لليهود بنزول الشريعة فى اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر[٤] .

والمفترض أن الاحتفال بالشريعة ونزولها كان يذكر اليهود كل عام بدقائق الشريعة، ويحثهم على التمسك بها، ولكن كان الأمر على العكس من هذا -تمامًا- حيث ضيع

---

(١) انظر : تفسير سفر اللاويين ص٣٠٠ .

(٢) انظر : جيمس هنرى : فجر الضمير ص٣٣٤، ٣٣٥ ترجمة د / سليم حسن - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

(٣) سورة الأنعام الآية (١٤١) .

(٤) اللاويين ٢٣ : ٢٢ .

اليهود الشريعة الموسوية، وتمسكوا بعقائد وشرائع خرافية وضعها لهم القادة الدينيون على فترات مختلفه من الزمن؛ فإن كان الاحتفال بالشريعة يذكرهم بشىء فإنه يذكرهم بكرههم للعالم وحقدهم على كل بنى البشر، وبالطبع هذا ليس من شريعة موسى عليه السلام ولا غيره من أنبياء بنى إسرائيل، الذين لازالت بقية من دعوتهم لحب الناس ومسالمتهم تملأ صفحات كتب الشريعة التى بأيدى اليهود على الرغم من تحريفهم وتضييعهم، ولكن ما نصنع لقوم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؟

إن أمر هذا مرده إلى الله سبحانه وتعالى الذى يقول فيمن شأنه كذلك: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١].

قرابين عيد الأسابيع:

وإن مما يدل على أن هذا العيد والاحتفال به ليس من تشريع موسى عليه السلام كثرة القرابين المفروضة فى الاحتفال بهذا العيد، والتى تشير إشارة واضحة إلى أنه تشريع وضعه رجال يستفيدون منه فائدة عظيمة.

يقول سفر اللاوين وهو يذكر قرابين هذا العيد:

«تقربون تقدمة جديدة للرب من مساكنكم تأتون بخبز ترديد رغيفين عُشْرين يكونان من دقيق وتخبزان خميرًا باكورة للرب، وتقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية وثورًا واحدًا ابن بقر وكبشين محرقة للرب مع تقدمتها وسكيبها. . وتعملون تيسًا واحدًا من المعز ذبحة خطية وخروفين حوليين ذبحية سلامة فيرددها الكاهن أمام الرب مع خبز الباكورة ترديدًا أمام الرب مع الخروفين فتكون للكاهن قدسًا للرب» [٢].

ومن هذا يتضح أن قرابين هذا العيد كما يلى:

١- تقدمة طعامية عبارة عن رغيفين من الدقيق ويخبزان خميرًا، كان رئيس الكهنة يأخذ إحداهما ويقسم الثانى على إخوته الكهنة.

٢- سبعة خراف صحيحة، كل واحد منها ابن سنة.

٣- ثور واحد من البقر.

٤- كبشين، وهذه الأصناف الثلاثة الأخيرة يذكر السفر أنها تصعد محرقة للرب،

---

(١) سورة البقرة من الآية (٨٥).

(٢) اللاويين ٢٣: ١٦-٢٠.

أى تحرق على المذبح، مع تقدمة طعامية - أيضًا .

٥- تيس من المعز لذبيحة خطية .

٦- خروفين حوليين لذبيحة سلامة .

هذا بالإضافة إلى التقدمات اليومية فى الصباح والمساء، مع تقدمات تطوعية يتبرع بها الشعب حسب مقدرتهم .

ولكى تعرف نصيب الكهنة من هذا القطيع من الأنعام، أنقل لك كلامًا نقله الأستاذ/ نجيب جرجس عن التلمود والذى يحوى تعاليم الأحبار، وعن تاريخ يوسيفوس[١] المؤرخ اليهودى قال تعقيبًا على هذه الفقرات :

«كانت المحرقات تحرق كلها على المذبح، وأما ذبيحة الخطية فيوقد منها الشحم وبعض أجزاء والباقى للكاهن ورفاقه، وأما ذبيحة السلامة فكان على الكاهن أن يردد الخروفين وهما حيان أمام الرب، ثم بعد الذبح يردد أجزاء منها، ثم تكون له، والباقى من اللحم له -أيضًا- ولإخوته الكهنة»[٢] .

ومن هذا يعلم أن نصيب الكهنة منها كان نصيبًا موفورًا .

عيد الأسابيع فى فكر الصوفية اليهودية أو «القبالاه»[٣] .

تحتفل الصوفية اليهودية بعيد الأسابيع بحيث يقيمون حفل زفاف للتوراة وكأنها عروس، حيث يبدأون فى الليلة السابقة على العيد فيعدون العروس نفسها للزواج من العريس، ولهذا فإن كل من يقرأ فى كتب العهد القديم ويفسرها تفسيرًا صوفيًا، يعتبر وكأنه يزين العروس، ثم يصبح القبالى (الصوفى اليهودى) الدارس للتوراة شاهدًا على زفاف التوراة إلى الإله، وإذا سئل العريس (الإله) عمن زين التوراة، فستكون الإجابة : إنه ذلك العارف بأسرار القبالاة (الصوفية) .

وقد تطورت طريقة الاحتفال حتى أنه فى اليوم التالى كان أحد اليهود يرفع التوراة قبل قراءة الوصايا العشر، ثم يقرأ عقد زواج بين العريس (الرب) والعذراء (جماعة

---

(١) يوسيفوس : مؤرخ يهودى ولد فى أورشليم حوالى ٣٧ ق . م . وشهد خراب أورشليم على يد تيطس الرومانى وله كتاب العاديات اليهودية وهو تاريخ عام للخليقة حتى عام ٩٦م، انظر : المنجد فى اللغة والأعلام ٢/ ٧٥٦ .

(٢) تفسير سفر اللاويين ص ٣٠٢ - بتصرف يسير .

(٣) القبالاه : سبق التعريف به فى ص٢٣٦ من هذا البحث .

إسرائيل) التى هى التوراة، وقد أوحى إليهم الرقم ٤٩ وهو حاصل ضرب ٧ط٧ بتأويلات صوفية عديدة، فهو يمثل الفترة التى قضاها أعضاء جماعة إسرائيل فى الصحراء بعد خروجهم من مصر، إلى أن حان وقت خلاصهم وزواجهم بالتوراة[١].

أرأيت فى مجال الخرافة شيئًا كهذا؟ أى عروس وأى عريس ذلك؟ فليس بأعجب فى مجال العبادة من أن يعتقد أن الإله يتزوج بالشعب؟ وإذا كان الأمر كناية عن اقترابهم من الإله فى ذلك اليوم، فما الذى يمنع أن يعبر عن ذلك بما يفيده بعيدًا عن هذه الإلتواءات الخرافية؟

وليس هذا بغريب على عقائد اليهود وعباداتهم، فصفحات العهد القديم مليئة بالكلام عن إلههم الساكن فى وسطهم، والذى يحارب من أجلهم ويغار عليهم!!!

وهذا أثر واضح لفساد العقيدة.

٥- عيد الهتاف

والهتاف هو: الصوت العالى يرفع تمجيدًا أو استنكارًا، يقال هتف هتافًا: أى صاح مادًا صوته[٢].

وفى العبرية (تروعة) أو (شوفار) وتعنى قصف البوق أو الهتاف أو كليهما معًا، والمقصود بها الإعلان الواضح والمناداة العالية بالنفخ فى الأبواق[٣].

وقد ترك اليهود فى هذه الأيام تسمية هذا العيد بعيد الهتاف، وأطلقوا عليه «**روش هشاناه**» أى رأس السنة[٤]، اليهودية، ويدعونه -أيضًا- عيد ميلاد العالم، لأن فيه يجمعون ثمار العام القديم ويبذرون بذور السنة الجديدة[٥].

وقته: يحدد سفر اللاويين وقت عيد الهتاف فيقول: « **وكلم الله موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل قائلًا: فى الشهر السابع فى أول الشهر يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق محفل مقدس . . . . .**»[٦].

وهو يوضح أن وقته فى أول يوم من شهر تشرى (الذى هو الشهر السابع من السنة

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٣ .
(٢) انظر: عبد القادر الرازى: مختار الصحاح ص ٦٨٩، مادة (هتف) ط -دار المعارف- مصر .
(٣) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٣٠٤ - بتصرف يسير .
(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٣ .
(٥) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٠٣ .
(٦) اللاويين ٢٣: ٢٢-٢٤ .

الدينية)، (الأول من السنة السياسية) والذى سيقابل يوم ٣٠ سبتمبر لعام ٢٠٠٠م من التقويم الميلادى- إن شاء الله[١] .

مناسبة هذا العيد:

يحتفل اليهود بعيد الهتاف لأكثر من مناسبة، فعلماؤهم يقولون: «**إن الهتاف يذكر اليهود بأصوات الأبواق والرعود التى صحبت نزول الشريعة فى سيناء، والهتاف -أيضًا- يذكر اليهود بالاستعداد الروحى لاستقبال يوم الكفارة الذى يأتى فى نفس الشهر وهو أعظم الأعياد عندهم، كما يذكرهم بميلاد العالم لأن فيه تجمع الأثمار القديمة، وتبذر البذار للسنة الجديدة، كما أن الشهر السابع الذى يقع عيد الهتاف فى أوله يذكر الشعب باليوم السابع الذى استراح فيه الله بعد أن خلق العالم فى ستة أيام، ولعل الهتاف فى الأبواق يصور فرحة** الملائكة والعوالم[٢] المختلفة بعد أن تمت عملية الخلق العجيبة. . . . »[٣] .

ونرى من ذكر أحبارهم لمناسبة عيد الهتاف أن أكثرها مناسبات دينية، بل يغلب فيها الجانب العقدى -جدًّا- وهو -كما ترى- «**نزول الشريعة فى سيناء، ويوم الكفارة وحساب اليهود لأنفسهم، وراحة الرب فى اليوم السابع**. . » ولا يغيب عن القارئ الكريم ما فى هذه العقائد من فساد وخرافة.

بل إن الأمر يزداد جلاءً إذا عرفنا أن هذا العيد من أساسه منقول عن عبادات البابليين، جاء فى موسوعة اليهود واليهودية:

«**إن الحضارة العبرانية كانت تدور فى فلك الحضارة البابلية المتفوقة التى صبغت الشرق الأدنى بصبغتها، وكان شهر تشرى رأس السنة بالنسبة للبابليين، وكان يسمى (تشرينو) ويعنى البداية فى اللغة البابلية، وكانوا يعتقدون أن كل آلهتهم تجتمع فى ذلك اليوم فى معبد مردوك (كبير الآلهة) لتجديد العالم، وللحكم على الأفراد والشعوب، وقد تبع العبرانيون البابليين فى ذلك، غير أنهم سموا يوم البداية (البابلى) يوم (هازيخارون) ويعنى يوم التذكر والذكرى، أو يوم (هدين) ويعنى يوم الحساب، إلى أن سمى أخيرًا (روش هشاناه) أى يوم رأس السنة**[٤] .

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٦ .

(٢) فى سفر أيوب يذكر أن الرب قال لأيوب: « أين كنت حين أسست الأرض . . . عندما ترنمت كواكب الصبح معًا وهتف جميع بنى الله» ٣٨: ٤، ٧ .

(٣) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٣٠٥، ٣٠٦ - بتصرف يسير .

(٤) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٣، ٢٦٤ - بتصرف يسير .

ويتضح من هذا أن الفارق بين هذا العيد عند البابليين والعبرانيين هو فى مجرد التسمية، أما التوقيت فهو متحد، وأما فكرة الحساب نفسها فمتحدة أيضًا، فإن كان البابليون أقروا اجتماع عدد من الآلهة لمحاسبة الأفراد والشعوب فإن العبرانيين قد أقروا يهوه إلهًا قوميًا يحاسب شعبه، ورفضوا أن تشاركهم فيه أمة من الأمم، وهذا بالطبع ليس نزوعا إلى التوحيد بقدر ما هو قومية دينية.

قرابين عيد الهتاف:

الحق أن سفر اللاويين لم يذكر قرابين عيد الهتاف، ولكنها ذكرت فى سفر العدد، وهى عبارة عن ثور وكبش وسبعة خراف حولية صحيحة، وتيس من المعز، بالإضافة إلى دقيق ملتوت بنسب معينة يقول سفر العدد:

«وفى الشهر السابع فى الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدس . . . يوم هتاف بوق يكون لكم، وتعملون محرقة لرائحة سرور للرب ثورًا واحدًا ابن بقر وكبشًا وسبعة خراف حولية صحيحة، وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ثلاثة أعشار للثور وعُشْرين للكبش، وعشرًا واحدًا لكل خروف من السبعة خراف، وتيسًا واحدًا من المعز ذبيحة خطية للتكفير عنكم، فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها مع سكائبهن كعادتهن رائحة سرور وقودًا للرب»[(١)].

أهم طقوس الاحتفال بعيد الهتاف

يؤدى اليهود فى هذا اليوم مجموعة من الطقوس والشعائر التعبدية تتلخص فيما يلى:

١- يبتدئ الطقس فى الصباح بتقديم المحرقة اليومية الصباحية.

٢- ثم تقدم قرابين هلال الشهر الجديد.

٣- ثم يبدأون فى تقديم قرابين العيد حيث ينفخ الكهنة فى أبواق القرن ويعزف اللاويون على الآلات الموسيقية، ويترنم الشعب بالمزامير ومن بينها المزمور الحادى والثمانين الذى يبدأ بالعبارة القائلة: **«رنموا لله قوتنا اهتفوا لإله يعقوب، ارفعوا نغمة وهاتوا دفًا، عودا حلوًا مع رباب، انفخوا فى رأس الشهر بالبوق عند الهلال لعيدنا»**[(٢)]. فإن وقع عند الهتاف فى يوم السبت عندئذ لا ينفخ الأبواق إلا فى داخل الهيكل فقط[(٣)].

---

(١) العدد ٢٩: ١-٦.
(٢) المزامير ٨١: ١-٣.
(٣) المجتمع اليهودى ص ٢٨٠، وانظر: محمد قاسم: التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل ص ١٧٢، مطابع ستار برس - القاهرة ١٩٩٢م.

٤- ثم يبارك الكاهن الشعب بالبركة المقدسة بقوله: «**يباركك الرب ويحرسك يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك، ويرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلامًا**»(١)، وكان يتلو البركة ووجهه متجه نحو الشعب، بينما يكون الشعب منطرحين وساجدين على الأرض، ثم يسجدون مرة ثانية بعد البركة.

٥- كان الشعب فى مدة الهيكل يتوجهون بعد ذلك إلى المجامع حيث يقرأ عليهم فصول من التوراة، ليتأملوا فيها ويحفظوها(٢).

٦- ثم يعودون إلى منازلهم حيث كانت تجهز أطباق من الطعام ذات دلالة معينة، كالخبز والتفاح المغموس فى العسل، والذى يؤكل مع صلوات تعبر عن الأمل فى سنة حلوة قادمة، أو يقدم رأس حيوان حتى يكون المرء هو الرأس دائمًا ولا يكون هو الذنب أبدًا(٣).

٧- وهناك طقس آخر يؤديه اليهود فى ذلك اليوم، حيث يذهب اليهود عصر ذلك اليوم إلى الأنهار أو أى مكان فيه مياه جارية ليتلوا الصلوات ويلقوا خطايا العام المنصرم إلى المياه لتحملها بعيدًا، وبذلك يبدأون العام الجديد بلا ذنوب، ويقال أيضًا فى تفسير هذا الطقس إن أسماك الأنهار وعيونها المفتوحة دائمًا تذكر الناس بعين الإله الساهرة التى لا تغفل عن مراقبة مخلوقاته(٤).

٨- ثم يحيى اليهود بعضهم بعضًا بقولهم «**فليكتب اسمك هذا العام فى سجل الحياة السعيدة**»(٥).

ويلاحظ أن هذه الطقوس يغلب عليها طابع الدجل والخرافة، فيجعلها أبعد ما تكون عن العبادة، وذلك لما يلى:

١- القرابين التى تقدم ويظن أن الإله يسر بحرقها، وبرائحة الدخان المتصاعد منها.

٢- الصخب الذى يحدثه أئمة الدين عندهم من نفخ بالأبواق وعزف بالموسيقى والرباب والدف والناى والغناء، وكل ذلك باسم العبادة، ومعلوم أن الأصل فى العبادة السكينة والوقار والهدوء، لينعم العابد بلذة مناجاة معبوده، وطقوس الصخب التى

(١) العدد ٦: ٢٤-٢٦.
(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٠٧.
(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٤.
(٤) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٤.
(٥) المرجع السابق ٥/ ٢٦٤.

دأب اليهود على إقامتها فى عباداتهم طقوس وثنية، كان يصنعها عباد الأوثان فى شرق آسيا، حتى أن التوراة تحكى أن اليهود لما اتخذوا العجل جعلوا يرقصون ويغنون حوله وهم عراة سكارى[١].

٣- ومَنْ ذلك الكاهن الذى يملك أن يبارك الشعب أو يمنع البركة؟ وكيف يسجدون بين يديه وهو واقف أمامهم؟ والمفترض أن يقتدى الشعب بإمامه، ولكن يبدو أن غرور الكهنة هو الذى حملهم على اختراع مثل هذا الطقس حتى إذا سجد الشعب إلى الأرض، جعل هو ينظر ليرضى غروره، وكيف تمكن من أن يُسَيِّر مثل هذا العدد الضخم من الناس.

٤- ثم ماذا يصنع الماء للأوساخ الباطنية التى انطوت عليها قلوب اليهود -من غل وحقد وكره للعالم- حتى ولو عاش اليهود فى الماء، لا أن يغتسلوا من الذنوب كل عام مرة !!!!.

البوق ومكانته فى الشعائر اليهودية:

إن البوق يحتل بين الطقوس والشعائر اليهودية مكانة هامة، ليس فقط فى عيد الهتاف أو رأس السنة ولكن فى كل الشعائر والطقوس، فالتوراة تجعل البوق وسيلة ومن وسائل التنبيه والإعلام، فإذا أرادوا جمع جماعة إسرائيل إلى باب خيمة الاجتماع ضربوا بالأبواق، وكذلك إذا أرادوا الإعلان عن الصلاة، أو أرادوا ارتحالاً من مكان إلى مكان، أو الإعلان عن حرب، وكذلك فى الأعياد والأفراح، ورءوس الشهور، وعند تقديم القرابين . . وتجعل التوراة للأبواق صفة وهيئة معينة تصنع عليها، يقول سفر العدد:

«**وكلم الرب موسى قائلاً: اصنع لك بوقين من فضة مسحولين**[٢] تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات، فإذا ضربوا بهما يجمع إليك كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع، وإذا ضربوا بواحدٍ يجتمع إليك الرؤساء رءوس ألوف إسرائيل، وإذا ضربتم هتافًا ترتحل المحلات النازلة إلى الشرق، وإذا ضربتم هتافًا ثانية ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب، هتافًا يضربون لرحلاتهم، وأما عندما تجتمع

(١) انظر: الخروج ٣٢: ١٧-٢٥.

(٢) مسحولين: أى مبرودين، والشيء المسحول هو الذى يبدأ باتساع فى أعلاه ثم يضيق شيئًا فشيئًا كلما سفل.

الجماعة فتضربون ولا تهتفون، وبنو هارون الكهنة يضربون بالأبواق فتكون لكم فريضة أبدية فى أجيالكم، وإذا ذهبتم إلى حرب فى أرضكم على عدو يضربكم تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم، وتخلصون من أعدائكم، وفى يوم فرحكم، وفى أعيادكم، ورءوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكارًا أمام إلهكم»(١).

وبهذا يدرك القارئ أن مكانة البوق فى الشعائر اليهودية نابعة من النزعة الحربية الكامنة فى أعماق اليهود على الدوام، وكيف لا تلازمهم هذه النزعة وهم قد تصوروا إلههم كقائد حربى عسكرى يقاتل عن شعبه، فالبوق بالطريقة التى حكتها التوراة يجعل الشعب اليهودى فى حالة استعداد للحرب دائمًا، كيف لا وقد قال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾(٢).

فأين الطمأنينة والسكينة التى تحدثها العبادة فى حياة العباد؟

٦- عيد الكفارة (أو يوم الكفارة):

ويسمى فى العبرية «**يوم كيبور**» يعنى يوم الكفارة أو يوم الغفران، وكلمة كيبور من أصل بابلى معناها «**يطهر**»، وهو من أهم الأعياد المقدسة عند اليهود على الإطلاق(٣).

وقته: يحدد سفر اللاويين وقت يوم الكفارة بأنه اليوم العاشر من شهر تشرى (الشهر السابع دينيًا، الأول مدنيًا)، يقول الإصحاح الثالث والعشرين: «**أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة محفلاً مقدسًا يكون لكم**»(٤).

مناسبة هذا العيد: يحتفل اليهود بهذا العيد لأنه اليوم الذى نزل فيه موسى للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة، حيث أعلن أن الرب قد غفر لهم خطيئتهم فى عبادة العجل، وفيه يطلب الشعب ككل الغفران من الإله(٥). وعلى هذا نجد عيد الكفارة وثيق الصلة بالعيد الذى قبله (وهو رأس السنة أو الهتاف) فعيد رأس السنة بداية للأيام العشرة التى تسمى أيام التوبة ليستحقوا الغفران فى يوم الكفارة (وهو العاشر)، وكما رأينا أن عيد رأس السنة يدين فى أصله إلى عبادات البابليين فإن عيد الكفارة يدين -

---

(١) العدد ١٠: ١-١٠. (٢) سورة المنافقون من الآية (٤).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٥ - بتصرف يسير.

(٤) اللاويين ٢٣: ٢٧. (٥) انظر: سفر الخروج ٣٤: ٢٧-٣٥.

كذلك - لعبادات البابليين بداية من الاسم البابلى (كيبور) وما فوق ذلك من طقوس وشعائر.

ولكن ترى أيكفى يوم واحد فى كل عام للتكفير عن جرائم اليهود وإفسادهم فى الأرض؟

إنهم لو أرادوا -حقًا- أن يبرءوا ذمتهم، ويطهروا أنفسهم من الخطايا -كما يزعمون- لكانوا محتاجين للتكفير عن جرائم اليوم الواحد عامًا بأكمله من الطاعات والقربات وقد لا يكفى لتكفير جرائم يوم واحد !!!

أهمية عيد الكفارة عند اليهود:

يتضح من سفر اللاويين أن لهذا العيد مكانة هامة عند اليهود، إذ يتحدث السفر عنه فى ثلاث إصحاحات، تبدأ بالإصحاح التاسع الذى يحكى طقوس اليوم الثامن من أيام مسح هارون وبنيه للكهانة -كما سنوضحه بعد- وفيه: «**وكفر عن نفسك وعن الشعب، واعمل قربان الشعب وكفر عنهم كما أمر الرب**. . . .»[1] فتقدم هارون إلى المذبح وذبح عجل الخطية الذى له . . .»[2] «**ثم قدم قربان الشعب وأخذ تيس الخطية الذى للشعب وذبحه وعمله للخطية**. . . .»[3] «**فرفع هارون يده نحو الشعب وباركهم. . ودخل موسى وهارون إلى خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركا الشعب فتراءى مجد الرب لكل الشعب**»[4].

وفى بداية الإصحاح العاشر يتحدث عن عقاب الرب لمن يحدث خطأ فى يوم الكفارة، كالذى صنعه ناداب وأبيهوا ابنى هارون حيث قربا القرابين والذبائح بطريقة لاتعجب الرب فعاقبهما على ذلك بأن أحرقهما فماتا[5].

وفى الإصحاح السادس عشر بأكمله يتحدث عن طقوس وقرابين يوم الكفارة، ثم فى الإصحاح الثالث والعشرين يتحدث عن يوم الكفارة ضمن الأعياد والمواسم المقدسة لدى اليهود.

وكل هذا يدل على أن هذا اليوم له عند اليهود قداسة خاصة، فكيف كانوا يقدسونه؟ هذا ما سنعرفه من خلال ما يؤديه اليهود من طقوس وشعائر فى هذا اليوم.

---

(١) اللاويين ٩: ٧.
(٢) اللاويين ٩: ٨.
(٣) اللاويين ٩: ١٥.
(٤) اللاويين ٩: ٢٢، ٢٣.
(٥) انظر: اللاويين ١٠: ١-٣.

طقوس عيد الكفارة :

يؤدى اليهود فى هذا اليوم مجموعة من الطقوس وهى كما يلى :

١- الصيام فى هذا اليوم، وفى هذا يقول سفر اللاويين «**يوم الكفارة محفلاً مقدسًا يكون لكم تذللون نفوسكم . . . .**»[١] .

٢- كان على الكهنة فى هذا اليوم أن يلبسوا ثيابًا خاصة تدل على التواضع والإحساس بالخطيئة، فبدلاً من أن يلبس ثوبه الذهبى يقول له السفر : «**يلبس قميص كتان مقدسًا وتكون سراويل كتان على جسده، ويتنطق بمنطقة كتان ويتعمم بعمامة كتان إنها ثياب مقدسة**» [٢] .

٣- يقوم رئيس الكهنة بتقديم تيسين من المعز يوقفهما أمام الرب، ويضرب قرعة بحيث يكون أحدهما للرب والآخر لعزازيل (الشيطان)، يقول سفر اللاويين : « **ومن جماعة إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية وكبشًا واحدًا لمحرقة، ويقرب هارون ثور الخطية الذى له ويكفر عن نفسه وعن بيته ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ويلقى هارون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل، ويقرب هارون التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب، ويعمله ذبيحة خطية وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيًا أمام الرب ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية**»[٣] .

٤- ثم هناك مجموعة طقوس أخرى يقوم بها الكهنة، فيذبحوا ثور الخطية والكبش -أيضًا- وينثرون من دمهما على قرون المذبح وعلى الغطاء، وفى خيمة الاجتماع للتطهير من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم، ويكون نضح الدم سبع مرات، مع وضع البخور على نار المذبح لتعطير المكان[٤] .

٥- فإن فرغوا من أداء طقوس الذبائح، التفتوا إلى التيس الحى الذى عليه قرعة عزازيل فيضع الكاهن يده على رأس التيس، ويقر عليه بكل ذنوب بنى إسرائيل وكل سيئاتهم ويجعلها على رأس التيس، ويرسله بيد من يلاقيه إلى الصحراء، ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة[٥] .

وقد استبدل هذا الطقس الآن بما يسمى فى العبرية (كاباروت) ويقضى بأن يمسك

---

(١) اللاويين ٢٣ : ٢٧ .

(٢) اللاويين ١٦ : ٤ .

(٣) اللاويين ١٦ : ٥-١٠ .

(٤) انظر اللاويين ١٦ : ١١-١٩ .

(٥) انظر : اللاويين ١٦ : ٢٠-٢٢ .

أحد أفراد الأسرة دجاجة ويمررها على رءوس الآخرين لتعلق ذنوبهم بالدجاجة ثم تطلق[١].

٦- وفى هذا اليوم تقام صلاتين إضافيتين بجوار الصلوات اليومية، يبدأ بإحداهما الاحتفال، وتسمى صلاة البداية (موساف)، ويختم الاحتفال بالأخرى وتسمى صلاة الختام (نعيلاه) حيث يعلن فيها أن السماوت قد أغلقت أبوابها، ثم يهلل الجميع قائلين: العام القادم فى القدس المبنية، ثم ينفخ فى البوق بعد ذلك[٢].

أخطر فتاوى فقهاء اليهود بشأن يوم الكفارة:

برغم أن يوم الكفارة جعل للتخلص من الذنوب إلا أن الروح الشريرة اليهودية - التى يزعمون أنها تفارقهم حين يطلقون عزازيل بذنوبهم- دعت بعض فقهاء اليهود أن يفتوا بأن يوم الكفارة يوم يحل فيه أكل الديون ونقض العهود والمواثيق.

يقول الدكتور حسن ظاظا - وهو ينقل عن الحاخام اليهودى المصرى هلال يعقوب فارحى:

«ومن الأشياء الهامة التى تجدر الإشارة إليها -هنا- أن اليهود على طول تعرضهم للاضطهاد من الأمم التى عاشوا بين ظهرانيها، قد جعلوا من يوم الغفران أو التكفير -هذا- يومًا يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التى قطعوها لغير اليهود، وأفتى فقهاؤهم بأن الداعى إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين عوام اليهود أن يوم الغفران هذا يوم يجوز فيه أكل الديون التى على اليهودى وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع فى كل وعد أو تعهد قطعه على نفسه طول السنة»[٣].

وبالطبع هذه مخالفة واضحة لتعاليم التوراة، التى تقول لليهودى:

«ما خرج من شفتيك احفظ واعمل. . . . كما تكلم فمك»[٤].

ولم يعارض أمثال هذه الفتيا إلا قادة الأصولية اليهودية الذين ينادون بالعودة إلى تعاليم التوراة، والعمل بأحكامها، ولكن أصواتهم كثيرًا ما تذهب مع الريح إزاء صيحات العلمانية التى تجتاح إسرائيل.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٥ .

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٥ .

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص١٦٩ .

(٤) التثنية ٢٣: ٢٣ .

عزازيل الذى جعله اليهود ندًا للرب:

يقول الأستاذ نجيب جرجس: « **يرى بعض علماء اليهود أن (عزازيل) اسم شيطان، بمعنى المعزول أو المبُعد، باعتبار أنه معزول عن الشركة مع الله ومع القديسين، وباعتبار أنه يسكن الأماكن الخربة أو الخالية مثل البرارى، وكان سكناه فيها لكى يرى ثمار أعماله الشريرة ويرى البعض أنه نعت للشيطان، وتخصيص تيس المعز لعزازيل . . . لحمل الخطايا يرجع إلى أن الوثنيين كانوا يعتقدون أن الشياطين التى كانوا يعبدونها كانت تظهر فى هيئة التيوس، فصرح لهم الرب بذبح التيوس لتقدم ذبيحة للرب لا بعبادتها وتقديم الذبائح لها**»[(١)] .

أرأيت كلامًا تفوح منه الوثنية أكثر من هذا؟ ثم كيف يقتبس اليهود من طقوس الوثنيين وعباداتهم، ثم يقولون لا نفعل ذلك لغرض عبادتهم فلأى غرض إذن؟

والحقيقة التى لا تنكر هى: أن العبرانيين قد تأثروا كثيرًا بحضارات الكنعانيين والبابليين والهيلينيين . . . فى بعض صفات الإله، وفى بعض التحريمات، وفى كثير من الأعياد . . . وذكر العهد القديم بعض الشعائر التى تم تبنيها ثم استبعدت فى مرحلة لاحقة، مثل الثعبان النحاس ومركبات الشمس فى الهيكل والعجول الذهبية، ولكن هناك شعائر أخرى لم تنبذ مثل التضحية بكبش للمعبود عزازيل[(٢)] .

ويؤكد وثنية هذا الطقس ما قاله الأستاذ/ حبيب سعيد عن يوم الكفارة:

«**وهذا الطقس البدائى قد يرجع تاريخه إلى فترةما قبل السبى، وهو يقوم على طرد الشر إلى ضحية فدائية . . . على أنه لم يذكر فى العهد القديم إلا مرة واحدة ثم ذكر بعد ذلك فى القانون الكهنوتى بعد السبى . . . وأغلب الظن بعد عصر عزرا (سنة ٣٩٧ ق . م .)**»[(٣)] .

وهذا يعنى بلا ريب أن موسى عليه السلام براء من هذه الشركيات فبنو إسرائيل هم الذين نقلوها عن أهل بابل إبان السبى البابلى .

القرآن الكريم يحدث عن يوم الكفارة:

يتحدث القرآن الكريم عن يوم الكفارة فيقول: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ

---

(١) تفسير سفر الاويين ص١٧٩ .

(٢) أديان العالم ص١٨٧ .

(٣) تفسير سفر اللاويين ص١٧٩ .

لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ (١) .

وتختلف الروايات فى سبب هذا الميقات، وربما كان لإعلان التوبة وطلب المغفرة لبنى إسرائيل مما وقعوا فيه من الكفر والخطيئة . . . وفى سورة البقرة أن التكفير الذى فرض على بنى إسرائيل هو: أن يقتلوا أنفسهم فيقتل المطيع منهم من عصى، وقد فعلوا حتى أذن الله بالكف عن ذلك(٢)، وقبل كفارتهم، وهؤلاء السبعون كانوا من شيوخهم ومن خيرتهم(٣) .

وما أعجب مايصنع بنوا إسرائيل تحن قلوبهم إلى العصيان والتمرد وهم لايزالون فى مقام التوبة والاستغفار !!!

روى ابن جرير بسنده عن محمد بن إسحاق قال: «**قال لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامرى ما قال، وحرق العجل وذراه فى اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلاً الخيّر فالخيّر، وقال انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله مما صنعتم، واسألوه التوبة لمن تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون فيما ذكر لى حين صنعوا ما أمروا به، وخرجوا للقاء الله قالوا يا موسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه**(٤) . فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا فى الغمام، وقعوا سجودًا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (٥) . فأخذتهم الرجفة وهى الصاعقة، فماتوا جميعًا، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه يقول: رب لو

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٦) .

(٢) سورة البقرة الآية (٥٤): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن ٩/ ١٣٧٦ .

(٤) وهذا يشير إلى نص فى سفر الخروج: « وكان لما نزل موسى من الجبل . . لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع . . . فنظر هارون وجميع إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع، فخافوا أن يقتربوا إليه » ٣٤ : ٢٩-٣٠ .

(٥) سورة البقرة الآية (٥٥) .

شئت أهلكتهم من قبل وإياى، قد سفهوا افتهلك من ورائى من بنى إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ . . (إنا هدنا إليك) فلم يزل موسى عليه السلام يناشد ربه عليه السلام ويطلب إليه، حتى رد إليهم أرواحهم، وطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل . . . .»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[(٢)]. قال: « **قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح، قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم، فقال إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذى أمركم، ونهيكم الذى نهاكم عنه، فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله علينا ويقول هذا كتابى فخذوه فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى. . فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون، ثم أحياهم الله من بعد موتهم** ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٣)] فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله فقالوا لا، فقال أى شىء أصابكم. فقالوا: أصابنا أنَّا متنا ثم أُحيينا، قال خذوا كتاب الله، قالوا: لا فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم»[(٤)].

ومن هذا ندرك أنهم لم يعرفوا طريق التوبة النصوح، فإن رقابهم الصلبة تحملهم دائمًا على التمرد والعصيان، وبدلاً من أن يسمعوا كلام الأنبياء فى حثهم لهم على التوبة وطلب المغفرة من الله، راحوا يقيمون طقوسًا وثنية -كما رأينا- أما موسى عليه السلام فكان يعرف أن الغفران إنما يطلب من الإله الواحد لا من «عزازيل» الشيطان، لذلك راح يضرع إليه ويبتهل ويقول:

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[(٥)].

وبهذا يبدو الفرق واضحًا بين القرآن الكريم كوحى سماوى محفوظ، وبين سفر اللاويين كعبث سطرته أيد وثنية وإن زعمت التوحيد.

---

(١) الطبرى: جامع البيان ١٣/ ١٤٠، وما بعدها - بتصرف يسير.

(٢) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشى العدوى مولى عمر بن الخطاب، كان غزير العلم مات سنة ١٨٢هـ. انظر: الذهبى: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٠٩.

(٣) سورة البقرة الآية (٥٦).

(٤) ابن كثير: تفسيرالقران العظيم ١/ ١٤١.

(٥) سورة الأعراف الآيتان (١٥٥، ١٥٦).

٧- عيد المظال

المظال: جمع مظلة، وهى ما يستظل بها من حر الشمس، وهو آخر الأعياد[١] السنوية الكبرى التى كان يطلب فيها من كل رجل فى بنى إسرائيل أن يظهر أمام الرب فى الهيكل.

وهو فى العبرية «**سوكوت**» يعنى المظال أو المظلات، وقد سمى هذا العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء منها: «**عيد السلام**» و «**عيد البهجة**»[٢].

ولعل سر تسميته بعيد السلام هو ما أشار إليه سفر اللاويين عن سلامة بنى إسرائيل ونجاتهم من فرعون بوصولهم إلى برية سيناء« . . **يسكنون فى المظال لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال أسكنت بنى إسرائيل لما أخرجتهم من مصر**»[٣].

وأما تسميته بعيد البهجة فقد جاءت فى سفر اللاويين أيضًا «**تأخذون لأنفسكم فى اليوم الأول ثمر أشجار بهجة. . . . وتفرحون أمام الرب إلهكم**»[٤].

وقد دعى هذا العيد -أيضًا- عيد الجمع، لأنهم كانوا يعيدونه بعد أن يكونوا قد جمعوا محاصيلهم وثمارهم ووضعوها فى المخازن[٥]، وقد جاءت هذه التسمية -أيضًا- فى سفر اللاويين«**عندما تجمعون غلة الأرض تعيدون عيدًا للرب**»[٦].

وقته: يحدد سفر اللاويين وقت عيد المظال فيقول: «**فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال. . . .**»[٧] والشهر السابع هو شهر تشرى.

مدته: تستمر مدة عيد المظال تسعة أيام تبدأ بغروب شمس اليوم الرابع عشر، يوضح ذلك سفر اللاويين ويبين أن أصل مدة العيد سبعة أيام (عيد المظال سبعة أيام للرب)[٨]، ويذكر أنه يضاف إليه يوم ثامن، وهو اليوم الثانى والعشرون«**فى اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس . . إنه اعتكاف**»[٩].

وهذا اليوم الثامن يسمى فى العبرية (شمينى عصيرت) أى الثامن الختامى، لأنه

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ٥٨٦.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٤.

(٣) اللاويين ٢٣: ٤٢، ٤٣.

(٤) اللاويين ٢٣: ٤٠.

(٥) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص ٣١٩.

(٦) اللاويين ٢٣: ٣٩.

(٧) اللاويين ٢٣: ٢٤.

(٨) اللاويين ٢٣: ٣٤.

(٩) اللاويين ٢٣: ٣٦.

يختم عيد الظلل، ويختم كل الأعياد المكدسة فى شهر تشرى[١]. بل يختم الأعياد التى جاءت فى التوراة على الإطلاق.

ويضيف أحبار اليهود يومًا تاسعًا، هو الثالث والعشرون، يسمونه «**سمحت توراة**» أى فرحة التوراة، لأنهم يبدأون فيه دورة جديدة من قراءة التوراة[٢].

مناسبة عيد المظال:

يحتفل اليهود بعيد المظال لأكثر من مناسبة، منها:

١- سكن بنى إسرائيل فى مظال عندما خرجوا من مصر فى صحراء سيناء.

٢- الاحتفال بجمع المحاصيل وتخزينها فى المخازن.

٣- الاحتفال بختام الأعياد التوراتية.

٤- الاحتفال بإتمام الدورة السنوية لقراءة التوراة.

أهم طقوس الاحتفال بعيد المظال:

١- أن يأخذ اليهود فى اليوم الأول الأغصان التى أشار إليها سفر اللاويين ويمسكوها بميامنهم بعد ربطها بطريقة خاصة، ويلوحوا بها فى كل إتجاه رمزًا إلى أن الإله هو رب الطبيعة «**تأخذون لأنفسكم فى اليوم الأول ثمر أشجار بهجة وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادى وتفرحون أمام الرب إلهكم**»[٣].

٢- كذلك من الطقوس الهامة أن يقيم اليهود فى أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر لا تحجب عنهم رؤية السماء، ولابد أن يصنع اليهود هذه الأكواخ أو أن يشارك -على الأقل- فى إقامتها، وتسمى هذه الأكواخ فى العبرية «**سوكاه**»[٤]. والمفترض أن يستمر هذا الطقس مدة سبعة أيام كاملة «**فى مظال تسكنون سبعة أيام.. لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال أسكنت بنى إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر**»[٥].

ولكن مع ذلك فإن اليهود فى الدول الغربية الآن يكتفون بعمل مظلة صغيرة من السعف تنصب فى إحدى الشرفات بالمنزل، ويتناولون فيها وجبات الطعام الرمزية[٦].

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٥.
(٢) الفكر الدينى اليهودى ص١٧٠.
(٣) اللاويين ٢٣: ٤٠.
(٤) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٦٤.
(٥) اللاويين ٢٣: ٤٢، ٤٣.
(٦) انظر: الفكر الدينى اليهودى ص١٧٠.

٣- تقديم القرابين والذبائح : «سبعة أيام تقربون وقودًا للرب»[١] .

٤- تحمل لفائف التوراة، ثم يتم الطواف بها سبع مرات، أما الأولاد فإنهم يحملون الأعلام الصغيرة ويسيرون أمام الكبار، ويسمى كل طواف باسم أحد الآباء، فالطواف الأول باسم إبراهيم، والثانى باسم إسحاق والثالث باسم يعقوب، والرابع باسم موسى، والخامس باسم هارون، والسادس باسم يوسف، والسابع باسم داود، ويقرأ فى هذا الاحتفال آخر سفر من أسفار موسى الخمسة، ثم يبدأ بسفر التكوين كبداية لدورة جديدة لقراءة أسفار موسى الخمسة، ويسمون القارئ عريس التوراة[٢] .

٥- الصلاة والدعاء لطلب النجدة بنزول المطر .

قرابين عيد المظال :

لم أر فى قرابين كل الأعياد اليهودية مثل قرابين عيد المظال إذ هى كثيرة مرهقة، ولا أكثر من التعليق، بل أذكرها لك أيها القارئ لتقرر بنفسك :

يقول سفر العدد : **«وفى اليوم الخامس عشر من الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس، عملاً ما من الشغل لا تعملوا، وتعبدون للرب سبعة أيام، وتقربون محرقة وقود رائحة سرور للرب ثلاثة عشر ثورًا أبناء بقر وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا، صحيحة تكون لكم، وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت ثلاثة أعشار لكل ثور من الثلاثة عشرة ثورًا، وعشران لكل كبش من الكبشين وعشر واحد لكل خروف من الأربعة عشر خروفًا، وتيسًا واحدًا من المعز ذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها، وفى اليوم الثانى اثنى عشر ثورًا أبناء بقر وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا صحيحًا، وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا من المعز ذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها مع سكائبهن، وفى اليوم الثالث أحد عشر ثورًا وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا صحيحًا وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها .**

وفى اليوم الرابع عشرة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا صحيحًا، وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا من المعز لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها .

---

(١) اللاويين ٢٣ : ٣٦ .

(٢) انظر : موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٤ .

وفى اليوم الخامس تسعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا صحيحًا وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا من المعز لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها.

وفى اليوم السادس ثمانية ثيران وكبشين وأربعة عشرة خروفًا حوليًا صحيحًا، وتقدمتهن وسكائبهن للثيران حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا من المعز لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها.

وفى اليوم السابع سبعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفًا حوليًا صحيحًا وتقدمتهن وسكائبهن للثيران والكبشين والخراف حسب عددهن كعادتهن، وتيسًاواحدًا لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها.

وفى اليوم الثامن . . ثورًا واحدًا وكبشًا واحدًا وسبعة خراف حولية صحيحة، وتقدمتهن وسكائبهن للثور والكبش والخراف حسب عددهن كالعادة، وتيسًا واحدًا لذبيحة خطية فضلاً عن المحرقة الدائمة وتقدمتها وسكيبها»[١].

وواضح من فداحة هذا الكمّ الهائل من القرابين فى عيد المظال، مدى حرص المشرع على إرهاق الناس، وسلب أموالهم، وكل ذلك باسم الشريعة والعبادة.

وأسهل على القارئ الكريم معرفة مقادير قرابين هذا العيد فى صورة أرقام كالآتى:

٧١ ثور، ١٥ كبشًا، ١٠٥ خروفًا، ٨ معزًا

هذا عدا نحوًا من زنة طن (١٠٠٠ كيلو) من الدقيق الملتوت بالزيت فى صورة تقدمة. كل هذا يقرب من مدة ثمانية أيام عيد المظال.

وليته يستخدم فى إشاعة التكافل ومسح آلام البائسين، ولكنه يحرق كما يزعمون إرضاءً للرب المتعطش للدماء «يهوه» رب إسرائيل !!!.

اليهود يتركون عيد المظال:

يقول الأستاذ/ زكى شنودة: **« ترك اليهود الاحتفال بهذا العيد زمنًا طويلاً منذ استيلائهم على أرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون، وطوال عهد القضاة والملوك أى نحو ألف سنة، ولم يقيموه إلا بعد العودة من السبى البابلى حيث قام عزرا الكاتب ليفهمهم الشريعة، ووجد مكتوبًا فيها أن بنى إسرائيل يسكنون فى مظال فى العيد فى الشهر السابع»**[٢].

---

(١) العدد ٢٩ :١٢-٣٨.

(٢) المجتمع اليهودى ص ٢٧٨، ٢٧٩.

ويقول سفر نحميا: « . . . . اجتمع رءوس آباء جميع الشعب . . إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة، فوجدوا مكتوبًا فى الشريعة التى أمر بها الرب على يد موسى أن بنى إسرائيل يسكنون فى مظال فى العيد فى الشهر السابع، وأن يسمعوا وينادوا فى كل مدنهم وفى أورشليم قائلين اخرجوا إلى الجبل وأتوا بأغصان زيتون وأغصان نخل . . . فخرج الشعب وعملوا لأنفسهم مظال . . . وعمل كل الجماعة الراجعين من السبى مظال وسكنوا فى المظال لأنه لم يعمل بنو إسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون إلى ذلك اليوم»(١) .

ولا أدرى كيف فرط اليهود فى الفرائض التى فرضت عليهم، كما يقول سفر اللاويين « . . . فريضة دهرية فى أجيالكم فى الشهر السابع تعيدونه»(٢) . وأكثر من هذا أنهم يحتفلون بتلك الفريضة احتفالاً رمزيًا -كما أسلفنا- ومعلوم أن الفرائض لا مجال فيها للتطوير والتغيير والتبديل .

صلاة الاستسقاء كطقس من طقوس عيد المظال :

يعتبر عيد المظال أو الجمع من الأعياد الرعوية الزراعية، ولعل المظهر العام للعيد من اهتمام بالنباتات والزروع والإقامة فى الأكواخ المصنوعة من الأغصان النباتية يشهد بهذا، كما أن وقت عيد المظال الذى يقابل الخريف يشبه إلى حد كبير انتظار الفلاحين والرعاة لبواكير المطر عند قدوم الخريف بعد موسم الجفاف الطويل مدة شهور الصيف .

ولذلك فإن اليوم السابع من عيد الظلل يسمى عند اليهود «هو شعناربا» أى اليوم الكبير لطلب النجدة، ويبدو أن هذا الاحتفال كان فى حقيقته صلاة استسقاء عند ما يتأخر المطر، وقد جرى عرف اليهود الآن على أنهم فى هذا اليوم يدخلون المعبد لهذه الصلاة، وفى يد كل واحد منهم غصن من الأغصان التى تستعمل فى تهيئة هذه الظلل، فيضربون على الكراسى بهده الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها، ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التى ارتكبوها(٣) .

ويذكر التلمود أن اليهود فى القديم كانوا يخرجون فى هذا اليوم مع الفجر،

---

(١) نحميا ٨: ١٣ -١٧ .
(٢) اللاويين ٢٣: ٤١ .
(٣) انظر: د / حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ص١٧٠ .

ويذهبون إلى بركة سلوام[١]، ومعهم أحد الكهنة يحمل إبريقًا من الذهب، فيغترف ثلاث غرفات من مياه البحيرة ويملأ إبريق الذهب، ثم يعودون إلى الهيكل فى هتافات وترانيم، حيث توقد محرقة الصباح، بينما يقوم الكهنة باستقبال زميلهم الذى يحمل إبريق الماء بالنفخ فى البوق ثلاثًا، فيصعد الكاهن على المذبح ومعه كاهن آخر يحمل إبريقًا من الذهب به الخمر، فيسكبان الماء والخمر فى طستين من الذهب، فينساب السكيب إلى أسفل المذبح[٢]، وكانوا يرنمون من ترنيمات إشعيا: «**أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه، والذى ليس له فضة، تعالوا اشتروا فضة ولا ثمن خمرًا ولبنًا**»[٣].

ومن هذا يتضح أن هذا الطقس كان فى حقيقته صلاة لاستسقاء ونزول المطر، ولكن حرف وبدل إلى هذه الصورة الوثنية البدائية التى لا يبعد أن يكون اليهود قد أخذوها عن البابليين أثناء السبى.

خصوصًا وأنهم -كما أسلفنا- كانوا قد تركوا الاحتفال بعيد المظال نحو ألف سنة، فبالطبع تنوسيت الطقوس والشعائر التى علمهم موسى إياها، فلم يجدوا إلا أن يستعيضوا عنها بطقوس من طقوس البابليين.

والصلاة للسقيا ونزول المطر أمر مشروع جاء على لسان الكثيرين من أنبياء الله، فنوح عليه السلام يعلم قومه كيف يستسقون فيقول: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٤]. ويعلم هود -كذلك- قومه طلب السقيا فيقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٥].

ويحكى القرآن الكريم استسقاء موسى عليه السلام فيقول: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٦].

والذى عليه أكثر المفسرين أن هذا الاستسقاء كان بعد خروجهم من مصر إلى

---

(١) سلوام: بركة كانت تقع قريبًا من أورشليم، وتسمى اليوم بركة سلوان ويبلغ طولها نحو ٥٨ قدمًا وعرضها ١٨ قدمًا، يأتيها الماء من عين العذراء ويفيض ليروى بعض الحدائق فى وادى قدرون، قاموس الكتاب المقدس ٤٨٠.

(٢) انظر: تفسير سفر اللاويين ص٣١١، د / أسعد رزوق: التلمود والصهيونية ص١١٦- طبعة منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠م.

(٣) إشعياء ٥٥: ١.

(٤) سورة نوح الآيتان (١٠، ١١).

(٥) سورة هود الآية (٥٢).

(٦) سورة البقرة الآية (٦٠).

صحراء سيناء[١]، وضرب موسى للحجر لم يكن من قبيل الطقوس الوثنية التى يفعلها اليهود، بل كان من قبيل الإعجاز، إذ لم يعهد الناس أن تخرج الحجارة الصماء ماءً، كما أن ضرب موسى -عليه السلام- للحجر كان بعد أن ابتهل إلى ربه واستغفره، وهذا ما تحكيه التوراة: « **ثم ارتحل كل جماعة بنى إسرائيل . . . ولم يكن ماء ليشرب الشعب فخاصم الشعب موسى، وقالوا أعطونا ماءً لنشرب، فقال لهم موسى لماذا تخاصموننى، لماذا تجربون الرب، وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش، فصرخ موسى إلى الرب قائلا: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ . . فقال الرب لموسى مر قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التى ضربت بها النهر . . فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب، ففعل موسى**»[٢].

وصراخ موسى الذى تحكيه التوراة هو: عبارة عن الاستغفار والجأر إلى الله سبحانه وتعالى بطلب السقيا والغيث.

ولكن طبيعة بنى إسرائيل أنهم دائمًا يبدلون قولاً غير الذى يقال لهم، وقد قيل لهم إن مغاليق الأبواب تستفتح بالدعاء والاستغفار وطلب حط الذنوب، فبدلوا، فأنزل الله عليهم بدل المطر - الذى اعتاد الناس نزوله من السماء - رجزًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[٣].

فانظر -أيها القارئ الكريم- كيف تلاعب اليهود فى شأن العبادات لهذه الدرجة، صلاة واستغفار وضراعة تستبدل بخمور ورقص ومجانة، وبعدها ينتظر أن تنزل السماء مطرًا وغيثًا مدرارًا؟

إنها لن تنزل إلا الرجز -وهو الطاعون والأمراض العضال- وهذا ما نراه فى واقع اليهود الآن.

ولكن هذا ليس بغريب على قوم -قرر رب العالمين أنهم دائمًا- يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

(١) انظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/ ١٤٨ .
(٢) الخروج ١٧ : ١-٦ . (٣) سورة البقرة الآيتان (٥٨، ٥٩) .

المطلب الخامس: هل من صلة بين أعياد اليهود فى سفر اللاويين والأعياد عند النصارى؟

إن أكثر الأَعْيَاد النصرانية إنما هى مستمدة من أعياد العهد القديم مع اختلاف فى بعض الطقوس.

١- فعيد السبت حل محله يوم الأحد، والنصارى يقولون عن الأحد ماتقول اليهود فى السبت، من استراحة الرب فيه ووجوب تقديسه، ولكنهم لم يحرموا العمل فى يوم الأحد. ويقولون السبت يرمز للراحة، والراحة الحقيقية عندما أراح الرب الناس من دينونة الخطيئة بصلبه فى اليوم السادس، وأراح الناس بقيامته يوم الأحد، فصار هو السبت الجديد بالمفهوم الروحى للسبت(١).

٢- وعيد الفصح اليهودى، هو بنفس الاسم عند النصارى، ويسمونه عيد القيامة، ويحتلفون فيه بقيامة المسيح من بين الأموات -كما يقولون- كما أن الفصح عند اليهود يذكرهم بنجاتهم وخلاصهم من ظلم فرعون، وهو عند النصارى يذكرهم بخلاص العالم من خطيئته التى قيدته(٢).

ولعل مما يؤكد أخذ هذا العيد عن اليهود تقارب موعد هذا العيد عند اليهود والنصارى، فهو عند اليهود يقع ما بين ١ أبريل، ٢٠ أبريل(٣)، وعند النصارى يقع بين ٢٢ مارس، و٢٥ أبريل(٤).

وقد جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس « ...... **لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذبح لأجلنا، إذًا لنعيد . . . . بفطير الإخلاص والحق**»(٥).

٣- وعيد الباكورة عند اليهود يرتبط بعيد القيامة عند النصارى ارتباطًا وثيقًا لأنهم يعتبرون المسيح بكر الأموات، جاء فى الرسالة المشار إليها آنفا« ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين»(٦).

وعلماء النصارى يقولون إن اليوم الذى كان اليهود يقدمون فيه حزمة الباكورة فى هيكلهم بعد أن صلبوا المسيح، كان هو نفس اليوم الذى قام فيه المسيح حيًا من

---

(١) البابا شنودة الثالث: الكهنوت ١/ ١٦ بتصرف يسير -ط الأوفست بالعباسية- القاهرة ٢٠٠٠م .
(٢) انظر: القلقشندى: صبح الأعشى ٢/ ٤٢٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٦ .
(٤) انظر: محمد شفيق غربال وآخرين: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٢٤٧ - ط دار إحياء التراث العربى .
(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٥ :٧، ٨ .
(٦) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ :٢٠ .

الأموات، وبينما كان اليهود مشغولين بطقس هذا العيد، كان أتباع المسيح ومحبوه يتلقون ويبلغون البشارة بقيامته المجيدة[١].

٤- وعيد الكفارة اليهودى، يعتبره النصارى أصلاً لعيد الصليب، الذى يحتفلون به فى السابع عشر من شهر توت القبطى[٢].

والغرض من العيدين واحد، وهو تذكر تقديم الكفارة، وعلماء النصارى يقولون إن صلب المسيح كان كفارة لخطاياهم، جاء فى رسالة يوحنا الأولى: **«وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم»**[٣].

٥- وعيد المظال يشبه إلى حد كبير عيد الزيتونة، فكما أن اليهود فى عيد المظال يخرجون ومعهم سعف النخل وأغصان الأشجار للفرح والبهجة، فكذلك النصارى فى عيد الزيتونة الذى يحتفلون به تذكارًا لدخول المسيح إلى القدس راكبًا أتان، فاستقبلوه وبأيديهم ورق الزيتون، وقرأوا بين يديه التوراة، فلذلك يخرجون من الكنائس ومعهم سعف النخيل إلى المتنزهات للفرح والسرور أيضًا[٤].

وتعتبر هذه الأعياد الخمسة فى سفر اللاويين أساسًا لشعيرة الأعياد عند النصارى، وهناك أعياد كثيرة أخرى وضعها النصارى لظروف ومناسبات خاصة، ويلاحظ أن النصرانية قد ساوت اليهودية فى مسألة الأعياد فى أكثر من ناحية:

١- فمن ناحية الاختراع والتزيد فى مجال العبادة، فربما أحدثوا عيدًا لموت قديس من قديسيهم.

٢- اتخاذ الأعياد ذريعة لإشباع الشهوات، وليس طاعة لله عز وجل.

٣- الطقوس الوثنية التى تقام فى أعياد الفريقين.

المطلب السادس: موقف الإسلام من الأعياد فى سفر اللاويين

نضيف إلى جانب ما ذكرنا من موقف الإسلام من الأعياد فى سفر اللاويين - فى إطار التعقيب على طقوس كل عيد منها - صورة موجزة للعيد فى الإسلام، فهى

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٩٧.

(٢) انظر: د / قاسم عبده أهل الذمة فى مصر والعصور الوسطى ص١٢٣ - ط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩م.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٢: ١، ٢.

(٤) انظر: صبح الأعشى ٢/ ٤٢٥.

الصورة الناطقة لما كانت عليه الأعياد فى شرائع الأنبياء من قبل .

الأعياد الإسلامية :

لقد أقرت الشريعة الإسلامية ثلاثة أعياد :

١- الجمعة . ٢- الفطر . ٣- الأضحى .

فالجمعة عيد أسبوعى يجتمع المسلمون فيه، فيعبدون الله سبحانه وتعالى ويتذاكرون شرائعهم، ويناقشون قضاياهم، ويلتقون فى جماعات كبيرة، فيتفقدون غائبهم، ويواسون مريضهم وسائلهم، وقد قال ﷺ فى يوم الجمعة : «**يامعشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله عيدًا فاغتسلوا، ومن كان عنده طيب فلا يضره وعليكم بالسواك**»[١] .

والفطر والأضحى عيدان سنويان، شرعهما المسلمون منذ قدوم النبى ﷺ المدينة، ووجد أهلها قد اتخذوا يومين يلعبون فيهما، فقال إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر»[٢] .

ولم يؤثر أن أحدًا من علماء الإسلام أضاف لهذه الثلاثة رابعًا[٣] .

صورة الاحتفال بالأعياد فى الإسلام :

لقد كان منهج الإسلام فى الاحتفال بالأعياد موائمًا للروح والبدن معًا، جامعًا بين عبادة الله سبحانه وتعالى وحاجة النفس إلى الترويح عنها .

فأما العبادة فى العيد، فتبدو ملامحها فى مجموعة الشعائر الآتية :

١- **التكبير فى أيام العيد**: وقد أرشد القرآن إلى تلك الشعيرة، حيث قال سبحانه وتعالى فى الفطر :

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤] . وقال فى

---

(١) سنن ابن ماجه ١٠٩٨، ك إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فى الزينة يوم الجمعة ١/ ٣٤٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٣٥ .

(٣) قد يقول قائل : المسلمون يحتفلون بمواسم أخرى غير هذه الثلاثة أليس هذا من التزيد؟ ، والجواب : قد يحتفل المسلمون بذكرى بعض المناسبات كالإسراء والمعراج، والهجرة، وبعض الفتوحات والغزوات كبدر وفتح مكة، ولكن يلاحظ أنها لم تسمى أعيادًا، ولم يشرع فيها صلاة ولا صيام من نحو ما شرع فى الفطر والأضحى، وما ابتدعه بعض المبتدعة من نحو بعض الصلوات فى ليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، قد رده جمهور العلماء العاملين بالسنة، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها .

(٤) سورة البقرة من الآية (١٨٥) .

الأضحى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

وقد سئل أنس بن مالك: كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ فى الغدو إلى عرفات؟ فقال: «**كان يلبى الملبى لا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه**» (٢).

وقال البخارى فى التكبير أيام التشريق: « **كان عمر رضي الله عنه يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرًا، وكان ابن عمر - رضى الله عنهما- يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفى فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعًا** . . . . . » (٣).

والمقصود من التكبير -كما أشارت الآيتان- إظهار الشكر لله سبحانه وتعالى على إحسانه وتوفيقه إلى الاهتداء للإسلام.

٢- الصلاة والخطبة: فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس -والناس جلوس على صفوفهم- فيعظهم ويوصيهم، ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف» (٤).

وفى الصلاة والخطبة فى العيد إعلان أن العيد الإسلامى عبادة وليس عادة.

٣- الزكاة فى الفطر والأضاحى فى الأضحى: ولا يخفى مقصود الإسلام من تلك الشعائر التى تجمع لمؤديها بين عبادة ربه، وبين مشاركته فى إشاعة المحبة والسرور، وتكافل المجتمع المؤمن.

وأما اشتمال منهج الإسلام فى احتفاله بالأعياد على ما يروح عن النفس، فيتمثل فى عدة أمور:

١- الزينة والتجمل للأعياد: فالنفس بفطرتها تحب الزينة والجمال، ولا شك أن المنظر الحسن مما يدعو إلى السرور، وراحة النفس، فقد حث الإسلام على الاغتسال والتطيب ولبس الجديد، فعن الحسن السبط قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ** فى العيدين أن

---

(١) سورة الحج من الآية (٣٧).

(٢) البخارى بشرح ابن حجر: ٩٧٠ ك العيدين، باب التكبير أيام منى ٢/ ٥٦١.

(٣) البخارى: ك العيدين، باب التكبير أيام منى ٢/ ٥٥٩، ٥٦٠، والأثران مقطوعان، ذكر ابن حجر أن أثر عمر وصله سعيد بن منصور فى سننه، وأثر عبد الله وصله ابن المنذر والفاكهى فى أخبار مكة.

(٤) البخارى بشرح ابن حجر: ٩٥٦ ك العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ٢/ ٥٤٤، ٥٤٥.

نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد وأن نضحى بأجود ما نجد»[(١)] . وقال ابن القيم: «كان ﷺ يلبس لهما أجمل ثيابه، وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة»[(٢)] .

وهذا بالطبع خلاف ما رأينا فى طقوس بعض أعياد سفر اللاويين من القذارة بهيلان التراب والرماد على الرءوس.

٢- اللعب واللهو والغناء والأكل فى الأعياد:

فقد جعل الإسلام اللعب المباح، واللهو البرىء والغناء العفيف من شعائر الدين التى شرعها الله سبحانه وتعالى فى الأعياد، رياضة للبدن وترويحًا عن النفس فقد روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: «**دخل علينا أبو بكر فى يوم عيد وعندنا جاريتان تغنيان بغناء بعاث**[(٣)]، فقال: عباد الله أمزمور الشيطان، قالها ثلاثا - فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا وإن اليوم عيدنا»[(٤)] .

وقالت عائشة -رضى الله عنها-: «**كان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب، فقال النبى** ﷺ تشتهين تنظرين؟ فقلت نعم: فأقامنى وراءه، خدى على خده وهو يقول دونكم يابنى أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك؟ قلت: نعم: قال فاذهبى»[(٥)] .

وفى بعض الطريق أن رسول الله ﷺ قال: « **لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحه، إنى بعثت بحنيفية سمحة**»[(٦)] .

ولا شك أن هذا المظهر الطيب فى الأعياد الإسلامية، كان ردًّا على مظهر الكآبة والحزن، الذى طبع أعياد اليهود، فأكثرها مطبوع بأحزان إسرائيل - كما رأينا.

٣- الأكل والشرب: لذلك نجد الإسلام قد منع صوم أيام الأعياد سواء كان الجمعة، أو الفطر والأضحى وأيام التشريق، وقد جاء عن النبى ﷺ أنه قال: أيام

---

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ك الأضاحى ٤/ ٢٣٠، وقال لولا جهالة إسحاق لحكمت للحديث بالصحة .

(٢) زاد المعاد ١/ ١٢١ .

(٣) بعاث : اسم حصن للأوس، وحوله دارت مقتلة عظيمة بين الأوس والخزرج .

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٩٥٢ ك العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام ٢/ ٥٤١ .

(٥) البخارى بشرح ابن حجر ٩٥٠ ك العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٢/ ٥٣٨ والدرق جمع درقة وهو الترس أو الدرع .

(٦) أورده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٢/ ٥٣٩، وعزاه إلى السراج .

التشريق أيام أكل وشرب، وذكر لله عز وجل [١].

وعن أبى سعيد الخدرى قال: « **نهى رسول الله ﷺ** عن صيام يوم الفطر ويوم النحر» [٢].

والأكل فى أعياد الإسلام لإدخال الفرح والسرور، ومسح آلام البائسين، وهذا بعكس ما رأيناه من استئثار الكهنة بالقرابين والأضاحى فى أعيادهم.

٤- خروج الجميع حتى النساء والصبيان: فقد حرص الإسلام على أن يعم الفرح كل المؤمنين، فعن أم عطية -رضى الله عنها- قالت: « **كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى تخرج البكر من خدرها، وحتى تخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، ويرجون بركة ذلك اليوم وطهرته**» [٣].

ولا شك أن هذا الخروج مضبوط بضوابط الشرع الإسلامى الذى يدعو إلى الحشمة والطهر والعفاف.

ولا زال المسلمون فى كل عصر يتحرون شعائر الأعياد كما وضحها صاحب الشرع ﷺ بدقة ينقطع نظيرها، حتى إنهم ليتحرون خروجه للعيد ماشيا أم راكبًا؟ [٤] ويخالفون الطريق إذا رجعوا كما كان يخالف [٥].

---

(١) الإمام أحمد: المسند ٣/ ٤٦٠ وهو صحيح.

(٢) البخارى بشرح ابن حجر ١٩٩١ ك الصوم، باب صوم يوم الفطر ٤/ ٢٩٢.

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ٩٧١ ك العيدين، باب التكبير أيام منى ٢/ ٥٦١.

(٤) انظر: الترمذى الجامع الصحيح « ٥٣ ك العيدين، باب ما جاء فى المشى يوم العيد ٢/ ٤١٠ وقال حديث حسن.

(٥) انظر البخارى بشرح ابن حجر ٩٨٦ ك العيدين، باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد ٢/ ٥٧٣.

المبحث السابع

القرابين فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

ويشتمل على ستة مطالب:

المبحث السابع

القرابين فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: تعريف القربان

القربان: هو عبارة عن هدية يتقرب بها الشخص للإله رجاء قضاء حاجة يريدها، وكانت أحيانًا للشكر، والاعتراف بعون حصل عليه الشخص قبل تقديمها[١].

وقد تقربت كل أمة إلى إلهها بنوع خاص من القرابين استرضاء له، واستدرارًا لعطفه ورحمته.

ويعتبر أول القرابين التى عرفت فى حياة البشر قربان ابنى آدم عليه السلام، وقد عرف اليهود تقديم القرابين لإلههم، بل وأفرطوا فى مجال القرابين كنوع من العبادة، فلم تعرف أمة -فى تاريخ عبادتها- بلغت ما بلغه اليهود فى افتراض القرابين، وليس هذا الإفراط من قبيل الطاعة بل هو زيادة فى جلب الثراء الشخصى للمشرعين - كما سنرى.

ولقد مرت القرابين فى الدين اليهودى بعدة مراحل.

المطلب الثانى: المراحل التى مرت بها القرابين عند اليهود

١- القرابين البشرية: لقد نصت شريعة اليهود على أن كل بكر من الأولاد يقدم قربانًا للإله، جاء فى سفر الخروج: « **لى كل فاتح رحم** »[٢].

وقد ظل اليهود يقدمون أبكار أولادهم مع أبكار حيواناتهم فترة طويلة إلى ما بعد عهد سليمان، وحتى عهد الانقسام، ثم قرر الكهنة أن الآلهة أصبحت تكتفى بجزء من الإنسان، بدلا من أن يضحى بالإنسان كله، وكان هذا الجزء هو ما يقتطع فى عملية الختان، وقد بقيت عملية الختان رمزًا للقرابين البشرية، وبقى مع جزء الختان الحيوان والثمار، وأصبح يضحى بالبقر والخراف وبواكير الثمار[٣].

ولكن اليهود برغم هذا ظلوا يحنون إلى القرابين البشرية، ويجعلونها فى شعيرة

---

(١) انظر: بطرس البستانى: محيط المحيط ص٧٢٣ مادة «قرب».

(٢) الخروج ٣٤: ٢٠.

(٣) انظر: د / أحمد شلبى: اليهودية ص٢١٦.

الفصح كما رأينا فى الكلام على عيد الفصح[(١)] .

وتروى أسفار العهد القديم أن اليهود ظلوا يقربون الذبائح البشرية ويفرطون فى ذلك حتى ندد بها إرميا، إذ يقول فى سفره : «**بنى يهوذا قد عملوا الشر فى عينى يقول الرب . . . بنوا مرتفعات . . ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار، الذى لم آمر به ولاصعد على قلبى**»[(٢)] .

٢- القرابين الحيوانية والنباتية : حاولت اليهود أن تسلك فى طريق الارتقاء البشرى فأظهروا مفارقتهم للأمم الوثنية فى شعيرة القرابين البشرية، واكتفوا بتقديم القربان من الحيوان والنبات، لكنهم توسعوا فى هذا المجال توسعًا أرهق الناس إرهاقًا جعلهم لا يرون عملاً من أعمالهم إلا وهو يحتاج إلى قربان، فولادة المرأة، والإصابة بالمرض، ومجرد مس الشىء النجس . . وغير ذلك كله يحتاج إلى قرابين - كما سنوضحه قريبًا .

ويعد تطوير اليهود فى نوع القرابين نتيجة لتطوير فكرهم فى الإله، فهم حينما قدموا القرابين البشرية مع الحيوانات كانوا يشاركون غيرهم من الأمم فى عبادة آلهتها، ثم لما اتخذوا « يهوه » إلهًا قوميًا لهم حاولوا أن يتحرروا -بعض الشىء- من بعض الشعائر والطقوس التى تجعلهم يشركون إلها آخر فى العبادة مع يهوه .

٣- القرابين الشفوية : وتمثلت تلك القرابين فى الأدعية والصلوات -كما فى مبحث الصلاة-[(٣)] وذلك أن اليهود بعد زوال الهيكل أبطلوا التقدمات والقرابين، وأحلوا محلها الصلوات، ولكن مع ذلك ظل المتشددون منهم يتمسكون بتقديم بعض القرابين، ولكن تنازلوا عن كثير من الطقوس الخاصة بالذبائح، فأصبح بإمكان اليهودى أن يذبح قربانه فى أى مكان شاء، ولا يأتى به إلى باب الخيمة (أو الهيكل فيما بعد) .

ومن تلك المراحل ندرك أن اليهود لم يستقروا فى قرابينهم باعتبارها جزءً من عبادتهم .

وبعد تلك اللمحة اليسيرة عن تعريف القرابين، والمراحل التى مرت بها، نعول على ما جاء فى سفر اللاويين بشأنها، فنجد حديث السفر عن القرابين كان يعتبر فى إطار المرحلة الثانية، وهى مرحلة التقرب بالقرابين الحيوانية والنباتية .

---

(١) انظر : ص ٢٣٥من هذا البحث .

(٢) إرميا ٧ : ٣١ .

(٣) انظر : ص من هذا البحث .

وقد وضح سفر اللاويين مجموعة من الشروط العامة فى القرابين نذكر أهمها:

المطلب الثالث: شروط عامة فى القرابين

١- أن يكون القربان من البقر أو الغنم أو المعز، أو اليمام والحمام إن كان القربان حيوانيًا[(١)].

٢- أن يكون صحيحًا خاليًا من العيوب[(٢)].

٣- أن يكون ذكرًا فلا يصح تقديم الأنثى عدا ذبيحة السلامة[(٣)].

٤- ألا يقل عمر الحيوان الذى يقدم قربانًا عن سبعة أيام[(٤)].

٥- ألا يكون القربان مشترى من غير يهودى[(٥)].

٦- ألا يصنع خميرًا، ولا يوضع فيه عسل إن كان القربان نباتيًا[(٦)].

٧- لابد من الإتيان به إلى باب خيمة الاجتماع[(٧)].

٨- لابد من إشراف الكاهن وقيامه بتقديم القربان عن صاحبه[(٨)].

وهناك بعض شروط خاصة بكل قربان ستأتى فى مواضعها.

ويلاحظ فى هذه الشروط التشديد والغلو والعنصرية، والوساطة، وغير ذلك مما يتنافى مع العبادة الصحيحة.

المطلب الرابع: أقسام القرابين فى سفر اللاويين

تنقسم القرابين إلى قسمين:

١- قربان حيوانى، ويشتمل على كل أنواع الذبائح.

٢- قربان نباتى، ويشتمل على التقدمات المخبوزة والمطبوخة وباكورات الأثمار.

وتفصيل ذلك كما يلى:

القسم الأول: القربان الحيوانى: ويشتمل على أربعة أنواع من الذبائح:

النوع الأول: ذبيحة المحرقة:

سبب التسمية: المحرقة فى العبرية (عولاه) وهى تعنى الصعيدة، على المذبح، باستثناء الجلد ومحتويات الأمعاء، ولا يؤكل منها شىء[(٩)]. وهى نوع من القرابين

---

(١) اللاويين ٢٢: ١٩، ٥: ٧.
(٢) اللاويين ٢٢: ٢٠.
(٣) اللاويين ٢٢: ١٩، ٣: ١.
(٤) اللاويين ٢٢: ٢٧.
(٥) اللاويين ٢٢: ٢٥.
(٦) اللاويين ٢: ١١.
(٧) اللاويين ١: ٣.
(٨) اللاويين ١: ٥، ١١، ١٥.
(٩) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١٤.

التي كان اليهود يقدمونها طلبًا للرضا من ربهم، ولها أكثر من نوع:

أنواع المحرقات:

للمحرقات أنواع أربعة:

١- المحرقات اليومية: يذكر الإصحاح السادس من سفر اللاويين أن رب إسرائيل كان قد افترض عليهم أن يقدموا محرقات يوميًا فى الصباح والمساء، بحيث لا تنطفأ النار على المذبح، وفى هذا يقول:

«. . . هذه شريعة المحرقة، هى المحرقة تكون على الموقدة فوق المذبح كل الليل حتى الصباح، ونار المذبح تتقد عليه. . . لا تطفأ ويشعل الكاهن عليها حطبًا كل صباح ويرتب عليها المحرقة»[١].

٢- محرقات الأعياد والمواسم: حيث جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين -فى الكلام على الأعياد والمواسم اليهودية- تقرير محرقات فى بعض الأعياد ويختلف كمها من عيد إلى آخر، كما سبق بيانه[٢].

٣- محرقات كانت تقدم فى ظروف خاصة: كالتى كانت تقدم فى رسامة الكاهن[٣]، والتى تقدم فى حالة الشفاء من المرض[٤]، والتى تقدم فى حالة ولادة المرأة[٥].

وهذه الأنواع الثلاثة كانت إجبارية كما هو واضح.

٤- محرقات اختيارية: وهى عبارة عن ما ينذره الشخص تقربًا للرب، وفى ذلك يقول الإصحاح الثانى والعشرون:

«جميع نذورهم وجميع نوافلهم التى يقربونها للرب محرقة، للرضا عنكم يكون ذكرًا صحيحًا»[٦].

طقوس المحرقة:

تختلف طقوس المحرقة باختلاف نوع الحيوان المقدم:

١- فإن كانت المحرقة من البقر أو الغنم، تقدم إلى خيمة الاجتماع، ويضع صاحب المحرقة يده عليها ليرضى عنه الرب، ثم يذبح المحرقة، ويقوم الكهنة برش

---

(١) اللاويين ٦: ٩-١٢.

(٢) انظر مبحث الأعياد من هذا البحث.

(٣) اللاويين ٨: ١٨.

(٤) اللاويين ١٥: ٥.

(٥) اللاويين ١٢: ٨.

(٦) اللاويين ٢٢: ١٨، ١٩.

الدم على المذبح بطريقة دائرية ثم يقومون بسلخها وتقطيعها، ثم يصعدونها على النار، بحيث يبدأ بالرأس والشحم واللحم، ثم بعد ذلك الأحشاء والأكارع بعد أن تغسل بماء[١] .

٢- وإن كانت المحرقة من الطير : يشترط أن تكون من اليمام أو أفراخ الحمام، يقدمه الكاهن إلى المذبح، ويجز رأسه، ويعصر دمه على المذبح، ويأخذ الحوصلة بما فيها من بقايا الطعام فيلقيها إلى مكان الرماد، ويشقه بين الجناحين مع عدم الفصل، ثم يوقده على المذبح[٢] .

٣- وهناك طقس عام يتعلق بملابس الكهنة وهم يؤدون طقس المحرقة، حيث كان الكاهن يلبس ثوبًا وسراويل من كتان فى حالة طقس المحرقة وكذلك فى إخراج رمادها (بقاياها) ثم يخلع تلك الثياب ويلبس ثيابًا أخرى غير الكتان عند ما يخرج بقايا المحرقة خارج المحلة[٣] .

سرور الرب بالمحرقة: تكرر فى جانب ذبيحة المحرقة فى سفر اللاويين عبارة «رائحة سرور للرب»، وهذا يدل على فكرة اليهود فى إلههم وأنه شره، أكثر ما يداخله السرور حينما تحرق له الذبيحة بكمالها!! .

النوع الثانى : ذبيحة السلامة :

وسميت بهذا لأنها كانت تقدم للشكر فى ظروف الفرح والنجاح، كما يقدمها الإنسان لأجل خير يرجوه، أو لخير ناله، وهى تقدم فردية، وكذلك عن الشعب، وهى قديمة العهد قبل شريعة موسى[٤] عليه السلام.

وكان لا يشترط فى ذبيحة السلامة أن تقدم من ذكور الحيوانات بل تقدم من البقر أو الغنم أو المعز ذكورًا أو إناثًا، وفى هذا يقول سفر اللاويين :

«إن كان قربانه ذبيحة سلامة فإن قرب من البقر ذكرًا أو أنثى فصحيحًا يقربه»[٥] .

«وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للرب ذكرًا أو أنثى فصحيحًا يقربه»[٦] .

---

(١) يراجع فى هذا الفقرات من ٣ : ١٤ من الإصحاح الأول من سفر اللاويين .

(٢) راجع الفقرات : ١٤، ١٥من الإصحاح الأول من سفر اللاويين .

(٣) راجع اللاويين ٦ : ١٠، ١١ .

(٤) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٠ .

(٥) اللاويين ٣ : ١ . (٦) اللاويين ٣ : ٦ .

«وإن كان قربانه من المعز يقدمه أمام الرب»[(١)] .

وذبيحة السلامة على أنواع ثلاثة يوضحها الإصحاح السابع من سفر اللاويين .

أنواع ذبيحة السلامة :

١- **ذبيحة السلامة للشكر :** وهذه لابد أن تكون مصحوبة بتقدمة نباتية بحيث تعد فى صورة أقراص فطير معجونة بزيت، يقول السفر :

«وهذه شريعة ذبيحة السلامة . . إن قربها لأجل الشكر يقرب على ذبيحة الشكر أقراص فطير ملتوتة بزيت، ورقائق فطير مدهونة بزيت، ودقيقًا مربوكًا أقراصًا ملتوتة بزيت»[(٢)] .

ويشترط فى ذبيحة الشكر أن يؤكل لحمها فى نفس اليوم الذى تقرب فيه ولا يبقى منه شىء إلى الصباح، **« ولحم ذبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه، لا يبقى منه شىء إلى الصباح»**[(٣)] .

٢ ، ٣- ذبيحة السلامة عن نذر أو نافلة :

«والنذر عبارة عن تعهد اختيارى يتعهد به الإنسان لأمر يرجوه من الرب، والنافلة هى عطية التطوع أو مازاد عن الواجب المطلوب»[(٤)] .

وهذين النوعين من ذبائح السلامة لهما حكم واحد، فتؤكل كل ذبيحة منها فى يوم ذبحها، ويجوز إبقاء شىء منها إلى اليوم الثانى بعد الذبح، وإن بقى منها شىء إلى اليوم الثالث يحرق بالنار .

« وإن كانت ذبيحة قربانه نذرًا أو نافلة ففى يوم تقريبه ذبيحته تؤكل، وفى الغد يؤكل ما فضل منها، وأما الفاضل من لحم الذبيحة فى اليوم الثالث، فيحرق بالنار»[(٥)] .

علمًا بأن الأكل من تلك الذبيحة فى اليوم الثالث كان يترتب عليه بطلان القربان : (وإن أكل من لحم ذبيحة سلامته فى اليوم الثالث لاتقبل الذى يقربها لاتحسب له . . . . والنفس التى تأكل منها تحمل ذنبها»[(٦)] .

طقوس ذبيحة السلامة :

كانت ذبيحة السلامة بكل أنواعها تذبح بطريقة طقسية تبدأ بالإتيان به إلى باب خيمة الاجتماع، ووضع المقرب يده على رأس قربانه، ثم تذبح، ويقوم الكهنة برش الدم

---

(١) اللاويين ٣: ١٢ .
(٢) اللاويين ٧: ١١-١٢ .
(٣) اللاويين ٧: ١٥ .
(٤) انظر: نجيب جرجس: المرجع السابق ص٦٣ .
(٥) اللاويين ٧: ١٦، ١٧ .
(٦) اللاويين ٧: ١٨ .

على المذبح بطريقة دائرية، ثم تقطع إلى قطع، ويؤخذ منها الشحم ويوقد على المذبح لإخراج رائحة تسر الرب - كما يقولون، جاء فى السفر:

«وإن كان قربانه ذبيحة سلامة . . . يضع يده على رأس قربانه، ويذبحه لدى باب خيمة الاجتماع، ويرش بنو هارون الكهنة الدم على المذبح مستديرًا ويقرب من ذبيحة السلامة وقودًا للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى يغشى الأحشاء، والكليتين والشحم الذى عليها . . . ويوقدها بنو هارون على المذبح على المحرقة . . رائحة سرور للرب»(١) .

أنصبة الكهنة من ذبيحة السلامة:

كان للكاهن الذى يقدم ذبيحة السلامة نصيب سواء من الذبيحة أو من القربان النباتى الذى يصحب الذبيحة فى صورة أقراص فطير، أما بالنسبة لنصيبه من الذبيحة، فكان يجب للكاهن صدر الذبيحة وساقها اليمنى، يقول سفر اللاويين:

« . . . ويكون الصدر لهارون وبنيه، والساق اليمنى تعطونها للكاهن من ذبائح سلامتكم»(٢) .

بل إن الكهنة زيادة فى التأكيد على نصيبهم يزعمون أن رب إسرائيل يقول: « . . . **صدر الترديد وساق الرفيعة قد أخذتهما من بنى إسرائيل من ذبائح سلامتهم وأعطيتهما لهارون الكاهن ولبنيه فريضة دهرية من بنى إسرائيل»**(٣) ، وباقى الذبيحة كان يأكله مقدمها مع أهله وأصدقائه والفقراء.

أما بالنسبة لنصيبه من القربان النباتى الذى يصحب ذبيحة السلامة، فكان يأخذ قرصًا من كل نوع، إذ جاء فى السفر بعد ذكر القربان النباتى أقراص الفطير الملتوتة بالزيت والمدهونة: قال:

«ويقرب منه واحدًا من كل قربان رفيعة للرب يكون للكاهن الذى يرش دم ذبيحة السلامة»(٤) .

أحكام عامة بشأن ذبيحة السلامة عمومًا:

وهناك عدة أحكام تتعلق بذبيحة السلامة، وهى:

١- أى لحم من ذبيحة السلامة تمسه نجاسة لا يؤكل، بل يحرق بالنار، جاء فى سفر اللاويين:

---

(١) اللاويين ٣: ١-٦ .
(٢) اللاويين ٧: ٣١-٣٢ .
(٣) اللاويين ٧: ٣٤ .
(٤) اللاويين ٧: ١٤ .

«. . . . **والللحم الذى مس شيئًا نجسًا لا يؤكل يحرق بالنار**»[١] .

حتى ولو لم يعلق به شيء من النجاسة .

٢- يشترط فى الذى يأكل من ذبيحة السلامة أن يكون على طهارة، جاء فى سفر اللاويين : «**واللحم يأكل كل طاهر منه**»[٢] .

وبناء عليه لا يأكل الأجانب منها لأنهم أنجاس فى نظر شريعة اليهود .

٣- لو حدث وأكل إنسان فى حالة نجاسته من ذبيحة السلامة فإنه يحكم عليه بالقتل، جاء فى السفر : «**وأما النفس التى تمس شيئًا ما نجسًا نجاسة إنسان أو بهيمة نجسة أو مكروهًا ما نجسًا ثم تأكل من لحم ذبيحة السلامة التى للرب تقطع تلك النفس من شعبها**»[٣] .

ذبيحة السلامة كأساس لسر الشكر فى العهد الجديد

يعتبر النصارى ذبيحة السلامة -فى العهد القديم- أساسا لسر من أسرار كنيستهم، وهو سر الشكر أو التناول أو العشاء الربانى أو المشاركة المقدسة[٤] -كما يسمونه .

يقول الأستاذ نجيب جرجس :

«**والذبيحة -أى ذبيحة السلامة- تشير بصورة واضحة إلى ذبيحة سر التناول الذى نأكل فيه جسد الرب ونشرب دمه، وذلك للأمور الآتية :**

١- أن ذبيحة السلامة هى ذبيحة وفى نفس الوقت مائدة ووليمة، وكذلك سر العشاء الربانى هو ذبيحة، وفى نفس الوقت وليمة مقدسة .

٢- أن لحم ذبيحة السلامة كان يؤكل، وكذلك فى سر العشاء الربانى يأكل المؤمنون جسد المسيح ويشربون دمه .

٣- ذبيحة السلامة كانت شركة بين الله والكهنة والشعب، وكذلك سر العشاء الربانى به يصبح المؤمنون مشتركين فى وليمة واحدة كإخوة وكأولاد لأب واحد، وشركاء فى الطبيعة الإلهية .

٤- ذبيحة السلامة كانت تؤكل فى مكان طاهر، وكذلك الذبيحة المقدسة فى

---

(١) اللاويين ٧ : ١٩ . (٢) اللاويين ٧ : ١٩ .

(٣) اللاويين ٧ : ٢٠ .

(٤) انظر : د / محمود حماية : العبادات فى المسيحية ص١٢ ط دار المعارف - ط أولى ١٩٩٠م، د / أحمد شلبى : المسيحية ص١٤٧ - ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط العاشرة ١٩٩٣م .

التناول تقدم على مذبح الله وهيكله المقدس»[١].

النوع الثالث : ذبيحة الخطية :

تعريفها : هى الذبيحة التى يقدمها الإنسان عن الخطايا التى يصنعها [٢].

درجات ذبيحة الخطية :

يجعل علماء اليهود ذبيحة الخطية على أربع درجات، وهى كما يلى :

١ - **ذبيحة الخطية عن رئيس الكهنة** : وهذه كانت تقدم ثورًا صحيحًا من البقر، يقوم الكاهن بتقريبه إلى باب خيمة الاجتماع، ويضع يده على رأس الثور ويعترف بخطاياه، ثم يذبح الثور، ويغمس الكاهن إصبعه فى الدم سبع مرات، ثم ينضح منه شيئًا داخل الخيمة، ويصب الباقى أسفل المذبح، ولا يحرق من تلك الذبيحة على مذبح المحرقة إلا الكليتين والشحم الذى عليهما، أما جلد الثور وباقى اللحم والأحشاء فكانت تحرق -أيضًا- لكن خارج المساكن، فى المكان الذى يلقى فيه الرماد، أو بقايا المحرقات. جاء فى سفر اللاويين :

«إن كان الكاهن الممسوح يخطئ لإثم الشعب يقرب عن خطيته التى أخطأ ثورًا ابن بقر صحيحًا للرب، ذبيحة خطية، يقدم الثور إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب، ويضع يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الرب، ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به إلى خيمة الاجتماع، ويغمس الكاهن إصبعه فى الدم، وينضح من الدم سبع مرات أمام الرب لدى حجاب القدس، ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب، وسائر دم الثور يصبه إلى أسفل مذبح المحرقة الذى لدى باب خيمة الاجتماع، وجميع شحم ثور الخطية ينزعه عنه، الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين، والشحم الذى عليهما، الذى على الخاصرتين، وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها، كما تنزع من ثور ذبيحة السلامة ويوقدهن الكهان على مذبح المحرقة، وأما جلد الثور وكل لحمه مع رأسه وأكارعه وأحشائه وفرثه، فيخرج سائر الثور إلى خارج المحلة إلى مكان طاهر إلى مرمى الرماد ويحرقها على حطب بالنار على مرمى الرماد تحرق»[٣].

---

(١) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٥، ٣٦، بإيجاز، وانظر : متى هنرى : تفسير إنجيل متى ٢/ ٤١٩، ترجمة القمص/ مرقص داود - مكتبة المحبة - القاهرة ١٩٨٣م .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ٧٢٢ .

(٣) اللاويين ٤ : ٣-١٢ .

والكلام على ذبيحة الخطية عن رئيس الكهنة، يلفت النظر إلى كذب ما يدعيه اليهود فى التلمود من عصمة الأحبار والحاخامات. جاء فى التلمود:

«إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يومًا الاختلاف بين البارى سبحانه وتعالى وبين علماء اليهود فى مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور»[١].

ويستفاد من هذا أن اليهود كانوا يعملون قربان الخطية عن رئيس الكهنة أيام هارون -الذى يزعمونه مخطئًا- أما فيما بعد فقد ارتقى الكهنة اوالحاخامات إلى درجة من العصمة لم يكونوا معها فى حاجة إلى قربان خطية، إذ لم تكن لهم خطايا بل كان الواجب على الرب أن يقرب هوقربان خطية لأنه يخطئ !!! **تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.**

٢- ذبيحة الخطية عن الشعب:

وكانت تقدم عن خطايا الجماعة الإسرائيلية كلها، وهى ثور ابن بقر، يؤتى به إلى باب خيمة الاجتماع ولا يشترط أن يضع كل الشعب أيديهم فوق رأس تلك الذبيحة، بل يكتفى بوضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور، ويعترفون بخطايا الشعب، ثم يذبح الثور، ويفعل به كما فعل بذبيحة الخطية عن رئيس الكهنة.

جاء فى سفر اللاويين:

«وإن سها كل جماعة إسرائيل . . . . وعملوا واحدة من جميع مناهى الرب . . . . يقرب المجمع ثورًا ابن بقر ذبيحة خطية، يأتون به إلى قدام خيمة الاجتماع، ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور . . . ويفعل بالثور كما فعل بثور الخطية . . . . ويكفر عنهم الكاهن فيصفح عنهم . . . . . »[٢].

وذبيحة الخطية عن الشعب بمجمله كانت تقدم غالبًا فى المواسم والأعياد.

٣- ذبيحة الخطية عن الزعماء والقادة:

وكانت تقدم هذه الذبيحة فى حالة خطأ الرؤساء المذنبين، مثل الملوك أو القضاة أو رؤساء الأسباط.

---

(١) الكنز المرصود، ص٥٢.

(٢) اللاويين ٤: ١٣-٢١.

وفى هذه الحالة كان يقدم المخطئ ذكرًا من المعز صحيحًا، ويعترف على رأسه ثم يذبح بنفس الطقس المتبع فى ذبيحة الخطية، غير أن الجلد واللحم كانا من نصيب الكهنة، ولا يحرق إلا الشحم [(١)].

جاء فى سفر اللاويين:

«إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو واحدة من جميع مناهى الرب إلهه . . . . يأتى بقربانه تيسًا من المعز ذكرًا صحيحًا، ويضع يده على رأس التيس ويذبحه فى الموضع الذى يذبح فيه المحرقة . . . وجميع شحمه يوقده على المذبح كشحم ذبيحة السلامة ويكفر الكاهن عنه من خطيته فيصفح عنه» [(٢)].

٤- ذبيحة الخطية عن فرد من عامة الشعب:

ومن أخطأ من عامة الشعب كان يقدم عنزة، أو شاة من الضأن يعترف على رأسها، ثم يذبح ذبحًا طقسيًّا كذبيحة الخطية عن الزعماء والقادة، والجلد واللحم للكهنة.

جاء فى سفر اللاويين:

«وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهوًا بعمله واحدة من مناهى الرب . . . يأتى بقربانه عنزًا من المعز أنثى صحيحة . . وإن أتى بقربانه من الضأن ذبيحة خطية يأتى بها أنثى صحيحة، ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية، ويذبحها ذبيحة خطية . . . ويكفر عنه الكاهن من خطيته التى أخطأ فيصفح عنه» [(٣)].

أنصبة الكهنة من ذبيحة الخطية:

يوضح سفر اللاويين أن ذبائح الخطية التى كانت تقدم فى الحالات الخطيرة، مثل التى تقدم عن رئيس الكهنة أو عن الشعب كله كان لا يجوز أكل شيء منها. **«وكل ذبيحة خطية يدخل من دمها إلى خيمة الاجتماع للتكفير فى القدس لا تؤكل تحرق بالنار»** [(٤)].

أما الذبائح التى كانت تقدم عن خطية الزعماء أو أحد من عامة الشعب فكانت من نصيب الكهنة، الذكور فقط، بعد إحراق الشحوم.

« . . . ذبيحة الخطية أمام الرب إنها قدس أقداس الكاهن الذى يعملها للخطية يأكلها

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٤٢ .

(٢) اللاويين ٤ : ٢٢-٢٦ .

(٣) اللاويين ٤ : ٢٧-٣٥ .

(٤) اللاويين ٦ : ٣٠ .

فى مكان مقدس تؤكل فى دار خيمة الاجتماع»[١] .

وأظن أن القارئ اللبيب يدرك ههنا سر التفريق فى ذبيحة الخطية فى توزيع الأنصبة، ولماذا اختص الكهنة أنفسهم بالذبائح التى تذبح عن خطايا العامة من الشعب أو الزعماء؟ .

وواضح أن الكهنة يريدون أن يجعلوا لأنفسهم موردًا من الخيرات لا ينقطع، فما أكثر خطايا العامة من الشعب، وخصوصًا الشعب الإسرائيلى الظلوم. ولكى تتحقق من كشف هذا السر، أضرب لك بعض الأمثلة للخطايا التى توجب ذبيحة الخطية :

أمثلة للخطايا التى توجب ذبيحة الخطية :

١- ولادة المرأة[٢] . ٢- الإصابة بمرض السيل[٣] .

٣- الإصابة بمرض البرص[٤] . ٤- كتم الشهادة[٥] .

٥- مس أى شيء نجس[٦] .

فهل يمكن أن تكون ولادة المرأة، أو المرض ، أو مس النجاسة خطايا توجب قربانا؟

نعم يمكن، ما دامت أفواه الكهنة فاغرة تلتهم كل قليل وكثير باسم الرب!! .

هل لازال اليهود يكفرون عن خطاياهم بالذبائح :

طبيعة ديانة اليهود عدم الاستقرار، فهى لا تستقر على حال، لذلك نجد اليهود قد تركوا تقريب الذبائح عن الخطايا واكتفوا ببعض الأدعية والصلوات، وسموها قربان الشفة كما رأينا، وبذلك أبطلوا تلك النصوص على الرغم من تقديسها .

الصلة بين ذبيحة الخطية وسر التوبة فى العهد الجديد :

تعتبر ذبيحة الخطية أساسًا لما عرف فى العهد الجديد بـ «**سر التوبة أو الاعتراف**»، ومن خلال عرضنا السابق لطقوس ذبيحة الخطية فى سفر اللاويين، تتضح الصلة بين تلك الذبيحة وذلك السر النصرانى :

- فكما أن ذبيحة الخطية كان من طقوسها أن يتقدم المخطئ ويضع يده على رأسها

---

(١) اللاويين ٦ : ٢٥-٢٦ .

(٢) اللاويين ١٢ : ٦ .

(٣) اللاويين ١٥ : ١٤-١٥ .

(٤) اللاويين ١٤ : ١٩ .

(٥) اللاويين ٥ : ١ .

(٦) اللاويين ٥ : ٢-٣ .

ويعترف بخطاياه، فكذلك فى سر التوبة لابد من الاعتراف[١].

- فى ذبيحة الخطية لابد أن يكون الاعتراف أمام الكاهن، وكذلك فى سر التوبة لابد من الاعتراف أمام الكاهن[٢].

- فى ذبيحة الخطية يقوم الكاهن بتكفير الخطايا عن المخطئ (فيكفر عنهم الكاهن فيصفح عنهم)[٣]. وفى سر التوبة يحصل المخطئ من الكاهن على حل من خطاياه[٤].

وأعجب من هذا ما يصرح به النصارى من عقد المقارنة بين ربهم المسيح وبين ذبيحة الخطية التى فى العهد القديم.

يقول الأستاذ / نجيب جرجس:

«. . . قدم المسيح نفسه كذبيحة خطية لأنه حمل كل خطايا العالم بإرادته كمذنب ومن ثم كان موقفه موقف العار واللعنة. . . كما أن موقفه استدعى أن يحجب عنه وجه الله، وأن تصب عليه كل جامات الغضب من العدل الإلهى . . . وكانت ذبيحة الخطية -فى العهد القديم- أحيانًا يخرج بها خارج المحلة لتحرق، وفى هذا إشارة إلى صلب المسيح وآلامه خارج أورشليم»[٥].

ومن هذا يظهر أن ذبيحة الخطية كانت أساسًا لعقيدة خطيرة فى النصرانية، وهى عقيدة الصلب والفداء والخلاص، وليس هنا محل نقاش تلك العقائد.

النوع الرابع: ذبيحة الإثم:

الإثم: هو الذنب، وهو ما يقع فيه الإنسان نتيجة مخالفة الشرائع.

طقوس ذبيحة الإثم:

لقد أوجز السفر فى ذكر طقوس ذبيحة الإثم، فلم يذكر منها إلا أنها تذبح فى المكان الذى تذبح فيه المحرقة، وأن يرش الدم على المذبح بطريقة دائرية، ويوقد الشحم والكليتين، جاء فى سفر اللاويين:

---

(١) انظر: الأب بولس إلياس: يسوع المسيح ص٢١١ ط - بيت مدار الأحد - القاهرة، د. / أحمد شلبى، المسيحية ص٢٠٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢١١.

(٣) اللاويين ٤: ٢٠.

(٤) انظر: حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة ص١٠٧ مكتبة المحبة - ط السابعة - بدون تاريخ.

(٥) تفسير سفر اللاويين ص٤٤-٤٥، بتصرف وإيجاز.

«وهذه شريعة ذبيحة الإثم إنها قدس أقداس، فى المكان الذى يذبحون فيه المحرقة يذبحون ذبيحة الإثم، ويرش دمها على المذبح مستديرًا، ويقرب منها كل شحمها، الإلية والشحم الذى يغشى الأحشاء، والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين، وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها، ويوقدهن الكاهن على المذبح وقودًا للرب إنها ذبيحة إثم»(١).

وكان باقى اللحم يؤكل - كما سيأتى:

وأما طقس وضع اليد على الذبيحة واعتراف الآثم قبل الذبح فقد جاء ضمنيًّا، فى الفقرة السابقة من الإصحاح السابع تقول: «ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية لهما شريعة واحدة»(٢).

ذبيحة الإثم لا يأكل منها إلا الكهنة الذكور:

يذكر سفر اللاويين أن ذبيحة الإثم لا يجوز أن يأكل منها إلا ذكور الكهنة فقط، جاء فى الإصحاح السابع:

«. . . إنها ذبيحة إثم، كل ذكر من الكهنة يأكل منها فى مكان مقدس تؤكل إنها قدس أقداس. . . . الكاهن الذى يكفر بها تكون له»(٣).

ولكن ما السر فى قصر الأكل على الذكور فقط؟

ويجيب علماء اليهود بأن «ذلك لخطورة مركز الذبيحة ومسئولية الكهنة»(٤).

وأعتقد أن مثل هذا الكلام الإنشائى لا تعلل به الشرائع والعبادات.

بل لنا أن نسائل اليهود: ماذا سيصنعون مع أمثال هذا النص بعد أن أجاز العهد القديم(٥) رسامة الإناث ككاهنات؟

قطعًا سيضطرون إلى إلغاء هذه النصوص للخروج من هذا المأزق، فلهم سلطات واسعة يدخل فيها حق تغيير النص الذى يزعجهم!!!.

الكاهن هو الذى يحدد ثمن ذبيحة الإثم:

لما كانت ذبيحة الإثم كلها -باستثناء الشحم- حقًا خالصًا للكهنة، فإنهم زعموا

---

(١) اللاويين ٧: ١-٥ . (٢) اللاويين ٧: ٧ .

(٣) اللاويين ٧: ٦ .

(٤) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٥٧ .

(٥) انظر سفر القضاة وكيف تحدث عن إمكان نيل النبوة للنساء كدبُّورة النبية وغيرها .

فيما كتبوا من نصوص التوراة، أن الشريعة أعطتهم حق تقدير ثمن ذبيحة الإثم، جاء فى سفر اللاويين:

«. . . بذبيحة الإثمه كبشًا صحيحًا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس ذبيحة إثم»[١].

الفرق بين ذبيحة الإثم وذبيحة الخطية:

إن سفر اللاويين يذكر أنه لا فرق بين ذبيحتى الإثم والخطية، إذ جاء فى الإصحاح السابع منه:

«ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية لهما شريعة واحدة»[٢].

ومع هذا فإن مفسرى اليهود وفقهائهم يفرقون بينهما، ويختلفون فى ذلك اختلافًا كبيرًا، ينقله عنهم الأستاذ / نجيب جرجس.

أ- بعض المفسرين يرون أن ذبيحة الخطية كانت تقدم عن الخطايا الإيجابية التى يعترف فيها الخاطئ ذنبًا، وذبيحة الإثم تقدم عن الخطايا السلبية أو خطايا الإهمال التى يهمل فيها الإنسان واجبًا.

ب- والبعض يرون أن ذبيحة الخطية تقدم عن الخطايا التى يعود أثرها على الخاطئ نفسه، بينما ذبيحة الإثم تقدم عن الخطايا التى تقترف ضد الله أو الآخرين.

ج- ويرى آخرون أن ذبيحة الخطية تقدم لمنع العقاب الإلهى، وذبيحة الإثم تقدم لراحة الضمير وتهدئته.

د- ويرى آخرون أن ذبيحة الخطية تقدم عن الخطايا العامة أو الخاصة لكل طبقة من طبقات الشعب والتى لا تلتزم تعويضًا، بينما ذبيحة الإثم تقدم عن الإهمال فى تأدية أقداس الرب أو عدم الأمانة فى حقوق الناس مما يلزم الخاطئ رد الحق المسلوب مع تعويض قدره الخمس[٣].

وهذه فلسفة فاسدة للشرائع، تدل على أن الذين أرادوا أن يوجدوا فرقًا بين الذبيحتين لم يريدوا إلا تكثير المسميات التى توسع لهم موارد الخيرات، بطريقة مغلفة بغلاف يدعونه شرعيًا، ليحملوا العامة على السمع والطاعة.

---

(١) اللاويين ٥: ١٥.   (٢) اللاويين ٧: ٧.

(٣) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٤٩، ٥٠.

حتى أن ول ديورانت ليقول :

«وكانت الخطيئة هى الفكرة الأساسية فى الدين اليهودى »[١] .

وهذا يعنى أن كتاب التوراة حاولوا عبثًا أن يتصيدوا سقطات الشعب تحت تفريعات واسعة ، استطاعوا معها أن يوهموا المرأة أنها إذا ولدت فقد أخطأت ويجب أن تقدم كفارة ، وأن يوهموا الإنسان أنه إذا مرض فقد أخطأ ويجب أن يقدم كفارة . . . وغير ذلك .

القسم الثانى : القرابين النباتية :

اليهود يسمون القرابين النباتية «تقدمة » وأصل كلمة تقدمة فى اللغة العبرية «منحة»[٢] .

فهل افتقر الإله لدرجة أن يمنحه عباده المنائح؟

ومن مجرد التسمية دون الغوص فى تفاصيل تدرك أن رجال الدين اليهودى فى مقابل إشباع بطونهم اقترفوا فى حق الإله جرائم لا تغتفر .

شروط عامة فى القرابين النباتية : يشترط فى القربان النباتى عدة شروط :

١ - أن يكون من دقيق الحنطة ، وهوأثمن أنواع الدقيق ، ويجب أن يكون ناعمًا نقيًا ، ومعه زيت الزيتون النقى - كذلك[٣] .

٢ - أن لا يصنع خميرًا[٤] . ٣- أن لا يكون فيه عسل[٥] .

أنواع القربان النباتى : القربان النباتى على أنواع خمسة :

الأول : الدقيق مع الزيت : وصفه هذا القربان أنه لا يطبخ بل يسكب الزيت على الدقيق ، ويوضع عليه البخور ، ويقوم الكاهن بعزل نصيب الرب وهو ملء قبضته دقيقًا بزيت وبخور ، ويضعه على المذبح والباقى من القربان للكهنة .

«وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق ، ويسكب عليها زيتًا ويجعل عليها لبانا ، ويأتى بها إلى بنى هارون الكهنة ، ويقبض منها ملء قبضته . . . ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب والباقى من التقدمة هو لهارون وبنيه قدس أقداس»[٦] .

---

(١) قصة الحضارة ٢/ ٣٤٥ .

(٢) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٤ .

(٣) انظر : السابق ص٢٥ .

(٤) انظر سفر اللاويين ٢ : ١١ .

(٥) انظر سفر اللاويين ٢ : ١١ .

(٦) اللاويين ٢ : ١-٣ .

الثانى: التقدمات المخبوزة فى التنور:

جاء فى سفر اللاويين **«وإذا قربت قربان تقدمة مخبوزة فى تنور تكون أقراصًا من دقيق فطيرًا ملتوتة بزيت ورقاقًا فطيرًا مدهونة بزيت»**(١).

الثالث: القربان المهيأ على الصاج:

وكان هذا -أيضًا- يلت العجين بالزيت، ثم يوضع على صاج من حديد أو نحاس فوق النار حى ينضج ثم بعد استوائه يكسر كسرًا صغيرة ويوضع عليها زيتًا.

يقول سفر اللاويين:

«وإن كان قربانك تقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوت بزيت فطيرًا، تفتها فتاتًا وتسكب عليها زيتًا إنها تقدمة»(٢).

الرابع: القربان المطبوخ فى طاجن:

يقول سفر اللاويين: **«وإن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله»**(٣).

وما أعجب إله اليهود وهو يأمرهم بأن يقدموا القرابين له، إنه تفنن فى أنواع الطعام، ثم ما للإله وللتنور والصاج والطاجن والطبيخ واللت والعجن؟ بل أعجب من هذا النوع الخامس.

الخامس: قربان باكورات الزروع:

رأينا فى مبحث الأعياد كيف أوجبت الشريعة اليهودية عليهم أن يقدموا البكر من كل شىء، حتى فى الزروع والثمار، وكان يشترط فى قربان الباكورات أن يكون فريكا مشويًا بالنار، مدشوشًا ناعمًا مخلوطًا بزيت وبخور.

«وإن قربت تقدمة باكورات للرب ففريكًا مشويًا بالنار جريشًا سويقًا، تقرب تقدمة باكوراتك، وتجعل عليها زيتًا، وتضع عليها لبانا، إنها تقدمة، فيوقد الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقودًا للرب»(٤).

النوع السادس: الدقيق الجاف:

جاء فى سفر اللاويين أن هناك نوع من التقدمات النباتية يقدمه من عجز عن الإتيان باليمام والحمام لقربان الخطية، وهذا النوع يشترط أن يكون من الدقيق فقط، فلا يخلط به زيت ولا لبان، يقول السفر:

---

(١) اللاويين ٢: ٤.
(٢) اللاويين ٢: ٥، ٦.
(٣) اللاويين ٢: ٧.
(٤) اللاويين ٢: ١٤، ١٥.

«عُشْر الإيقة من دقيق قربان خطية لا يضع عليه زيتًا ولا يجعل عليه لبانًا لأنه قربان خطية، يأتي به إلى الكاهن فيقبض منه ملء قبضته تذكاره ويوقده على المذبح . . . ويكون للكاهن كالتقدمة»(١) .

وهذا النوع وإن زعم كتاب التوراة وشراحها أنه شرع للرفق بمن عجز عن الإتيان بيمام أو حمام، إلا أنه واضح أن الكهنة كانوا يريدون تخصيص نوع من القرابين يكون دقيقًا جافًا يستطيعون التصرف فيه أو تخزينه .

المطلب الخامس: موقف النصرانية من قرابين العهد القديم

الواقع أن النصرانية قد اضطرب موقفها من ذبائح وقرابين العهد القديم، فأسفارها تارة تربط بين ذبائح العهد القديم وبين ذبيحة المسيح (٢) . وتارة تبين أن ذبائح العهد القديم وقرابينه لم تكن قادرة أن توصل إلى درجة الكمال، لأولئك الذين يتقربون بها، ولا أن تمحو ذنوبهم (٣) .

وكذلك نجد كثيرًا من شراح العهد القديم -من النصارى- لا يكفون عن إبراز الصلة بين قرابين العهد القديم وبين أسرار كنيستهم - كما رأينا .

بينما يرى بعض الباحثين من النصارى - أن اليهود اتخذوا القرابين على عكس المراد منها، فجعلوها مبررًا لارتكاب الخطايا، ماداموا بالخطايا يستطيعون التكفير عنها، واجتناب القصاص الذى تستوجبه، ناظرين إلى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب، معتقدين أن مجرد القيام بها يغنى عن الحكمة المقصودة وراءها، ومن ثم أهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية، التى هى جوهر الدين، وقد اشترك فى ذلك الكهنة والشعب(٤) .

وكما فهم اليهود من أسفارهم أن القرابين تكفر عنهم الخطايا بمجرد تقديمها **«فيكفر عنه الكاهن . . . فيصفح له عن خطيئته»**(٥) . واتخذوها ذريعة لارتكاب الخطايا، فإن النصارى كذلك اعتقدوا فى أن ذبيحة المسيح كفارة لمن قبله ومن بعده، ومن ثم يفعلون الخطايا اعتمادًا على ذبيحة المسيح ولا تعوزهم الخطيئة مهما كانت

---

(١) اللاويين ٥: ١١-١٣ .

(٢) انظر: الاصحاح التاسع من الرسالة إلى العبرانيين .

(٣) انظر الاصحاح العاشر من الرسالة إلى العبرانيين .

(٤) المجتمع اليهودى ص ١٩٩ .

(٥) اللاويين ٩ : ٢٢ .

إلا إلى اعتراف بسيط عند الكاهن.

وبهذا ندرك أن المؤمنين بتلك القرابين كعبادة فإن القوم جميعًا يهودًا ونصارى لم يدركوا المقصود منها، ولم يفهموها حق الفهم فتنكبوا الطريق، وسلكوا فى طريق الخطيئة التى لا يخرجهم منها إلا نور الإسلام.

المطلب السادس: موقف الإسلام من القرابين فى سفر اللاويين

لقد شرع الاسلام للمؤمنين به العبادة بالقرابين والأضاحى، ولكنه من خلال هذا التشريع جعل يرد أباطيل الأديان الأخرى، ويقوم ما اعوجت فيه، بأسلوب مقنع غاية الإقناع.

١] فبين أن المقصود من تعبد الله سبحانه وتعالى بالقرابين، هو تحقيق التقوى فى قلوب العابدين، وكذلك تحقيق العدالة الاجتماعية، وإدخال السرور على المجتمعات - وخصوصًا على الفقراء الذين يقاسون من البأس والحرمان، لذلك قال لهم عن القرابين فى الحج: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [(١)]. وقال: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [(٢)]. وقال: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [(٣)].

وهذا كله فوق أنه إرشاد قويم للمقصود من العبادة، فهو رد لما زعمت اليهود من أباطيل حيث قالت بتلذذ الإله برائحة شواء اللحم، واصطفائه الشحوم من الذبائح، وتحريم الأكل على صاحب الذبيحة من ذبيحته فى أكثر الأحوال كما رأينا، فالذى يأكل لابد أن يكون من أصحاب القداسة - كما يقولون.

٢] ولما قالت اليهود أن الإله يتصيد أخطاء عباده، حتى أنه ليحاسب المرأة إذا ولدت على أنها مخطئة، ويجب أن تقدم ذبيحة، جاء الإسلام فبين أن الذى شرعه لهم أنبياؤهم هو العقيقة عن المولود لاغير، فقد أخرج البيهقى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليهود تعق عن الغلام كبشًا ولا تعق عن الجارية . . .**»[(٤)].

فعدل الإسلام أمر تلك الشعيرة وبين أنها عن كل مولود، غلامًا أو جارية، فقال:

---

(١) سورة الحج من الآية (٢٨). (٢) سورة الحج من الآية (٣٦).

(٣) سورة الحج من الآية (٣٧).

(٤) البيهقى السنن الكبرى كتاب الضحايا باب: ما يعق عن الغلام ما يعق عن الجارية ٩/ ٣٠٢.

«كل مولود مرهون بعقيقته»(١) . وجمهور فقهاء الإسلام على أنها سنة وليست واجبة (٢) وبين كذلك الحكمة منها وهى :

«أن تكون العقيقة فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات، وقربانًا يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى فى أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة، كما أن فيها إظهارًا للفرح بإقامة شعائر الإسلام، وبخروج نسمة مؤمنة، كما أن من حكمها تقوية روابط المحبة بين أبناء المجتمع من خلال اجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجًا بالمولود الجديد، كما أن فيها إثراء لموارد التكافل الاجتماعى لتحقيق العدالة الاجتماعية، ومحو ظواهر الحرمان والفقر والفاقة من المجتمع»(٣) .

فهل يمكن أن يشبه هذا القربان -فى الإسلام- ذبيحة الخطية عن المرأة التى تلد كما قالت أسفار اليهود؟

وكل القرائن تجعل من المستحيل وجود وجه للشبه، ذلك لأن هدف اليهودية من تلك القرابين كان عكس أهداف الإسلام تمامًا، فلئن كان هدف الإسلام من تلك القرابين محاربة الفقر والحرمان، فإن اليهودية قد سعت فى إفقار أتباعها حين أرهقت كواهلهم بتلك الواجبات عبثًا .

ولئن كان هدف الإسلام من تلك القرابين إدخال السرور على الناس فإن اليهودية قد جعلت أتباعها يعيشون حياة كئيبة من جراء تلك الأغلال فمن أين يأتى الشبه؟

٣] كما أن الإسلام قد رفض فكرة الوساطة التى كان يقوم بها الكاهن فى تقديم الذبائح والقرابين، فلم يقل أحد بأن العالم هو الذى يقوم بتوزيعها فيدخر لنفسه الأطيب منها كما كان يفعل الكاهن . بل إن الجزار الذى يذبح الأضحية يعطى أجره من غير لحمها .

بل جاء القرآن الكريم يبين أن الله سبحانه وتعالى قريب من عبده قربًا لا يسع أن يكون الكاهن فى المنتصف، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (٤) .

---

(١) مستدرك الحاكم : ٤/ ٢٣٧، وقال صحيح الإسناد .

(٢) النووى: المجموع ٨/ ٤٣٥ - ط المكتبة السلفية - المدينة المنورة .

(٣) انظر: د / عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام ١/ ١٠٦ - ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط أولى ١٩٩٣م .

(٤) سورة ق الآية (١٦) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [(١)].

ونعى على أهل الكتاب -يهودًا ونصارى- اتخاذهم الوسيط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [(٢)].

وقد فهم علماء الإسلام موقف دينهم من الوساطة بين الناس وخالقهم فهمًا جيدًا، حتى نرى العالم منهم يقول لمن أتاه يطلب منه الدعاء -ظانًا أن العالم له دور فى رفع الدعاء- بل ادع أنت لنفسك [(٣)].

٤] كما أن الإسلام لم يقف موقف اليهودية العنصرى، حيث نصت على أن القربان الذى يشترى من يد الغريب -أى غير اليهودى- لا يصح قربانًا لأن فيه فساد، فيشترى المسلمون أضاحيهم وقرابينهم من اليهود، ومن النصارى وغيرهم.

٥] كما أن الإسلام أباح أن نطعم أهل الكتاب من قرابيننا، وقد ذبحت أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- شاة ذات يوم وأهدت منها لجيران يهود [(٤)]، وكذلك ابن عمر -رضى الله عنهم أجمعين- [(٥)].

وهذا بخلاف ما زعمت اليهودية من أن أكل الغريب من القرابين ينجس أقداس الرب.

وأعتقد أن القارئ الكريم لو عقد -فى لحظة إنصاف- المقارنة بين القرابين فى سفر اللاويين وبين موقف الإسلام منها، لما تردد لحظة فى أن يقرر أن الإسلام هو أقدر المناهج على تقريب العباد إلى العباد، وتقريب العباد إلى رب العباد.

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٨٦).
(٢) سورة التوبة الآية (٣١).
(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣/ ٨٥.
(٤) انظر صحيح البخارى بشرح ابن حجر ٦٠٢٠ ك الأدب، باب حق الجوار من قرب الأبواب ١٠/ ٥٣٦.
(٥) انظر الترمذى ك البر والصلة، باب ما جاء فى حق الجوار ٤/ ٢٩٣.

المبحث الثامن

الأيمان والنذور فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الأيمان فى سفر اللاويين .

المطلب الثاني: موقف المسيحية من الأيمان عند اليهود .

المطلب الثالث: النذور فى سفر اللاويين .

المطلب الرابع: حكم النذر عند اليهود .

المطلب الخامس: شروط النذر عند اليهود .

المطلب السادس: أقسام النذر عند اليهود .

المطلب السابع: موقف النصرانية من النذور فى سفر اللاويين .

المطلب الثامن: موقف الإسلام من الأيمان والنذور فى سفر اللاويين .

المبحث الثامن

الأيمان والنذور فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

المطلب الأول: الأيمان فى سفر اللاويين:

الأيمان : جمع يمين، وأصل اليمين فى اللغة اليد، وأطلقت على الحلف لأن الناس كانوا إذا تحالفوا أخذ كل بيمين صاحبه(١) .

ولقد عرفت كل الأمم الحلف بمعبوداتها، وكل أمة من البشر يكون التزامها فى حلفها وأيمانها بمقدار سمو عقيدتها فى المقسم به .

وكل الشرائع ذات الأصول السماوية تعتبر الحلف باسم الإله كذبًا انتقاصًا من حق الإله .

وقد جاء فى سفر اللاويين تحذير للإسرائيلين من الحلف باسم الإله كذبًا : **«ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك»**(٢) .

وفقهاء اليهود يقولون : **«لا يلجأ إلى اليمين إذا كان هناك ما يجزى عنها من سائر طرق الإثبات»**(٣) .

ولكن إذا اضطر للحلف فلابد من هيئة معينة للحالف ليكون ذلك دافعًا له على الصدق : **« فيؤدى الحالف اليمين وهو واقف ممسكًا بالتوراة أو غيرها من الكتب المقدسة قائلاً : أحلف باسم الله إله إسرائيل »**(٤) .

«كما تقوم المحكمة -أو المحلف- بتحذير الحالف قبل أن يحلف بقولها له : إن الله يغتفر كل ذنب إلا ذنب من يحلف باطلاً، كل ذنب هو فى عنق صاحبه إلا ذنب اليمين الباطلة، فإنه فى عنق ذريته، أيضًا إن الله يقتص من الشعب كله من أجل من يحلف منهم

---

(١) انظر القاموس المحيط ٤/ ٢٨٠، ٢٨١ مادة (يمين) وانظر : قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨١ مادة يمين .

(٢) اللاويين ١٩ : ١٢ .

(٣) حاى بن شمعون : الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين ص٢٨٢ (المادة ٨١١) مطبعة كوهين وروزنتال - مصر ١٩١٢م .

(٤) السابق ص٢٨٠ (المادة ٨٠٤) .

باطلاً، إن الله يمهل عقابه إلا فى اليمين الباطلة، فإن أصر على الحلف عادت المحكمة وأفهمته أنه إنما يحلف على ما نواه القضاة لا على ما ينويه هو»[١].

وقد استنبط علماء اليهود من نص سفر اللاويين فى التحذير من الحلف باسم الإله كذبًا، جواز إسقاط اسم الإله من صيغة اليمين واستبدالها باللعنة يقول حاى بن شمعون:

«المتبع الآن أن يكون التحليف لا باسم الله بل بذكر اللعنة»[٢].

أى بأن يقول الحالف إن كنت كاذبًا فلتحل علىّ اللعنة.

والحلف باللعنة ليس من استنتاج فقهاء اليهود المعاصرين، بل إننا نجد فى عهد القضاة حلفًا بتلك الصيغة، حيث جاء فى سفر القضاة:

« . . . بنى إسرائيل حلفوا قائلين: ملعون من أعطى امرأة لبنيامين»[٣].

وقد غالى اليهود فى إظهار البر بالأيمان غلوًا شديدًا، حتى نجد سفر القضاة يحكى لنا عن يمين حلفها رجال إسرائيل ألا يزوجوا من بناتهم سبط بنيامين، ولكنهم بعد هذا الحلف رأوا أن سبط بنيامين سينقطع، فبكوا لذلك، وفكروا فى مخرج يتمسكون فيه بيمينهم وفى نفس الوقت يحيون سبط بنيامين.

فقرروا أن السبط الذى لم يحضر منه أحد إلى المجمع بخصوص هذا اليمين ينبغى أن يقتل ذكوره ويؤخذ نساؤه لسبط بنيامين.

فعدوا المجمع فلم يجدوا أحدًا من سكان يابيش جلعاد[٤]، فأرسلوا إليهم اثنى عشر ألف رجل، وأمروهم بضرب كل الرجال بحد السيف، واستحياء النساء، فأخذوا منهم أربعمائة فتاة عذارى، وأعطوهم لرجال سبط بنيامين، ولكنهم لم يكفوهم، ففكر شيوخ إسرائيل ماذا نفعل بالباقين وقد حلفنا أن لا نعطيهم من بناتنا؟

وأخيرًا اقترحوا أن يخرج شباب سبط بينامين فى عيد الرب الذى فى شيلوه[٥]

---

(١) السابق ص٢٨١ (المادة ٨٠٨) .

(٢) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية ص٢٨١ (المادة ٨٠٦) .

(٣) سفر القضاة ٢١ : ١٨ .

(٤) يابيش جلعاد: مدينة قديمة مشهورة فى العهد القديم تقع على جبال جلعاد شرق الأردن وتنسب إلى يابيش ملك المملكة الشمالية الخامس عشر الذى ملك شهر واحد حوالى ٥٤٧ ق . م . قاموس الكتاب المقدس ١٠٤٢ .

(٥) شيلوه: سبق التعريف بها .

ويكمنوا فى الشجر، حتى إذا خرجت بنات شيلوه، خرج الشباب، واختطفوا كل واحد لنفسه امرأة من بنات شيلوه وذهبوا إلى أرض بنيامين[١].

أرأيت مثل هذا السفه؟ إبادة شعب بأكمله (يابيش) واختطاف نساءه ونساء شيلوه لا يوجب اللعنة، وتوجبها يمين حلفوها ألا يعطوا من بناتهم لسبط من أسباطهم؟

إنه تشريع ناقص، بل ليس بتشريع ذلك الذى يدع الناس فى المآزق لا يحسنون الفكاك منها، وفى سبيل الخوف من إثم يرتكبون آثامًا وآثامًا[٢].

والحقيقة أن هذا الذى صنعه القضاة، من قتل للرجال والصبيان وخطف للنساء ليس من أجل احترام اليمين الذى حلفوها، ولكنه إيغال فى عنصرية قبيحة أعمت القضاة -حملة الشريعة- عن أن حرمة الدماء والأعراض أشد من حرمة اليمين.

وأعمتهم كذلك عن أن الشريعة التى يزعمون التمسك بها قد شرعت اليمين كفارة، إذ جاء فى سفر اللاويين أن اليهودى إذا حلف كاذبًا فى أى أمر من الأمور بإمكانه أن يكفر عن يمينه بتقديم ذبيحة إثم، وإن كان المحلوف عليه شيئًا ماليًا، يرد المحلوف عليه بزيادة الخمس عليه بالإضافة إلى ذبيحة الإثم.

يقول السفر:

«إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبًا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبًا على شيء من كل ما يفعله الإنسان مخطئًا به، فإذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها، أو كل ما حلف عليه كاذبًا يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسه إلى الذى هو له يدفعه يوم ذبيحة إثمه، ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه كبشًا صحيحًا من الغنم بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيصفح عنه»[٣].

وفى الإصحاح الخامس من السفر -ذاته- **«وإذا حلف أحد مفترطًا بشفتيه للإساءة أو للإحسان من جميع ما يفترط به الإنسان فى اليمين وأخفى عنه ثم علم فهو مذنب . . . يقر بما قد أخطأ به ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيئته التى أخطأ بها أنثى من الأغنام نعجة**

(١) انظر: سفر القضاة ٢١: ١-٢٢.

(٢) سترى قريبًا إن شاء الله فى موقف الإسلام من الأيمان، كيف أن الحالف على شيء ورأى غيره خيرًا منه فليأته وليكفر عن يمينه.

(٣) اللاويين ٦: ٢-٧.

أو عنزًا من المعز، ذبيحة خطيئه فيكفر عنه الكاهن . . وإن لم تنل يده كفاية لشاة فيأتى بذبيحة لإثمه الذى أخطأ به يمامتين أو فرخى حمام إلى الرب أحدهما ذبيحة خطيئة والآخر محرقة . . فيكفر عنه الكاهن»[١] .

ولكن يلاحظ أن هذه الكفارة قد اتخذها اليهود ذريعة للكذب ونكث الأيمان والعهود .

فأخطر الأيمان عند اليهود، يمكن أن تكفر بذبيحة إثم نعجة أو عنزة أو فرخى يمام يقدمها إلى المعبد فيصفح عنه كما يقول السفر .

اليمين مع الأجنبى لاتحتاج إلى كفارة :

ويبدو أن هذا كله الذى عرضناه فى التوراة من التحذير من الحلف والحث على الصدق، هذا فيما يحلفونه من أيمان بينهم، وأما ما يكون من الأيمان والأقسام مع غير اليهود فلا اعتبار لها ما دامت الكباش ترفع إلى المعبد .

بل إن فقهاء التلمود فهموا فيما بعد أن اليمين مع الأجنبى لا تحتاج إلى كفارة أصلاً، ولذلك جاء فى التلمود :

«العهد مع المسيحى لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم به اليهود»[٢] .

«مصرح لك أن تحلف أيمانًا كاذبة، فليهودى أن يؤدى عشرين يمينًا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما، ويجوز لليهودى أن يشهد زورًا وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره»[٣] .

«اليهودى يتحرر من أى يمين يقسمها مع الأجنبى»[٤] .

وكيف لا يتحلل اليهودى من اليمين التى يقسمها مع الأجنبى، وهم يزعمون أنهم يحللون الله من أيمان يقع فيها .

جاء فى التلمود :

«إن الله إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء الإسرائيلين الله سبحانه وتعالى يقول من يحللنى من اليمين التى أقسمت بها، ولما علم باقى

---

(١) اللاويين ٥ : ٤-١٠ .

(٢) أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص٣٠٥، مكتبة مدبولى - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٩٧م .

(٣) المرجع السابق ص٣٠٨ عن التلمود .

(٤) محمد عزت محمد عارف : نهاية اليهود ص٧٣ - ط - مؤسسة بدران للطباعة - القاهرة ١٤١٠هـ - .

الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حمارًا (أى الإسرائيلى) لأنه لم يحلل الله من اليمين، ولذلك نصبوا ملكًا بين السماء والأرض اسمه (مى) ليحلل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم»[١] .

وعلى أساس من هذه القواعد التوراتية والتلمودية - معًا - يتملص اليهود من كل عهد ومن كل يمين .

المطلب الثانى : موقف المسيحية من الأيمان عند اليهود

جاءت المسيحية فرأت الحال الوضيع الذى بلغه أسلافهم اليهود من التلاعب بالأيمان، والكذب فيها، وإهانة الرب، فقررت منع الحلف أصلاً، تحت أى ظرف من الظروف، وعدت مما يقع من الحلف شرًا يصنعه شرير .

يحكى متى فى إنجيله على لسان المسيح أنه قال :

«سمعتم أنه قيل للقدماء -أى اليهود- لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة، لا بالسماء لأنها كرسى الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك لأنه لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا ، وما زاد على ذلك فهو شر من الشرير»[٢] .

ولكن النصارى برغم هذا الإيغال فى محاولات إظهار التقوى والورع، إلا أنهم كانوا على نهج أسلافهم اليهود فى وضع تشريعات تيسر لهم الإفلات من طائلة الأيمان والعهود، وواقعهم يؤيد ذلك .

المطلب الثالث : النذور فى سفر اللاويين

النذور : جمع نذر، وأصله الإنذار بمعنى التخويف [٣]، وعرفه شراح الكتاب المقدس بأنه التعهد بفعل شىء ما إن تحقق أمرًا ما [٤] .

والنذر فى اليهودية أقدم من شريعة موسى عليه السلام إذ جاء فى سفر التكوين أن يعقوب قد نذر أن يبنى بيتًا للرب، ويخرج العشر من كل دخله **«ونذر يعقوب نذرًا قائلاً : إن كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه وأعطانى خبزًا لآكل وثيابًا لألبس،**

---

(١) نهاية اليهود ص٤٦ .   (٢) متى ٥ : ٣٣-٣٧ .

(٣) القاموس المحيط ٢/ ١٤٥ مادة (نذر) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٩٦٦ مادة (نذر) .

ورجعت بسلام إلى بيت أبى يكون الرب لى إلهًا، وهذا الحجر الذى أقمته عمودًا يكون بيت الله، وكل ما تعطينى فإنى أعشره لك»[١] .

وقد أمرت الشريعة اليهودية بالوفاء بالنذر لله، جاء فى سفر التثنية : « **إذا نذرت للرب إلهك فلا تؤخر وفاءه لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكون عليك خطيئه»**[٢] .

المطلب الرابع : حكم النذر عند اليهود

والنذر عند علماء اليهود اختيارى، فما دام المرء لم ينذر شيئًا فلا يلزمه، ولكن متى نذره يكون ملزمًا بوفائه[٣] .

المطلب الخامس : شروط النذر عند اليهود

تضع الشريعة اليهودية شروطًا فى الناذر والمنذور، لابد منها هى :

١- أن يكون الناذر حرًا فلا نذر على العبد.

٢- أن يكون ممن يملك القدرة على الوفاء بنذره، فالفتاة إذا نذرت وهى فى بيت أبيها وسكت، كان سكوته دليل الموافقة على النذر، فتكون ملزمة بالوفاء به، ولكن إن نهاها عن النذر فى وقت نطقها لم تكن ملزمة، وكذلك شأن المرأة مع زوجها، وأما الأرملة والمطلقة فكانت تفى بنذرها لأنها المسئولة عن نفسها[٤] .

٣- لابد من التلفظ بالنذر، فلا يكفى أن ينذر الإنسان فى نفسه[٥] .

٤- لابد أن يكون وفاء النذر من طريق مشروع، فلا يصح من تجارة غير لائقة كأجرة الزانية أو ثمن الكلب[٦] .

٥- لابد فى المنذور أن يكون صحيحًا خاليًا من العيوب[٧] .

٦- ألا يكون المنذور بكرًا لأن البكر بطبيعته للرب[٨] .

المطلب السادس : أقسام النذر عند اليهود

تنقسم النذور عند اليهود إلى قسمين :

القسم الأول : النذور الإيجابية : وهى التى يوجبها الإنسان على نفسه من المقاصد والأعمال الدينية، أو وقف بعض أهل بيته أو كلهم لله، أو وقف شىء من الأملاك

---

(١) التكوين ٢٨ : ٢٠-٢٢ . (٢) التثنية ٢١ : ٢٣ .

(٣) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٨٤، والسنن القويم ٢/ ٣٥ .

(٤) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ٣٨٤ - بتصرف يسير .

(٥) السنن القويم ٢/ ٢٠٧ . (٦) انظر : التثنية ١٨ : ٢٣ .

(٧) انظر : اللاويين ٢١ : ٢٢ . (٨) انظر : اللاويين ٢٦ : ٢٧ .

والمقتنيات لخدمة الله، وكانت صورة النذر الكلامية فى هذا القسم «**ها أنا قد وقفت كذا للرب**»

القسم الثانى: النذور السلبية: وهى التى يوجب فيها الإنسان على نفسه الامتناع عن شيء من الأشياء، وصورتها الكلامية «**يحرم على كذا وكذا مدة كذا يومًا أو أسبوعًا، أو إلى الأبد**»[1].

وبعد بيان معنى النذر وحكمه وشروطه وأقسامه عند اليهود، نُعول على بيان ما جاء فى سفر اللاويين بخصوص النذر.

وقد استغرق الحديث عن النذر قدرًا كبيرًا من الإصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين وتفصيل ذلك كما يلى:

أنواع النذر الإيجابى:

يذكر سفر اللاويين للنذر الإيحابى أنواعًا هى:

النوع الأول: نذر الإنسان:

لقد كان اليهود ينذرون أولادهم لبيت الرب للخدمة، وربما كذبائح -كما رأينا فى مبحث القرابين والأضاحى- ولكن سفر اللاويين يوضح أنه كان يجوز أن يقدم الناذر فداء عن نذره إن كان إنسانًا، ويصنع لكل سن معينة مقدارًا معينًا من الفداء، ولهذا النوع حالات:

١- فإذا كان المنذور ذكرًا وعمره ما بين عشرين إلى ستين سنة ففديته فى تلك الحالة خمسين شاقلاً من الفضة، وإن كان المنذور أنثى فى نفس تلك السن ففداؤها ثلاثين شاقلاً من الفضة.

يقول السفر:

«**فإن كان تقويمك لذكر من ابن عشرين سنة إلى ستين سنة يكون تقويمك خمسين شاقل فضة على شاقل المقدس، وإن كان أنثى يكون تقويمك ثلاثين شاقلاً**»[2].

٢- وإذا كان المنذور ذكرًا وعمره ما بين الخمس سنين والعشرين سنة ففداؤه عشرين شاقلاً، وإن كان أنثى فى نفس تلك السن ففداؤه عشر شواقل، يقول السفر:

«**وإن كان من ابن خمس سنين إلى ابن عشرين سنة، يكون تقويمك لذكر عشرين**

---

(١) السنن القويم ٢/ ٢٠٧.

(٢) اللاويين ٢٧: ٣، ٤.

شاقلاً، وللأنثى عشر شواقل»[١] .

٣- وإذا كان المنذور ذكرًا ،عمره ما بين شهر إلى خمس سنين ففداؤه خمسة شواقل، وإن كان أنثى ففداؤه ثلاث شواقل، يقول السفر :

«وإن كان من ابن شهر إلى ابن خمس سنين يكون تقويمك لذكر خمسة شواقل فضة، وللأنثى يكون تقويمك ثلاثة شواقل فضة»[٢] .

٤- وإن كان المنذور ذكرًا، عمره فوق الستين سنة فصاعدًا ففداؤه خمسة عشر شاقلاً، وإن كان أنثى ففداؤه عشرة شواقل يقول السفر :

«وإن كان من ابن ستين سنة فصاعدًا فإن كان ذكرًا يكون تقويمك خمسة عشر شاقلاً، وأما للأنثى فعشرة شواقل»[٣] .

السن	النوع	قيمة الفداء
٢٠-٦٠ سنة	ذكر	٥٠ شاقل فضة
	أنثى	٣٠ شاقل فضة
٥-٢٠ سنة	ذكر	٢٠ شاقل فضة
	أنثى	١٠ شاقل فضة
من شهر إلى خمس سنين	ذكر	٥ شاقل فضة
	أنثى	٣ شاقل فضة
٦٠ سنة فصاعدًا	ذكر	١٥ شاقل فضة
	أنثى	١٠ شاقل فضة

وهذا التقويم (التقدير) السابق فى حالة القدرة على دفع الناذر فداءًا عن المنذور .

(١) اللاويين ٢٧ : ٥ .

(٢) اللاويين ٢٧ : ٦ .

(٣) اللاويين ٢٧ : ٧ .

أما فى حالة العجز عن الفداء فكان الكاهن يفحص حالته، ويفرض عليه بحسبها، وكان أقل ما يؤديه على ما عرف عند علماء اليهود - شاقلاً واحدًا [(١)].

وإذا امتنع الناذر عن تأدية ما عليه من النذر للقدس تؤخذ أمتعته بشرط ألا تكون ضرورية لقوام حياته، وكان يأخذ ذلك أحد رجال الشرطة، وكان يترك له أدوات العمل الضرورية، وطعام ثلاثين يومًا، وفراشًا يكفيه اثنى عشر شهرًا [(٢)].

ويرى بعض علماء اليهود أنه إذا عجز أو امتنع عن أداء ما عليه من النذر كان يكرس لخدمة الرب [(٣)].

النوع الثانى : نذر الحيوان :

ونذر الحيوان على نوعين :

أ] نذر من الحيوانات الطاهرة (أى التى يحل أكلها) وهذا النوع لا يجوز فيه تغيير ولا تبديل، بل لابد من تقديم الحيوان المنذور بعينه، حتى ولو كان يريد أن يبدله بأجود منه فلا يجوز، وإن بدله الناذر يكون الحيوان المنذور وبديله نذرًا أيضًا، يقول السفر :

«وإن كان بهيمة مما يقربونه قربانًا للرب فكل ما يعطى منه للرب يكون قدسًا ، لا يغيره ولا يبدله جيدًا برديء ولا رديئًا بجيد، وإن أبدل بهيمة تكون هى وبديلها قدسًا » [(٤)].

وقد أجاز علماء اليهود أن يبيع الكهنة الحيوان المنذور للإسرائيلى الذى يريده ليقدمه ذبيحة على المذبح، وينفق الثمن على الخدمة [(٥)].

ب] نذر من الحيوانات النجسة (أى التى لا يحل أكلها والتى بها عيب) وهذا النوع كان لا يقبل ولكن لا يعفى الناذر منه بل عليه أن يقدم بديلاً ، حسبما يقدر الكاهن هذا البديل، يقول السفر :

«وإن كان بهيمة نجسة مما لا يقربونه قربانًا للرب يوقف البهيمة أمام الكاهن، فيقوّمها الكاهن جيدة أم رديئة فحسب تقويمك يا كاهن هكذا يكون» [(٦)].

ولا يخفى -من تلك التشريعات- حرص المشرع (وهو الكاهن) على إلزام الناذر

---

(١) انظر : السنن القويم ٢/ ٢٠٩ . (٢) انظر : السابق ٢/ ٢٠٩ .

(٣) انظر : نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٨٤ .

(٤) اللاويين ٢٧ : ٩، ١٠ . (٥) السنن القويم ٢/ ٢٠٩ .

(٦) اللاويين٢٧ : ١، ١٢ .

الوفاء بعين المنذور، وإتخاذ ذلك ذريعة لأن يكون هو وبديله نذرًا، فالتوقيم تقويمه، وبطونهم أوعية لتلك النذور !!!

وبعد كل هذا التشديد من المشرع على اليهود بالتزام الوفاء بتقديم المنذور بعينه يناقض السفر نفسه، فيجيز للناذر أن يقدم قيمة الشيء المنذور ويزيد عليه الخمس: يقول السفر:

«فإن فكها -أى البهيمة المنذورة- يزيد خمسها على تقويمك»(١).

وهذا التناقض كان فى سبيل إيجاد مصدر للسيولة المالية فى أيدى الكهنة بجوار الذبائح والقرابين.

النوع الثالث: نذور البيوت:

جاء فى سفر اللاويين:

«وإذا قدس إنسان بيته قدسًا للرب يقومه الكاهن جيدًا أم رديئًا وكما يقومه الكاهن هكذا يقوم»(٢).

«وكان البيت المنذور يباع ويأخذ الكهنة ثمنه، وينفقون على إصلاح القدس أو على بيوت تبنى للكهنة، أو غير ذلك من أمور الهيكل»(٣).

ولكن إن أراد الناذر أن يبقى هذا البيت لنفسه، فيقدره الكاهن ويزيد عليه خمس ثمنه، يقول السفر:

«فإن كان المقدس يفك بيته يزيد خمس فضة تقويمك عليه فيكون له»(٤).

النوع الرابع: نذر الحقول:

فى نذر الحقول تظهر الفلسفة اليهودية الخاصة بنظرة بنى إسرائيل إلى الأرض وأنها لا تباع البتة، فكان الحقل المنذور لا يباع، بل يوقف ليزرع ويستغل لحساب بيت الرب، ليس على الدوام ولكن إلى سنة اليوبيل (التى تأتى كل تسع وأربعين سنة)(٥).

أما القسم الثانى وهو النذور السلبية:

والتى تكون بصيغة التحريم، يعطيه علماء اليهود قدرًا من القداسة أكبر من النذر

---

(١) اللاويين ٢٧: ١٣.
(٢) اللاويين ٢٧: ١٤.
(٣) السنن القويم ٢/ ٢١٠.
(٤) اللاويين ٢٧: ١٥.
(٥) انظر: نجيب جرجس: تفسير اللاويين ص٣٨٧.

الإيجابى، ويعتمدون فى هذا قول سفر اللاويين عن النذر السلبى (المحرم) : « **قدس أقداس للرب**» أى كامل القداسة[١] .

وكان هذا القسم من النذور بكل الأصناف التى ينذر منها سواء من الناس أو البهائم أو الحقول، لا يباع ولا يشترى ولا يفدى، جاء فى سفر اللاويين : «**أما كل محرم يحرمه إنسان للرب من كل ماله، من الناس والبهائم ومن الحقول ملكه فلا يباع ولا يفك، إن كل محرم هو قدس أقداس للرب**» [٢] .

ويخص السفر بمزيد من التأكيد، النذر السلبى إذا كان إنسانًا بأنه لا يفدى بحال من الأحوال، برغم أنه داخل فى عموم الحكم المشار إليه آنفًا، فيقول : « **كل محرم يحرم من الناس لا يفدى، يقتل قتلاً**»[٣] .

فما سر هذا التأكيد؟

يجيب الأستاذ/ نجيب جرجس فيقول : « **تحريم الناس كان فى الغالب للأشخاص الخطرين، أو للشعوب المتمادية فى الشر، والتى يعتبر وجودها خطرًا على المجتمع، وعلى شعب الله بالخصوص**»[٤] .

ويزيد الأمر وضوحًا ما جاء فى سفر التثنية أنه كان يجوز لليهودى أن ينذر أعداءه للرب نذر تحريم، فيسمى سبعة شعوب (الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين) ثم يقول : « **فإنك تحرمهم**» وتحريمهم هذا كان ينص على ألا يقطع لهم عهدًا، وألا يشفق عليهم، وألا يصاهرهم، وأن يهدم لهم بيوت عبادتهم ويحرقها بالنار[٥] .

فإذا أضفنا هذا إلى ما فى سفر اللاويين عن النذرالسلبى من الإنسان -أى وجوب قتله- لتبدت لنا الروح الصهيونية الجارفة التى لايروى ظمأها للدماء قليل ولا كثير، وهذا مما يدل على أنه لا سفر اللاويين -ولا غيره- مما كتبه الأنبياء، ولكن كتبتها أقلام الصهاينة الأول فى ليالى الأسر البابلى على شاطىء الفرات .

ويتضح كذلك أن ما يفعله اليهود -الآن- من تدمير لبيوت العبادة وقتل للشيوخ والنساء والصبيان، إنما يفعلونه وفاءً لهذا النذر الصهيونى القديم -المشار إليه فى

(١) انظر : السنن القويم ٢/ ٢١٣ .
(٢) اللاويين ٢٧ : ٢٨ .
(٣) اللاويين ٢٧ : ٢٩ .
(٤) تفسير سفر اللاويين ص٣٩١ .
(٥) انظر سفر التثنية ٧ : ١-٦ .

التثنية- فاليبوسيون المشار إليهم فى الشعوب السبعة هم العرب .

المطلب السابع : موقف النصرانية من النذور فى سفر اللاويين

لم توضح أسفار النصراينية (العهد الجديد) شيئًا بخصوص النذور ، حتى أن العهد الجديد قد خلا من الكلام على النذر ، إلا فى موضع من سفر أعمال الرسل ، يحكى عن بولس وفاءه بنذر كان عليه أن يحلق رأسه :

«**وأما بولس فلبث أيضًا أيامًا كثيرة ثم . . . . حلق رأسه . . . . لأنه كان عليه نذر**»(١) .

ولا ندرى إن كان هذا النذر المأثور عن بولس مما أقره المسيح أم أنه من بقايا فكر بولس اليهودى؟

وأيا كان الأمر فإن علماء النصرانية دأبوا على أنهم إذا تحدثوا عن النذور استشهدوا بنصوص العهد القديم ، ثم يقولون : « **والنذور فى المسيحية جائزة ، بل مستحسنة لأن الإنسان فى نذره يقر بقدرة الله ومراحمه ، وفى وفائه بالنذر دليل على شكره لمراحم الله واعترافه بحسناته**»(٢) .

وهذا يدل على أن النصرانية قد أقرت نذور العهد القديم ولكن فى إطار فلسفة النصرانية الروحانية التى تتظاهر بإبغاض التشديد ، بمعنى أنها لا توجب الوفاء به .

المطلب الثامن : موقف الإسلام من الأيمان والنذور فى سفر اللاويين

جاء الإسلام والناس فى فوضى الأديان منهم من يحلف كذبًا ويشترى بالأيمان ثمنًا قليلاً ، ومنهم من يحلف بمعبودات باطلة ، وينذر لها من دون الله عز وجل ومنهم من يحلف بأبويه ، ومنهم من يحلف على ألا يصنع الخير ، ومنهم من يستعمل الحيلة فى الحلف ، فيحلف على الشيء وينوى غيره وغير ذلك من تلك الضلالات .

فهال رسول الله ﷺ ما رأى من واقع الناس من جراء تلك الضلالات ، فاليمين الكاذبة لا تقف عند حدود إثم صاحبها عليها فقط ، بل يترتب عليها فى واقع الناس أمور ذات بال :

فربما استوجب إنسان قطع رأسه بيمين كاذبة يحلفها شاهد زور ، وربما ضاعت حقوق بيمين كاذبة يحلفها رجل عديم الضمير ، وربما راجت سلع كاسدة بيمين كاذبة يحلفها تاجر لا خُلُق له ، وربما امتنع الناس عن فعل الخيرات بسبب يمين حلفوها لا

---

(١) أعمال ارسل ١٨ : ١٨ .

(٢) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٨٤ .

يدرون ما يصنعون فيها، وربما كفر الناس برب الكون بيمين يحلفونها بغير الله، أو بنذر ينذرونه لغير الله سبحانه وتعالى فعالج الإسلام مسألة الأيمان والنذور بعلاج دقيق، وتشريع محكم، كما يلى:

أما الأيمان:

١] فقد نهى عن الاجتراء على الأيمان، حتى ولو كان فى عمل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، فقد يعجز الحالف فيحتاج إلى الكفارة أو النذر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٢] ونهى عن الحلف بالمعبودات الباطلة والآباء -كذلك- لما فيه من تقديس غير الله سبحانه وتعالى فقال ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»(٢)، وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» (٣). و«**من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال**»(٤).

وهذا النهى للتحريم إذا قصد تعظيم المحلوف به، فإذا لم يقصد التعظيم بل التأكيد بما يحب فهو مكروه(٥).

٣] وحذر -كذلك- من استغلال اليمين فى الغدر والخيانة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أى لا تجعلوا أيمانكم التى تحلفون بها على أنكم توفون بالعهد لمن عاهدتموه خديعة وغدرًا ليطمئنوا إليكم، وأنت تضمرون لهم العذاب(٦).

٤] ونهى عن الحلف على الكذب وبيَّن أنه من أكبر الذنوب، فقال ﷺ لمن سأله: ما الكبائر يا رسول الله؟ قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس**»(٧).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٢٤)، وانظر: ابن قدامة: المغنى ١١/ ١٦٤ .

(٢) البخارى بشرح ابن حجر: ٦٦٤٦ ك الأيمان - والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ١١/ ٦٢٤ .

(٣) الترمذى ١٥٣٥ ك النذور والأيمان، باب ما جاء فى كراهية الحلف بغير الله ٤/ ٩٤، وقال حديث حسن.

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٦٦٥٢ ك الأيمان والنذور : باب من حلف سوى ملى الإسلام ١١/ ٦٣٤ .

(٥) انظر: فتح البارى ١/ ٦٣٥، وانظر: المغنى ١١/ ١٦٣ .

(٦) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩٣، والآية رقم ٩٤ من سورة النحل .

(٧) البخارى بشرح ابن حجر ٦٩٢٠ ك استتابة المرتدين، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته ١٢/ ٣١٩ .

أى الكاذبة، وقال: «**من حلف على يمين صبر -أى مُلزِمة- وهو فيها فاجر، يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان**»[١].

ولهذا النهى مناسبة تتعلق باليهود، يرويها الأشعث بن قيس فيقول: «**فىَّ والله كان ذلك، كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى أرضى فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال** لى رسول الله ﷺ ألك بينة؟ قلت: لا، فقال لليهودى احلف، فقلت يا رسول الله: إذًا يحلف فيذهب مالى، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

٥] ونهى كذلك عن إنفاق السلع وتحقيق المكاسب بالأيمان الكاذبة، فقال ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة**»[٣]. وقال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان**»[٤].

٦] وأمر كذلك ببر الأقسام، وحذر من نقضها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

ولكن الأمر ببر الأقسام لم يكن كتشدد اليهودية -كما رأينا- بحيث يمكن أن تحول الأيمان بين الناس وبين فعل الخير، فأجاز الإسلام للحالف إذا رأى خيرًا مما حلف عليه أن يتركه ويفعل ما هو خير ويكفر عن يمينه، فقال ﷺ: «**إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فأت الذى هو خير، وكفر عن يمينك**»[٦].

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٤٥٥٠ ك التفسير، باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً أولئك لا خلاق لهم ٨/ ٢٦٣.

(٢) الترمذى: الجامع الصحيح ٢٩٩٦ ك تفسير القرآن، باب سورة آل عمران ٥/ ٢٠٩، والآية من سورة آل عمران من الآية ٧٧.

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ٢٠٨٧ ك البيوع، باب يمحق الله الربى ويربى الصدقات ٤/ ٣٨٦.

(٤) البيهقى: السنن الكبرى ك الزكاة، باب المنان بما أعطى ٤/ ١٩١، وقال أخرجه مسلم فى الصحيح عن المنذر وعن شعبة.

(٥) سورة النحل من الآية (٩١).

(٦) البخارى بشرح ابن حجر ٦٧٢٢ ك كفارة الأيمان، باب الكفارة قبل الحنث وبعده ١١/ ٧٢٨.

٧] وبين أن الأيمان إما لغوًا وإما منعقدة:

فاللغو هى: التى لايقصدها الحالف بل تجرى على لسانه عادة من غير تقييد، ولا شيء فيها لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وقال العلماء: «لغو اليمين هو كلام الرجل فى بيته كلا والله وبلى والله»[(١)].

والمنعقدة هى: التى تكون باسم الله أو بصفة من صفاته وهى التى قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ أى بما صممتم عليه، وهى إما أن يبر فيها الحالف أو يحنث، فإن بر (أى أمضى المحلوف عليه) فلا شيء فيها وإن حنث تلزمه الكفارة[(٢)].

والكفارة التى تلزم الحانث، حددها الله عز وجل بقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[(٣)].

وقد اتفق العلماء على جواز التخيير بين العتق والكسوة والإطعام، فإذا عجز صام ثلاثة أيام[(٤)]، يجزئ فيها التتابع وغيره[(٥)].

وأما النذور:

فقد نظر الإسلام إليها على أنها عبادة قديمة كانت موجودة فى الشرائع السابقة، ولكن أصابها من الابتداع ما أفقد المتعبدين بها الثمرة المرجوة منها، وهى التقرب إلى الله وحصول التقوى.

فأقرها ثم عمد إلى إصلاحها، وتخليصها من شوائب الشرك والغلو وسلك فى هذا عدة خطوات كما يلى:

١] أمر أن يتوجه بتلك العبادة إلى الله سبحانه وتعالى فذكرها الله تعالى ضمن شعائر الحج قال:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[(٦)].

---

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٩، والآية ٢٢٥ من سورة البقرة.
(٢) انظر: المغنى ١/ ١٨٣. (٣) سورة المائدة الآية (٨٩).
(٤) ابن حزم: مراتب الإجماع ص ١٨٦ ط -منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
(٥) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٨، ١٠٩.
(٦) سورة الحج الآية (٢٩).

٢] وامتدح الإسلام من يوفون نذورهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (١) . هذا يعنى أنه عبادةُ تعين على توقى ما فى يوم الحساب من شر مستطير.

٣] وأوجب الإسلام الوفاء بنذر الطاعة، ولم يوجبه فى نذر المعصية فقال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**» (٢) .

٤] وألغى الإسلام نذر التحريم، وفقا لمنهجه الذى لا يحرم من الطيبات شيئًا، ولذلك لما حرم النبى ﷺ العسل، وقال: لا أعود إلى شربه، على إثر غضبة كانت مع إحدى زوجاته - نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) .

فإذا قال الناذر: «**طعام كذا، أو شراب كذا على حرام، أو نذرت أو لله علىَّ أن لا آكل ولاأشرب كذا . . . ، فالراجح من أقوال العلماء أنه لا ينعقد، إلا إذا قرنه بحلف فيلزمه كفارة يمين**» (٤) .

وكان هذا إلغاءً لنذر التحريم الذى كان فى شريعة اليهود بكل صوره، سواء كان نذر تحريم الأشخاص (٥) . أو الأموال.

٥] وألغى الإسلام كذلك كل صور النذر التى يمكن أن يكون فيها تعذيب للنفس، ولذلك لما رأى النبى ﷺ وهو يخطب - رجلاً قائمًا فسأل عنه، فقالوا: أبو اسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبى ﷺ: مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» (٦) .

ومر النبى ﷺ وهو يطوف بالكعبة برجل يقود رجلاً بخزامة فى أنفه فقطعها النبى ﷺ بيده، ثم أمره أن يقوده بيده» (٧) .

---

(١) سورة الإنسان الآية (٧) .
(٢) البخارى بشرح ابن حجر ٦٦٩٩ ك الأيمان والنذور، باب النذر فى الطاعة ١١/ ٦٨٧ .
(٣) انظر الواحدى: أسباب النزول ٣٧٤، والآية رقم ١ من سورة التحريم .
(٤) فتح البارى ١١/ ٦٧٩ .
(٥) إلا تحريم الزوجة ففيه خلاف بين العلماء، الراجح فيه أنه إن قصد به طلاقًا وقع طلاقًا .
(٦) البخارى بشرح ابن حجر: ٦٧٠٤ ك الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفى معصية ١١/ ٦٩٧
(٧) البخارى بشرح ابن حجر ٦٧٠٣ ك الأيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفى معصية ١١/ ٦٩٧ .

قال الحافظ ابن حجر: «**وفى رواية للإمام أحمد توضح أن هذا كان نذرًا . .**»(١) . وإنما قطعه لأن القود بالأزمة إنما يفعل بالبهائم وهو مثله .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أختى نذرت أن تحج ماشية غير مختمرة، فقال: مر أختك فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام» (٢) .

ورأى النبى ﷺ رجلاً يمشى إلى الحج، بين ابنيه، فقال: إن الله لغنى عن تعذيب هذا لنفسه»(٣) .

٦] ورفض الإسلام كذلك التشدد فى مسألة النذر، فلم يجبر من نذر كل ماله على الوفاء به

-فهو لا يسعى فى إفقار الناس- بل رضى منه ببعضه، وأن يمسك بعضه، كما جاء فى حديث كعب بن مالك -أحد الثلاثة المتخلفين فى تبوك- حيث قال لما تاب الله عليه: «**إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة لله ورسوله فقال له النبى ﷺ** : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»(٤) .

وأعفى كذلك من نذر ثم عجز عن الوفاء، فقال ﷺ : لا نذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»(٥) .

وجمهور العلماء على أن من عجز عن الوفاء بالنذر لا يلزمه، ولايلزمه كفارة يمين(٦) .

٧] وكان الناس يعتقدون أن النذر يرد القضاء، فكانوا غالبًا ما يعلقونه على حصول منفعة، فارتقى الإسلام بفكر الإنسان وعقيدته فى الإله، فبين أن قضاء الإله لابد من التسليم له فهو لا يرده شيء، كما أن المؤمن لابد أن يجود بطيب نفس، فهذا أفضل بكثير من الجود عندما تشعر النفس أنها ملزمة، ولذلك: «**نهى رسول الله ﷺ** عن

---

(١) انظر: فتح البارى ٣/ ٥٨٧ .

(٢) البيهقى السنن الكبرى ك النذور باب الهدى فيما ركب ١٠/ ٨٠ .

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ٦٧٠٢ ك الأيمان باب النذر فيما لا يملك وفى معصية ١/ ٦٩٦ .

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٦٦٩٠ ك الأيمان والنذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة ١١/ ٦٧٧، وانظر المغنى ١١/ ٢٣٩ .

(٥) سنن ابن ماجه ٢١٢٤ ك الكفارات باب النذر فى المعصية ١/ ٦٨٦ .

(٦) فتح البارى ١١/ ٦٩٣ .

النذر، وقال: إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من مال البخيل»[١].

قال الإمام البيضاوى فى التعليق على هذا الحديث: «**عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة، فنهى عنه لأنه فعل البخلاء، إذ السخى إذا أراد أن يتقرب بادر إليه، والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شىء من يده إلا فى مقابلة ما يستوفيه أولا فيلتزمه فى مقابلة ما يحصل له، وذلك لا يغنى من القدر شيئًا، فلا يسوق إليه خيرًا لم يقدر له، ولا يرد عنه شرًا قضى عليه**»[٢].

وبعد . . . فهكذا وقفنا بالتفصيل على فساد عبادات اليهود وإنحرافهم بها عن الجادة واستبدال العبادات الحقة بمجموعة طقوس وشعائر وثنية فى كل الأمور، وهذا هو فسادالعقيدة يجنون ثماره فى جانب العبادات، وفى جانب التشريع وفى كل المجالات، وسنرى فى الفصل القادم -بمشيئة الله تعالى- فساد التشريعات التى يحكم بها اليهود أنفسهم، ويعاملون غيرهم على أساس منها.

* * *

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٦٦٩٢ ك الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر ١١/ ٦٨١ .

(٢) فتح البارى ١١/ ٦٨٥ .

الفصل السادس

الجانب التشريعى فى سفر اللاويين وموقف الإسلام منه

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: فى معنى التشريع وحاجة الناس إليه .

المبحث الأول: تشريعات تتعلق بالجريمة والعقوبة فى سفراللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الثانى: تشريعات تتعلق بالزواج والطلاق فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الثالث: تشريعات تتعلق بالحلال والحرام من المطعومات والمشروبات فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الرابع: تشريعات تتعلق بالزراعة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

المبحث الخامس: تشريعات تتعلق بالبيع والشراء والرق والعتق والإجارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك .

تمهيد

في معنى التشريع وحاجة الناس إليه

التشريع: تفعيل من شرع، ومعناه في اللغة: أخذ يفعل[١].

وفي الاصطلاح: سن القوانين وتبيينها[٢] وقيل هو التزام العبودية.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [٣] أي سنه وبينه.

والشريعة عند إطلاقها يراد بها ماشرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من العقائد والأحكام أو ما شرعه رسول الله ﷺ، وعلى هذا فإذا أطلقنا على نظام وضعي: «**شريعة أو تشريع**» فهو من باب التجوز في مجاراة الخصم لإقامة الحجة.

ولاشك أن الناس بحاجة -دائمًا- إلى تشريع ينظمون به أمور حياتهم، فهم محتاجين إلى هذا التشريع كحاجتهم إلى الطعام والشراب، إذ بالتشريع تصان الأنفس والأعراض والأموال، ويعرف الحلال من الحرام، ويقضي على الهمجية ويسود النظام.

ومابعث الله نبيًا من الأنبياء إلا وآتاه شريعة مفصلة لينظم بها قافلة الحياة في عصره، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٤] ويخاطب نبيه الخاتم ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥]

والأصل في التشريع أن يكون من عند الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٦] فهو أعلم بمن خلق وبما يصلح شئونهم.

وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في جانب الخلق، فقد حفل تاريخها بمن نازع الله سبحانه وتعالى في جانب التشريع، وادعى مشاركته فيه، فعرفت من قال ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [٧]، ومن قال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح ص٣٣٥ ط دار المعارف -مصر- مادة (شرع).
(٢) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات ص ١٢٧ ط دار الكتب العلمية- بيروت - ١٩٨٣م.
(٣) سورة الشورى الآية (١٣).
(٤) سورة المائدة الآية (٤٨).
(٥) سورة الجاثية الآية (١٨).
(٦) سورة الأعلى الآيات (٢، ٣).
(٧) سورة الأنعام الآية (٩٣).

أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [١] ومن قال: «**لاسياسة فى الدين ولادين فى السياسة**»[٢]، بل عرفت مؤخرًا من قال: «**إن القوانين الوضعية خير من الشريعة الدينية -يقصد الإسلامية- لأن الأولى تمثل الحضارة المدنية والثانية تمثل البداوة والرجعية**»[٣].

ونحن هنا لانناقش تلك الأقوال، ولكن نقصد بقدر الإمكان أن نقف على مميزات الشريعة الإسلامية، وذلك بمقارنة الأحكام التى وردت فى السفر -موضوع الدراسة- من زواج وطلاق وبيع وشراء وإجارة وزراعة وطعام وشراب لبيان انحراف الشريعة اليهودية وشططها فى إصدار الأحكام.

وفى هذا الفصل سنبدأ بعرض التشريعات التى تتعلق بالجريمة والعقوبة وخصوصًا جريمة القتل، وذلك نظرًا لخطورة هذا الجانب من جوانب التشريع.

ثم بعد ذلك نعرض تشريعات الزواج والطلاق، ثم الحلال والحرام فى جانب الطعام والشراب، ثم تشريعات تتعلق بالزراعة، ثم تشريعات تتعلق بالبيع والشراء والرق والعتق والإجارة، ثم نختم ببيان الوعد والوعيد الواردين فى السفر لمن يتبع الشريعة أو يخالفها.

---

(١) سورة غافر الآية (٢٩).
(٢) إن هذا القول هو شعار العلمانيين فى كل مكان.
(٣) انظر د/ صلاح الصاوى: تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ص٩ ط دار الإعلام الدولى -القاهرة- ١٩٩٤م.

المبحث الأول

تشريعات تتعلق بالجريمة والعقوبة فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الجريمة والعقوبة.

المطلب الثانى: جريمة القتل وعقوبتها فى سفر اللاويين.

المطلب الثالث: جريمة الاعتداء على مادون النفس وعقوبتها كما يقررها السفر.

المطلب الرابع: جرائم عقوبتها القتل فى سفر اللاويين.

المطلب الخامس: جريمة الزنى وعقوبتها فى سفر اللاويين.

المطلب السادس: جريمة شرب الخمر وعقوبتها فى سفر اللاويين.

المطلب السابع: جريمة السرقة والغصب فى سفر اللاويين.

المطلب الثامن: موقف الإسلام من تشريعات الجريمة والعقوبة الواردة فى سفر اللاويين.

المبحث الأول

تشريعات تتعلق بالجريمة والعقوبة فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

لقد تعرض سفر اللاويين فى جوانبه التشريعية للجريمة والعقوبة، وحاول علاج هذا الجانب بوضع بعض العقوبات على الجرائم، ولا نريد أن نتعجل فى إصدار الحكم على مدى نجاح أو فشل هذه العقوبات فى الحد من الجريمة، بل نرجئ هذا لما بعد عرض تلك التشريعات كما وردت فى السفر، ولعل من المهم تحديد مفهوم الجريمة والعقوبة فى الشريعتين اليهودية والإسلامية.

المطلب الأول: مفهوم الجريمة والعقوبة:

فالجريمة فى اللغة: التعدى من جرم وأجرم أى تعدى[١].

وفى الاصطلاح: عند فقهاء الإسلام هى: محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير[٢].

وفى الفقه اليهودى، هى: الوقوع فى النواهى الشرعية، جاء فى سفر اللاويين **«وإن سها كل جماعة إسرائيل... وعملوا واحدة من جميع مناهى الرب التى لاينبغى عملها وأثموا...»**[٣]

وفقهاء اليهود ربما سموا الجريمة نجاسة، يقول موسى بن ميمون: **«النجاسة هى: مخالفة أوامر الشريعة وارتكاب القباحات»**[٤].

وأما العقوبة: فهى فى اللغة: مايقع على الإنسان من جزاء بسبب فعله سوءًا، من عاقب يعاقب إذا أخذ بالذنب[٥].

---

(١) انظر: مجد الدين الفيروز أبادى: القاموس المحيط ٤/ ٨٧، مختار الصحاح ص١٠٠ .

(٢) انظر: أبى الحسن الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص٢١٨ ط مصطفى الحلبى .

(٣) اللاويين ٤ : ١٣ .

(٤) موسى بن ميمون: دلالة الحائرية ص٦٠٣ .

(٥) مختار الصحاح ص٤٤٣-٤٤٤ مادة (عقب) .

وفى الاصطلاح : عند فقهاء الإسلام هى : جزاء شرعى دنيوى زجر الله به عن ارتكاب محظور شرعى[١] .

وفى الفقه اليهودى : نجد أن سفر اللاويين قد تحدث عن بعض العقوبات ، ولكن دون أن يضع لها مفهومًا محددًا .

فلاتستطيع أن تحدد ماإذا كانت العقوبة تكون بالتكفير بتقديم بعض الذبائح والقرابين ، أم تكون بإيقاع جزاء يتناسب مع نوع الجريمة !

ولكن على كل يبدو أن هناك تقاربًا -ظاهريًا- بين مفهوم الجريمة فى الفقهين اليهودى والإسلامى ، إذ اعتبرا أن ارتكاب المحظورات الشرعية هو الإجرام .

ولكن هذا التقارب سرعان مايتباعد عند عرض بعض الجرائم الواردة فى سفر اللاويين وعقوبتها وذكر موقف الإسلام منها .

المطلب الثانى : جريمة القتل وعقوبتها فى سفر اللاويين :

جريمة القتل من أبشع الجرائم التى تغضب الله سبحانه وتعالى وتهدد كيان المجتمع ، ولذلك كان لابد فى كل عصر من عقوبة رادعة ليكف الناس عن الاجتراء على سفك الدماء .

أول جريمة قتل فى تاريخ البشر هى حادثة قتل قابيل لهابيل ابنى آدم عليه السلام وتعلم البشر منها أن القاتل باعتدائه يصبح من الخاسرين .

والله سبحانه وتعالى هو خالق النفس وهو أعلم بقيمتها ، قد جعل عقوبة الاعتداء على النفس بإزهاقها لايساويه شئ إلا إزهاق النفس المعتدية ، وهذا ماجاء القرآن الكريم يقصه فيما أخذ الله على بنى إسرائيل : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[٢] .

وسفر اللاويين قد جاء فيه حديث مجمل عن جريمة القتل وعقوبتها فى موضعين من الإصحاح الرابع والعشرين : «**وإذا أمات أحد إنسانًا فإنه يقتل**»[٣] ، «**ومن قتل إنسانًا يقتل**»[٤] .

وقد فصل هذا الإجمال فى مواضع أخرى من التوراة ، بينت أن الشريعة اليهودية قد

---

(١) د/ محمد هاشم عمر : الجنايات فى الفقه الإسلامى ١/ ١٩ الطبعة الأولى ١٩٩١ .
(٢) سورة المائدة الآية (٤٥) . (٣) اللاويين ٢٤ : ١٧ .
(٤) اللاويين ٢٤ : ٢١ .

قسمت القتل إلى أنواع ثلاثة:

الأول: القتل العمد، وهو المقصود، ويجب فيه القصاص، ولكن تسمح الشريعة اليهودية لولى المقتول أن يقوم هو بالقصاص، ولايجوز العفو، تقول التوراة: «**إن ضربه بأداة حديد فمات فهو قاتل إن القاتل يقتل... وإن ضربه بحجر... أو ضربه بأداة يد فى خشب ممايقتل به فهو قاتل، إن القاتل يقتل، ولى الدم يقتل القاتل حين يصادفه، وإن دفعه ببغضة أو ألقى عليه شيئًا بتعمد فمات أو ضربه بيد عداوة فمات فإنه يقتل الضارب لأنه قاتل، ولى الدم يقتل القاتل حين يصادفه**»(١).

«**ولاتأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل**»(٢).

الثانى: القتل الخطأ، وهو الغير مقصود، ولايوجب القصاص، بل يهرب القاتل خارج المدينة إلى مدينة أخرى تسمى مدينة الملجأ، يهرب إليها القاتلون خطأ، ولهذا تقول التوراة لبنى إسرائيل: «**إنكم عابرون إلى الأردن إلى أرض كنعان فتعينون لأنفسكم مدنًا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذى قتل نفسًا سهوًا**»(٣).

الثالث: القتل بسبب، وهو الذى يكون القاتل فيه ليس قاتلاً حقيقيًا بل سببًا فى القتل، وقد فصل حكم هذا النوع من القتل فى سفر الخروج.

ومثال القتل بسبب كأن كان رجل يملك ثورًا ونطح شخصًا فمات ينظر هذا الثور فإن كان قد عرف عنه أنه نطاح بشهادة الشهود فيقتل الثور وصاحبه وإن لم يكن عرف أنه نطاح يرجم الثور وصاحبه برئ:

«**وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولايؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا، ولكن إن كان ثورًا نطاحًا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضًا يقتل**»(٤).

وهكذا ترى أيها القارئ الكريم أننا تخطينا إجمال سفر اللاويين بشأن جريمة القتل إلى مافصلته الأسفار الأخرى علنًا نجد ميزة تحسب لهذه الشريعة فلم نجد إلا الفوضوية فى الأحكام.

---

(١) العدد ٣٥ : ١٦-٢٣ وانظر دلالة الحائرين ص٦٣٥ .

(٢) العدد ٣٥ : ٣١ .

(٣) العدد ٣٥ : ١٠-١١ .

(٤) الخروج ٢١ : ٢٨-٢٩، وانظر دلالة الحائرين ص٦٣٢ .

أرأيت فى القتل العمد كيف سمحت الشريعة لولى المقتول أن يقوم هو بقتل القاتل؟

ولايخفى مافى هذه النقطة من خطورة فى إشاعة الفوضى، وإيقاد نار العداوة بين العائلات، فهو أشبه بنظام الأخذ بالثأر الذى تفعله الأمم القبلية، تعبيرًا عن بداوتها وجهلها.

والمفترض أن تطبيق العقوبات وتنفيذ الأحكام مسؤلية سلطات وليس مسؤلية أشخاص وأفراد[(١)].

كما أننا نجد نهيها عن العفو وقبول الدية يوحى بحب الانتقام والروح العدوانية التى هى من أهم مميزات الشخصية اليهودية.

ثم أرأيت فى القتل الخطأ كيف يشرع للقاتل الهرب دون أن يناله شئ، وربما كان المقتول عائلاً، فماذا يعود على القصر والأطفال الذين يتموا من هرب القاتل، أليس من الخير أن تشرع الدية أو تعويض يعين هؤلاء -الذين فجعوا بقتل عائلهم- على مواصلة السير فى الحياة.

ثم أرأيت إلى هذه الشريعة التى تعفو عن الإنسان القاتل خطأ ثم تعاقب الثور النطاح، الذى يقتل رجلاً أو امرأة بالرجم بالحجارة؟

المطلب الثالث: جريمة الاعتداء على مادون النفس وعقوبتها كما يقررها السفر:

يقرر سفر اللاويين أن أى اعتداء على النفس الإنسانية، بحيث لايصل إلى القتل يقتص للمعتدى عليه، فإن كسر له سن أو فقئ له عين، أو أى عيب، يصنع في المعتدي مثله:

«وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبًا، فكما فعل كذلك يفعل به، كسر بكسر وعين بعين وسن بسن كما أحدث عيبًا فى الإنسان كذلك يحدث فيه»[(٢)].

ونرى فى هذا الحكم أنه خاص بالمجتمع اليهودى، بمعنى أنه إذا حدث أى شئ من تلك الجنايات من يهودى فى غير يهودى فلا عقوبة، بدليل قوله «فى قريبه» فالإنسان هو الإنسان اليهودى لاغير.

---

(١) انظر: ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢/ ٤٤٤، ٤٤٥ ط المكتبة التجارية بمصر.

(٢) اللاويين ٢٤ : ١٩-٢٠.

المطلب الرابع : جرائم عقوبتها القتل فى سفر اللاويين :

وقد ذكر سفر اللاويين عدة جرائم عاقب عليها بالقتل وهى كمايلى :

١- الأكل من ذبيحة السلامة والشخص على غير طهارة :

وهذه الجريمة على نوعين :

الأول : الأكل وهو متلبس بالنجاسة «**وأما النفس التى تأكل لحمًا من ذبيحة السلامة التى للرب ونجاستها عليها فتقطع تلك النفس من شعبها**»(١) .

الثانى : الأكل منها بعد مس النجاسة فقط : «**والنفس التى تأكل لحم ذبيحة السلامة الى للرب تقطع تلك النفس من شعبها**»(٢) .

وكلا النوعين يوجب القتل .

٢- الأكل من ذبيحة السلامة فى اليوم الثالث :

يقول السفر : «**ومتى ذبحتم ذبيحة سلامة للرب فللرضا عنكم تذبحونها ، يوم تذبحونها تؤكل ، وفى الغد ، والفاضل إلى اليوم الثالث يحرق بالنار ، وإذا أكلت فى اليوم الثالث فذلك نجاسة لايرضى بها ، ومن أكل منها يحمل ذنبه لأنه قد دنس قدس الرب فتقطع تلك النفس من شعبها**»(٣) .

٣- الأكل من شحوم البهائم التى تقدم كقرابين :

يقول السفر : «**إن كل من أكل شحمًا من البهائم التى يقرب منها وقودًا للرب تقطع من شعبها النفس التى تأكل**»(٤) .

وسبق أن أوضحنا فى صفات الإله أنه يغار ممن يأكل من شحوم القرابين لأنه يتلذذ بالشحوم وبرائحة الدخان المتصاعد من حريقها ، فلاعجب أن يحكم بالقتل على منافسيه ، ويحكى ابن القيم تلاعب اليهود للاحتيال لخرق هذا الحكم فيقول : «**إنهم لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها ثم باعوها وأكلوا ثمنها ، وهذا من عدم فقههم وفهمهم عن الله سبحانه وتعالى دينه ، فإن ثمنها بدل منها ، فتحريمها تحريم لبدلها والمعاوضة عنها**»(٥) .

٤- أكل الدم :

جاء الحديث عن جريمة الأكل من الدم فى موضعين من سفر اللاويين .

---

(١) اللاويين ٧ : ٢٠ .
(٢) اللاويين ٧ : ٢١ .
(٣) اللاويين ١٩ : ٥-٨ .
(٤) اللاويين ٧ : ٢٥ .
(٥) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/ ٣١٣ ط مصطفى البابى الحلبى -القاهرة ١٩٦١م .

الأول: «وكل دم لاتأكلوا فى جميع مساكنكم من الطير ومن البهائم، كل نفس تأكل شيئًا من الدم تقطع تلك النفس من شعبها»[١].

الثانى: «وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين فى وسطكم يأكل دمًا أجعل وجهى ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها»[٢].

وعلى الرغم من عموم الحكم لكل دم فى قوله: «وكل دم لاتأكلوا» إلا أن اليهود استباحوا لأنفسهم أكل دماء البشر -كما رأينا- فى عيد الفصح، فإما أن يقروا بأنهم نبذوا أحكام التوراة، أو أن يقبلوا تنفيذ أحكامها وعندئذ يستحقون جميعًا القتل وفقًا لأحكام التوراة.

٥- الذبح بعيدًا عن باب خيمة الاجتماع:

اعتبرت الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- الذبح بعيدًا عن باب خيمة الاجتماع جريمة تعاقب عليها بالقتل، جاء فى الإصحاح السابع عشر: «كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقرًا أو غنمًا أو معزى فى المحلة أو يذبح خارج المحلة وإلى باب خيمة الاجتماع لايأتى به ليقرب قربانًا للرب أمام مسكن الرب يحسب على ذلك الإنسان دم، قد سفك دمًا فيقطع ذلك الإنسان من شعبه»[٣].

وفيه -أيضًا-: «كل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء الذين ينزلون فى وسطكم يصعد محرقة أو ذبيحة ولايأتى بها إلى باب خيمة الاجتماع ليصنعها للرب يقطع ذلك الإنسان من شعبه»[٤].

ولكن هل الذبح الذى اعتبر جريمة هو ذبح القرابين فقط أم يطرد فى الذبائح العادية؟

يجيب الأستاذ/ نجيب جرجس فيقول:

«للعلماء اليهود فى ذلك رأيان: أولهما: أن المقصود بذلك جميع الحيوانات التى كانوا يذبحونها سواء كان المقصود من ذلك تقديمها ذبائح أو مجرد الأكل العادى، وثانيهما: أن المقصود بذلك الحيوانات التى كانت تذبح لغرض القرابين. . . ولعل الرأى الأول أرجح»[٥].

---

(١) اللاويين ٧ : ٢٧ .
(٢) اللاويين ١٧ : ١٠ .
(٣) اللاويين ١٧ : ٣-٤ .
(٤) اللاويين ١٧ : ٨-٩ .
(٥) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٠٥ بإيجاز .

وكيف لايرجح علماء اليهود الرأى الأول بتعميم الحكم فى كل الذبائح، وهم أكثر المستفيدين من ذلك.

كيف لا والسفر يقرر «**والساق اليمنى تعطونها رفيعة للكاهن من ذبائح سلامتكم**»(١).

ولإرغام الناس على الإذعان لتلك الأحكام يدعون أن الله قد حكم بالقتل على من يذبح بعيدًا عن سلطانهم ونفوذهم.

٦- مضاجعة الذكور:

يعتبر من محاسن الشريعة اليهودية أنها شددت العقوبة على مرتكب جريمة اللواط، لأنها فعلة تعافها الفطرة السليمة، إذ جاء فى سفر اللاويين:

«**وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسًا إنهما يقتلان**»(٢).

وفيه أيضًا «**ولاتضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة**»(٣).

وكانت عقوبة اللواط الرجم بالحجارة للفاعل والمفعول به حتى الموت(٤).

ولكن برغم تشديد التوراة فى الحكم على مرتكب جريمة اللواط إلا أن بنى إسرائيل لم ينزجروا، وتحكى التوراة أن هذه الجريمة قد تفشت فى بنى إسرائيل بصورة لاتقل شناعة عن التى كانت فى قوم لوط عليه السلام، وفى عهد القضاة(٥) الذين يفترض فيهم أن يمحوا كل أثر للجريمة فى ظل قيامهم على تطبيق الأحكام.

يحكى سفر القضاة فى الإصحاح التاسع عشر أن سبط بنيامين كانوا مولعين بهذه الجريمة، وماأشد ولعهم إذا رأوا رجلاً غريبًا، وكان قد حدث أن رجلاً من بنى لاوى خرج ليأتى بزوجته من عند أبيها ومعه غلامان وحمار، وفى طريق العودة عرض عليه أحد غلمانه أن يستريحوا فى مدينة اليبوسيين(٦) فرفض اللاوى لأنه ليس فيها أحد من بنى إسرائيل وقال بل نستريح فى جبعة(٧) التى يسكنها سبط بنيامين، فمالوا إلى هناك ولكن أحدًا لم يضيفهم فى بيته فكادوا أن يبيتوا فى العراء، حتى جاء رجل شيخ -كان

---

(١) اللاويين ٧ : ٣٣ .
(٢) اللاويين ٢٠ : ١٣ .
(٣) اللاويين ١٨ : ٢٢ .
(٤) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٥٢ .
(٥) عهد القضاة: يبدأ من موت يشوع غلام موسى إلى عهد صموئيل النبى . انظر قاموس الكتاب المقدس ٧٣٦ .
(٦) مدينة اليبوسيين: هى القدس كما تقدم .
(٧) جبعة: تقدم التعريف بها .

عائدًا من حقله وهو غريب من جبل إفرايم[١] - فعرض عليه المبيت فى بيته فقبل اللاوى.

ولما ذهب اللاوى وزوجته وغلاماه إلى البيت مع الرجل جاء رجال المدينة وأحاطوا البيت وقرعوا الباب وطلبوا من صاحب البيت أن يخرج لهم الرجل الذى عنده، فخرج إليهم صاحب البيت وقال لهم: لا ياإخوتى لاتفعلوا شرًا بعد مادخل هذا الرجل بيتى لاتفعلوا هذه القباحة، وعرض عليهم أن يخرج لهم ابنته العذراء وزوجة اللاوى قائلاً: «**هو ذا ابنتى العذراء وسريته دعونى أخرجهما فأذلوهما وافعلوا بهما مايحسن فى أعينكم، وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح، ولكن الرجال لم يسمعوا له**»[٢].

وعاد هذا اللاوى فاستنفر أهله وقامت حرب طائلة فى بنى إسرائيل قتل فيها من سبط بنيامين -اللواطين- نحو خمسة وعشرين ألفًا كما يحكى الإصحاح العشرين من سفر القضاة[٣].

وليس هذا حال بنى إسرائيل مع تلك الجريمة فى العهود السحيقة فقط، بل إنهم فى هذا العصر -يهودًا أو نصارى على السواء- يقرون هذه الجريمة ويباركونها، سواء فى إسرائيل الخاصة باليهود، أو فى المجتمعات الغربية التى يتمركز اليهود فيها كإنجلترا وأمريكا.

ولعل القارئ الكريم لو وقف على نتيجة الاستفتاء الذى أجراه مجلس العموم البريطانى فى عام ١٩٦٦م بشأن إقرار الشذوذ الجنسى لعرف مقدار تمسك القوم بأحكام أسفارهم.

«**ففى ١١/ ٢/ ١٩٦٦م وافق مجلس العموم البريطانى بأغلبية أربعة وستين ومائة صوت مقابل سبع ومائة على جعل الشذوذ الجنسى بين البالغين من الذكور قانونيًا بعد موافقة مجلس اللوردات عليه فى ٢٤/ ٥/ ١٩٦٥م، وكان ذلك بناءً على طلب قدمه خمسة من الأساقفة**

---

(١) جبل إفرايم: وهى الأرض الجبلية الواقعة فى القسم الأوسط من فلسطين الغربية والتى عينت نصيبًا لسبط إفرايم. انظر قاموس الكتاب المقدس ٩١.

(٢) راجع الإصحاح التاسع عشر من القضاة.

(٣) راجع الإصحاح العشرين من القضاة.

نجحوا فى ضم أصوات ثلاثة من اللوردات إليهم فى ١١/ ٥/ ١٩٦٥»[١] .

وتعرف مدى أثر اليهود فى أمثال هذه المجالس التى تقر اللواط ، حينما تعرف أن اليهود لهم نفوذ عظيم فى تلك المجالس برغم قلة عددهم فيها ، لدرجة أنهم استطاعوا أن يلغوا تقليد الحلف على الإنجيل عند دخول البرلمان البريطانى[٢] .

ومما يجدر ذكره أن جريمة الشذوذ الجنسى قد تفاقم خطرها مع تصاعد معدلات العلمنة بين أعضاء الجماعات اليهودية ، فرئيس أو جماعة عالمية للشواذ جنسيًا من الذكور هو ماجنوس هيرشفيلد (١٨٦٨م-١٩٣٥م) ومساعده كورت هيلر (١٨٨٥م-١٩٧٢م) وكلاهما كان ألمانيًا يهوديًا (بل كان هيلر يزعم أنه من نسل الحاخام هليل)[٣] وكان هيلر هو أول من طالب باعتبار الشواذ جنسيًا أقلية لابد من حماية حقوقها . . كما أن قبول الشذوذ الجنسى بشكل متزايد وتطبيعه إحدى سمات المجتمعات العلمانية المتقدمة ، كما أنه نتيجة حتمية لغياب اليقين المعرفى والمطلقية الأخلاقية . . . ومهما يكن الأمر فإن حركة الشذوذ الجنسى فى العالم الغربى قد حققت تقدمًا ملحوظًا ، حتى أن قوانين معظم بلاد أوربا قد تغيرت فهى تسمح بالعلاقات الجنسية الشاذة بين بالغين يدركون مايفعلونه ويقبلونه ، وبدأت تصدر تشريعات تعترف بعلاقة الشذوذ الجنسى كزواج شرعى يعطى لطرفيه حقوق المتزوجين . . كما أن كثيرًا من الكنائس المسيحية أصبحت تقبل العلاقة الشاذة جنسيًا ، بل وتؤسس الآن كنائس للشواذ جنسيًا ، ويرسم الشواذ جنسيًا قساوسة ووعاظًا ، وقد بدأت المؤسسات اليهودية الدينية تلحق بالركب . . فقد أسست -أيضًا- معابد يهودية للشواذ جنسيًا ، ورسم حاخامات شواذ جنسيًا من الجنسين . . وفى عام ١٩٨٨م أصدر الكنيست اليهودى قانونًا بإلغاء القانون الذى يجرم العلاقات الجنسية الشاذة . . . ولايعفى الشواذ جنسيًا من الخدمة العسكرية ، ويكتفى بنقلهم إلى مواقع غير مهمة من الناحية الأمنية ، وتوجد فى إسرائيل جماعة تسمى جماعة الدفاع عن الحقوق الشخصية أسست عام ١٩٧٥م ، وبعد عام ١٩٨٨م ظهرت مجلات للشواذ

---

(١) د/ سلمان سلامة عبد المالك : أضواء على التبشير والمبشرين ص١٤٣ ، ١٤٤ مطبعة الأمانة -القاهرة- ١٩٩٤م .

(٢) انظر : مصطفى السعدنى : الفكر الصهيونى والسياسية اليهودية ص١٥٦ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة- ١٩٧١م .

(٣) الحاخام هليل : هو أشهر حاخامات اليهود في فترة معلمي المشناة كان يشغل وظيفة الناسي من عام ٣٠ ق . م وحتى عام ١٠م وكان صاحب مدرسة في التفسير يطلق عليها بيت هليل . انظر موسوعة اليهود ٥/ ١٥٣ .

جنسيًا فى إسرائيل باللغتين العبرية والإنجليزية، وفى يونيه ١٩٩١م. عقد فى تل أبيب المؤتمر الدولى للشواذ جنسيًا من الذكور والإناث، وهناك اتجاه -الآن- فى إسرائيل نحو منح مزيد من الحريات للشواذ جنسيًا(١).

بل إن إسرائيل تقوم بإعداد الكثير من الأفلام المصورة لجريمة الشذوذ الجنسى بكل وقاحة، ولاتكتفى بعرضها فى إسرائيل فقط، بل تصدرها إلى الخارج بأثمان وبغير أثمان(٢).

ونعود فنطالب اليهود -والنصارى- بأحد الأمرين: إما الإقرار بنبذ تعاليم التوراة وأحكامها، وذاك الكفر الصريح، وإما قبول أحكامها وهذا يلزم أن يقتلوا عن بكرة أبيهم، إذا نفذت فيهم أحكام التوراة.

٧- إتيان البهائم:

لم تفرق الشريعة اليهودية فى سفر اللاويين -بين الرجل والمرأة إذا ارتكبا تلك الجريمة فى توقيع العقوبة، بل القتل عقوبة الجميع بما فى ذلك البهيمة، جاء فى سفر اللاويين: «**وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة يقتل والبهيمة تميتونها، وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة**»(٣).

وبرغم وضوح الحكم إلا أن موسى بن ميمون -أحد فقهاء اليهود- يرى ألا تقتل البهيمة بل يحتفظ بها ربها لئلا تضيع عليه، لأن شفقة الناس على أموالهم كشفقتهم على أنفسهم، وبعض الناس يفضل ماله على نفسه(٤).

وهذه الجريمة -أيضًا- من جرائم الشذوذ والخروج على سنن الفطرة، حتى أن كثيرًا من الحيوانات فى الغابة يأبى الذكور منهم إتيان إناث من غير جنسهم، ولكن اليهود مع ذلك أفرطوا فى ارتكاب هذه الفاحشة.

٨- إتيان المرأة فى حيضها:

ولقد تشددت اليهودية فى موقفها من المرأة فى حيضها، فلم تؤاكلها ولم تجالسها

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٤٨٠-٤٨١.

(٢) انظر: شفيق عبد اللطيف: السينما الإسرائيلية ص١٤٧-١٥١ سلسلة اقرأ العدد ٥٢٦ طبعة دار المعارف - القاهرة- ١٩٨٧.

(٣) اللاويين ٢٠: ١٥-١٦، وانظر: نعمة الله بن جرجس نوفل: كتاب سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان ص١١٩ ط بيروت ١٨٧٦.

(٤) انظر: دلالة الحائرين ص٦٣٢.

-كما رأينا- وهنا تصدر عقوبة بالإعدام عليها وعلى الرجل الذى يأتيها فى حيضها، جاء فى سفر اللاويين: «**وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها، وكشفت هى ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما**»[١].

وإن جاز للمشرع اليهودى أن يحكم بالقتل على الرجل الذى يتعدى ويأتى المرأة فى حيضها، فليس من العدل أن يحكم على المرأة بمثل عقوبته، فماذنب المرأة الحائض التى لها زوج ضعيف لايملك نفسه؟

ومثل هذا الحكم لاقيمة له -الآن- فى حياة اليهود، خصوصًا بعد ظهور ماسمى «**باليهودية المتمركزة حول الأنثى**»- كما يقول الأستاذ/ عبد الوهاب المسيرى- فحركات تحرير المرأة اليهودية بلغت حدًا كبيرًا، لدرجة تغيير بعض صيغ الإشارة للإله على أنه ذكر، فيشار إليه على أنه ذكر وأنثى، بل ويشار إليه -أحيانًا- بالمؤنث وحسب[٢].

فهل بعد هذا التطور الذى لحق اليهودية يمكن أن يزعم اليهود أنهم لازالوا يعاقبون من يأتى المرأة فى حيضها بالقتل هو والمرأة؟

٩- العمل فى يوم الكفارة:

وقد عرفنا أن يوم الكفارة يكون فى اليوم العاشر من شهر تشوى[٣]. وقد حرمت الشريعة اليهودية القيام فيه بأى عمل، واعتبرت الذى يقوم فيه بأى عمل مجرمًا يعاقب بالقتل جاء فى سفر اللاويين: «**وكل نفس تعمل عملاً - ما - فى هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها**»[٤].

١٠- الامتناع عن صوم يوم الكفارة:

جاء فى سفر اللاويين: «**إن كل نفس لاتتذلل فى هذا اليوم عينه تقطع من شعبها**»[٥].

١١- التطاول على اسم الرب بالسب والشتم:

ليس أقبح فى العقل من تطاول العبد على ربه، وقد عاقبت الشريعة اليهودية من يتطاول على اسم الرب بالقتل رجمًا، جاء فى سفر اللاويين: «**ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل يرجمه كل الجماعة رجمًا، الغريب كالوطن عندما يجدف على الاسم يقتل**»[٦].

---

(١) اللاويين ٢٠ : ١٨ .
(٢) انظر موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٤٧٧ .
(٣) انظر ص من هذا البحث .
(٤) اللاويين ٢٣ : ٣٠ .
(٥) اللاويين ٢٣ : ٢٩ .
(٦) اللاويين ٢٤ : ١٦ .

وقد حددت الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- هيئة معينة لتنفيذ العقوبة على تلك الجريمة، وذلك بأن يخرج المجرم خارج المدينة، ويجتمع الناس ويضعون أيديهم على رأسه ثم يرجمونه بالحجارة.

وكان موسى أول من نفذ هذا الحكم فى ابن شلومية التى كانت من سبط دان، حيث جاءه الأمر: «**أخرج الذى سب إلى خارج المحلة فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة**»[١].

غير أن حملة الشريعة من الكهان والأحبار لم ينتبهوا إلى أن هذا الحكم قد يعمهم، لأنهم تطاولوا على الله فزعموا أنه يندم ويبكى، ويتعب ويستريح، ويحب الشحوم والدهون، ويصارع البشر، وزعموا له الولد، وأنه يرى ماشيًا، وأنه يحب اللصوص والسراق، أم أن كل هذا ليس تجديفًا ولاتطاولاً من وجهة نظرهم؟

١٢- الإعطاء من الزرع لمولك:

ومولك هذا إله النار، وكانوا يظنون أن قوة الشمس حالة فيه[٢]، وهو الذى يسمى البعل أحد آلهة الكنعانيين، وقد جاءت الشريعة فى سفر اللاويين تحذر من تقديم القرابين لـ «مولك» هذا: «**ولاتعط من زرعك للإجازة لمولك لئلا تدنس اسم إلهك**»[٣].

ثم ذكرت أن فاعل ذلك مجرم يعاقب بالقتل رجمًا بالحجارة حتى الموت: «**كل إنسان من بنى إسرائيل ومن الغرباء النازلين فى إسرائيل أعطى من زرعه لمولك فإنه يقتل، يرجمه شعب الأرض بالحجارة**»[٤].

ولعلماء الشريعة اليهودية طريقتان فى تنفيذ تلك العقوبة:

أولهما: أن يؤخذ إلى مكان مرتفع فى أسفله حجر كبير، وتربط يداه ويطرح إلى أسفل، فيرتطم بالحجر فيموت، وإن لم يمت ترجمه الجماعة حتى يموت.

ثانيهما: أن يرجم بالحجارة دون أن يلقى من أعلى، وكانوا فى الغالب يسقون المرجوم خمرًا حتى يخدر ويخف ألمه[٥].

وتاريخ اليهود ملئ بارتكابهم لتلك الجريمة، فقد عبدوا آلهة كثيرة غير يهوه -

---

(١) اللاويين ٢٤ : ١٤ .
(٢) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٢٠ .
(٣) اللاويين ١٨ : ٢١ . (٤) اللاويين ٢٠ : ٢ .
(٥) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٤٨-٢٤٩ .

صاحب تلك التشريعات- وقربوا لها القرابين .

وليت تلك العقوبة شريعة للمرتد عن التوحيد، ولكنها غيرة مجموعة من الآلهة القومية .

١٣- سب الوالدين :

ومن الجرائم التى تستوجب القتل فى شريعة اليهود سب الابن لوالديه، حيث جاء فى سفر اللاويين : «**كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل . . .**»[(١)] وكان هذا القتل رجمًا بالحجارة، إذ يقول سفر التثنية « . . **فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت**»[(٢)]

«**وقد فسر علماء اليهود هذا الحكم على أن السب الذى يستوجب القتل هو السب المقترن باسم الرب (يهوه) أو أن يقول إن أحد والديه ملعون من الرب وما إلى ذلك، وأما من يسب أحد والديه سبًا مجردًا من اسم الرب . . . فكان عقابه الضرب بالسياط**»[(٣)] .

ولكن على الرغم من صرامة هذا الحكم إلا أن واقع المجتمعات التى تؤمن بقداسة تلك الأحكام، ويزعمون سماويتها -يعطى مؤشرًا خطيرًا فى المجال الأسرى، ولعل المجتمع الأمريكى- الذى يضم يهودًا ونصارى- بنظرة عاجلة على إحدى الاحصائيات بخصوص الاعتداء على الآباء يزيد الأمر وضوحًا .

«**يقول أحد المختصين البريطانيين وهو يتحدث عن العنف فى أمريكا : إن الضحايا هم الآباء والأجداد، وينقل عن** «**موراى استراوس**» الباحث الاجتماعى بجامعة نيوهامشاير : إن حوالى ٥٠٪ من كبار السن الأمريكين الذين يعيشون على نفقة أقاربهم، يتعرضون للضرب من أقاربهم، ويتساءل الباحث : هل من الممكن أن تزيد حالات الاعتداء على الآباء؟[(٤)] .

والإجابة بديهية مسلمة : وهى نعم هى فى تزايد مطرد مادامت عقوبات وأحكام مع إيقاف التنفيذ .

١٤- عمل السحر أو العرافة :

السحر دائمًا مدعاة إلى الضلال، وصرف الناس عن الله سبحانه وتعالى وقد

---

(١) اللاويين ٢٠ : ٩، وانظر : سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان ص١١٩ .

(٢) التثنية ٢١ : ٢١ .

(٣) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٥١ .

(٤) حسين المحسى : العنف الخاص -مجلة منار الإسلام ص١١٤ العدد الثالث -ديسمبر ١٩٨٣، ربيع الأول ١٤٠٤هـ .

حذرت الشريعة اليهودية بنى إسرائيل من الانخداع بأعمال السحرة الذين يستعملون الجن والأرواح، جاء فى سفر اللاويين: «**ولاتلتفتوا إلى الجان ولاتطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم**»(١). ثم شددت فى التحذير بأن وضحت أن عمل السحر والعرافة يغضب الرب، ويجعل فاعله يستحق عقوبة الرجم بالحجارة، يقول سفر اللاويين: «**والنفس التى تلتفت إلى الجان والتوابع.. أجعل وجهى ضد تلك النفس، وأقطعها من شعبها**»(٢). «**وإذا كان فى رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه**»(٣).

ورغم وضوح هذا الحكم إلا أن السحر والشعوذة والاستعانة بالأرواح لاستطلاع المستقبل -كان يغلب على بنى إسرائيل حتى يقول ول ديوارنت: «.. **ظلت المعتقدات السحرية التى كانت منتشرة فى العبادات القديمة باقية عند اليهود إلى عهود متأخرة، رغم احتجاج الأنبياء والكهنة**»(٤).

وهناك مصادر كثيرة تشير إلى أن اليهود أدخلوا السحر والتنجيم والأساطير الغربية فى كتب العبادة اليهودية، فهم ينكرون كل ماهو روحى ومعنوى فى الحياة مع الانحراف الكامل إلى المادية الخالصة وإنكار الحياة الآخرة، وقد عرفوا بصناعة التنجيم والسحر وإرسال الغموض على يوم الحشر والدينونة فضلاً عن الأثره وحب الثراء، مع روح الغلو والتحدى(٥).

المطلب الخامس: جريمة الزنى وعقوبتها فى سفر اللاويين:

الزنا جريمة نكراء، يترتب عليها اختلاط الأنساب، وذهاب الحياء، والحرمان من الأمن النفسى، وتلك صفات لاتصلح أن تكون صفات مجتمع إنسانى.

وجريمة الزنا كانت تنتشر فى اليهود انتشارًا فاحشًا، لا حد له، والشهوات حين تنطلق من عقالها لايروى ظمأها كثير ولا عظيم، ولا يوقف اندفاعها سوى بلوغها غايتها فى التهامها لغيرها.

لذلك تحكى أسفار التوراة أن جريمة الزنا عند اليهود لم تكن قاصرة على زنا الرجل فى الأجانب، بل كانت فى المحارم، فالرجل وامرأة أبيه، والرجل وامرأة ابنه،

(١) اللاويين ١٩ : ٣١. (٢) اللاويين ٢٠ : ٦.
(٣) اللاويين ٢٠ : ٢٧ وانظر: سوسنة سليمان فى أصول العقائد والأديان ص١١٩.
(٤) قصة الحضارة ٢/ ٣٣٩.
(٥) أنور الجندى: المخططات التلمودية ص٢٥ ط دار الاعتصام -القاهرة- ١٩٧٧م.

والرجل وأم زوجته، والرجل وابنة ابنه أو ابنة بنته، والرجل وأخته، والرجل وامرأة أخيه، والرجل وأخت زوجته، والرجل وعمته، والرجل وخالته، والرجل وأمه، والرجل وامرأة عمه . . .

وأسفار التوراة تحكى أن هذه الجرائم التى تشيب لها النواصى، كان يقع فيها الجميع بلا استثناء حتى الأنبياء -حاشاهم ذلك- كما ذكرنا طرفًا من ذلك عند حديث السفر عن الأنبياء(١).

وقد حددت الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- عقوبة القتل، لكل من يرتكب واحدة من جرائم الزنا، سواء كان الرجل محصنًا أم غير محصن، وكذلك المرأة إلا الأمة العذراء المخطوبة فلها حكم خاص سنذكره. وقد تكون عقوبة القتل إما بالرجم، أو الخنق ثم الرجم، أو بالحرق بالنار.

وأذكر تلك الحالات كما جاءت مرتبة فى الإصحاح العشرين من سفر اللاويين:

١- الزنى بزوجة الأب:

يقول سفر اللاويين: «**وإذا اضطجع رجل مع زوجة أبيه فقد كشف عورة أبيه إنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما**»(٢). وقد حذرت الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- قبل ذلك فى الإصحاح الثامن عشر من ارتكاب تلك الجريمة «**عورة امرأة أبيك لاتكشف إنها عورة أبيك**»(٣). وقد اختلف علماء اليهود فى إسناد العورة إلى الأب هل المراد بها زوجة الأب أم المراد بها حقيقة الأمر وهى عورة الأب؟ فقال جماعة بالأول كما هو ظاهر السياق وقال جماعة بالثانى وأنه إسناد حقيقى لامجازى واعتبروه لواطًا، وكليهما يوجب عقوبة القتل(٤).

٢- الزنى بزوجة الابن:

جاء فى سفر اللاويين: «**وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما قد فعلا فاحشة دمهما عليهما**»(٥). وفى الإصحاح الثامن عشر منه «**عورة كنتك لاتكشف إنها امرأة ابنك لاتكشف عورتها**»(٦).

ولاأدرى إلى أى حد يمكن أن تتدنى النفوس الخسيسة: فى دركات الفاحشة؟ إن

---

(١) انظر ص من هذا البحث.
(٢) اللاويين ٢٠ : ١١.
(٣) اللاويين ١٨ : ٨.
(٤) مراد فرح شعار الخضر ص١٦، القاهرة ١٩١٧م.
(٥) اللاويين ٢٠ :١٢.
(٦) اللاويين ١٨ : ١٥.

أبا الزوج يرى فى زوجة ابنه بنتًا له يرعاها ويغار عليها .

٣- الزنى بأم الزوجة :

جاء فى سفر اللاويين : «**وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما . . .**»[(١)]

ويرى علماء اليهود أن هذا الحكم يطبق سواء زنى الزوج بأم زوجته فى حياة ابنتها أو بعد وفاتها ، وكذلك إذا حصل أن زنى الرجل ببنت زوجته فالحرق عقوبتها ، والحرق ليس بإشعال النار فى جسد الزناة ، ولكن بصب الرصاص المنصهر فى فم كل منهما ، ويرى بعض علماء اليهود أن المحكوم عليه كان يرجم أولاً حتى الموت ، ثم تحرق جثته بإشعال النار فيها[(٢)] .

والعجب هنا من هذا الحكم العشوائى ، إذ ما ذنب الزوجة إذا زاغ الزوج فزنى بأمها لماذا تحرق هى أيضًا مع أمها؟

٤- الزنى بالأخت :

فى سفر اللاويين : «**وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هى عورته ، فذلك عار يقطعان أمام أعين بنى شعبهما قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه**»[(٣)] .

٥- الزنى بالخالة والعمة :

فى سفر اللاويين : «**عورة أخت أمك أو أخت أبيك لاتكشف إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما**»[(٤)] .

٦- الزنى بامرأة العم :

فى سفر اللاويين : «**وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه يحملان ذنبهما يموتان عقيمين**»[(٥)] .

٧- الزنى بزوجة الأخ :

فى سفر اللاويين : «**إذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه يكونان عقيمين**»[(٦)] .

---

(١) اللاويين ٢٠ : ١٤ .

(٢) نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٢٥٢ .

(٣) اللاويين ٢٠ : ١٧ .

(٤) اللاويين ٢٠ : ١٩ .

(٥) اللاويين ٢٠ : ٢٠ .

(٦) اللاويين ٢٠ : ٢١ .

والحكم هنا غير واضح أنه القتل، يوضحه ما جاء فى الإصحاح الثامن عشر من نفس السفر: «**عورة امرأة أخيك لاتكشف، إنها عورة أخيك**»[١] وعقب عليها -بعد ذكر مجموعة جرائم أخرى- بقوله: «**كل من عمل شيئًا من هذه الرجاسات تقطع الأنفس من شعبها**»[٢].

ويعقب غوستاف لوبون على مثل تلك الحالات قائلاً: «**وسفاح ذوى القربى -أى الزنا بالأخت والأم . . . واللواط والمساحقة ومواقعة البهائم من أكبر الآثام التى كانت شائعة بين ذلك الشعب**»[٣].

٨- زنى ابنة الكاهن:

ينص السفر على أن ابنة الكاهن إذا زنت تحرق بالنار، وذلك لمكان أبيها: «**وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها بالنار تحرق**»[٤].

وبعد،،، فهذه هى حالات الزنى التى حكمت الشريعة اليهودية فى سفر اللاويين فيها بالقتل سواء رجمًا بالحجارة أم حرقًا بالنار أم كليهما معًا.

بقى حكم واحد بخصوص جريمة الزنى، وهو يتعلق بزنا الإماء -أى غير الحرائر- وهو ينص على أن الأمة إذا زنت وكانت مخطوبة فلا تعاقب هى ولا الزانى بالقتل، ولكن يؤدبان، والتأديب كان يقدره قضاة اليهود، وكان فى الغالب جلد الاثنين[٥]، وإتيان الرجل بذبيحة إثم للتكفير عن ذنبه، جاء فى سفر اللاويين: «**وإذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداءً ولاأعطيت حريتها، فليكن تأديبًا، لايقتلا لأنها لم تعتق، ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه إلى باب خيمة الاجتماع**»[٦].

ويلاحظ فى أحكام سفر اللاويين بشأن جريمة الزنا مايلى:

١- خصوصية هذه الأحكام بالزنى باليهوديات فقط، وأما غير ذلك فلا عقوبة، وهذا هو منطق السفر الذى يقول: «**فإذا زنى مع امرأة قريبة يقتل الزانى والزانية**»[٧] وحتى لا يظن ثم تكلف فى فهم لفظ «قريبة» وأن المقصود به اليهودى، ننقل كلامًا لواحد من

---

(١) اللاويين ١٨ : ١٦ .
(٢) اللاويين ١٨ : ٢٩ .
(٣) غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص٥١ .
(٤) اللاويين ٢١ : ٩ .
(٥) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٨ .
(٦) اللاويين ١٩ : ٢٠-٢١ .
(٧) اللاويين ٢٠ : ١٠ .

أكابر علماء اليهود فى العصر الحديث يؤكد فيه أن الوصايا الإلهية حولها اليهود إلى وصايا خاصة بهم.

يقول الدكتور/ هربرى لوى اليهودى -صاحب كتاب أديان العالم الكبرى: «**حول اليهود الوصايا الإلهية للإنسانية إلى وصايا لليهود أنفسهم، أما الجويم -أى جميع الأمم الأخرى- فلا، وأن قانون لاتقتل -لاتزن- لاتسرق- هو خاص باليهود وحدهم**»(١).

بل إن التلمود قد كشف وأبان تلك النزعة العنصرية حين قال: «**اليهودى لايخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة الأجنبية تعتبر بهيمة ولايوجد عقد بين البهائم**» وفيه لليهودى الحق فى اغتصاب النساء الأجنبيات أى غير اليهوديات»(٢).

٢- لم يراع المشرع أن يحيط تلك الأحكام بشئ من التمهيد والتوطئة لها فى النفوس لقبولها، لذلك مجتها النفوس اليهودية وطرحتها، وتواطأت الجماعة كلها على إباحة الزنا، فلاعجب بعد ذلك أن نقرأ أن إسرائيل- التى يزعم قادتها دائمًا أنهم توراتيون- فى طريقها لتكون أكبر بيت للدعارة فى الشرق الأوسط(٣)، ولاعجب أن نقرأ أن رئيسة المجموعة البرلمانية لحزب العمل فى إسرائيل قد قدمت إلى الكنيست مشروع قانون بإباحة الدعارة فى إسرائيل، وقالت إن الهدف من ذلك المحافظة على صحة السيدات اللائى يمارسن أقدم مهنة فى التاريخ(٤).

ولاعجب -أيضًا- أن نسمع من أكابر فلاسفتهم أمثال دوركايم إعلانه الصريح بأنه يحترم الزنا ويعتبره شيئًا سويًا عاديًا، وأن الزواج ليس من الفطرة(٥).

٣- أن هذه الأحكام لم تربط باليوم الآخر، وهذا غاية الإلحاد والكفر.

المطلب السادس: جريمة شرب الخمر وعقوبتها فى سفر اللاويين:

الخمر مفسدة عظيمة للمال والعقل والبدن، ولكن الشريعة فى سفر اللاويين لم تعتبر الخمر جريمة إلا فى حق الكهنة، وليس فى كل وقت بل عند دخول خيمة

---

(١) انظر: أ/ أنور الجندى: المخططات التلمودية ص٢١ عن كتاب المؤلف المذكور، موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٥١.

(٢) د/ محمد على البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٩ ط الدار السعودية -جدة ١٩٨٧.

(٣) انظر: جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ٢/ ٩/ ٢٠٠٠ مقال بعنوان (فى إسرائيل) ص١٧.

(٤) مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص١٧٢.

(٥) المخططات التلمودية ص١٧٢ بتصرف.

الاجتماع فقط، وعقوبتها الموت يقول السفر: «وكلم الرب هارون قائلاً: خمرًا ومسكرًا لاتشرب أنت وبنوك معك عند الدخول إلى خيمة الاجتماع لكى لاتموتوا، فرضًا دهريًا فى أجيالكم»[١].

ولاتقف الشريعة اليهودية عند التساهل فى أمر الخمر إلى هذا الحد، بل إنها تأمر الشعب الإسرائيلى أن يجعل الخمر ضمن القرابين التى يتقرب بها إلى الرب، فى سفر اللاويين: «.. وتقدمه عشرين من دقيق ملتوت بزيت وقودًا للرب رائحة سرور وسكيبه ربع الهين من خمر»[٢].

بل إن باقى أسفار العهد القديم قد جاء فيها أوامر بشرب الخمر، وإغراء الناس بها، ففى سفر الجامعة[٣]: «اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب..»[٤] وفيه «للضحك يعملون وليمة، والخمر تفرح العيش»[٥].

حتى النصوص التى جاءت تفيد مقت الخمر -فى العهد القديم- لم تعتبرها كجريمة يعاقب فاعلها، بل هو مجرد وعظ ليس فيه نهى جازم، ولاتقرير لعقوبة. ومثال ذلك: ماجاء فى أمثال سليمان «الخمر مستهزئة والمسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم»[٦]. و «لاتكن بين شريبى الخمر المتلفين أجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران»[٧]. و «لمن الويل؟ لمن الشقاوة؟ لمن المخاصمات؟ لمن الكرب؟ لمن الجروح بلا سبب؟ لمن ازمهرار العينين؟ للذين يدمنون الخمر»[٨].

ومثل هذا التساهل والتضارب -فى ذات الوقت- هو سر فشل قوانين الدول الغربية فى تحريم الخمر حينما أدركت خطورتها.

ففى عام ١٩١٩م أصدر الكونجرس الأمريكى قانونًا بتحريم الخمر، بعد اقتناع الرأى العام الأمريكى بخطورتها، وأعدت لتنفيذ هذا القانون كافة وسائل الدولة وامكاناتها الضخمة، وكلفت الأساطيل البحرية لمراقبة الشواطئ، وجند الطيران لمراقبة الجو، واستخدمت كل وسائل الدعاية والإعلام لمحاربة الخمر وبيان مضارها، ويقدر ماأنفق فى سبيل تنفيذ هذا القانون بنحو ستين مليون من الدولارات،

---

(١) اللاويين ١٠ : ٨-٩.
(٢) اللاويين ٢٣ : ١٣.
(٣) الجامعة هو ابن داود الملك.
(٤) الجامعة ٩ : ٧.
(٥) الجامعة ١٠ : ١٩.
(٦) الأمثال ٢٠ : ١.
(٧) الأمثال ٢٣ : ٢٠-٢١.
(٨) أمثال ٢٣ : ٢٩-٣٠.

وأنفقت نحو عشرة بلايين صفحة فى النشرات بخصوص هذا الأمر، وبلغ إجمالى النفقات الأمريكية فى سبيل تحريم الخمر فى مدة أربعة عشر عامًا نحو مائتين وخمسين مليون دولار، ورغم كل هذا وجدت الحكومة الأمريكية نفسها عاجزة عن تنفيذ هذا القانون، لأن أفرادًا وجماعات أخذوا يعيشون فى الأرض فسادًا بتعاطى الخمور، وتهريبها والاتجار بها، والتفنن فى صناعتها على استخفاء، واستحضار أخبث أنواعها أكثر من ذى قبل، مما اضطر الحكومة الأمريكية فى عام ١٩٣٣م إلى إلغاء هذا القانون وإباحة الخمر إباحة مطلقة(١).

ولامجال للشك فى أن الأفراد والجماعات الذين قاوموا الحكومة الأمريكية بهذه الشراسة، واضطروها إلى الإقرار بالإباحة، هم أفراد وجماعات يهودية، فنشر الخمر لإتلاف العقول والأبدان بند مهم فى مخططهم الماكر للاستيلاء على العالم، إذ جاء فى البروتوكول الثالث والعشرين: «**الرجل يصير هو والبهيمة سواء تحت تأثير الكحول**»(٢).

ومن جانب آخر فقد جمع اليهود ثروات ضخمة خلال عصور التاريخ من تجارة الجنس وملحقاتها من صناعة الخمور وبيعها، وتجارة المخدرات وتهريبها حتى أصبحت عملية الإفساد متكاملة(٣).

أليس كل هذا الفساد ثمرة لغياب التشريع الذى يقنن الجريمة والعقوبة؟ والذى قد خلا سفر اللاويين منه.

المطلب السابع: جريمة السرقة والغصب فى سفر اللاويين:

الحق أن كل الشرائع السماوية تضافرت للحد من جريمة السرقة والاعتداء على الأموال، فكانت العقوبات رادعة زاجرة، بحيث لا تدع مجالاً للاحتيال على الشرع.

وأهم مايجب إبرازه فى هذا الصدد هو موقف الشريعة الإسرائيلية فى عهد يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام- إذ كان يقضى على السارق بالرق فى مقابل جريمته، وقد

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة ص٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف، وانظر: أ/ أبو الحسن الندوى: لماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٨٠ بالهامش، أ/ أبو الأعلى المودودى: نحن والحضارة الغربية ص٥٢ ط مؤسسة الرسالة -بيروت.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ص١٣٧.

(٣) انظر: مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى ص١٠٧.

حكت التوراة موقف يوسف مع إخوته حين ناداهم أنهم سارقون، وسألهم عن عقوبة السارق فقالوا: «**الذى يوجد معه من عبيدك يموت، ونحن -أيضًا- نكون عبيدًا لسيدى**» فقال نعم الآن بحسب كلامكم هكذا يكون الذى يوجد معه يكون لى عبدًا»[١].

والذى قبله يوسف هو ماقصه القرآن الكريم: ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٢].

وقبل أن أبين موقف اليهودية من جريمة السرقة والغصب، أشير إلى أنهما وإن كانا نوعين لجريمة واحدة إلا أن بينهما فرقًا.

فالسرقة: هى أخذ الشئ خفية، يقال: استرق السمع إذا جاء مستخفيًا[٣].

والغصب: هو أخذ المال قهرًا وظلمًا علانية[٤].

وقد جاء فى سفر اللاويين وصية بعدم السرقة، وبيان أنها جريمة شنيعة فاعلها يدنس اسم الرب: «**لاتسرقوا.. فتدنس اسم إلهك أنا الرب**»[٥].

وكذلك جاءت الوصية بالنهى عن الغصب: «**لاتغصب قريبك ولاتسلب**»[٦].

وقد تشددت اليهودية فحكمت بقتل السارق فى حالتين:

١- فى حالة سرقة إنسان حر لبيعه للاسترقاق، وقد كانت هذه الجريمة منتشرة فى المجتمع اليهودى، فجاءت الشريعة بعقوبة لردع المجرمين، فقالت: «**إذا وجد رجل قد سرق نفسًا من إخوته من بنى إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق**»[٧].

وهو كما ترى حكم خاص بالسرقة من بنى إسرائيل أما غيرهم فلا حرج فى إسترقاقهم، ولايحسب سلب حرياتهم سرقة من أساسه عند اليهود.

٢- فى حالة ما إذا ضبط رجل رجلاً وهو ينقب حائط منزله ليسرقه ليلاً فقتله، فلا شئ على صاحب الدار، أما إن طلعت الشمس ووجد السارق ينقبها وقتله رجل يقتل به: «**إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم، ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم**»[٨].

---

(١) الخروج ٤٤ : ٩، ١٠.
(٢) سورة يوسف الآية (٧٥).
(٣) انظر: المصباح المنير ص٢٧٤ مادة سرق.
(٤) المرجع السابق ص٤٤٨ مادة (غصب).
(٥) اللاويين ١٩ : ١١.
(٦) اللاويين ١٩ : ١٣.
(٧) التثنية ٢٤ : ٧، وانظر دلالة الحائرين ص٦٣٧.
(٨) الخروج ٢٢ : ٢، ٣ وانظر دلالة الحائرين ص٦٣٧.

وهذا من أغرب الأحكام التى تدل على سذاجة المشرع اليهودى، فهو مدعاة لتبجح السراق واللصوص ليسرقوا علانية فى وضح النهار، ويحفظ الشرع أرواحهم، ويحقن دماءهم، وهذا يناقض وصية سفر اللاويين بعدم السرقة والغصب.

ولعل مايمارسه الإسرائيليون -اليوم- من تبجح سافر، ربما قام على أمثال تلك النصوص المزيفة، فهم لاينقبون دورًا بل يفرغونها من أهلها، وليس ذلك ليلاً، بل نهارًا فى وضح شمس العالم الذى يحقن دماءهم، ولعل العالم النصرانى الذى يساندهم قد مرت به قراءة هذه النصوص.

وأما بعد ذلك فلم تحكم التوراة فى السرقة إلا بالتعويض.

ويذكر سفر اللاويين أكثر من نوع من السرقات وهى:

١- إنكار الوديعة أو الأمانة أو ضياعها. ٢- الاغتصاب أو الغصب.

٣- إنكار اللقطة.

ويحكم فى هذه السرقات برد الشئ المسروق أو المغصوب إن كان باقيًا، أو يعوضه ويزيد عليه بمقدار خمسه

يقول سفر اللاويين: «**إذا أخطأ أحد فخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانه أو مسلوبًا أو اغتصب من صاحبه، أو وجد لقطة وجحدها.. يرد الملسوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها أو كل ماحلف عليه كاذبًا يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسه إلى الذى هو له يدفعه**»[1].

وينقض هذا الحكم ماجاء فى سفر الخروج يقضى بأن التعويض إنما يكون بالمثلين لابزيادة الخمس «**إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت من بيت الإنسان فإن وجد السارق يعوض باثنين وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم... فالذى يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين**»[2].

وفوق تناقض الأسفار فى تقدير العقوبة، أرى أن هذه العقوبات غير رادعة إذ أن اللصوص أو السراق كلهم حذر من ألا يوجد المسروق بأيديهم، فيعملون على التخلص منه، وبهذا يفلتون من توقيع العقوبة عليهم.

---

(١) اللاويين ٦ : ١-٥ . (٢) الخروج ٢٢ : ٧-٩ .

المطلب الثامن: موقف الإسلام من تشريعات الجريمة والعقوبة الواردة في سفر اللاويين.

لقد كانت نظرة الإسلام إلى الجريمة والعقوبة نظرة عالية، غير نظرة الشرائع الوضعية، ذلك لأن الإسلام وازن بين الجريمة وعقوبتها، وحرص على أن تكون العقوبة من جنس الجريمة ماأمكن، ليكون أبلغ في ردع المجرم حتى يذوق بشاعة ماارتكب، وليكون أشفى لصدر المجنى عليه.

فعاقب على القتل بالقتل، وعلى الأعضاء بمثلها، وعلى السرقة بقطع اليد... وهكذا، وهذا خلافٌ لما رأينا في سفر اللاويين فربما كانت جرائم صغيرة -كالأكل من القرابين بغير طهارة أو الذبح بعيدًا عن خيمة الاجتماع- ومع ذلك كانت عقوبتها القتل.

كما أن الإسلام جعل للعقاب أصلين هما: الحد والتعزير، فالحد هو المنصوص على مقدار العقوبة فيه، والتعزير هو المتروك لولى الأمر يقدره بمايتناسب مع الجريمة والمجرم، وبما يكون فيه صلاح العامة وسيادة الأمن بين الكافة[1].

كما أن الشريعة الإسلامية سلكت أكثر من طريق لمنع الجريمة أو الحد منها، فهي تعمل على تهذيب النفوس بتربية الضمائر وهو الأساس الأول في منع وقوع الجريمة، كما تعمل على تكوين رأى عام فاضل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ثم يكون المسلك الأخير وهو العقاب على مايقع من الجرائم ففيه ردع للجاني وزجر لغيره ومنع لتكرار الوقوع[2].

كل هذه المزايا افتقدتها تشريعات التوراة في سفر اللاويين، ولعل الأمر يزداد وضوحًا عند ذكر موقف الإسلام من كل جريمة سبق ذكرها في سفر اللاويين.

أولاً: موقف الإسلام من جريمة القتل:

لقد عالج الإسلام جريمة القتل بحكمة رائعة فبدأ ببيان حرمة النفس الإنسانية، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] وقال في

---

(١) الشيخ: محمد أبو زهرة: في الفقة الإسلامي ص٣١ ط دار الحمامي للطباعة -القاهرة- بتصرف.

(٢) الشيخ: محمد أبو زهرة: العقوبة في الفقة الإسلامي ص٢٩-٣٢ ط دار الحمامي للطباعة -القاهرة- بإيجاز.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥١).

صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٢).

كما بين الله سبحانه وتعالى أن قتل نفس واحدة والتعدى عليها بمثابة التعدى على جنس الناس، واحترامها احترام لجنس الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يارسول الله: وماهن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» (٤).

ولايخفى أثر مثل ذلك المنهج فى الحد من تلك الجريمة وفطم النفوس عنها إذا صادف عقولاً زاكية وقلوبًا مؤمنة.

وقد قسّم الفقهاء المسلمون جريمة القتل إلى أنواع، ولكل نوع عقوبة:

أنواع القتل (٥):

١- القتل العمد ٢- القتل شبه العمد ٣- القتل الخطأ

فأما القتل العمد: وهو الذى يتعمد فيه شخص ضرب شخص آخر بما يقتل مثله غالبًا (٦).

---

(١) سورة الفرقان الآيات (٦٨، ٦٩).

(٢) سورة النساء الآية (٩٣). (٣) سورة المائدة الآية (٣٢).

(٤) البخارى بشرح ابن حجر: ٢٧٦٦ ك الوصايا، باب قول الله: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا» ٥/ ٤٧٨.

(٥) أنواع القتل فى الشريعة الإسلامية فيها خلاف فمن العلماء من يجعلها خمسة كالأحناف (عمد-شبه عمد-خطأ-ما أجرى مجرى الخطأ- التسبب) ومنهم من يجعلها نوعان فقط (عمد وخطأ) كالمالكية والظاهرية، والتقسيمة التى أخذتها (أى ثلاثة أنواع) هى للشافعية والحنابلة، وإنما اخترتها لأن النوعين الزائدين فى المذاهب الأخرى يدخلان تحت هذه الثلاث، فالذى يجرى مجرى الخطأ يدخل فى الخطأ، والتسبب يدخل فى العمل.

(٦) صالح بن إبراهيم البليهى: السلسبيل فى معرفة الدليل ٤/ ١١٢ ط المكتبة العصرية -صيدا- نشر مكتبة نزار مصطفى الباز -الرياض- ط أولى ١٩٩٦.

(٧) الامام النووى: منهاج الطالبين وعمدة المفتين ص١٢٢ ط مصطفى البابى الحلبى -مصر.

وهذا النوع فيه القصاص[١] بنص القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾[٢].

فإن عفا أولياء الدم وجبت على القاتل دية مغلظة (تقدر بمائة بعير)[٣].

ويلاحظ هنا أن العفو على الدية أو مجانًا كان من تخفيف الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمة، حيث لم يكن يشرع العفو فى الشرائع السابقة -كما رأينا- قال سبحانه وتعالى بعد ذكر القصاص: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾[٤]. قال قتادة: «**رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم تحل لأحد قبلهم، فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أرش، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به، وجعل لهذه القصاص والعفو والأرش**»[٥].

وأوضح الإسلام فى إطار الكلام على عقوبة القتل العمد (أى القصاص) أنها مناسبة جدًا لزجر الناس وأخبر بالحكمة فيها حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٦] لأن فى ذلك بقاء للمنهج وصون لها، لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان فى ذلك حياة للنفوس[٧].

وأما شبه العمد: فهو أن يتعمد الضارب ضرب المضروب بمالايقتل غالبًا كالعصا الصغيرة والحجر الصغير أو السوط[٨]، ويسمى هذا النوع -أيضًا- عند الخطأ وخطأ العمد لأنه اجتمع فيه معنى من العمد وهو قصد الضرب، ومعنى من الخطأ وهو عدم قصد القتل كما تنبئ عن ذلك الآلة التى لاتقتل غالبًا[٩].

وعقوبة هذا النوع وجوب الدية المغلظة (مائة من الإبل)[١٠]، وذلك لقول النبى

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٨).

(٢) محمد بن قاسم الشافعى: فتح القريب المجيب فى شرح ألفاظ التقريب ص٥٣ ط مصطفى البابى الحلبى - مصر ١٩٥٢م.

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٨).

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٤.

(٥) سورة البقرة الآية (١٧٩).

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٤.

(٧) ابن قدامة: المغنى ٩/ ٣٣٧ ط دار الكتاب العربى -القاهرة-، الخطيب الشربينى: مغنى المحتاج ٤/ ٤ ط مصطفى البابى الحلبى -القاهرة- ١٩٥٨.

(٨) د/ محمد هاشم محمود: الجنايات فى الفقه الإسلامى ٢/ ٤٤٣.

(٩) المغنى ٩/ ٤٩١، مغنى المحتاج ٤/ ٥٥.

(١٠) سنن النسائى ٦٩٩٦ ك القسامة، باب الاختلاف على خالد الحذاء ٤/ ٢٣٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت- ١٩٩١.

ﷺ: «**ألا إن دية الخطأ شبه العمد ماكان بالسوط والعصا مائة من الإبل**»[(١)] وقال: «**عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولايقتل صاحبه**»[(٢)]. «**عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى**»[(٣)].

وتجب -كذلك- الكفارة فى شبه العمد، وذلك لقياس شبه العمد على الخطأ -كماسيأتى-[(٤)].

وفوق الدية والكفارة فى القتل شبه العمد فقد نص الفقهاء أنه يوجب على فاعله الإثم، وهذا أمر لايتصور فيه خلاف، لأنه عدوان وظلم أوقعه القاتل على المقتول، والعدوان والظلم يوجبان الإثم بلا خلاف، غير أن إثم شبه العمد أخف من إثم العمد، فلايوجب خلودًا فى جهنم[(٥)].

وأما القتل الخطأ: فهو الناشئ عن فعل غير مقصود أصلاً، أو قصد الفعل دون عين الشخص[(٦)].

وعلى هذا فالخطأ نوعان:

١- خطأ فى الفعل: كأن يرمى شجرًا أو صيدًا فيصيب إنسانًا.

٢- خطأ فى القصد: كأن يرمى شخصًا يظنه صيدًا فإذا هو آدمى، أو يرمى رجلاً يظنه حربيًا فإذا هو مسلم[(٧)].

وفى قتل الخطأ بنوعيه تجب الدية والكفارة، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ﴾[(٨)].

فدلت الآية الكريمة على أن من وقع منه القتل الخطأ وجب عليه الدية والكفارة،

---

(١) سنن أبى داود ٤٥٦٥ ك الديات، باب ديات الأعضاء ٤/ ٦٩٤ ط دار الحديث -سورية- ١٩٧٣م.

(٢) سنن النسائى ٧٠٠٩ ك القسامة، باب كم دية الكافر ٤/ ٢٣٥.

(٣) مغنى المحتاج ٤/ ١٠٧.

(٤) انظر: د/ محمد هاشم: الجنايات فى الفقه الإسلامى ٢/ ٤٥٧.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٤٥٩.

(٦) انظر الكاسانى: بدائع الصنائع ٧/ ٢٣٤ ط دار الكتاب العربى -القاهرة-، منصور بن يونس البهوتى: كشاف القناع ٥/ ٥١٣ ط مكتبة النصر الحديثة -الرياض-، أبو محمد بن حزم: المحلى بالآثار ١٠/ ٣٤٤.

(٧) سورة النساء الآية (٩٢).

(٨) ابن المنذر: الإجماع ص٧٥ ط/ ، ابن حزم: مراتب الإجماع ص١٦٦ ط دار الآفاق الجديدة -بيروت- ط الثالثة ١٩٨٢م. .

فيعتق رقبة مؤمنة، فإن عجز صام شهرين متتابعين وهذا لاخلاف فيه بين الفقهاء[١].

وتنص الشريعة الإسلامية على أن الدية فى قتل الخطأ تحملها العاقلة[٢]، فإن لم يكن للقاتل عاقلة ففى بيت مال المسلمين[٣].

والحكمة فى ذلك أن الدية مال كثير فحملها على المخطئ إجحاف به، فحملتها العاقلة تخفيفًا عنه ومواساة له، وهو مستحق للتخفيف لأنه معذور -وكذا القاتل شبه العمد- ولأن العاقلة يجب عليها حفظ القاتل فإذا لم تحفظه فقد فرطت، ولأن القاتل يتقوى بعشيرته فكأنها كانت مشاركة له[٤].

وليس فى القتل الخطأ عقوبة أخروية، وذلك لما تواتر فى النصوص الشرعية برفع الحرج عن المخطئ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٥]. وقال ﷺ: «**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه**»[٦].

ويلحق بالخطأ نوعان آخران من القتل:

١- ما أجرى مجرى الخطأ: مثل أن ينقلب النائم على رجل آخر فيقتله، أو يقع على شخص بدون إرادته فيقتله.

٢- القتل بالتسبب: ومثاله أن يحفر بئرًا أو يضع حجرًا فى غير ملكه فيقع فيها -أو يعثر- شخص فيموت.

وحكمهما حكم الخطأ فى إيجاب الدية والكفارة والحرمان من الميراث[٧]، وهذا هو الراجح[٨].

وبهذا نكون قد أوضحنا موقف الإسلام من جريمة القتل وعقوبتها فى الشريعة الإسلامية، وهو كما ترى -فى ذلك الإيجاز- ضوابط دقيقة، وحكم سديدة، وأحكام رشيدة، ليس فيه فوضوية كالتى فى سفر اللاويين أو التوراة عمومًا من الحكم بفرار

---

(١) العاقلة هى: عصبة الرجل من جهة الأب الذكور والأقرب فالأقرب أى الإخوة ثم بنوهم، ثم الأعمام ثم بنوهم وإن نزلوا وهلم جرًا، وسميت عاقلة من العقل وهو المنع لأنهم يمنعون عن القاتل. المغنى لابن قدامة ٩/ ٥١٤، لسان العرب/ مادة (عقل).

(٢) بدائع الصنائع ٧/ ٢٥٦، مغنى المحتاج ٤/ ٩٦، المغنى ٩/ ٥٢٤، المحلى ١١/ ٦٣.

(٣) انظر: بدائع الصنائع ٧/ ٢٥٥. (٤) سورة الأحزاب الآية (٥).

(٥) العجلونى: كشف الخفا ومزيل الإلباس ١/ ٥٢٢.

(٦) مغنى المحتاج ٤/ ٨٢، المحلى بالآثار ١١/ ١٩.

(٧) انظر: د/ محمد هاشم: الجنايات فى الفقة الإسلامى ٢/ ٤٦٣.

القاتل خطأ إلى مدينة الملجأ، أو الحكم بالقتل على القاتل بالتسبب، أو منع العفو أو قبول الدية، وكل هذا يوضح ميزة الشريعة الغراء فى دقة أحكامها.

ثانيًا: موقف الإسلام من جريمة الاعتداء على مادون النفس:

لقد احترم الإسلام النفس بكل أعضائها وأجزائها، وعاقب على الاعتداء على أى عضو فيها، وبين هذا فى دستور الشريعة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

وسياق الآية فوق أنه تقرير لموقف الإسلام من تلك الجريمة فهو بيان أن الله سبحانه وتعالى ماشرع لبنى إسرائيل فى توارتهم حكمًا غير هذا، وفيه فضح لهم إذ خصصوا تلك الأحكام للقريب حيث قالوا: «**وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبًا**....»[٢].

وقد وقف التشريع الإسلامى من الجرائم التى تقع فيما دون النفس موقفين:

الأول: إذا كانت الجرائم عمدًا، كانت العقوبة القصاص[٣]، ويجوز فى تلك الحالة العفو مجانًا أو بمقابل[٤].

الثانى: إذا كانت الجرائم خطئًا أى لم يقصد كسر السن ولافقأ العين ولاقطع الأذن ففيها الدية بحسب الجناية، وللفقهاء فى هذا تفصيلات كثيرة[٥]، مجملها يؤكد أن الشريعة الإسلامية قد رصدت لكل جناية عقوبة بقدرها ومن جنسها.

ثالثًا: موقف الإسلام من الجرائم التى أوجبت القتل فى سفر اللاويين

الإسلام معروف بموقفه الحكيم فى تقدير العقوبة ومواجهة الجريمة، فهو قبل تقدير العقوبة يمهد لمحو أسباب الجريمة، وإيصاد أبوابها أمام النفس.

ففى الجرائم الثلاث الأول، وهى الأكل من ذبيحة السلامة على غير طهارة،

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٥).
(٢) اللاويين ٢٤ : ١٩-٢٠.
(٣) انظر الشيخ/ عبد القادر عودة: التشريع الجنائى الإسلامى ٢/ ٢١١ ط دار الكتاب العربى -بيروت، الشيخ محمد أبو زهرة: العقوبة فى الفقه الإسلامى ص٤٠٧، ٤٠٨.
(٤) انظر: الخطيب الشربينى: مغنى المحتاج ٤/ ٤٩.
(٥) انظر المرجع السابق ١١/ ٩٥-٩٩.

والأكل منها فى اليوم الثالث، والأكل من شحوم القرابين، لم يعتبر الإسلام شيئًا منها جريمة أصلاً، لأنه جاء يضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، وليس هذا يعنى أن الإسلام يعين المجرمين على الإفلات من العقوبة، لا . . . ولكنه يرد الأمر إلى نصابه، ويبين أن هذا كان من اختراع قوم نصبوا أنفسهم آلهة فى الأرض، فأحلوا وحرموا، وشرعوا فى الدين مالم يأذن به الله .

وبخصوص مسألة أكل الدم، فإن الإسلام قد حرمه، ولكنه لم يبالغ فى التماس وقوع الناس فى الجريمة كما فعلت اليهودية، فشرط الدم المحرم أكله بأن يكون سائلاً مهراقًا، قال سبحانه وتعالى :

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [1]، وقال ابن عباس لولا هذه الآية لتتبع الناس الدم فى العروق كما تتبعته اليهود، وقال قتادة : حرم من الدماء ماكان مسفوحًا، وأما لحم خالطه دم فلا بأس به، وكانت أم المؤمنين عائشة ترى الحمرة والدم على القدر فلا ترى به بأسًا[2] .

أما مسألة الذبح بعيدًا عن خيمة الاجتماع، فإن الإسلام جاء فوسع محيط الدين فشمل الكون بمافيه بعد أن حبسته اليهودية فى جدران الهيكل، فللمرء أن يذبح فى أى مكان شاء، أيًا كانت ذبيحته قربانًا أو أكلاً عاديًا، ولم يحدد الإسلام مكانًا معينًا للذبح إلا ماكان للنسك فى الحج، وحتى هذه فقد وسعت حيث نحر النبى ﷺ عن الجمرة الأولى التى تلى المسجد، وقال : «**نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم**»[3] .

والشاهد هنا ليس مناقشة صحة الحج وعدمه، ولكن الشاهد أنه لايترتب على المخالف عقوبة بالقتل، كل مايترتب عليه يتعلق بالنسك لا غير، وحتى هذه لاخلاف فى جواز الذبح بمنى أو بمكة، وإن اختلف فى الأفضل -وهو منى[4] .

وعلى فرض بطلان النسك بالذبح بعيدًا عن المنحر فإن حكمة الإسلام لاتجعل الحياة تتوقف أمام هذا المخالف، بل تعطيه فرصة أخرى ليعود فى عام آخر فيذبح حيث أمر .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٤٥) . (٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٨ .
(٣) سنن أبى داود ١٩٣٦ ك المناسك، باب الصلاة بجمع ٢/ ١٩٣ (صحيح) .
(٤) انظر : فتح البارى ٣/ ٦٧٣ .

أما عن جريمة اللواط فقد اعتبرها الإسلام مرضًا نفسيًا خطيرًا، وانحرافًا بالفطرة، تستوجب أخذ مقترفها بالشدة.

وقد قرر الإسلام القتل عقوبة على هذه الجريمة، فقال ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(١).

وإن اختلف الفقهاء فى تقدير العقوبة إلا أن الراجح هو القول بالقتل، إما رجمًا بالحجارة، أو قتلاً بالسيف، أو حرقًا بالنار، أو إلقاءً من أعلى شاهق، أو بهدم جدار على الفاعل والمفعول، أو بالحبس فى كنيف حتى الموت(٢).

وعن جريمة إتيان البهائم، فإن الإسلام اعتبرها شذوذًا عن الفطرة -أيضًا- وقد اختلف العلماء فى تقدير عقوبة من يقع على البهيمة، فمنهم من قال بوجوب القتل وهما الإمامان أحمد والشافعى(٣) أخذًا بظاهر حديث: «**ومن وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة**»(٤).

ومنهم من قال يحد واطئ البهيمة حد الزنا قياسًا عليه(٥).

ومنهم من قال بالتعزير(٦) فقط وهو قول الجمهور(٧)، وحجة الجمهور فى عدم إقرار عقوبة القتل لمن أتى البهيمة، الحديث العام فى حرمة الدماء «**لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»(٨).

وهذا لايعنى أن جمهور فقهاء الإسلام، يرون تلك الجريمة يسيرة، بدليل أنهم لم يعفوه من العقوبة، ولكنهم نظروا إلى الثابت من أحكام الإسلام فى حرمة الدماء إلا بحقها وحسابها، فإن المغالاة فى العقوبة عن مقدار الجريمة كثيرًا ماتؤدى إلى الضجر والتذمر، فالعقوبة حينما تكون بقدر الجريمة ربما سلم الناس أنفسهم طائعين لينالوا

---

(١) الترمذى: ك الحدود، باب ماجاء فى حد اللوطى ٤/ ٥٧ وقال فى إسناده مقال.
(٢) انظر د/ بكار: من هدى البشير النذير فى الحد والتعزير ص٤٧.
(٣) ابن العربى: عارضة الأحوزى بشرح صحيح الترمذى ٥/ ٢٣٩ ط دار الكتب العلمية -بيروت.
(٤) الترمذى: ك الحدود، باب فيمن يقع على البهيمة ٤/ ٥٦، ٥٧، وقال لانعرفه إلا من حديث عمرو بن أبى عمرو، وقد تكلم الامام الشوكانى فى نيل الأوطار ٧/ ٢٨٩ على أسانيد هذا الحديث وبين عللها.
(٥) انظر: ابن العربى: عارضة الأحوزى بشرح صحيح الترمذى ٥/ ٢٣٩.
(٦) التعزير: التأديب على ذنب لاحد فيه ولاكفارة، يقدرها الحاكم.
(٧) انظر: عارضة الأحوزى ٥/ ٢٣٩.
(٨) البخارى بشرح ابن حجر: ك الديات، باب أن النفس بالنفس والعين بالعين ١٢/ ٢٤١.

عقوبة جرائمهم.

وعن مسألة إتيان المرأة فى حيضها، فإن مبالغة اليهود فى إصدار العقوبة بالقتل - على فاعل ذلك- نابع من غلوهم فى التقذذ من حيض المرأة، «**فقد كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها**»[(١)].

فلما جاء الإسلام، وسأل الناس رسول الله ﷺ عن المحيض، فنزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. قال ﷺ: «**اصنعوا كل شئ إلا النكاح**»[(٢)].

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج[(٣)].

فإذا وقع فى المحظور فإن الفقهاء على رأيين ليس فيهما القتل:

الأول: أنه أثم ويستغفر الله ويتوب إليه، ويلزمه مع ذلك كفارة لما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ: قال فى الذى يأتى امرأته وهى حائض: «**يتصدق بدينار أو نصف دينار**»[(٤)].

الثانى: أنه أثم ويستغفر الله ولايلزمه كفارة، وهو قول الجمهور، لأنه لم يصح عندهم رفع هذا الحديث بل الصحيح أنه موقوف على ابن عباس عند كثير من أئمة الحديث[(٥)].

وهكذا نرى موقف الإسلام وسطًا بين غلو اليهودية التى حكمت بالقتل وبين إفراط النصرانية التى أباحت الجماع فى الحيض.

أما عن جريمة العمل فى يوم عيد الكفارة، أو الإفطار فيه، فواضح أن هذا من غلو اليهود وتشديدهم على أنفسهم، فالإسلام لم يحرم العمل فى يوم ما من الأيام، بل دعا إلى العمل ومواصلته، حتى فى يوم الجمعة -الذى أمر الناس جميعًا بتقديسه[(٦)]-

---

(١) مسند أحمد ٣/ ١٣٢ عن أنس.

(٢) مسند أحمد ٣/ ١٣٢ والآية من سورة البقرة رقم (٢٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٠.

(٤) سنن أبى داود ٢١٦٨ ك النكاح، باب كفارة من أتى حائضًا ٢/ ٢٥١.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٣١.

(٦) ففى الحديث: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم -أى الجمعة- الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد». البخارى: بشرح ابن حجر ٨٧٦ ك الجمعة باب فرض الجمعة ٢/ ٤٣٢.

لم يأمر بالامتناع عن العمل إلا من وقت النداء إلى انقضاء الصلاة فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [(١)].

وحتى فى أيام الحج قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [(٢)].

وأما الإفطار فى الصوم الواجب فإنه طالب المفطر بقضاء ماعليه من الأيام فقط إن كان مريضًا أو مسافرًا أو معذورًا، وبالفدية إن عجز عن الصيام[(٣)]، وبالقضاء والكفارة إن كان عامدًا (بجماع)، فإن كان بغير جماع فلا تجب الكفارة[(٤)].

ومن هذا يتضح حكمة التشريع الإسلامى فهو يريد أن يربى الضمائر بالعبادات فيصوم الصائم وذلك سر بينه وبين ربه، ولو كان الحكم بالقتل لأمكن أن يتظاهر الناس جميعًا بالصيام، وحينئذ تصبح العبادة زائفة.

وأما جريمة التطاول على اسم الرب بالسب والشتم، فقد اعتبرها الإسلام جريمة مخرجة من الملة، تستوجب حد الردة، وهو القتل باتفاق العلماء[(٥)]، لقوله ﷺ: «من غير دينه فاقتلوه»[(٦)] واختلفوا فى استتابة المرتد فقال بعضهم بقتله ولو تاب وقال بعضهم إن تاب وإلا قتل، وهذا هو الأقرب لمنطق الإسلام[(٧)].

وأما من سب والديه، فقد جعله الإسلام مرتكبًا لأكبر الآثام، فقال ﷺ: **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال يلعن الرجل أبا الرجل فيلعن أباه ويلعن أمه»**[(٨)].

نعم لم يشرع القتل ولكنه يربى النفوس على معرفة حقوق الوالدين وأوصى

---

(١) سورة الجمعة الآيات (٩، ١٠). (٢) سورة البقرة الآية (١٩٨).

(٣) انظر: عبد الله بن الشيخ الكوهجى: زاد المحتاج بشرح المنهاج ١/ ٥٢٤، ٥٢٥ ط المكتبة العصرية - بيروت- ١٩٨٧.

(٤) المرجع السابق ١/ ٥٣١، المدونة الكبرى للإمام مالك ١/ ٢١٨ مطبعة السعادة -مصر.

(٥) انظر: الكوهجى: زاد المحتاج ٤/ ٨٩.

(٦) موطأ الإمام مالك: ك الأقضية، باب القضاء فيمن ارتد عن الاسلام ٢/ ٥٦٥.

(٧) انظر الشيخ أبو زهرة: العقوبة فى الفقة الإسلامى ص١٩٣، ١٩٤.

(٨) البخارى بشرح ابن حجر ٥٩٧٣ ك الأدب، باب لايسب الرجل والديه ١٠/ ٤٨٧.

بالإحسان إليهما كثيرًا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (١).

وأما عن جريمة السحر فإن الإسلام قد عالجها أولاً ثم وضع لها عقوبة، فجعل أولاً ينعى على اليهود كفرهم بالأنبياء واتباعهم السحر، واتهامهم الأنبياء به، وأعلن براءة الأنبياء منه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ (٢).

ثم أخبر أن السحر كفر، فقال عن الملكين اللذين كانا يعلمان السحر ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (٣).

ثم زهد الناس فيه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾. أي لبئس البديل ما استبدلوا به السحر عوضًا عن الإيمان ومتابعة الرسول ﷺ (٤).

وحكم -أيضًا- بكفر من ذهب إلى الساحر ولم يتعلم، فقال ﷺ: **«من أتى عرافًا أو كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد»** (٥).

ونهى عن مجرد التشبه بالسحرة، فقال ﷺ: **«من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك»** (٦).

ثم بعد ذلك قرر العقوبة فقال ﷺ: **«حد الساحر ضربة بالسيف»** (٧). **«وكتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. . .»** (٨).

رابعًا: موقف الإسلام من جريمة الزنا في سفر اللاويين:

لقد نظر الإسلام إلى جريمة الزنا نظرة قلق وتوجس، إذ بانتشارها تختلط

---

(١) سورة الأحقاف الآية (١٥). (٢) سورة البقرة الآية (١٠٢).

(٣) سورة البقرة الآية (١٠٢).

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٩٨ والآية (١٠٢) من سورة البقرة.

(٥) كنز العمال ١٧٦٧٨ ك السحر والعين والكهانة ٦/ ٧٤٩.

(٦) علاء الدين على المتقى الهندى: كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١٧٦٥٠ ك السحر والعين والكهانة ٦/ ٧٤٢ ط مؤسسة الرسالة -بيروت- ١٩٧٩.

(٧) كنز العمال ١٣٣٦٤ ك السحر والعين والكهانة ٦/ ٣٨٨.

(٨) كنز العمال ١٧٦٨٠ ك السحر والعين والكهانة ٦/ ٧٥٠، وانظر: ابن الجوزى: تاريخ عمر بن الخطاب ص١٣٢ ط الأنوار المحمدية -القاهرة- ١٩٩١م.

الأنساب، وتنتهك الأعراض، وتفشو الأمراض، ويغلب على الناس الأهواء والأغراض.

بدأ الإسلام فعالج المقدمات التى يمكن أن تقود إلى الزنا، فنهى عن إطلاق العنان للبصر للتغزل فى مفاتن النساء والعكس فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (١).

ونهى كذلك عن إبداء الزينة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٢). ونهى كذلك عن التمايع أو الخلاعة فى المشية أو الصوت قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ (٣)، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٤).

أدرك الإسلام كذلك أن تبرج المرأة وكشفها لبعض أعضائها باب واسع للفتنة فأمر بالتستر وتغطية الجسد قطعًا لدابر الفتنة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (٥)، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (٦)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ (٧).

كذلك حرم الإسلام الخلوة إلا مع ذى محرم، قال رسول الله ﷺ: «**لايحل لرجل أن يخلو بامرأة إلا مع ذى محرم**»(٨).

وحين نهى عن الزنا مباشرة أورد النهى فى أسلوب يسد كل باب يمكن أن يوصل إلى الزنا فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٩). أى لاتفعلوا شيئًا من مقدمات الزنا فإنها توصل إليه.

كذلك كان من حكمة الإسلام فى معالجة جريمة الزنا أنه رهب من تلك الجريمة فجعلها قرينة الشرك قال سبحانه وتعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠).

---

(١) سورة النور الآيات (٣٠، ٣١).
(٢) سورة النور الآيات (٣٠، ٣١).
(٣) سورة النور الآيات (٣٠، ٣١).
(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٢).
(٥) سورة الأحزاب الآية (٣٣).
(٦) سورة النور الآية (٣١).
(٧) سورة الأحزاب الآية (٥٩).
(٨) رواه مسلم بشرح النووى، ك السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٤/ ١٥٣ بلفظ قريب.
(٩) سورة الإسراء الآية (٣٢).
(١٠) سورة النور الآية (٣).

كذلك نجد الإسلام حينما جرم الزنا أعطى البديل حلالاً وهو النكاح، ودعا إلى ذلك دعوة موسعة حتى أن من عجز عن تحصين فرجه بالزواج شرع له ملك اليمين قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ﴾ [(١)]. وليس هذا يعنى أن النكاح لم يشرع إلا فى شريعة الإسلام، ولكن يعنى أن الإسلام لم يدع إلى ما يصادم الفطرة من نحو الدعوة إلى الرهبانية أو التبتل.

كذلك ذكر الإسلام لتلك الجريمة عقوبة أخروية فقال فى صفة عباد الرحمن: ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ وتوعد فاعل ذلك بالعذاب والمهانة فى الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [(٢)].

وهذا الأسلوب الذى سلكه الإسلام فى معالجة جريمة الزنى يحد من إنتشارها ويهيئ النفس المخطئة لقبول العقوبة.

فقد قرر الإسلام لجريمة الزنى عقوبة على النحو التالى:

١ - إذا كان الزانيين غير محصنين فإن عليهما الجلد مائة جلدة ونفى الذكر سنة كاملة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [(٣)]. وقال ﷺ: للرجل الذى جاء يسأله فى ابنه الذى زنى بزوجة الأعرابى: «. . . . . **على ابنك جلد مائة وتغريب سنة**» [(٤)].

ومن حكمة الإسلام فى نفى الذكر سنة حتى ينسى الناس جريمته وعقوبته، ويكون فى جو آمن من التعيير الذى يولد فى نفسه الخزى والذلة، حتى إذا مضى عام ربما طابت له الإقامة وربما يعود بعد أن يكون الناس قد نسوا جريمته فلا يعير بها ويعيش فى عزة الفضيلة وكرامة الإنسان الطاهر، ولم يغرب المرأة لأن فى ذلك إفسادًا لها[(٥)].

---

(١) سورة النساء الآية (٢٥). (٢) الفرقان الآيات (٦٨، ٦٩).

(٣) سورة النور الآية (٢).

(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٦٨٣٦ ك الحدود، باب من أمر غير الامام بإقامة الحد غائبًا عنه ١٢/ ١٩١.

(٥) الشيخ / محمد أبو زهرة: العقوبة فى الفقة الإسلامى ص١٠٩، ١١٠ بتصرف.

(٦) هناك خلاف بين العلماء فى المراد بالإحصان فيرى بعضهم أن الإحصان هو الإسلام ويرى بعضهم أن الإحصان هو الزواج. ورجح ابن كثير أن يكون الإحصان هو الزواج. انظر تفسيره ٢/ ١٥٩.

٢- إذا كان الزانى أو الزانية محصنين[١] فعقوبتهما الرجم بالحجارة حتى الموت، فقد رجم النبى من جاءه مقرًا بالزنا، وهذا هو حكم التوراة الذى أنكره اليهود.

ولذلك لما حدث أن زنى يهودى بيهودية فى عهده ﷺ جاءوه يسألونه، فقال لهم: **«ماتجدون فى التوراة من شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ماقبلها ومابعدها، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا صدق يامحمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما»**[٢].

٣- إذا كان الزانى أو الزانية عبدًا أو أمة فعقوبتهما الجلد، وهى على النصف من عقوبة الأحرار، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾[٣]. وحكمة الشرع فى هذا هى أن الجريمة مهانة فإذا وقعت ممن ينظر الناس إليه نظرة امتهان كان قد جمع عليه مهانتين فخفف الشارع عنه العقوبة[٤].

هذه هى العقوبة التى رصدها الإسلام لجريمة الزنا، وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام حرم الزنا وعاقب عليه ولو كان الزنا بغير مسلمة، وهذا خلاف مافى سفر اللاويين من تخصيص العقوبة على جريمة الزنى بزوجة القريب.

كما كان الإسلام حريصًا على فتح باب التوبة أمام المجرمين فقد نظر الإسلام إلى العقوبات التى قدرتها التوراة فوجدت أن صرامتها قد حالت بين المجرمين وبين التوبة، وهذه نقطة خطيرة، لأن ذلك يدفع المجرم للتمادى فى جريمته، ويملؤه حقدًا على المجتمع من حوله إذ أن شعوره بالمهانة يلاحقه فى كل مكان، وهذا يعمل على توسيع دائرة الجريمة، فراعى الإسلام أنه يجب محاولة إعادة صياغة المجرمين من جديد لتحويلهم إلى أعضاء صالحين فى المجتمع الإنسانى، لذلك نجد القرآن الكريم بعد أن حدثنا فى سورة الفرقان عن أن الزنا يوجب عذابًا مضاعفًا مهينًا قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٥].

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٦٨٤١ ك الحدود، باب أحكام أهل الذمة ١٢/ ١٩٩.
(٢) سورة النساء الآية (٢٥).
(٣) انظر: الشيخ أبو زهرة: العقوبة ص١٠٨.
(٤) سورة الفرقان الآية (٧٠).

فمن أعلن توبته لا يجوز لعنه ولا سبه ولا احتقاره وازدراؤه، وقد قال النبي ﷺ في الرد على من أنكر عليه أن يصلي على المرجومة في زنا: «**لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها**»(١).

ولا يخفى أثر مثل تلك النواحي الأدبية في محو آثار الجرائم من المجتمع الإسلامي والإنساني عمومًا.

خامسًا: موقف الإسلام من جريمة شرب الخمر وعقوبتها في سفر اللاويين:

شريعة الإسلام من ميزاتها أنها تنمي في نفس الإنسان أن يعاف الأقذار، وينأى بنفسه عن دائرتها، وقد صور الله سبحانه وتعالى الخمر أبلغ تصوير حين قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾(٢).

وكلمة الرجس في القرآن إنما تطلق على ماشتد قبحه وعظم عند الله تحريمه. وقد تدرج الإسلام في تحريم الخمر مراعاة لولع الناس بها، فبين أولاً أن مافيها من الضرر أكبر ممافيها من النفع فقال ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾(٣). ثم منعهم منها في أوقات الصلاة وناداهم سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾(٤). ثم كان التحريم القاطع مقرونًا بعبادة الأوثان بقوله ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٥).

ولاشك أن هذا التدرج الحكيم استغرق فترة زمنية، مهدت لفطام المؤمنين عنها - تمامًا- حتى أنهم حين خوطبوا ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قالوا انتهينا ياربنا(٦).

وبعد أن قرر الإسلام قوله النهائي واعتبر الخمر جريمة، أخذ يعالجها وتمثل ذلك في عدة خطوات:

١- اعتبر كل مايغيب العقل خمرًا، فقد نظر إلى الأثر الذي يحصل عن المادة، ولم ينظر لأصل المادة، فقال ﷺ: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام**»(٧).

---

(١) مسلم بشرح النووي: له الحدود، باب حد الزنا ١١/ ٢٠٢، ٢٠٣.
(٢) سورة المائدة الآية (٩٠). (٣) سورة البقرة الآية (٢١٩).
(٤) سورة النساء الآية (٤٣). (٥) سورة المائدة الآية (٩٠).
(٦) الرمذي ٣٠٤٩ ك تفسير القرآن، باب سورة المائدة ٥/ ٢٣٤.
(٧) أبو داود ٣٦٧٩ ك الأشربة، باب النهي عن المسكر ٤/ ٨٥ (صحيح) رواه البخاري بنحوه.

٢- اعتبر القليل فى الخمر كالكثير، فقال على لسان نبيه ﷺ: **«ماأسكر كثيره فقليله حرام»**(١). وذلك من حكمة التشريع الإسلامى لأن القليل يجر إلى الكثير.

وهذا بخلاف موقف اليهودية الذى رأيناه من إباحتها الخمر على الإطلاق، والمسيحية التى لاتبد إعتراضًا على الخمر بل جعلتها سرًّا من أسرار العبادة(٢).

٣- عاتب على شربها بالجلد ثمانين جلدة(٣).

٤- حرم بيعها وشراءها ومجرد العمل فى عصرها وكذلك حملها، إذ يقول النبى ﷺ: **«لعن الله شارب الخمر وساقيها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها وآكل ثمنها، والمشترى لها والمشتراة له»**(٤). بل حرم الإسلام على المسلم أن يبيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرًا، ففى الحديث: **«من حبس العنب أيام القطاف، حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى أو ممن يتخذه خمرًا فقد تقحم النار على بصيرة»**(٥).

٥- حرم المهاداة بالخمر أيضًا، وقد جاء رجل بعد نزول آية التحريم يسأل: يارسول الله أفلا نكارم بها اليهود؟ فقال النبى ﷺ إن الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود، قال الرجل: فكيف أصنع بها؟ فقال النبى ﷺ شنها على البطحاء»(٦).

٦- حرم الجلوس فى مجالس الخمر ومجالسة شاربيها، إذ قال النبى ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر»**(٧). وقد جلد بعض الفقهاء من شهد مجالس الخمر، كما فعل عمر بن عبد العزيز، وحين قيل له إن فيهم فلان وقد كان صائمًا؟ فقال به ابدأوا، أما سمعتم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى

---

(١) الترمذى: ١٨٦٥ ك الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام ٤/ ٢٩٢ وقال حديث حسن.

(٢) انظر: حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة ص٧٤ ط مكتبة المحبة القاهرة -الطبعة السادسة.

(٣) ابن قدامة: المغنى ١٠/ ٣٢٦، زاد المحتاج ٤/ ٢٦١.

(٤) سنن ابن ماجه ٣٣٨١ ك الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ٢/ ١١٢٢ ط عيسى البابى الحلبى - القاهرة- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٥) السهمى: تاريخ جوبجان ص٢٤١ بإسناد عن عمر ط عالم الكتب -بيروت- ١٩٨١.

(٦) الحميدى: المسند برقم ١٠٣٤ جزء ٢/ ٤٤٨ وهو عن أبى هريرة.

(٧) سنن الدارمى: ك الأشربة، باب النهى عن القعود على مائدة يدار عليها الخمر ٢/ ١١٢ ط دار إحياء السنة النبوية - القاهرة.

(٨) الطبرى: جامع البيان ٥/ ٣٣٠.

حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (١).

٧- حرم الإسلام كذلك التداوى بها، وقال النبى ﷺ لمن قال أصنع الخمر للدواء إنه ليس بدواء ولكنه داء»(٢)، ومن أجاز من الفقهاء التداوى بالخمر شرطه بأن يكون ضرورة، فلا يوجد غيره، وألا يتجاوز المقدار الذى يوصى به الطبيب المسلم وإلا منع(٣).

٨- كذلك عاقب السكران على مايرتكب من الجرائم أثناء سكره، إذا تناول المسكر مختارًا لامكرهًا مضطرًا(٤).

وبهذا نرى أن أى نظام من النظم، مهما حاول محاربة جريمة شرب الخمر سيعجز عن الإتيان بمثل تلك الشرائع الإلهية.

إنه تشريع إذا ما وضع فى مجال التطبيق جفت منابع الجريمة -تمامًا- ولا نكشف المعاقرون للخمر -والمخدرات- عراة السوأة، حتى يمقتهم العالم.

ومما ينبغى ألا يغفل فى موقف الإسلام -هنا- أنه: ليست صرامة تلك التشريعات هى التى أدت إلى نجاح نظام الإسلام فى مواجهة الخمر، لا . . .

ولكنه لما صارت هذه التشريعات عقيدة انطوت القلوب على سماويتها، ومواءمتها وانسجامها مع مصلحة الفرد والمجتمع.

سادسًا: موقف الإسلام من جريمة السرقة:

لقد احترم الإسلام المال إذ هو عصب الحياة وبه يتبادل الناس المنافع فيما بينهم، واحترم كذلك حق تملك الإنسان له، لذلك أضافه إلى الإنسان فى أكثر من آية فى القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ (٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ (٦)، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ (٧)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (٨).

وجعل حق الإنسان فيه مصونًا فلا يحل لمعتد أن يعتدى عليه، لذلك حرم الإسلام

---

(١) مسلم بشرح النووى ك الأشربة، باب تحريم التداوى بالخمر وبيان أنها ليست بدواء ١٣/ ١٥٢.
(٢) انظر: زاد المحتاج بشرح المنهاج ٤/ ٢٦١.
(٣) أ/ سعيد حوى: الإسلام ٣/ ١٧٠ مكتبة وهبة -القاهرة ١٩٨٧- بتصرف.
(٤) سورة النساء الآية (٢).
(٥) سورة النساء الآية (٥).
(٦) سورة البقرة الآية (١٨٨).
(٧) سورة التوبة الآية (١١١).

السرقة والغصب والخيانة والاختلاس والربا وكل وجوه أكل المال بالباطل.

وجعل جزاء السارق من جنس عمله، فقضى بقطع يده، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(١)].

فاليد التى امتدت وباشرت السرقة هى التى تقطع لأن اليد الخائنة بمثابة عضو فاسد يجب بتره ليسلم الجسم، فالتضحية بالبعض من أجل الكل مما اتفقت عليه الشرائع والعقول، كما أن قطع يد السارق عبرة لغيره ممن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس فلا يجرؤ أن يمد يده إليها، وبهذا تحفظ الأموال وتصان[(٢)].

وقد حددت السنة المطهرة مقدار المال الذى يستوجب قطع يد السارق، قال ﷺ: «تقطع اليد فى ربع دينار فصاعدًا»[(٣)] وفى رواية « قطع النبى ﷺ فى مجن ثمنه ثلاثة دراهم»[(٤)].

كما قضى الإسلام برد المسروق إن كان قائمًا إلى صاحبه بلا خلاف بين الفقهاء، لقوله ﷺ: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه»[(٥)].

فإن تلف المسروق في يد السارق فقد اختلف الفقهاء: فبعضهم قال بأنه يضمن بدله لأن الضمان حق الآدمى، والقطع حق الله سبحانه وتعالى ولايمنع أحدهما الآخر، ويرى بعضهم أنه لايضمن ولايغرم حتى لايجتمع الغرم مع القطع لأن الله ذكر القطع ولم يذكر الغرم، وتوسط جماعة فقالوا: إن كان السارق موسرًا غرم، وإن كان معسرًا لم يكن عليه شيء[(٦)].

وهذه العقوبة إنما جعلها الإسلام فى حق من يأخذون المال خفية ومن حرز.

أما الذين يأخذون المال قهرًا وعلانية فقد سماهم المحاربين وجعل لهم عقوبة تتناسب مع قبح جرمهم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٨).

(٢) انظر: د/ محمد محمود بكار: من هدى البشير النذير فى الحد والتعزير ص١٢٧ الطبعة الأولى ١٩٩١.

(٣) البخارى بشرح ابن حجر: ٦٧٨٩ ك الحدود، باب السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ١٢/ ١١٦.

(٤) المجن هو: مايتقى به المقاتل ضربات عدوه.

(٥) الترمذى: الجامع الصحيح: ك البيوع، باب ماجاء فى أن العارية مؤداة ٣/ ٥٦٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) الشيخ/ السيد سابق: فقه السنة ٢/ ٥٠٣، ٥٠٥ -بتصرف-.

يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] .

وروى الشافعي[٢] في مسنده عن عبد الله بن عباس ما يفسر النص القرآني قال : **«إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض»**[٣] .

وقد اعتبر الإسلام الحرابة ليس فقط في قطع الطريق ، وإنما في كل حالة فيها إشهار للسلاح لقصد السلب سواء في حضر أو بادية في طريق أو نقب دار أو تسلقه ، فعل ذلك بحر أو بعبد أو بمسلم أو ذمي[٤] .

وفي حالة جحد الوديعة أو الأمانة وإنكارها ، فإن الإسلام يقضي بأن يضمن الجاحد ما جحد من الودائع والأمانات ، إذا ما استطاع صاحبها إثبات ذلك بالبينة أو التحليف أو الشهود -دون قطع أو زيادة عليها .

ويرى بعض العلماء أن جحد الودائع والأمانات سرقة توجب القطع ولكن الجمهور على أنه لايوجب القطع ، بل يعزرون وربما كان تعزيرهم أبلغ[٥] .

وإذا جحد اللقطة فإنه يحلف أو تقام عليه بينة ، فإن نكل عن الحلف أو قامت عليه البينة يضمن ردها أو بدلها دون زيادة عليها[٦] .

وفي الغصب يقضي الإسلام برد المغصوب مع التعزير[٧] .

ولعل حكم سفر اللاويين في شأن جحد الودائع أو اللقطة أو في الغصب قريب من أحكام الشريعة الإسلامية ، غير أنه في الشريعة الإسلامية ليس هناك زيادة على مايرد من الودائع واللقطة والمغصوب .

كما بين الإسلام ما وقع فيه بنو إسرائيل من اجتراء على حدود الله في السرقة فكانوا

---

(١) سورة المائدة الآيات (٣٣، ٣٤) .

(٢) الشافعي هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، ولد يوم وفاة أبي حنيفة عام ١٥٠ هـ وله مؤلفات كثيرة وتوفي ٢٠٤ هـ . انظر معجم الأدباء : ياقوت الحموي ١٧/ ٢٨٢ ط دار الفكر -بيروت- ١٩٨٠ .

(٣) مسند الإمام الشافعي ص٣٣٦ : ط دار الكتب العلمية -بيروت- ١٩٨٠ .

(٤) انظر : الشيخ أبو زهرة في العقوبة ص١٥٧ ، ١٥٩ .

(٥) ابن حزم : المحلى بالآثار ٧/ ٣٨ وما بعدها ط دار الكتب العلمية -بيروت- ١٩٨٨ وانظر الشيخ : أبو زهرة : العقوبة في التشريع الإسلامي ص١١٣ .

(٦) انظر : فتح الباري ٥/ ١٠٥ . (٧) انظر : زاد المحتاج بشرح المنهاج ٢/ ٣١٧ .

إذا سرق فيهم ذو شأن تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .

لذلك يقول رسول الله ﷺ فى الرد على الذين جاءوا ليشفعوا فى المرأة التى سرقت وكانت ذات نسب : «**إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[١] .

هذا هو موقف الإسلام من جريمة السرقة والغصب وهو موقف عام مع المسلم وغير المسلم، فإن الإسلام لم يجوز التعدى على مال غير المسلم بأى طريق من طرائق التعدى .

فهل وجدت شيئًا من ذلك فى سفر اللاويين الذى يقول : «**لاتغصب قريبك ولاتسلب**»[٢] .

أو التلمود الذى يقول : «**يحق لليهودى أن يسرق مال غير اليهودى، والسرقة من غير اليهودى لاتعتبر سرقة بل استردادًا لمال اليهودى، إذ إن العالم كله لم يخلق إلا من أجل اليهود**»[٣] . !!

أو أقوال حاخاماتهم الذين يقولون : «**إن اليهودى يرتكب ذنبًا عظيمًا إذا رد للأممى ماله المفقود لأنه بفعله هذا يقوى الكفرة، ويظهر اليهودى بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحب الوثنيين فقد أبغض يهوه**»[٤] .

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر : ٦٧٨٨ ك الحدود، باب كراهية الشفاعة فى الحد ١٢/ ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) اللاويين ١٩ : ١٣ .

(٣) د/ محمد على بكار : المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٧ نقلاً عن التلمود .

(٤) د/ محمود سلام زناتى : من طرائف العادات وغرائب المعتقدات ٢/ ٧٠ ط دار النسر الذهبى للطباعة - القاهرة- ١٩٩٦م .

المبحث الثانى

تشريعات تتعلق بالزواج والطلاق فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: المحرمات من النساء فى سفر اللاويين.

المطلب الثانى: زواج اليهوديات بالأجانب والعكس.

المطلب الثالث: من أحكام الخطبة فى سفر اللاويين.

المطلب الرابع: من أحكام الأرملة والمطلقة.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من تشريعات الزواج والطلاق فى سفر اللاويين.

المبحث الثانى

تشريعات تتعلق بالزواج والطلاق فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

الشريعة اليهودية فى أصلها شريعة سماوية، وشرائع السماء تدعو إلى التكاثر، وترغب فى الزواج لإعمار الكون، لهدف العبادة.

وقد دعت الشريعة اليهودية إلى الزواج، حيث جاء فى سفر التكوين «ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض»[1]. وفى الفقه اليهودى «الزواج فرض على كل إسرائيلى»[2]. وقد تحدث سفر اللاويين بشأن تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، حديثًا نعرضه فى المطالب التالية:

المطلب الأول: المحرمات من النساء فى سفر اللاويين.

إن أول شيء يجب أن يعرفه من يريد الارتباط بالزواج هو معرفة ما يحل له وما يحرم عليه الاتصال بهن من النساء.

وقد أوضح الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين المحرمات من النساء وهن كما يلى:

١- الأم: «... إنها أمك لاتكشف عورتها»[3].

٢- امرأة الأب: «عورة امرأة أبيك لاتكشف إنها عورة أبيك»[4]

٣- الأخت مطلقًا: «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك، المولودة فى البيت أو المولودة خارجًا لاتكشف»[5].

٤- بنت الابن وبنت البنت: «عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لاتكشف».

٥- بنت امرأة الأب: «عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لاتكشف إنها أختك»[6].

---

(١) التكوين ١ : ٢٧، ٢٨.

(٢) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين ص٧ (المادة ١٧) مطبعة كوهين وروزنتال بمصر ١٩١٢.

(٣) اللاويين ١٨ : ٧-١٢.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

٦- أخت الأب (العمة): «**عورة أخت أبيك لاتشكف**»[١].

٧- أخت الأم (الخالة): «**عورة أخت أمك لاتكشف**»[٢].

٨- امرأة العم: «**عورة أخى أبيك لاتكشف إلى امرأته لاتقترب**»[٣].

٩- زوجة الابن: «**عورة كنتك لاتكشف إنها امرأة ابنك لاتكشف عورتها**»[٤].

١٠- امرأة الأخ: «**عورة امرأة أخيك لاتكشف إنها عورة أخيك**»[٥].

كذلك تحرم الشريعة اليهودية الجمع بين الأنواع الآتية:

١١- المرأة وبنتها: «**عورة امرأة وبنتها لاتكشف**»[٦].

١٢- المرأة وبنت ابنها وبنت ابنتها «.. **ولا تأخذ ابنة ابنها، أو ابنة بنتها لتكشف عورتها، إنهما قريبتاها**»[٧].

١٣- المرأة وأختها: «**ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها**»[٨].

هؤلاء هن المحرمات من النساء فى سفر اللاويين، ويلاحظ أن ثلاث حالات ممن حرمن فى سفر اللاويين قد نصت التوراة على حلهن، وهن:

١- الأخوات: وكان ذلك مباحًا فى شريعة آدم إلى إبراهيم.

٢- الجمع بين الأختين: وكان ذلك مباحًا فى شريعة يعقوب.

٣- العمات: وكان ذلك مباحًا إلى ما قبل شريعة موسى بقليل.

فهل هذه الحالات الثلاث منسوخات بما جاء فى شريعة موسى أم لا؟

وقد عرفنا أن اليهود ينكرون القول بالنسخ قطعًا، فدل هذا على تناقض التوراة فى أحكامها، فى أخطر الأمور التى يترتب عليها اختلاط الأنساب، وذيوع الفاحشة فى المجتمع.

كما تجدر الإشارة إلى أن الاقتصار على تلك الأنواع من المحرمات التى فى سفر اللاويين ليس محل اتفاق بين فقهاء اليهود، فهناك من يزيدون على تلك الأنواع أنواعًا أخرى.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) اللاويين ١٨ : ١٣-١٨.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق.

ففقهاء اليهود القرائين(١) يتفقون مع غيرهم فى الأنواع المحرمة من النساء فى التوراة، ولكنهم بعد ذلك يتوسعون فيزيدون حالات أخرى يقيسونها على ماورد فى التوراة فيقولون: «يحرم على الرجل أصوله وفروعه، الجدات إذا انفصلن بدرجة واحدة فيحرم على الرجل أمه وجداته وإن علون، وبناته وبنات ابنه، وبنات ابنته وإن نزلن، وكذلك العمات والخالات، ولكن تحل له بنات العمات وبنات الخالات، ويحرم على الرجال - كذلك- زوجات الأصول، وزوجات الفروع، وكذلك زوجات الأعمام والأخوال، ومن زنى بها أحد الأقارب تأخذ حكم زوجته فى التحريم، فمن زنى بها الأب أو العم أو الابن محرمة كذلك»(٢).

«كذلك يحرم على الرجل زوجات أقاربه وأقارب زوجته، فمن تزوج بامرأة حرمت عليه زوجة أبيها وأمها وزوجة أخيها، وأختها، وزوجة ابنها، وكذلك ابنتها، فالأقارب الستة للزوجة يحرمن على زوجها»(٣).

«كذلك يحرم على الرجل قريب الزوجة، فمن تزوج بامرأة حرمت عليه كانت زوجة عمها أو زوجة خالها، أو زوجة ابن ابنها -وهكذا- محرمة، كما يحرم على الرجل من كن زوجات قريب قريبه كزوجة العم، وزوجة ابن الابن، كما لايجوز للرجل أن يتزوج بنت امرأة الأب»(٤).

ويتضح مماسبق مايلى:

أولاً: فى الفقرة الأولى ذكرت ثلاث عشرة حالة من المحرمات، منها تسع فى سفر اللاويين وهن:

١- الأم ٢- البنت ٣- بنت الابن

٤- بنت البنت ٥- العمة ٦- الخالة

---

(١) القرائين: فرقة من فرق اليهود يسمون العنانية أيضًا نسبة إلى رجل يقال له عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى القرن الثامن الميلادى يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد ويتمسكون بالعهد القديم وحده ولايؤمنون بالتلمود، انظر: ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/ ٧٨.

(٢) انظر: د/ محمود عبد السميع شعلان: دراسة مقارنة لنظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ص٢٠٨ رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين ١٩٧٦.

(٣) انظر: د/ عبد الناصر توفيق العطار: أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود ص١١٤ وما بعدها -الطبعة الأولى.

(٤) انظر المرجع السابق ص١١٥.

٧- زوجة الابن ٨- زوجة الأب ٩- زوجة العم
ومنها أربع لم تذكر فى سفر اللاويين ولا التوراة عمومًا وهن :
١- زوجة الجد قياسًا على زوجة الأب .
٢- زوجة الخال قياسًا على زوجة العم .
٣- زوجة ابن الابن قياسًا على زوجة الابن .
٤- كل امرأة زنى بها أحد أقاربه الذين تحرم عليه زوجاتهم (فمن زنى بها الأب تحرم على ابنه، ومن زنى بها العم تحرم على ابن أخيه، ومن زنى بها الابن تحرم على أبيه . . . وهكذا) قياسًا على زوجاتهم .

ثانيًا : فى الفقرة الثانية ذكر ست حالات من المحرمات، منهن ثلاث ذكرت فى سفر اللاويين وهى :
١- أم الزوجة ٢- أخت الزوجة ٣- بنت الزوجة
وثلاث لم تذكر فى سفر اللاويين ولا التوراة وهى :
١- زوجة أبى الزوجة ٢- زوجة أخى الزوجة ٣- زوجة ابن الزوجة .

ثالثًا : فى الفقرة الثالثة ذكر ست حالات -أيضًا- من المحرمات، منها حالتان ذكرتا فى سفر اللاويين، وهما :
١- بنت امرأة الأب ٢- زوجة العم .
وأربع لم تذكر فى سفر اللاويين ولا التوراة وهى :
١- زوجة عم الزوجة . ٢- زوجة خال الزوجة .
٣- زوجة ابن الابن . ٤- زوجة ابن ابن الزوجة .

وبعد معرفة الحالات التى زادها فقهاء القرائين على ما فى التوراة، يعرف القارئ الكريم اضطراب موقف اليهود -عمومًا- فى مسألة المحرمات من النساء، لأنه إذا كان هذا هو موقف الفرقة التى تزعم فى مبادئها الدينية أنها لاتتمسك إلا بالعهد القديم وحده ويرفضون الروايات الشفوية، وبعض كتب الأنبياء[1]- فما ظنك ببقية الفرق التى توسعت فى مصادر تشريعها، فأضافت إلى التوراة الروايات الشفوية وأقوال الحاخامات؟

---

(١) انظر : ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/ ٧٨ . ، الشهرستانى : الملل والنحل ٢/ ٢٠، موسوعة اليهود واليهودية / ٣٣١ .

المطلب الثاني: زواج اليهوديات بالأجانب والعكس:

لم يتحدث سفر اللاويين عن حكم زواج اليهوديات بالأجانب حديثًا مباشرًا، ولكن في الإصحاح الرابع والعشرين منه، مايفيد أن هذا الأمر كان مباحًا، حتى أيام أن كان موسى بين ظهرانيهم، وفي هذا الإصحاح يحكي قصة ابن شلومية (المرأة الإسرائيلية) التي كانت قد تزوجت برجل غير إسرائيلي (مصري)، وكان العرف اليهودي يقضي بأن التي تتزوج من غير إسرائيلي لايحق لها ولا ابنها أن تسكن في وسط سبطها، فغيظ هذا ابن شلومية حين منعه أخواله من سبط دان أن يقيم خيمته في وسط خيامهم، فحصلت المخاصمة، وجدف على اسم الرب، جاء في السفر:

«وخرج ابن امرأة إسرائيلية، وهو ابن رجل مصري في وسط بني إسرائيل وتخاصم في المحلة ابن الإسرائيلية ورجل إسرائيلي، فجدف ابن الإسرائيلية على الاسم فأتوا به إلى موسى وكان اسم أمه شلومية بنت دبري من سبط دان...» [1].

بل يمضي سفر اللاويين في تقرير إباحة زواج اليهوديات بالأجانب، وفي أقدس العناصر عندهم، وهم بنات الكهنة، فيقول: **«وإذا صارت ابنة كاهن لرجل أجنبي لاتأكل من رفيعة الأقداس»** [2] وهذا يفيد أن زواج ابنة الكاهن بالأجنبي مباح، وأن الذي يحرم هو أكلها من القرابين.

ويناقض هذا ما جاء في سفر التثنية يحرم زواج اليهوديات بالأجانب والعكس:

«متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها... تحرمهم ولاتصاهرهم، بنتك لاتعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك» [3].

ولكن أسفار العهد القديم تحكي أن اليهود لم يلتزموا الحكم الوارد بالمنع في سفر التثنية، بل عادوا إلى حكم سفر اللاويين وتزوجوا كثيرًا بالأجنبيات وزوجوا كذلك بناتهم، وظلوا على هذا حتى القرن الخامس قبل الميلاد عندما جاء عزرا بعد العودة من السبي البابلي، وجعل يعمل على إحياء العنصرية القديمة للشعب الإسرائيلي، وينعى عليهم اختلاطهم بالشعوب، وجعل يلهب حماس اليهود بالبكاء، ويأمرهم بطرد كل النساء الغريبة والذين ولدوا منهن كذلك، جاء في سفر عزرا: **«قد خنا إلهنا واتخذنا نساءً غريبة من شعوب الأرض ولكن يوجد رجاء لاسرائيل في هذا فلنقطع الآن عهدًا**

---

(١) اللاويين ٢٤ : ١٠ .

(٢) اللاويين ٢٢ : ١٢ .

(٣) التثنية ٧ : ١-٤ .

مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدى . . . وليعمل حسب الشريعة . . فقام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاويين وكل إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا . . . وقال لهم إنكم خنتم واتخذتم نساءً غريبة . . . فاعترفوا الآن للرب . . . وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة . . .»(١) .

وفى كتب الأحكام اليهودية المعاصرة مايوافق صنيع عزرا ، وينقض ماجاء فى سفر اللاويين ، ففى كتاب الأحكام الشرعية لحاى بن شمعون يقول : «**الدين والمذهب شرط لصحة العقد -أى عقد الزواج- فإذا كان أحد الاثنين من غير الدين ، أو من مذهب آخر ، فلايجوز العقد بينهما وإلا كان باطلاً**»(٢) .

والسبب فى هذا التحريم كما يقول الحبر المغربى السمؤل بن عباس : «**إنما حرمت التوراة عليهم مناكحة غيرهم من الأمم لئلا يوافقوا أزواجهم فى عبادة الأصنام والكفر بالله سبحانه وتعالى**»(٣) .

وهذه هى علة الحكم اليهودى بالتحريم فى أساسها ، ولكن اليهود فهموا أو تأولوا أن التحريم جاء لأن اليهود جنس مختار ، ونسلهم مقدس ينبغى ألا يتنجس بمخالطة الأمميين ، وهذا يدل على أن الدافع وراء تحريم مناكحة اليهود لغيرهم دافع عنصرى ، وليس من الدين فى شيء .

وبرغم هذا فقد زوج اليهود بناتهم لغير اليهود متى اضطروا لذلك لقضاء المصالح ، أو لدعم النفوذ والسيطرة اليهودية فى البلاد التى يعيشون فيها .

المطلب الثالث : من أحكام الخطبة فى سفر اللاويين :

لم يرد فى سفر اللاويين من أحكام الخطبة إلا حكم واحد(٤) وهو زنى المخطوبة

---

(١) عزرا ١٠ : ٢-١٢ .

(٢) حاى بن شمعون : الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين ص٧ (المادة ١٧) .

(٣) بذل المجهود فى إفحام اليهود ص٥٥ -للسمؤل يحيى بن عباس ط مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة .

(٤) ولكن إتمامًا للفائدة نقول : «إن الخطبة هى طلب المرأة من أهلها للزواج ، وقد عرف اليهود نظام الخطبة ، ويشير توفيلد فى كتابه (قواعد الزواج العبرى القديمة) أن الأب اليهودى هو الذى كان يختار لابنه زوجته ولابنته زوجها ، وأن الاتفاق على الزواج كان يتم بين والدى الخاطب والمخطوبة ، ولم تكن موافقة البنت لازمة ، ولم يكن طلب الزواج يقدم إليها ، وإنما إلى أبيها أو إخوتها ، وفى بعض الأحيان كانت تستشار فى أمر الخاطب ، وفى حالة وفاة الأب يتولى إخوة الفتاة تزويجها . انظر : محمود سلام زناتى : النظم الاجتماعية والقانونية عند العبريين والإغريق والفرس ص٣٨ نقلاً عن توفيلد : «قواعد الزواج العبرى القديمة» ص١٢٦ وما بعدها .

وهى أمة، وفى تلك الحالة كان يحكم بالتأديب فقط، والتأديب غالبًا مايكون بجلد الاثنين[(١)]، ويأتى الزانى بكبش لتقديمه ذبيحة إثم، فيكفر عنه الكاهن، فيصفح عنه.

يقول السفر: «**وإذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداءً ولاأعطيت حريتها فليكن تأديب لايقتلا لأنها لم تعتق ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه إلى باب خيمة الاجتماع كبشًا ذبيحة إثم فيكفر عنه الكاهن فيصفح له عن خطيته التى أخطأ**»[(٢)].

ومثل هذا النص يعتبر أصلاً فى استحلال اليهود أكل مهر البغى، وتوسعهم فى تجارة الرقيق واستخدامهم الإماء للتكسب من زناهم، خصوصًا وأنهم قد اعتقدوا فى «يهوه» أنه لايهمه إلا الكباش، ولاشأن له بالحرمات والأعراض.

المطلب الرابع: من أحكام الأرملة والمطلقة:

كان من المتوقع أن يذكر السفر أهم أحكام الأرملة والمطلقة، كأن يذكر عدة كل منهما، وحقوقها وميراث الأرملة فى زوجها... وغير ذلك.

ولكن السفر لم يذكر إلا حكمين فقط:

أولهما: أن المرأة إذا طلقت أو ترملت فلا تصلح زوجة للكاهن، لأن زواج الكاهن بأى من هاتين نجاسة تنجس نسله المقدس، يقول السفر: «**أما الأرملة والمطلقة... فمن هؤلاء لايأخذ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة، ولايدنس زرعه بين شعبه**»[(٣)].

وفى كتب الفقه اليهودى المعاصرة ما ينص على أنه إذا حدث زواج الكاهن بالمطلقة أو الأرملة يجبر الكاهن على الطلاق، وإذا أنجب كان النسل خارجًا عن الكهنوت[(٤)].

وهذه النظرة الوضيعة للأرملة والمطلقة بالنسبة لعدم صلاحيتهما كزوجات للكاهن، تدل على الغلواء فى تقديس الكهنة، مع أن واقعهم يثبت أنهم قد وقعوا فى الزنا كثيرًا، وليس مجرد الزواج بالمطلقة أو الأرملة الذى قد يكون فيه جبرًا لهاتين الكسيرتين!!!

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٨، انظر: وليم مارش: السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ٢/ ١٣٧.

(٢) اللاويين ١٩ : ٢٠ وأما إذا كانت المخطوبة حرة وزنت فإنه يفرق بين ما إذا وقع زناها فى المدينة أو فى الحقل، فإن كان فى المدينة وجب رجم الاثنين لأنه كان بإمكانها أن تستغيث، وإن كان فى الحقل وجب رجم الرجل فقط، انظر سفر التثنية ٢٢ : ٢٣ - ٢٨.

(٣) اللاويين ٢١ : ١٤.

(٤) انظر: حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية ص١٥ (المادة ٤٦).

ثانيهما: مؤنة المرأة إذا طلقت أو ترملت وكانت ابنة كاهن ولم يكن لها نسل: «**وأما ابنة كاهن قد صارت أرملة أو مطلقة ولم يكن لها نسل ورجعت إلى بيت أبيها كما فى صباها فتأكل من طعام أبيها**»(١).

ولما لم يتحدث السفر عن ابنة الكاهن فقط فإن فقهاء اليهود أعملوا القياس، وقالوا باطراد الحكم فى جميع مطلقات وأرامل اليهود، يقول حاى بن شمعون فى المادة (٥٣٩): «**إذا طلقت البنت أو ترملت وكانت قاصرة لم تزل فمؤنتها على تركة أبيها حتى تبلغ أو تتقدس، ولو كانت شرعًا محلاً لأخى الزوج**»(٢).

هذا فى حالة ما إذا لم يكن لها نسل.

فإن كان لها نسل فلها أن تبقى فى بيت زوجها تأكل من ماله إلى أن يتزوج بناتها أو تتزوج هى(٣).

ولم يكن من اليسير أن تتزوج المطلقة والأرملة مرة ثانية، إذ لم يكن يسمح بهذا إلا بعد الحصول على «**جيط**» وهى شهادة شرعية تصدرها المحاكم الحاخامية، ولكن الحصول على مثل هذه الشهادة كان أمرًا فى غاية الصعوبة، الأمر الذى أدى إلى وجود عدد كبير من المطلقات والأرامل -اليهوديات- ممن لايحق لهن الزواج، وقد بلغ عددهن خمسة وعشرين ألفًا فى بولندا بعد الحرب العالمية الأولى(٤).

ولاشك أن مثل هذا التشريع اعتبره تجار البغاء والقهر من اليهود سندًا لهم.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من تشريعات الزواج والطلاق فى سفر اللاويين:

لقد اهتم الإسلام بتنظيم العلاقة بين الرجال والنساء، وبين أن الزواج هو الطريق السوى لتنظيم تلك العلاقة، وتأمين المجتمعات من سيل الشهوة الجارف، فدعا إلى الزواج وتكثير النسل، وليست دعوة الإسلام للزواج وتكثير النسل دعوة مجردة لإشباع الرغبات فقط، لا.

بل الهدف الأسمى من الدعوة إلى الزواج وتكثير النسل: هو إعمار الكون بأناس يعبدون الله ويوحدونه.

---

(١) اللاويين ٢٢ : ١٣.

(٢) حاى بن شمعون: الأحكام الشرعية ص٢٠١ (المادة ٥٣٩).

(٣) انظر المرجع السابق ص٣٣ (المادة ١٠٦).

(٤) د/ عبد الوهاب المسيرى: اليد الخفية ص١٧٦ ط دار الشروق -مكتبة الأسرة -٢٠٠٠م- بتصرف يسير.

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تحث على الإقدام على الزواج، حتى إنه لينادى عند العجز عن نكاح الحرائر فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ .

وكذلك السنة النبوية، يكفى منها الحديث الذى يجعل الراغب عن الزواج ليس من أمة الإسلام، والذى قال فيه النبى ﷺ **«أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»** .

وقد نظم الإسلام الزواج ابتداء من أسس الاختيار، ثم الخطبة وأحكامها، وأباح للرجل النظر إلى الفتاة التى يختارها زوجة له، وأباح للبنت إبداء رأيها، بل جعله حقًا لها، وبين كذلك المحرمات من النساء، وبين كذلك حقوق الزوجة من صداق ونفقة وجماع وحسن عشرة . . . وغير ذلك، وحقوق الزوج من الطاعة وحسن العشرة أيضًا .

وأباح التعدد ووضع له حدًا بأربع نساء .

وكذلك الطلاق وضحه فكرهه وبغضه أولاً، حرصًا على صيانة الأسر من التشتت والضياع، ولكن إذا ساءت العشرة فالأبواب مفتوحة ليواصل كل من الزوجين حياته من جديد بعد الطلاق .

وفصل كذلك ما يترتب على الطلاق والموت من حقوق، كعدة ونفقة وميراث وحق فى الزواج .

ومهما كتبنا فى هذا الموضوع فلن نوفيه حقه، فمحله كتب الفقه والأصول، ولكن بقدر الإمكان نبرز موقف الإسلام من التشريعات الواردة فى سفر اللاويين بشأن الزواج والطلاق .

المحرمات من النساء فى الإسلام:

مسألة المحرمات من النساء فى الإسلام على نوعين:

١- حرمة تأبيدية: وتشمل كل امرأة محرمة أبدًا فلا تحل بحال .

٢- حرمة تأقيتية: وتشمل كل امرأة حرمت بسبب فإذا زال السبب حلت .

وتفصيل ذلك كما يلى:

النوع الأول: المحرمات على التأبيد، يندرج تحته محرمات لأسباب ثلاثة هى:

١-القرابة ٢- المصاهرة ٣- الرضاع

فالمحرمات بسبب القرابة هن :

١- أصول الرجل من النساء، كالأم والجدة لأب أو لأم وإن علت .

٢- فروع الرجل وهن : بناته وبنات أولاده الذكور والإناث وإن نزلن .

٣- فروع أبوى الرجل، وهن : أخواته، شقيقات له أو لأب أو لأم، وكذلك بنات الإخوة والأخوات وإن نزلن(١) .

٤- فروع أجداد وجدات الرجل إذا انفصلن عنه بدرجة واحدة، وهن : العمات والخالات، وكذلك عمات أصوله وخالاتهم أى عمة الأب وخالته، وعمة الأم وخالتها(٢) .

فمجموع المحرمات بسبب القرابة سبعة، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ (٣) .

ويلاحظ أن هذه الحالات ورد تحريمها جميعًا فى شريعة اليهود فى سفر اللاويين بسبب القرابة .

والمحرمات بسبب المصاهرة هن :

١- زوجة الأب والجد وإن علا، دخل بها أو لم يدخل(٤) . ودليله قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (٥) .

٢- زوجة الابن وابن الابن وإن نزل، دخل بها أو لم يدخل(٦) ودليله قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ (٧) .

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله (المعروف بابن العربى) : أحكام القرآن ١/ ٤٧٨ ط دار الفكر -بيروت- تحقيق محمد عبد القادر عطا، وانظر : ابن القيم : زاد المعاد ٤/ ٨ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى ٩/ ١٨٧، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٥٠ .

(٣) سورة النساء الآية (٢٣) .

(٤) ابن العربى : أحكام القرآن ١/ ٤٧٥ .

(٥) سورة النساء الآية (٢٢) .

(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٥٣، ابن العربى : أحكام القرآن ١/ ٤٨٧ .

(٧) سورة النساء الآية (٢٣) .

٣- أم الزوجة وجدتها وإن علت، دخل بها أو لم يدخل، وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء (إن العقد على البنات يحرم الأمهات)(١).

ودليله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾(٢).

٤- بنت الزوجة تحرم هي وبناتها وبنات أولادها، لكن بشرط أن يكون قد دخل بأمها: فإن عقد عليها ولم يدخل فلا مانع من زواجه بأحد فروعها(٣).

ودليله قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾(٤).

وهذه الحالات المحرمة بسبب المصاهرة في الإسلام محرمة أيضًا في سفر اللاويين ولكن يلاحظ في حالة (بنت الزوجة أو الربيبة) في الإسلام، أنها لم تحرم على هذا النحو، بل حرم الجمع بينهما، فإن أخذتا على التعاقب جاز.

كما يلاحظ توسع فقهاء اليهود في المحرمات بسبب المصاهرة حيث حرموا زوجة أخي الزوجة، وزوجة أبي الزوجة، وكذلك زوجة عم الزوجة، وزوجة خالها... وهو توسع ليس له أي سند شرعي -كما رأينا.

وأما المحرمات من الرضاع:

الأصل في المحرمات بسبب الرضاع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾(٥). عطفًا على المحرمات.

وقول النبي ﷺ: «**إن الرضاعة يحرم منها مايحرم من الولادة**»(٦).

وقد فهم العلماء من هذا أنه: «**إذا صارت المرضع أما صار صاحب اللبن (وهو الزوج) أبًا، لأن اللبن له وبوطئه ثاب، فهما له أبوان، ويلزم أن يحرم عليه إخوتهما وأخواتهما، فهما له عمات وخالات، وأبناؤهما وبناتهما إخوة له وأخوات**»(٧).

١- الأم من الرضاعة، والجدات وإن علون.

٢- البنت من الرضاعة، وبنات الأولاد من الرضاعة وإن نزلن.

---

(١) المرجعين السابقين على الترتيب ٢/ ١٥١، ١/ ٤٨٤.
(٢) سورة النساء الآية (٢٣).
(٣) ابن العربي: أحكام القرآن ١/ ٤٨٦، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٥١.
(٤) سورة النساء الآية (٢٣). (٥) سورة النساء الآية (٢٣).
(٦) البخاري بشرح ابن حجر: ٢٦٢٤ ك الشهادات، باب الشهادة على الأنساب ٥/ ٣١١.
(٧) ابن القيم: زاد المعاد ٤/ ٩.

٣- فروع الأبوين، وهن الأخوات من الرضاعة وبنات الإخوة والأخوات وإن نزلن.

٤- فروع الأجداد والجدات من الرضاعة إذا انفصلن بدرجة واحدة وهن العمات والخالات من الرضاعة، وعمات وخالات الأبوين أو الأجداد والجدات من الرضاعة.

٥- أم الزوجة من الرضاعة، وجداتها وإن علون، دخل بالزوجة أو لم يدخل بها.

٦- بنت الزوجة من الرضاعة، وبنات أولادها وإن نزلن بشرط الدخول بالزوجة.

٧- زوجة الأب من الرضاعة، وزوجة الجد وإن علا.

٨- زوجة الابن من الرضاعة، وزوجات أولاده وإن نزلن(١). تلك هى المحرمات من النساء رضاعًا بإجماع الفقهاء(٢).

ومما ينبه إليه أنه وإن انتشر التحريم بين الرضيع والمرضعة وزوجها وأصولهما وفروعهما، فإنه لايتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع فليست أخته من الرضاعة أختًا لأخيه ولابنتًا لأبيه، والحكمة فى ذلك: أن سبب التحريم هو ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءًا من أجزائهما، فانتشر التحريم بينهم بخلاف قرابات الرضيع، لأنه ليس بينهم وبين المرضعة وزوجها نسب ولاسبب(٣).

ويلاحظ أن شريعة اليهود فى سفر اللاويين -وغيره- لم تحرم من الرضاعة شيئًا مطلقًا.

النوع الثانى: المحرمات من النساء على التأقيت:

١- الزائدة على الأربع: فإذا طلق واحدة من الأربع أو ماتت إحداهن زالت الحرمة المانعة من الزيادة، ولكن يشترط فى تطليق واحدة من الأربع الانتظار حتى انقضاء عدتها حتى ولو كان الطلاق بائنًا(٤).

---

(١) انظر: فتح البارى ٩/ ١٨٢، ١٨٣، ابن العربى: أحكام القرآن ١/ ٤٧٩.

(٢) انظر: سعدى أبو حبب: موسوعة الإجماع فى الفقة الإسلامى ٢/ ٤٧٧ ط إحياء التراث الإسلامى - قطر- ١٩٩٦م.

(٣) أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبى: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤/ ١٧٧، ١٧٨ ط دار ابن كثير -دمشق- الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٤) موسوعة الإجماع ٣/ ١٢٠٠.

ودليله قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[١].

وقد أمر النبى ﷺ من أسلم وتحته أكثر من أربع نسوة أن يختار منهن أربعًا ويفارق الباقى»[٢].

وهذا بخلاف اليهودية، فقد أباحت التعدد ولكنها لمن تضع له حدًا.

٢- المطلقة ثلاثًا بالنسبة لمن طلقها، فإن تزوجت بعده زواجًا صحيحًا ودخل بها دخولاً صحيحًا -لاتحايل فيه- ثم طلقت أو ترملت، زال مانع الحرمة وللزوج الأول أن يعقد عليها بعد انقضاء عدتها بإجماع الفقهاء[٣]. لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾[٤].

٣- المرأة المشغولة بحق الغير، وتشمل المتزوجة والمعتدة من طلاق رجعى أو بائن، أو المعتدة من وفاة، فإن زال المانع بسقوط حق الغير حلت[٥].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾[٦] عطفًا على المحرمات.

وقال فى المطلقات سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٧].

وفى المتوفى عنها زوجها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٨].

٤- الجمع بين محرمين: ويشمل كل امرأتين بينهما قرابة محرمة، كالأختين: وهو محرم بالإجماع سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم، وسواء من النسب أو الرضاع[٩].

لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[١٠].

والمرأة وعمتها وخالتها -أيضًا- وهو محرم بالإجماع، قال ابن المنذر لست أعلم فى منع ذلك اختلافًا، وإنما قال بالجواز فرقة من الخوارج، وإذا ثبت الحكم بالسنة واتفق أهل العلم على القول به لم يضره مخالفة المخالف، وكذا نقل الإجماع جمع من العلماء غير ابن المنذر[١١].

---

(١) سورة النساء الآية (٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٧.

(٣) ابن عبد البر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار ١٦/ ١٥٦ تحقيق عبد المعطى أمين فلعجى ط دار الوعى -القاهرة- ١٩٩٣.

(٤) سورة البقرة الآية(٢٣٠).

(٥) زاد المعاد ٤/ ١٢.

(٦) سورة النساء الآية (٢٤).

(٧) سورة البقرة الآية (٢٣٨).

(٨) سورة البقرة الآية (٢٣٤).

(٩) فتح البارى ٩/ ١٩٣.

(١٠) سورة النساء الآية (٢٣).

(١١) فتح البارى ٩/ ١٩٥، وانظر: موسوعة الإجماع ٣/ ١٢٠٠ وما بعدها.

وذلك لحديث: «نهى النبى ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها»(١) وزاد فى بعض الروايات «**فإنكن إن فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن**»(٢).

٥- الملاعنة: فإذا رمى رجل زوجته بالزنى وليس له شهود أحلفا ثم يفرق بينهما، فتحرم عليه الزوجة، ما دام على اتهامه لها، فإن أكذب نفسه وبرأها أقيم عليه حد القذف، ويعقد عليها من جديد، وهذا قول كثير من العلماء، ولكن الذى عليه الجمهور أن حرمتها تأبيدية حتى ولو أكذب نفسه (٣).

وذلك لما ثبت أن رسول الله ﷺ فرق بين رجل وامرأة قذفها وأحلفهما (٤).

وهذا خلاف ما فى شريعة اليهود حيث أنها شرعت الملاعنة بين الزوجين، ولكنها لم تحرم الزوجة بل حكمت بعودتها إلى بيت زوجها، وأنها تحبل وتأتى منه بأولاد، هذا فى حالة صدقها، وأما فى كذبها فإن بطنها تنتفخ بالورم وتسقط فخذها وتصير لعنة فى وسط شعبها (٥).

وفى بعض كتب الأحكام اليهودية «**إذا ثبت شرعًا زنا المرأة حرمت على زوجها وكلف بطلاقها بلا حقوق**» (٦).

وواضح أن هذا الحكم قد تأثر فيه فقهاء اليهود بالشريعة الإسلامية إذ لم يثبت نص التحريم فى التوراة.

٦- المشركة: وهى التى لا تدين بدين سماوى، أو تشرك مع الله غيره، أو تعبد الأوثان أو النار أو النجوم أو الشمس أو القمر، وغير ذلك.

فإذا أسلمت زال مانع التحريم، وهذا بإجماع الفقهاء (٧).

لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾ (٨). وسيأتى تفصيل لهذه الحالة -إن شاء الله-.

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٥١٠٨ ك النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها ٩/ ١٩٤.
(٢) صحيح ابن حبان ٤١٠٤ ك النكاح، باب ثبوت النسب ٦/ ١٦٦ والحديث ضعيف، قال أبو حاتم: فيه أبو حريز مولى الزهرى ضعيف.
(٣) انظر فتح البارى ٩/ ٥٥٤، ابن العربى: أحكام القرآن ١/ ٤٩٤.
(٤) البخارى بشرح ابن حجر ٥٣١٣ ك الطلاق، باب التفريق بين المتلاعنين ٩/ ٥٥٣.
(٥) انظر: الإصحاح الخامس من سفر العدد.
(٦) ابن شمعون: الأحكام الشرعية ص ٥٤ (المادة ١٨١).
(٧) انظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامى ٣/ ١١٩٦.
(٨) سورة البقرة من الآية (٢٢١).

نكاح المسلمين لغير المسلمات :

لقد فرق الإسلام فى شريعته بخصوص هذه المسألة بين عباد الأوثان وأصحاب الكتب ذات الأصل السماوى كاليهود والنصارى .

فحرم على المسلم -مطلقًا- نكاح المشركة (وهى التى لا تدين بدين سماوى)، وكان أول التشريع فى هذا : خبر الرجل الذى أتى النبى ﷺ يستشيره فى الزواج بامرأة من مشركى العرب -كانت ذات حظ من الجمال قال : إنها لتعجبنى يارسول الله، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [(١)] .

وإن كان فى فهم هذه الآية خلاف بين المفسرين، هل هى عامة فى كل مشرك بما فيهم أهل الكتاب، ثم نسخ حكم أهل الكتاب بآية المائدة ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [(٢)] .

أو هى عامة فى كل مشرك وليس فيها نسخ[(٣)]، أو هى فى مشركات العرب، ويكون تأويلها خاصًا وظاهرها عامًا؟[(٤)]

إلا أن الراجح أنها عامة فى المشركات خص منها أهل الكتاب[(٥)]، وما عرضنا هذا الخلاف إلا لتعلق الحكم الذى بعده بفهمه .

- وأباح للمسلم الزواج من الكتابيات، وذلك لقوله سبحانه وتعالى فى نساء أهل الكتاب عطفًا على ما أحل من المؤمنات : ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [(٦)] .

وذلك بإجماع الأمة كما حكاه ابن المنذر قال : «**لايصح عن أحد من الأوائل أنه حرم نكاح الكتابيات، وإجماع الأوائل على عدم التحريم دليل على الإباحة، وإنما خالف وخرق الإجماع من لايعتد بخلافه أو وفاقه من الشيعة**»[(٧)] .

(١) انظر : الواحدى : أسباب النزول ص٦٥ والأثر مرسل، والآية رقم (٢٢٤) من سورة البقرة .

(٢) انظر : الطبرى : جامع البيان ٤/ ٣٦٢ .

(٣) المرجع السابق ٤/ ٣٦٤ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ٣٦٤ .

(٥) المرجع السابق ٤/ ٣٦٤، وانظر : ابن تيمية : التفسير الكبير ٣/ ٥٧ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، ط الكتب العلمية -بيروت- ط الأولى ١٩٨٨ .

(٦) سورة المائدة الآية (٥) .

(٧) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٧٢، وانظر : ابن القيم أحكام أهل الذمة ١/ ٦٥ ط دار العلم للملايين -بيروت- ١٩٨٣ .

نعم وجد من قال بالكراهة، ولكن أحدًا لم يجترئ على تحريم ما أحل الله. قال الإمام مالك: «**أكره نساء أهل الكتاب اليهودية والنصرانية، وما أحرمه، وذلك أنها تأكل الخنزير وتشرب الخمر، ويضاجعها ويقبلها وذلك فى فيها، وتلد منه أولادًا، فتغذى ولدها على دينها وتطعمه الحرام وتسقيه الخمر**»(١).

وقال الشافعى: «**أبيح حرائر أهل الكتاب وأحب إلى لو لم ينكحهن مسلم**»(٢).

وقد قال بالكراهة غير واحد من العلماء المحدثين، قال الدكتور / محمد سيد طنطاوى: «**والذى نراه أن زواج المسلم بالكتابية جائز... ليس بحرام... ولكن هذا الجواز لايمنع كراهته، لأن الزواج بالكتابية كثيرًا مايؤثر فى العاطفة الدينية عند المسلم وعند الأطفال الذين يكونون ثمرة لهذا الزواج، لأنهم يخرجون إلى الحياة وقد رضعوا الميل إلى دين أمهم، ولأن المرأة الكتابية التى تقبل الزواج بالمسلم كثيرًا ما تكون منحرفة فى سلوكها، وأن الدافع لهذا الزواج إنما هو المال أو الجمال أو الجاه وليس الدين أو الخلق**»(٣).

ومن خلال هذا نرى أن الإسلام حرم زواج المسلم بالمشركة، وأباح زواج الكتابية -مع الكراهة- كل هذا لعلة شرعية، وهى خوف فساد العقيدة وانحراف الأسرة.

ولكن مما يذكر للإسلام وفقهائه التزامهم بالأحكام الشرعية، دون اجتراء على القول بالحرمة فيما لم يحرم.

كما يذكر من محاسن الشريعة الإسلامية فى هذا الإطار: أن الأحكام الشرعية إنما تبنى على علل شرعية، وليس على نزعات عنصرية منبعها الهوى والتعصب.

نكاح المسلمات لغير المسلمين:

هو حرام على الإطلاق سواء كان غير المسلم -هذا- مشركًا وثنيًا، أو يهوديًا أو نصرانيًا، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾(٤).

وقال النبى ﷺ مؤكدًا عموم هذا الحكم فى كل مشرك بما فيهم أهل الكتاب: «**نتزوج نساء أهل الكتاب ولايتزوجون نساءنا**»(٥)

---

(١) سحنون: المدونة الكبرى ٢/ ٢١٦ ومعها مقدمات ابن رشد ط دار الفكر.

(٢) الشافعى: الأم ٥/ ٦ ط دار المعرفة -بيروت- لبنان.

(٣) التفسير الوسيط ١/ ٤٨٩، ٤٩٠ ط دار المعارف -مصر ١٩٩٢، وانظر: الشيخ محمد على السايس: تفسير آيات الأحكام ١/ ١٢٨ ط مكتبة الكليات الأزهرية، د/ القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام ص١٧٦ ط مكتبة وهبة -القاهرة- ١٩٧٥.

(٤) سورة البقرة الآية (٢٢١).

(٥) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٤/ ٣٦٧ وهو ضعيف سندًا، لكنه صحيح متنًا لاتفاق العلماء على القول به كما قاله الطبرى، وأخرجه الشافعى فى الأم ٥/ ٧ موقوفًا على جابر بن عبد الله.

وإباحة نساء أهل الكتاب لنا وتحريم نسائنا عليهم ليس تعصبًا عنصريًا كما هو الحال عند اليهود، ولكن لما بين شريعة الإسلام وغيرها من فرق من حيث الضوابط التى تضبط المسلم فلا يكره الكتابية على تحويل دينها، أما المسلمة لو فرض أنها تزوجت كتابيًا، فإنه لايؤمن أن يجبرها على تبديل ملتها، وقد أخبرنا سفر اللاويين عن اليهود وكيف كانوا يجبرون الغريب الذى يسكن فى وسطهم على شرائعهم(١)، فكيف بامرأة له عليها قوامة؟

قال ابن تيمية: **«وأباح الله للمسلمين أن يتزوجوا نساء أهل الكتاب، ولايتزوج أهل الكتاب نساءهم لأن النكاح نوع رق كما قال عمر: النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته**(٢)، وقال زيد بن ثابت الزوج سيد فى كتاب الله وقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾(٣)، وقد قال النبى ﷺ: **«اتقوا الله فى النساء فإنهن عوان عندكم»**(٤) فجوز للمسلم أن يسترق هذه الكافرة، ولم يجوز للكافر أن يسترق هذه المسلمة، لأن الإسلام يعلو ولايعلى عليه، كما جوز للمسلم أن يملك الكافرة ولم يجوز للكافر أن يملك المسلمة، فإذًا جواز وطئهن من ملك تام أولى وأحرى»(٥).

موقف الإسلام مماورد من أحكام الخطبة فى سفر اللاويين:

لقد اهتم الإسلام بالخطبة باعتبارها أهم مقدمات الزواج، ذلك أن من يريد الزواج لايتزوج بمجرد التفكير فيه، ولاتأتيه تلك التى اختارها ساجدة بمجرد الاختيار، بل لابد من أن يسعى هو إليها، ومفهوم الخطبة فى الإسلام هو: **«طلب الرجل يد امرأة معينة خالية من الموانع الشرعية للتزوج بها مستقبلاً، أو هى التماس التزوج، أو تواعد متبادل بالزواج»**(٦).

---

(١) انظر سفر اللاويين ٢٠ : ٢، ٣ .

(٢) الأثر ذكره الغزالى فى الإحياء ٢/ ٦١ وقال العراقى رواه أبو عمر التوفانى موقوفًا على عائشة وأسماء بنت أبى بكر .

(٣) سورة يوسف الآية (٢٥) .

(٤) مسلم بشرح النووى: ك الحج، باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم ٨/ ١٨٣، ومعنى عوان أى أسيرات -قال فى المعجم الوجيز: «العانى: الأسير» ص ٤٣٨ مادة (عن) .

(٥) ابن تيمية: فتاوى النساء ص١١٧ جمع وتصحيح د/ أحمد السايح، د/ السيد الجميلى ط دار الريان للتراث -ط الأولى ١٩٨٨ .

(٦) د/ مصطفى عامر حسين وآخرين: نظام الأسرة فى الإسلام ص٤٤ ط مطبعة جامعة الأزهر ١٩٩٢م .

وربما كان مدلول الخطبة أوسع من هذا بحيث يشمل طلب المرأة -أو وليها- الرجل الصالح للزواج[١].

والخطبة فى نظر الإسلام فترة تمهيدية تبيح لكل من الخاطبين التعرف على الآخر، وقد كان يمكن أن يتوصل إلى العقد بدون حاجة إلى تلك الفترة التمهيدية، لولا أن النكاح من أخطر العقود.. ومع ذلك فهى ليست أمرًا واجبًا، من المحتم سبقه للزواج[٢].

وقد شمل الإسلام تلك الفترة التمهيدية بالتنظيم والرعاية، فأباح للخاطب النظر إلى مخطوبته، وقد جاء فى هذا أحاديث كثيرة، يكفينا منه قوله ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٣].

واعتبر كذلك كلا الخاطبين أجنبيًا على الآخر، فلا تجوز الخلوة إلا مع ذى محرم.

كذلك حث على تعجيل إنجاز عقد الزواج، وتقصير أمد الخطبة وإعانة الخطيبين على إتمام الزواج، وتذليل العقبات لهما، وقد قال ﷺ: «**من يمن المرأة تعجيل نكاحها ويسر صداقها ويسر رحمها**»[٤].

ولايخفى على أحد ما يحدث من جراء طول أمد الخطبة من مساوئ، قد تصل إلى النيل من العرض، وذلك فى ظلال غياب ضوابط الشرع، وإحلال العادات الممقوتة التى تسربت إلينا من عادات قوم لايؤمنون بدين، ولايكترثون بشرف، ولايفهمون من سعادة بناتهم سوى أن يحصلن على طريق يجمعن به المال[٥].

كما نظم الإسلام الخطبة فى حالة العدول عنها، وماذا يفعل بالهدايا.. وغير ذلك من الأحكام التى محل التوسع فيها كتب الفقه.

وأما بالنسبة لموقف الإسلام فى حالة حدوث زنا -أعاذنا الله- فى فترة الخطبة، سواء كان بين الخاطبين أو المخطوبة مع غير خاطبها، فلم يفرق بين العقوبة فى الخطبة ولاغيرها.

---

(١) د/ أحمد محرم: دراسات فى الحديث الموضوعى ص١١٩ دار الطباعة المحمدية -القاهرة- ١٩٨٨م.
(٢) المرجع السابق ص١٢١ بتصرف يسير.
(٣) الإمام أحمد: المسند ٤/ ٢٤٦.
(٤) الحاكم: المستدرك ك النكاح ٢/ ٨١ وقال: صحيح على شرط مسلم.
(٥) الشيخ/ محمود شلتوت: الفتاوى ٢٥٥ ط دار الشروق -القاهرة-.

فإذا كان الخاطبان حرين غير محصنين (أى لم يسبق لهما الزواج) وجب عليهما حد الجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وإن كانا محصنين وجب رجمهما بالحجارة حتى الموت.

أما الأمة إذا زنت فإنها تجلد نصف الحد الذى يجب على الحرة، لايفرق فى ذلك بين ما إذا كانت بكرًا أم ثيبًا، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (١).

وقد قال النبى ﷺ: «**إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليبعها ولو بحبل من شعر**»(٢).

ووجهة نظر الإسلام فى بيع الأمة إذا تكرر زناها، أن ترتدع الأمة إذا علمت أنها كلما عادت إلى الزنا أخرجت وزهد فيها، فإن الإخراج من الوطن المألوف شاق، كما أنه يرجى عقد تبديل المحل تبديل الحال، فيمكن أن يقع الإعفاف عند المشترى الجديد بنفسه أو بغيره(٣).

وهذا خلاف ما فى اليهودية إذ رأيناها لاتضع حدًا كعقوبة واضحة للأمة المخطوبة إذا زنت، بل اكتفت بمجرد التعزير وهو التأديب كما فى نص سفر اللاويين.

وهناك نص فى سفر الخروج تدخل الإماء فى عمومه، وهو يتحدث عن العذارى غير المخطوبات إذا وقعت إحداهن فى الزنا، فليدفع لها الذى زنى بها مهر زوجة، وإن رفض أبوها أو سيدها أن يعطيها له زوجة فليزن له فضة كمهر العذارى(٤).

وقد استغل اليهود أمثال هذه النصوص فكانوا يحرضون بناتهم وإمائهم على الزنا ليتقاضوا التعويض المنصوص عليه(٥).

فأى السبيلين أقوم؟ وأى الفريقين أهدى سبيلاً؟

موقف الإسلام من أحكام المطلقات والأرامل فى سفر اللاويين:

وكما نظم الإسلام قواعد الارتباط بين الزوجين، نظم قواعد الافتراق، فبين

---

(١) سورة النساء الآية (٢٥).

(٢) البخارى بشرح ابن حجر ٦٨٣٩ ك الحدود، باب لا يثرب على الأمة إذا زنت ولا تنفى ١٢/ ١٩٧ ومعنى لا يثرب أى لا يجمع عليها العقوبة بالجلد والتعيير لأن من أقيم عليه الحد كفاه.

(٣) فتح البارى ١٢/ ١٩٦ بتصرف يسير.

(٤) انظر سفر الخروج ٢٢ : ١٦، ١٧.

(٥) انظر: زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص٤٠٨.

الألفاظ التى بها تنحل الزوجية، ومقدارها، وما يترتب على الطلاق والوفاة من آثار، كعدة ونفقة وسكنى . . . وغير ذلك[١] .

ورد ما فى شريعة اليهود فى سفر اللاويين من تحريم زواج الشخصيات الدينية الكبيرة -المتمثلة فى الكهنة عندهم- بالمطلقات والأرامل، فتزوج النبى ﷺ وهو خير البشر بالمطلقة وبالمتوفى عنها زوجها .

فتزوج أم المؤمنين زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [٢] .

وتزوج الأرملة فتزوج بأم سلمة[٣] وزينب بنت خزيمة[٤] وميمونة بنت الحارث[٥] . . . وغيرهن جبرًا لخاطرهن الكسير .

وهذا يوضح أن الإسلام يحث على المواساة، وجبر الخاطر، وتترسخ هذه القيمة فى النفوس حينما يضرب القدوة والمثل بنفسه، فيكون ذلك داعيًا لأن يحذو الناس حذوه .

وهنا تبدو نظرة الإسلام السامية فضلاً على ما قالته اليهودية عن هذا الفعل الإنسانى أنه نجاسة تدنسهم .

وبالنسبة لنفقة المطلقة والأرملة :

فقد جعل للمطلقات جميعًا حق المتعة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [٦] . وهو الذى عليه جمهور العلماء[٧] .

وواضح أن الحكم عام لافرق فى ذلك بين ابنة إمام أو سلطان وبين ابنة كناف أو كناس لأن شريعة الإسلام لاتعرف الطبقية، وهذا بخلاف ما رأينا من تخصيص شريعة

---

(١) يراجع فى ذلك باب الطلاق فى كتب الفقه مفصلاً .

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٧) وزينب بنت جحش هى أم المؤمنين ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) أم سلمة هى بنت أبى أمية المخزومية أم المؤمنين مات زوجها أبو سلمة فى غزوة أحد . انظر: الإصابة فى تمييز الصحابة ١٣/ ٢٢٣ .

(٤) زينب بنت خزيمة بن عبد الله الهلالية مات زوجها عبد الله بن جحش فى غزوة أحد فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم انظر الإصابة ٤/ ٦٧٢ .

(٥) ميمونة بنت الحارث الهلالية تأيمت من أبى رهم بن عبد العزى فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء . انظر الإصابة ١٣/ ١٣٨ .

(٦) سورة البقرة الآية (٢٤١) .

(٧) انظر الصابونى: روائع البيان ١/ ٣٨٠ ط مكتبة الغزالى -دمشق ١٩٨٠ م .

اليهود هذا الحكم ببنات الكهنة فقط.

وفصل حقوق المطلقات قبل الدخول سواء فرض لهن أم لا فقال في اللائي يطلقن قبل الدخول ولم يفرض لهن صداقا: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [١]. والمتعة هنا واجبة كما رجحه العلماء[٢].

وقال في اللائي يطلقن قبل الدخول وبعد الفرض لهن: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [٣]. وهنا لها نصف الصداق[٤].

والمطلقة المدخول بها لها صداقها وكل ما آتاها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [٦].

وأما المتوفى عنها زوجها فلها حق الميراث في زوجها. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ﴾ [٧].

وجعل لها حق السكن طول مدة العدة، ثم إن شاءت خرجت وإن شاءت البقاء لتقصر نفسها على تربية أيتامها فلها ذلك[٨]. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٩].

ومن هذا يدرك القارئ -الكريم- حرص الشريعة الإسلامية على بيان الحقوق والواجبات، دون تفريق بين الأشخاص، فهي شريعة تزن الناس جميعًا بميزان ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [١٠].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٦).
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٩٩.
(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٧).
(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٩٦.
(٥) سورة البقرة الآية (٢٢٩).
(٦) سورة النساء الآية (٢٠).
(٧) سورة النساء الآية (١٢).
(٨) الطبري: جامع البيان ٥/ ٧٩، ابن عبد البر: الاستذكار ١٨/ ٨١.
(٩) سورة البقرة الآية (٢٣٤).
(١٠) سورة الحجرات الآية (١٣).



المبحث الثالث

تشريعات تتعلق بالحلال والحرام من المطعومات والمشروبات في سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

ويشتمل على أحد عشر مطلبًا:

المطلب الأول: مايؤكل ومالا يؤكل من البهائم.

المطلب الثاني: مايؤكل ومالا يؤكل من حيوانات البحر.

المطلب الثالث: مايؤكل ومالا يؤكل من الطيور.

المطلب الرابع: مايؤكل ومالا يؤكل من دبيب الأرض.

المطلب الخامس: ذبيحة الأوثان وذبائح الأمميين.

المطلب السادس: تحريم أكل الدم.

المطلب السابع: الميتة والفريسة.

المطلب الثامن: شحوم البقر والغنم والماعز.

المطلب التاسع: الحيوان المذبوح مع أمه في يوم واحد.

المطلب العاشر: المشروبات.

المطلب الحادى عشر: موقف الإسلام من تلك التشريعات.


http://kotob.has.it/

المبحث الثالث

تشريعات تتعلق بالحلال والحرام من المطعومات والمشروبات فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

لقد أكثر اليهود على الله افتراء الكذب، فحرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وأكثروا المساءلة على أنبيائهم، برغم أن الإيمان يوجب على صاحبه الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى لايحرم على الناس طعامًا أو شرابًا فيه نفع لهم.

ولكن إذا كان القوم يتهمون الله سبحانه وتعالى أنه ينافسهم فى بعض الأطعمة، فكيف لايعتقدون أن ما حرم عليهم ادخره لنفسه، كما قالوا فى مسألة الشحوم.

فلما صنعت اليهود ما صنعت، وقالت من عندها هذا حلال وهذا حرام، وافترت على الله الكذب، حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم، ولذلك كانت دائرة المحرمات فى اليهودية أوسع نطاقًا عن غيرها من الشرائع، وذلك من تشديد القوم على أنفسهم، وليته من تشديد الورع وترك بعض الحلال مخافة الحرام، ولكنه تشديد الجدل وعدم التسليم والإذعان.

وقد تعرض سفر اللاويين لبيان موقف الشريعة اليهودية من الحلال والحرام من المطعومات والمشروبات، ففى الإصحاح الحادى عشر تفصيل أكثر هذه الأحكام.

وقد وردت تلك الأحكام مقسمة كما يلى:

المطلب الأول: مايؤكل ومالا يؤكل من البهائم.

يضع السفر قاعدة عامة فى البهائم التى يحل أكلها لليهود، وتتلخص فى أن كل ماله ظلف مشقوق، ويأكل العشب ويجتر، فهذا يؤكل وما عدا ذلك فلا يؤكل يقول السفر: « **. . . هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض كل ما شق ظلفًا وقسمه ظلفين، ويجتر من البهائم فإياه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها . . .** »(١)

والعبرة باجتماع القيدين (الظلف المشقوق) و (الاجترار) بحيث لو وجد حيوان يجتر وليس له ظلف مشقوق فيحرم أكله، والعكس ومثال ذلك:

(١) اللاويين ١١ : ٢-٤ .

تحرم الشريعة اليهودية الخيل والبغال والحمير لأنه ليس لها أظلاف مشقوقة وكذلك لاتجتر[١].

وتحرم كذلك الجمل والأرنب والوبر[٢] (وما يتصل به من الحيوانات قارضة العشب) وإن كانت تجتر إلا أنه ليس لها أظلاف مشقوقة، فالجمل له خف، والأرنب وما على شاكلته له أظافر.

وتحرم -كذلك- الخنزير لأنه وإن شق ظلفًا إلا أنه لايجتر.

يقول السفر: «. . . **الجمل لأنه يجتر لكنه لايشق ظلفًا فهو نجس لكم، والوبر لأنه يجتر لكنه لايشق ظلفًا فهو نجس لكم، والأرنب لأنه يجتر لكنه لايشق ظلفًا فهو نجس لكم، والخنزير لأنه يشق ظلفًا ويقسمه ظلفين لكنه لايجتر فهو نجس لكم من لحمها لاتأكلوا وجثتها لاتلمسوا**»[٣].

المطلب الثانى: مايؤكل ومالايؤكل من حيوانات البحر:

يوضح السفر أن القاعدة فى حيوانات البحر أن يؤكل ماله زعانف وعليه قشر، وما عدا ذلك فلا يؤكل، جاء فى السفر: «**وهذا تأكلونه من جميع ما فى المياه كل ما له زعانف**[٤] وحرشف[٥] فى المياه فى البحار وفى الأنهار فإياه تأكلون، لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف فى البحار وفى الأنهار من كل دبيب فى المياه ومن كل نفس حية فى المياه فهو مكروه لكم. . من لحمه لاتأكلوا وجثته تكرهون. . .»[٦]

ويفسر علماء اليهود لفظ «**المكروه**» هنا: على أنه المحرم[٧].

ويتضح من هذا أن الأسماك الملساء محرمة على اليهودى.

أفبمثل هذا الجهل يمكن أن يحرم الناس الخير الكثير، آلاف الأنواع من الأحياء المائية، وليس ينتفع بشيء منها إلا بما له زعانف وقشر؟

---

(١) انظر: الفكر الدينى اليهودى ص١٩٧ .

(٢) الوبر: هو: دويبة صغيرة كحلاء اللون لاذنب لها تقيم فى البيوت، وتسمى بغنم بنى إسرائيل، ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره يشبه إلية الخروف، وحجمه فى حجم الأرنب المعتدل، يكثر فى سورية ويعيش فى جماعات . انظر الدميرى: حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٢٠٧ .

(٣) اللاويين ١١ : ٤-٨ .

(٤) الزعانف: هى عظام تخرج من جسم بعض الأسماك على هيئة أشواك .

(٥) الحرشف: هى القشور التى تغطى أجسام بعض الأسماك .

(٦) اللاويين ١١ : ٩-١١ .

(٧) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١١٦ .

ومما يثير العجب تعليل اليهود إباحة الشريعة لهم أكل الأسماك ذات الزعانف والقشر، بتعليل يلبسونه ثوب رب الجنود والشخصية اليهودية التى دائمًا على أهبة الاستعداد للانقضاض والانتقام.

يقول الأستاذ/ نجيب جرجس وهو ينقل عن علماء اليهود:

«والزعانف تساعد على العوم والحركة فى الماء والقشور تحمى جسمه، وتساعده على مقاومة المياه وغيرها.. وهذا يشير إلى أن المؤمن يجب أن يتسلح بأسلحة الروح التى تمكنه من أن يسير فى العالم والتى تقيه من كل خطر روحى أو مادى»(١).

وأقول: إن الزعانف -بالنسبة لليهودى- تعينه على التملص والإفلات من أى قبضة، والقشر أثواب يتستر خلفها بحسب حاجته.

المطلب الثالث: مايؤكل ومالايؤكل من الطيور:

وفى هذا تفصيل حيث يجعل الطيور التى تعيش على رجلين قسمًا له حكم خاص، والطيور التى تمشى على أربع قسم له حكم خاص:

فأما الطيور التى تمشى على رجلين فقد ذكر عشرين نوعًا منها ذكرها بأسمائها لاتؤكل وما عداها من الطير الماشى على رجلين يؤكل.

يقول السفر:

«وهذه تكرهونها من الطيور، لاتؤكل، إنها مكروهة، النسر(٢)، والأنوق(٣)، والعقاب(٤)، والحدأة(٥)، والباشق(٦)، على أجناسه، وكل غراب(٧) على أجناسه،

---

(١) المرجع السابق ص١١٥.

(٢) النسر: من أقوى الطيور الجارحة، ويدعى ملك الطيور، يطير بسرعة وإلى أجواء عالية، ويتغذى على ما يفترسه من الطيور والحيوانات. انظر القزوينى: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص٤٢٨ ط دار ابن خلدون -إسكندرية.

(٣) الأنوق: من الطيور الكاسرة، ويسمى أبا ذقن لأن له ريشًا أسود تحت ذقنه. انظر: قاموس الكتاب المقدس ١٢٧.

(٤) العقاب: طائر كاسر يتغذى بالسمك والجيف، وهو حاد البصر سريع الطيران. انظر: عجائب المخلوقات ٤٢٠.

(٥) الحدأة: طير فى شبه النسر سوداء اللون، تستطيع أن تقف فى الجو باسطة جناحيها لتراقب فريستها. المرجع السابق ٤٠٨.

(٦) الباشق: من الطيور الجارحة، معروف بكثرة الصياح والصراخ وحدة البصر. السابق ٤٠٦.

(٧) الغراب: طائر خطاف شره يأكل كل مايصادفه حتى الجيف، ويغرم بتقوير عين فريسته. السابق ٤٢٢.

والنعامة[١]، والظليم[٢]، والسأف[٣]، والباز[٤]، على أجناسه، والبوم[٥]، والغواص[٦]، والكركى[٧]، والبجع[٨]، والقوق[٩]، والرخم[١٠]، واللقلق[١١]، والببغا[١٢]، على أجناسه والهدهد[١٣]، والخفاش[١٤]» .[١٥]

وبهذا يتضح أنه يحرم من الطيور -ذات الرجلين- كل ماله منقار معقوف، أو مخلب، أو كان من أوابد الطير التى تأكل الجيف والرمم[١٦] .

* أما الطيور التى تمشى على أربع فكلها ممنوعة إلا ماكانت رجليه الخلفيتان أطول من الأماميتين، وكذلك يستثنى منها أربعة أنواع هى :

---

(١) النعامة: هى أكبر الطيور حجمًا، وتشتهر بالرعونة والجفاء وسرعة العدو . السابق ٤٢٩ .

(٢) الظليم: هو ذكر النعامة وهو أكبر حجمًا من الأنثى، انظر قاموس الكتاب المقدس ٥٨٧ .

(٣) السأف: طائر بحرى جناحاه طويلان، يتغذى على الأسماك الطافية فى البحار وعلى الجيف .

(٤) الباز: من الطيور الجوارح يدرب على الصيد، طويل العنق، متكبر خائن شره حتى إنه ربما أكل لحوم بعض أفراد جنسه وإن كان زوجه أو أحد أبويه . انظر عجائب المخلوقات ٤٠٥ .

(٥) البوم: من جوارح الطير، تسكن الأماكن الخربة، تأوى نهارًا وتسرح ليلاً وتهاجم الطيور فى أعشاشها . السابق ٤٠٦ .

(٦) الغواص: طائر أسود بحجم الغراب يغوص تحت الماء ليصطاد السمك . السابق ٤٢٣ .

(٧) الكركى: طائر كثير الصياح، محبوب لدى الملوك لأن له نظاما خاصا فى طيرانه . السابق ٤٢٦ .

(٨) البجع: طائر كبير يحب الماء كثيرًا، طويل المنقار والساقين، كبير الحوصلة، يأوى إلى البحار والمياه كثيرًا، انظر قاموس ١٦٢ .

(٩) القوق: طائر طويل العنق والمنقار كبير الحويصلة يسمى المتقئ لأنه يفرغ ما فى حويصلته ليغذى صغاره، وهو يحب الماء . انظر قاموس الكتاب المقدس ٧٤٨ .

(١٠) الرخم: يشبه النسر فى الشكل والصفات، ويسكن الأماكن البعيدة عن العمران ويمتاز بكثرة العطف على صغاره . انظر: عجائب المخلوقات ٤١٥ .

(١١) اللقلق: من الطيور الرحالة طويل العنق والساقين، صوته يشبه القلقلة كأنه يردد (لق لق) . انظر السابق ٤٢٧ .

(١٢) الببغاء: طير متسلق يعيش فى الجهات الحارة ويأكل الحبوب والفواكه والحشرات، ويشتهر بتقليد الأصوات . انظر السابق ٤٠٦ .

(١٣) الهدهد: طائر صغير جميل الشكل مخطط بخطوط سوداء غالبًا، طويل المنقار يأوى إلى الزروع والحقول . السابق ٤٣٠ .

(١٤) الخفاش: يمشى على أربع ويطير بجناحين، وليس له منقار بل أسنان، يأوى نهارًا ويخرج ليلاً . انظر السابق ٤١١ .

(١٥) اللاويين ١١ : ١٣-١٩ .

(١٦) انظر: وليم مارش: السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ٢/ ٥٩-٦٥ ط مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى -بيروت ١٩٧٣ م .

الجراد[١]، والدبا[٢]، والحرجوان[٣]، والجندب[٤]، يقول السفر: «وكل دبيب **الطير الماشى على أربع فهو مكروه لكم: إلا هذا تأكلونه من جميع دبيب الطير الماشى على أربع، ماله كراعان**[٥] فوق رجليه يثب بهما على الأرض، هذا منه تأكلون، الجراد على أجناسه، والدبا على أجناسه والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسه، لكن سائر دبيب الطير الذى له أربع أرجل فهو مكروه لكم»[٦].

المطلب الرابع: مايؤكل ومالا يؤكل من دبيب الأرض:

ويقصد بدبيب الأرض ما يمشى على الأرض وليس له قدرة على الطيران، ويشمل الدبيب الزواحف.

ويوضح السفر أن دبيب الأرض يحل أكله بكل أنواعه، إلا أنواعًا تستثنى من ذلك فهى ممنوعة وهى:

ابن عرس[٧] والفأر[٨] والضب[٩] والحرذون[١٠] والورل[١١]

---

(١) الجراد هو: الحشرة الطيارة المعروفة له ثلاثة أزواج فى القوائم، الزوج الخلفى منها مسنن كالمناشير يقطع به النبات، ويؤكل الجراد فى بعض البلاد الشرقية، انظر: عجائب المخلوقات ص٤٣٦ .

(٢) الدبا هو: نوع من أنواع الجراد يقال له الجراد الأقرع أو الأصلع . انظر: الدميرى: حياة الحيوان الكبرى ١/ ٣١١ ط دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٩٩٩ م.

(٣) الحرجوان هو: أيضًا نوع من الجراد كبير الحجم وبدون أجنحة يثب ولايطير . انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص١٢٠ .

(٤) الجندب هو: نوع من الجراد الطيار ويسمى أيضًا الحجب لأن أرحاله الهائلة تحجب وجه الأرض -وهو جميل الشكل . انظر حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٩٥ .

(٥) الكراع هو: جمع كرع وهو الأذرع طويل كانت أو قصيرة . انظر القاموس المحيط ٣/ ٨٠ مادة (كرع) .

(٦) اللاويين ١١ : ٢٠-٢٣ .

(٧) ابن عرس هو: حيوان فى حجم الفأر الكبير ويعده البعض نوعًا من الفئران، وشكله بين النمس والفأر، ويسكن الجحور فى الحقول والخلاء يأكل الحيوانات الصغيرة والجيف، انظر: حياة الحيوان الكبرى ١/ ٥١٢

(٨) الفأر هو: حيوان قارض يسكن البيوت والحقول، ويأكل الحبوب والزروع والخشب والورق وغير ذلك، وقد يأخذ الأطعمة إلى جحره ليقتات بها . انظر عجائب المخلوقات ص٤٤٩ .

(٩) الضب هو: حيوان برى شكله بين التمساح والضفدعة يسكن الصحارى طوله حتى نهاية الذيل نحو ذراعين يتلون بلون البيئة حتى يكون فى مأمن من أعدائه، صبور على العطش، مغرم بأكل بيض التمساح، يقال إنه كثير النسيان حتى إنه ينسى جحره . انظر السابق ص٤٤٥ .

(١٠) الحرذون: ظنه بعض علماء اليهود القنفد، والأرجح أنه نوع من الوزغ، له كفوف بها ممصات تجعله قادرًا على تسلق الجدران، ولايخرج من جحره إلا فى الشتاء، انظر: حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٢٣ .

(١١) الورل: نوع من الوزغ منه برى ومنه بحرى يبلغ طوله حتى نهاية ذيله نحو أربعة إلى ستة أقدام يأكل الفئران والحشرات ويتغلب على الحيات . انظر : المرجع السابق ٢/ ٢١٢ .

والوزغة[١] والعظاية[٢] والحرباء[٣]، وكذلك كل مازادت أرجله عن أربع، وكل الزواحف (أى التى تمشى على بطونها).

يقول السفر: **«وهذا هو النجس لكم من الدبيب الذى يدب على الأرض: ابن عرس والفأر والضب على أجناسه، والحرذون والورل والوزغة والعظاية والحرباء هذه هى النجسة لكم من كل الدبيب»**[٤]. **«وكل دبيب يدب على الأرض فهو مكروه لايؤكل. كل ما يمشى على بطنه وكل ما يمشى على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب يدب على الأرض لاتأكلوه لأنه مكروه»**[٥].

المطلب الخامس: ذبيحة الأوثان وذبائح الأمميين:

لقد حرمت الشريعة اليهودية عليهم ذبيحة الأوثان، إذ جاء فى الإصحاح السابع عشر من سفر اللاويين: **«ولا يذبحوا بعد ذبائحهم للتيوس التى هم يزنون وراءها»**[٦].

وهذا واضح فى تحريم الذبح لغير الله سبحانه وتعالى لأن فعله كفر.

ولكن بنى إسرائيل قد ذبحوا للأوثان من دون الله، وأكلوا ذبائح الأصنام[٧]. فقد ذكرت التوراة أن سليمان قد بنى مذبحًا لعشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين[٨].

ولكن برغم تعدى بنى إسرائيل، وذبحهم للتيوس -على حد تعبير التوراة- إلا أن الشطط حملهم على تحريم كل ذبائح الأمميين، ومؤاكلتهم، حتى من الذبائح التى لم

---

(١) الوزغة: حيوان سريع الحركة يسمى أبو بريص وسمى هكذا لوجود بقع على جلده شبيهة بالبرص. انظر: المرجع السابق ٢/ ٢١٥.

(٢) العظاية: من أنواع الوزغ ويفسرها البعض بالحلزون، غير مؤذية وتحب الظهور كثيرًا فى الشمس. انظر عجائب المخلوقات ٤٣٨.

(٣) الحرباء: نوع من الوزغ المتسلق طويلة الذيل، بل تتعلق بأعضائها وتصطاد الحشرات بلسانها الطويل الذى تمده على الأرض، وهو مغطى بمادة لزجة تساعد على التصاق الحشرات به، وهى حذرة جدًا، وصبورة على الجوع، كل عين من عينيها مستقلة عن الأخرى، لذلك تستطيع النظر فى جهات مختلفة فى آن واحد، انظر عجائب المخلوقات ص٤٣٧.

(٤) اللاويين ١١ : ٢٩-٣١.

(٥) اللاويين ١١ : ٤١-٤٣.

(٦) اللاويين ١٧ : ٧.

(٧) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٠٨.

(٨) انظر سفر الملوك الأول ١١ : ١-٦، ونحن نعتقد أن هذا من كذب التوراة على سليمان النبى عليه السلام

تذبح قربانًا للأصنام، وقد نطقت التوراة بحل تناول أكل غيرهم من الأمم، ففى التوارة «مأكولا اعتاضوا منهم بعضة، وتأكلوه، وأيضًا ماتشتروا منهم بفضة»[١].

المطلب السادس: تحريم أكل الدم:

يذكر سفر اللاويين الدم ضمن مايحرم أكله من الطعام، وقد تقدم الكلام عليه فى الجرائم التى توجب القتل[٢].

المطلب السابع: الميتة والفريسة:

تحرم الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- أكل الميتة وهى التى ماتت بغير ذبح، والفريسة التى افترسها سبع، إذ جاء فيه: «**ميتة وفريسة لايأكل فيتنجس بها**»[٣].

وهذا التحريم ليس إلا على اليهودى أما الأممى فيجوز أن يبيع له اليهود الميتة والفريسة، ويعتمدون فى هذا على نص فى سفر الخروج يقول: «**ولحم فريسة فى الصحراء لاتأكلوا للكلاب تطرحونه**»[٤].

وهم يفسرون الكلاب هنا بغير اليهود، وحجتهم فى ذلك نص فى سفر التثنية، يقول: «**لاتأكلوا جثة ما، تعطيها للقريب الذى فى أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبى لأنك شعب مقدس**»[٥]. ولهم مع الفريسة التى يسمونها الطريفا حكاية يختلقونها نترك أحد أحبارهم يقصها لنا:

يقول الحبر: السمؤل بن يحيى بن عباس المغربى[٦]: «. . . **اختلقوا كتابًا سموه (هلكت شحيطا) ومعناه علم الذباحة، ووضعوا فى هذا الكتاب من تشديد الأحد عليهم ماشغلوهم به عما هم فيه من الذل والمشقة، وذلك أنهم أمروهم أن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواء، ويتأملوها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا؟ فإن خرج منها الهواء حرموه، وإن كان بعض أطراف الرئة لاصقًا ببعض لم يأكلوه، وأيضًا فإنهم أمروا الذى يتفقد الذبيحة أن يدخل يده فى بطن الذبيحة، ويتأمل بأصابعه فإن وجد القلب ملتصقًا إلى الظهر أو أحد الجانبين،**

---

(١) بذل المجهود فى إفحام اليهود ص٥٥، ٥٦، إغاثة اللهفان ٢/ ٣٢٤ ولم أعثر على النص في التوارة.

(٢) انظر ص٣١٩ من هذا البحث.

(٣) اللاويين ٢٢ : ٨ .

(٤) الخروج ٢٢ : ٣١ .

(٥) التثنية ١٤ : ٢١ .

(٦) هو السمؤل بن يحيى بن عباس المغربى ت نحو ١١٧٤ م طبيب ورياضى يهودى قدم إلى بغداد ثم أسلم . انظر المنجد ٢/ ٣٦٦ .

ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة، حرموه ولم يأكلوه، وسموه طريفًا، يعنون بذلك أنه تنجس فحرام أكله، وهذه التسمية هى أول التعدى منهم، لأنه ليس موضوعها باللغة إلا المفترس الذى يفترسه بعض الوحوش. . والمقصود أن مشايخهم قد تعدوا فى تفسير الطريفا عن موضوعها وما أريد بها، وكذلك فقهاؤهم اختلقوا من أنفسهم هذيانات وخرافات تتعلق بالرئة والقلب، وقالوا: ماكان من الذبائح سليمًا من هذه الشروط فهو «خياو» (ومعناها طاهر) وماكان خارجًا عن هذه الشروط فهو طريفا وفسروا هذه الكلمة (حرام) وقالوا معنى قول التوراة: «**ولحمًا فريسة فى الصحراء لاتأكلوه للكلب ألقوه**» يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلاتأكلوها بل بيعوها إلى من ليس من أهل ملتكم، وذلك أنهم فسروا قوله: «**للكلب ألقوه**» أى لمن ليس على ملتكم أطعموه وبيعوه، إلا أنهم على الحقيقة أشبه بالكلاب، وأحق بهذا اللقب والتشبيه، لقبح عقولهم، وسوء ظنونهم واعتقادهم فى سواهم من الأمم»[١].

وخير الشهود ما كان من أهلها.

وماأعجب حال هؤلاء المشرعين الذين يشددون كل هذا التشديد ثم يبيحون الانتفاع بشحوم الميتة والفريسة، جاء فى سفر اللاويين: «**وأما شحم الميتة وشحم المفترسة فيستعمل لكل عمل لكن أكلاً لاتأكلوه**»[٢].

المطلب الثامن: شحوم البقر والغنم والماعز:

يذكر سفر اللاويين أنه يحرم على اليهودى أكل الشحوم من البقر والغنم والماعز، فيقول: «**كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لاتأكلوا**»[٣].

وكانت اليهود تزعم أن أباها إسرائيل عليه السلام هو الذى حرم الشحوم فهى تحرمه[٤]. وماحرمه بل هو من تشديد القوم على أنفسهم وليتهم التزموه.

بل إنهم لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها ثم باعوها، وأكلوا ثمنها، وهذا من عدم فقههم عن الله سبحانه وتعالى دينه، فإن ثمنها بدل منها. . وتحريم الأعيان يشمل تحريم أبدالها[٥].

---

(١) السموءل بن يحيى بن عباس: بذل المجهود فى إفحام اليهود ص٥٦-٥٨ مطبعة الفجالة الجديدة -القاهرة، وانظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) اللاويين ٧ : ٢٤. (٣) اللاويين ٧ : ٢٣.

(٤) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢١٩.

(٥) ابن القيم: إغاثة اللهفان ٢/ ٣١٣.

وتلك عاقبة من يتشدد فى شرائع الله سبحانه وتعالى فالله أرحم بالعباد من أنفسهم.

المطلب التاسع: الحيوان المذبوح مع أمه فى يوم واحد:

ينص سفر اللاويين على حرمة الحيوان الذى يذبح مع أمه فى يوم واحد، بمعنى أنه لو ذبحت بقرة أو شاة وابنها، لحرم الجميع، يقول السفر: «**وأما البقرة أو الشاة فلا تذبحوها وابنها فى يوم واحد**»(١).

والمقصود به ذبح المولود مع أمه قبل بلوغ اليوم السابع، وفى سفر التثنية توضيح لأن المقصود الذبح فى الأيام التى يكون فيها الحيوان رضيعًا فى السبعة أيام «**لاتطبخ جديًا بلبن أمه**»(٢).

وقد انحرفت اليهود فى استنباط هذا الحكم انحرافًا واضحًا كما يقول الحبر السموءل بن يحيى المغربى حيث أورد النص بلفظ «**لاينضج الجدى بلبن أمه**».

ثم قال: «**إنهم أمروا عقب افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا معهم إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم، وأبكار مستغلات أرضهم لأنه قد فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخول البقر والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام ومن اليوم الثامن فصاعدًا تصلح أن تكون قربانًا لله، فأشار فى هذه الآية فى قوله (لاينضج الجدى بلبن أمه) إلى أنهم لايبالغون فى إطالة مكث بكور أولاد البقر والغنم وراء أمهاتهم... فتوهم المشايخ البله المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها: أن المشرع يريد بالإنضاج هاهنا إنضاج الطبيخ فى القدر، وهبهم صادقين فى هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل، إذ لو أراد المشرع تحريم الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك**»(٣).

ولم يكفهم هذا الغلط فى تفسير هذه اللفظة حتى حرموا سائر اللحم باللبن... وإذا أرادوا أكل اللحم واللبن أكلوا كلا منهما على حدة(٤).

وكذلك حرموا أن يجمع أى شيء يمت إلى اللبن بصلة مع اللحم، فيحرم طبخ اللحوم فى السمن أو الزبد، بل يجب أن تطبخ فى زيوت نباتية، وحرام أن يتناول اليهودى اللحم والجبن أو الزبد أو اللبن أو نحوها فى وجبة واحدة، بل حرام أن

---

(١) اللاويين ٢٢ : ٢٨. (٢) التثنية ١٤ : ٢١.

(٣) بذل المجهود فى إفحام اليهود ص٤٤ - ٤٥.

(٤) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٥٧.

يوضع اللحم فى إناء كان قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل، أو أن تستعمل سكين واحدة فى تقطيع اللحوم والجبن أو ما إليه(١).

فأى عبث هذا، وماسر العداء بين اللبن واللحم، واللبن إنما يخرج من اللحم؟

سبحانك ربى هذا بهتان عظيم !!!!

المطلب العاشر : المشروبات :

لم تحرم الشريعة اليهودية -فى سفر اللاويين- ولاغيره- أى شيء من الشراب، بل قد جاءت النصوص على إباحة الخمور، وجعلها من قرابين الإله -كما رأينا.

وبعد هذا التحليل والتحريم :

هل كل اليهود فى أنحاء العالم يأخذون بهذا التشريع فى صورة يمكن أن يقال عنها «**الطعام اليهودى**»؟

والجواب

أنه لايمكن الحديث عن الطعام اليهودى لأن هذه العبارة تعنى أن ثمة طعامًا يهوديًا متميزًا، نابعًا من ثقافة يهودية متميزة متفردة، وهى أمور وهمية . . . لأن كل جماعة من جماعات اليهود -قديمًا وحديثًا- كانوا يأكلون الأصناف التى يأكلها أهل المجتمعات التى يساكنونها . . . فالأطباق والأصناف التى تملأ موائد العائلات اليهودية، لاتختلف كثيرًا عن تلك الأطباق والأصناف التى تملأ موائد غير اليهود فى المجتمعات التى يعيش بينها أعضاء الجماعات اليهودية(٢).

وهذا يدل على أن اليهود ليست لهم شخصية دينية مستقلة وإن زعموا ذلك، فقد أكلوا الخنزير فى البلاد التى ساكنوا فيها النصارى، وأكلوا الجمل والأرنب فى البلاد التى ساكنوا فيها المسلمين.

ولكن يلاحظ فى الآونة الأخيرة، فى ظل اتجاهات العلمنة المتزايدة، أصبح الطعام يمثل بالنسبة لكثير من اليهود المتزمتين شكلاً من أشكال الانتماء اليهودى، ولعله الشكل الوحيد الذى يعبر عن الهوية اليهودية(٣).

المطلب الحادى عشر : موقف الإسلام من تلك التشريعات :

إن الإسلام جاء يحل الطيبات للناس، ويناديهم بقول المولى سبحانه وتعالى :

---

(١) الفكر الدينى اليهودى ص١٩٨ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٣/ ٢١٣-٢١٤ .

(٣) المرجع السابق ٣/ ٢١٤ بتصرف .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ (١) وأخبر أن الرسل جميعًا خوطبوا بأكل الطيبات فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ (٢).

وجاء يخبر أن التحليل والتحريم حق الله سبحانه وتعالى وحده، وجعل ينعى على الذين اجترؤا فحرموا من الطيبات، وأحلوا من الخبائث، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٖ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (٣). وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ (٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٥).

وجعل ينعى على أهل الكتاب الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في يد أحبارهم ورهبانهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦).

وقد جاء عدى بن حاتم إلى النبي ﷺ وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام -فلما سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية قال: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم» (٧).

وجاء الإسلام -أيضًا- يبين أن الأصل في الأشياء الإباحة، ويضيق دائرة المحرمات، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الناس وسخر لهم كل ما في السماوات والأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا مِّنْهُۚ﴾ (٨). وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ (٩).

وماكان الله سبحانه وتعالى ليخلق هذه الأشياء، ويسخرها للإنسان ثم يحرمها عليه، نعم قد حرم بعضًا منها لحكم جليلة استبانت للخلق حين طلبوا أسرارها.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٨).
(٢) سورة المؤمنون الآية (٥١).
(٣) سورة يونس الآية (٥٩).
(٤) سورة الشورى الآية (٢١).
(٥) سورة النحل الآية (١١٦).
(٦) سورة التوبة الآية (٣١).
(٧) سبق تخريجه.
(٨) سورة الجاثية الآية (١٣).
(٩) سورة لقمان الآية (٢٠).

والنفوس المؤمنة تتقبل هذا التشريع مسلمة مذعنة تقول سمعنا وأطعنا أما اليهود فقد جبلوا على المساءلة، وليست المساءلة التى تحمل على التسليم والإذعان، ولكنها مساءلة الاعتراض التى توجب الكفر بالشرائع .

ولذا جاء الإسلام ينهى عن السؤال عن المسكوت عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحل الله فى كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**»[١] .

وجاء الإسلام -أيضًا- فجعل يظهر كذب اليهود ويفضحهم فى افترائهم على أنبيائهم، فى نحو ما قالوا على نبى الله إسرائيل عليه السلام ونسبوا إليه تحريم الشحوم فأظهر كذبهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢] .

وقد جاءت -عصابة من اليهود إلى النبى ﷺ تسأله عن الطعام الذى حرمه إسرائيل على نفسه، فقال لهم: «**أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضًا شديدًا وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها، فقالوا: اللهم نعم، فقال اللهم اشهد عليهم**»[٣] .

فعلم من هذا أنهم كانوا يعلمون أن تحريمهم الشحوم ماكان من شرعة إسرائيل ولاموسى-عليهما السلام- بل من كذبهم هم على الله وأنبيائه، وبين أن ذلك إن حرمه الله بعد ذلك عليهم، كان كالعقوبة لهم على بغيهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[٤] .

وجاء الإسلام وهو يوافق الشريعة اليهودية فى تحريم الميتة والدم والفريسة ولحم الخنزير وذبيحة الأوثان، قال سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ

---

(١) البيهقى: السنن الكبرى: ك الضحايا، باب ما لم يذكر تحريمه ١٠/ ١٢ .
(٢) سورة آل عمران الآية (٩٣) .
(٣) الإمام أحمد: المسند ١/ ٢٧٨ وهو عن شهر بن حوشب .
(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٦) .

أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ (١).

ولكن الإسلام حين حرم هذه الأشياء حرمها على المسلم وغير المسلم، بخلاف ما صنعت اليهودية حيث حرمت أكلها على اليهود وأجازت لهم أن يبيعوها للأميين فيأكلوها.

واستثنت الشريعة الإسلامية من الميتة والدم ميتتين ودمين، فجاء على لسان نبى الإسلام ﷺ «**أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**» (٢).

ثم جاء الإسلام فأباح كل مايخرج من البحر، قال سبحانه وتعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ (٣) وقال -أيضًا- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (٤).

بخلاف ما قترت اليهودية على أتباعها فحرمت كل ما فى البحر إلا ما له زعانف وقشر.

وأما الحيوانات البرية والطيور فقد أباحها الإسلام إلا أنواعًا قلائل، فحرم كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير، فعند الطبراني «**أن رسول الله ﷺ نهى عن كل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير**» (٥).

وهناك بعض نصوص فى النهى عن الحمر الأهلية والبغال، مثل: «**حرم رسول الله ﷺ** يوم خيبر الحمر الإنسية ولحوم البغال، وكل ذى ناب من السباع، وكل ذى مخلب من الطير والمجثمة (٦)» (٧). و«**نهى رسول الله ﷺ** عن لحوم الحمر الأهلية» (٨).

وقد اختلف الفقهاء فى فهم دلالة هذه النصوص، وهل كان التحريم على التأقيت وذلك لحاجتهم إلى ركوبها حينئذ، أو على التأبيد؟

---

(١) سورة المائدة الآية (٣).
(٢) سنن الدارقطنى: ك الصيد والذبائح ٤/ ٢٧٢.
(٣) سورة المائدة الآية (٩٦).
(٤) سورة النحل الآية (١٤).
(٥) الطبرانى: المعجم الكبير برقم ١٢٩٩٥، ١٢/ ٢٤١ عن ابن عباس.
(٦) المجثمة هى كل طير أو حيوان نصب ليرمى.
(٧) الترمذى: الجامع الصحيح: ك الأطعمة، باب ما جاء فى كراهية كل ذى ناب وذى مخلب ٤/ ٦١ وقال: حسن غريب.
(٨) البخارى بشرح ابن حجر ٥٥٢٢ ك الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية ٩/ ٧٨٣.

خلاف طويل بين العلماء أورده ابن حجر فى فتح البارى، ورجح أن حرمتها على التأبيد[١].

ولم يحرم الإسلام ذبح الحيوان مع أمه فى يوم واحد، بل إن البهيمة لو ذبحت وهى عشار فإن ذكاتها ذكاة لجنينها، ولذلك قال العلماء: **«ذكاة الجنين ذكاة أمه»**[٢].

كذلك لم يحرم الإسلام من ذبائح غير المسلمين إلا ذبيحة المشرك، لأنه يهل بها لغير الله تعالى[٣].

أما ذبائح أهل الكتابين فقد أباحها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٤]، ويستثنى من المباح من ذبائح أهل الكتاب ما ذبح للكنيسة أو في الأعياد كقربان فإنه حرام.

ولكن الكتابى إذا سمع يسمى على ذبيحته غير الله تعالى فلا تحل، وإذا لم يسمع فهى حلال[٥]، ولايسأل المسلم عما غاب عنه كيف كانت تذكيته، وقد جاء نفر إلى النبى ﷺ كانوا حديثى عهد بجاهلية فقالوا: يا رسول الله: إن قومًا يأتوننا باللحمان لاندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا؟ أنأكل منها أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: اذكروا اسم الله وكلوا»[٦].

وهذا بالطبع خلاف ماصنعت اليهودية من تحريم كل ذبائح الأميين، ولو لم يهلوا بها للأصنام، بل إنهم حرموا مجرد مؤاكلتهم ولو من ذبائح اليهود!!!!

وفى جانب المشروبات فقد حرم الإسلام الخمر، وكل مشروب يقصد به إذهاب العقل، وإدخال النشوة على القلب، حتى ولو كان أصله حلالا فقال **«كل مسكر خمر وكل خمر حرام»**[٧].

بل إن فقهاء الإسلام قد اعتبروا فى الخمر كل مسكر مائعًا كان أو جامدًا عصيرًا أو مطبوخًا[٨].

---

(١) انظر فتح البارى ٩/ ٧٨١، ٩/ ٧٨٧ .

(٢) مالك: الموطأ: ك الذبائح، باب ذكاة ما فى بطن الذبيحة ص٣٩١ ط دار الحديث القاهرة ١٩٩٧ .

(٣) انظر: د/ يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام ص٦٣ .

(٤) سورة المائدة الآية (٥) .

(٥) البخارى بشرح ابن حجر: ك الذبائح والصيد، باب ذبائح أهل الكتاب ٩/ ٧٦٣ وهو أثر معلق، وصله عبد الرازق فى مصنفه كما قال الحافظ ابن حجر .

(٦) البخارى بشرح ابن حجر: ك الذبائح والصيد، باب ذبيحة الأعراب ونحوهم ٩/ ٧٦٠ .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٦٢ ط دار الرحمة - القاهرة .

ويتبين من خلال موقف الإسلام أن اليهودية قد شددت فى تحريم الطيبات وأفسحت المجال واسعًا فى تحليل الخبائث، وهذا هو الفرق بين شريعة لعبت بها الأهواء، وعبثت بها الأيدى، ونسبت لله زورًا وبهتانًا، وبين شريعة مصونة محفوظة بحفظ البارى -تعالى.



المبحث الرابع

تشريعات تتعلق بالزراعة فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

وتشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول : لمحة تاريخية عن الزراعة عند اليهود .

المطلب الثانى : حكم زرع أكثر من صنف فى الحقل الواحد .

المطلب الثالث : حكم الأكل من الأشجار المثمرة فى أول إنتاجها .

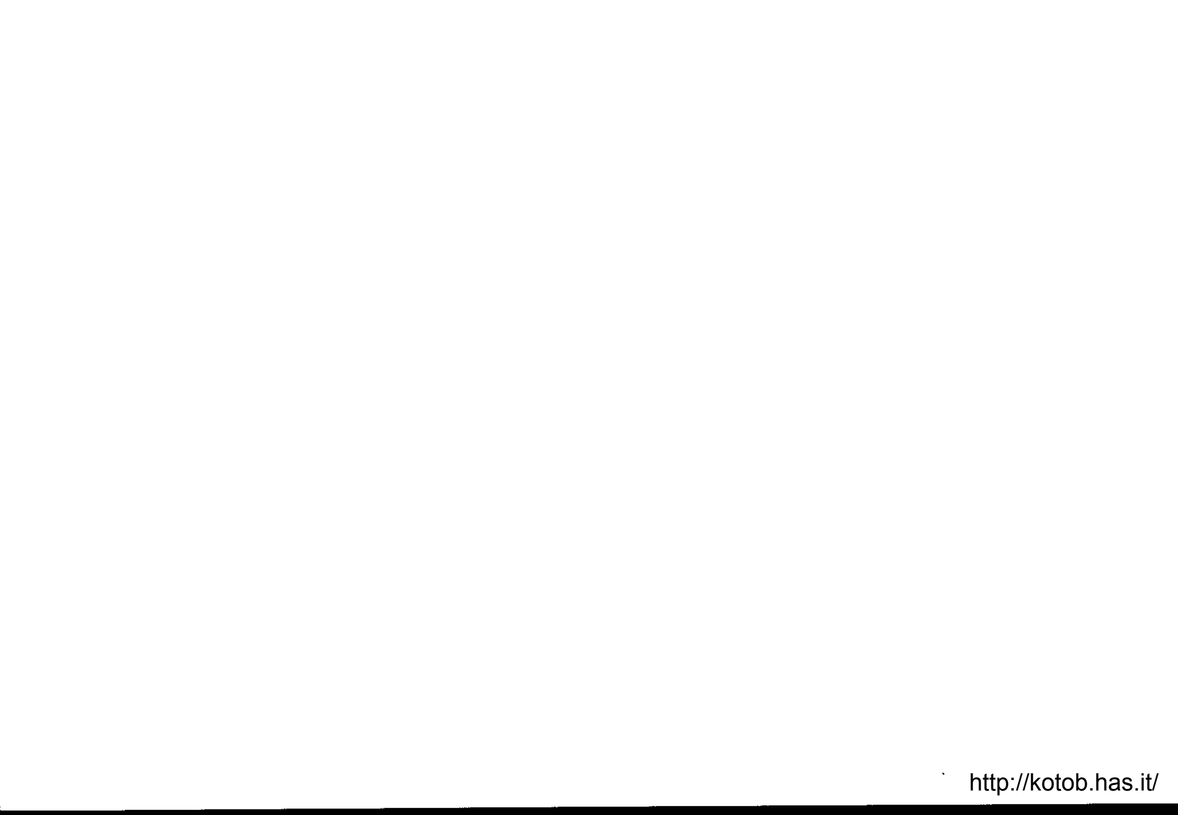
المطلب الرابع : شرائع بخصوص الجمع والحصاد وعشور الزروع والثمار .

المطلب الخامس : وقف بعض المزارع على بيت الرب .

المطلب السادس : حكم بيع الأراضى الزراعية .

المطلب السابع : سبوت الأرض وإراحتها من الزرع .

المطلب الثامن : موقف الإسلام من تشريعات سفر اللاويين الواردة بشأن الزراعة .



المبحث الرابع

تشريعات تتعلق بالزراعة فى سفر اللاويين
وموقف الإسلام من ذلك

إن سفر اللاويين يذكر أن اليهود قد عرفوا الزراعة، لذلك يذكر لهم أحكامًا وتشريعات عن الأرض والزرع والحصاد والمطر وغير ذلك.

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن الزراعة عند اليهود:

والحق أن بنى إسرائيل قد عرفوا الزراعة قبل موسى عليه السلام منذ أن كانوا فى مصر الفرعونية، حيث كانوا يشكلون عاملاً مهمًا فى قيام الزراعة فى مصر إذ كان الفراعنة يسخرونهم فى استزراع الأرض، غرسًا وحصادًا.

ويوم أن خرج موسى عليه السلام باليهود من مصر، ووصلوا إلى صحراء سيناء، لم تنسجم روحهم الزراعية مع تلك البيئة الصحراوية الجديدة، وجعلوا يضجرون ويظهرون السخط لموسى عليه السلام كما يحكى سفر الخروج:

«فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية، وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزًا للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع»(١).

ويقص القرآن الكريم حنين بنى إسرائيل للبيئات الزراعية وهم فى الصحراء، برغم أن الله سبحانه وتعالى أرغد عيشهم، وكفاهم مؤنة الطعام والشراب، وأنزل عليهم المن والسلوى، إلا أنهم يقفون لموسى قائلين: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾(٢).

بل إن سفر اللاويين يذكر أن رب إسرائيل حينما رأى ضجرهم، وحنينهم إلى البيئة الزراعية جعل يرغبهم ويعدهم بأرض خصبة زراعية تفيض باللبن والعسل، يقول السفر:

---

(١) الخروج ١٦ : ٢، ٣.

(٢) سورة البقرة الآية (٦١).

«وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم، وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً»[١] .

وهذه الأرض التى وعدهم بها الرب هى أرض فلسطين فى عهد موسى عليه السلام يقول عنها المؤرخ اليهودى يوسفوس فى القرن الأول الميلادى : **«إن بها من الأمطار مايكفى حاجة الزراعة، وإنها جميلة، وإن بها كثيرًا من الأشجار، وإنها مملوءة بفاكهة الخريف البرى منها والمنزرع . . . وإن هذه الأشجار لاترويها الأنهار ريًا طبيعيًا، ولكنها تنال ماتحتاج إليه من الرطوبة من ماء المطر الذى لاينقطع عنها قط، وكانت أمطار الربيع التى تسقى الأرض تخزن -الأيام الخالية- فى صهاريج، أو ترفع إلى سطح الأرض مرة أخرى من آبار كثيرة العدد، وتوزع فى أنحاء البلاد فى شبكة من القنوات . . . وكانت الأرض التى تروى بهذه الطريقة تنتج الشعير والقمح والذرة، وتجود فيها الكروم، وتثمر أشجارها الزيتون والتين والبلح وغيرها من الفواكه على منحدرات الجبال»**[٢] .

ولعل أزهى عصور الزراعة عند اليهود هو عصر سليمان الملك الشاب، الذى علم شعبه النظام، ومازال بهم حتى أقنعهم بنبذ الشقاق والحرب، وحثهم على الالتفاف إلى أصول الحضارة، صناعة وزراعة فأفادت أورشليم من هذا السلم، فزادت ثرواتها حتى استطاع سليمان أن يستبدل مصنوعات صور وصيدا بغلات إسرائيل الزراعية[٣] .

وبعد عصر سليمان جاء السبى البابلى فى عام (٥٨٦ ق.م) فانتهى كل أثر لليهود فى تلك الأرض، حتى سمح لهم كورش الفارسى -الذى احتل بلاد بابل- بالعودة إلى فلسطين، ورفض كثيرون منهم العودة لأنهم كانوا قد ألفوا الحياة التجارية فى أرض بابل، وكونوا بها ثروات طائلة[٤] .

ومن ذلك الوقت وحتى ما قبل الاعتراف بإسرائيل كدولة فى القرن العشرين، لاتعد إسرائيل كدولة زراعية .

ولكن الواضح أنه بعد قيام دولة إسرائيل وتجديد كيانها أصبحت إسرائيل الآن من أنجح الدول زراعيًا، حتى أن كثيرًا من الدول الكبرى لتعقد معها الاتفاقيات لتنفيذ برنامجها الزراعى وتبادل الخبرات الزراعية[٥] .

وبعد هذا العرض الموجز عن تاريخ الزراعة عند اليهود -والذى ما أردنا منه إلا أن

---

(١) اللاويين ٢٠ : ٢٤ .
(٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٢٢ .
(٣) انظر : المرجع السابق ٢/ ٣٣٢ .
(٤) انظر : د/ أحمد شلبى : اليهودية ص٨٤ .
(٥) انظر : جريدة آفاق عربية ص ١ مقال بعنوان «فضائح التطبيع مستمرة» العدد ٤١٢- ١٧/ ٦/ ١٩٩٩م .

نعرف مقدار ما أفاض الله سبحانه وتعالى به من نعم عليهم، ثم بعد ذلك شددوا على أنفسهم فى الأحكام والتشريعات فشدد عليهم- نعرض الأحكام والتشريعات التى جاءت فى سفر اللاويين بخصوص الزراعة فى المطالب التالية . . . .

المطلب الثانى: حكم زرع أكثر من صنف فى الحقل الواحد:

يحكم سفر اللاويين بمنع الفلاحين اليهود من زراعة أكثر من صنف فى الحقل الواحد، فيقول: « . . . **وحقلك لاتزرع صنفين**»(١).

ويوضح الشراح حكمة الشريعة اليهودية فى هذا الحكم فيقولون: «**نهاهم الله عن هذا لكى لايقعوا فى اعتقادات وخرافات الشعوب الوثنية، خصوصًا عبدة النار الذين كانوا يظنون أن زراعة عدة أنواع فى حقل واحد مما يسر آلهتهم**. . . »(٢).

ويقول بعضهم: «**إن اقتراب الأنواع المختلفة يعطى أنواعًا جديدة فمنعه الشرع حتى لايتوهم الإنسان أنه قادر على خلق أجناس أو أنواع جديدة فيدعى لنفسه الألوهية**(٣)، ولذلك نهاه عن التهجين -أيضًا- بين البهائم فقال: (لاتنز بهائمك جنسين)(٤).

وقد أفتى بعض الحاخامات بأن الخلط فى الزراعة لاينطبق إلا على أرض فلسطين(٥).

وفى الدولة الصهيونية يلجأ اليهود إلى الحيلة، فيمكن خلط الحبوب بأن يقوم مستوطن صهيونى ببذر حبوب نبات ما فى اليوم الأول، ويأتى مستوطن آخر يتظاهر بأنه لايعرف ماحدث فى اليوم السابق ويقوم ببذر حبوب نبات آخر، وقد تم تطوير هذه الحيلة بأن تكوم حبوب النوع الأول وتغطى بقطعة جوال ثم يوضع النوع الآخر من الحبوب فوق الجوال، ثم يأتى شخص ويقول أريد هذا الجوال ويأخذه، وبالتالى يتم خلط الحبوب بالصدفة المتعمدة(٦).

وبهذا نجد اليهود قد ألغوا هذا الحكم التوراتى الذى ينهاهم عن التهجين وعكفوا فى معاملهم الزراعية على إنتاج أصناف جديدة، حملوها روحهم العدوانية تجاه العالم

---

(١) اللاويين ١٩ : ١٩ .
(٢) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٦ .
(٣) انظر: السابق ص٢٣٦ .
(٤) اللاويين ١٩ : ١٩ .
(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٤٢ .
(٦) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٤٣، وانظر: بالفورهيفر: الاستزراع السمكى التجارى فى إسرائيل ص٧٢-٧٣ طبعة ١٩٨١م مودع بكلية الطب البيطرى بأسيوط .

كله، وكم سمع العالم عن قمح إسرائيلى يؤدى إلى العقم وقتل الرجولة، وغير ذلك كثير من المنتجات الزراعية، وخصوصًا التى يمكن أن تحتفظ بكميات ماء كبيرة كالفواكه والخضراوات.

المطلب الثالث: حكم الأكل من الأشجار المثمرة فى أول إنتاجها:

يذكر سفر اللاويين أن اليهود يحرمون الأكل من الأشجار المثمرة إلا بعد مضى أربع سنوات كاملة من ابتداء إنتاجها فيقول:

«ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة للطعام، تحسبون ثمرها عزلتها ثلاث سنين تكون لكم غلفاء لايؤكل منها، وفى السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسًا لتمجيد الرب، وفى السنة الخامسة تأكلون ثمرها لتزيد لكم غلتها»(١).

ويذكر علماء اليهود لهذا الحكم عللا واهية منها:

أ- من الناحية الروحية -أى العبادة- كان كل بكر من الأشياء لابد أن يقدم قدسًا للرب، وكذلك باكورات المزروعات والأثمار.

ب- من الناحية العلمية فإن إراحة الأشجار الحديثة فترة وعدم إرهاقها يعطيها قوة ويضاعف من أثمارها، وبناءً عليه كان اليهود فى خلال السنوات الأولى الثلاث يقطفون الأزهار قبل أن تثمر أو يقطفون الأثمار قبل أن تنضج ويدفنونها فى التربة حتى تسمد الأرض وتكسبها خصوبة أو يحرقونها ويسمدون الأرض(٢).

ونرى أن العلة الثانية تنفى الأولى، فإذا كانوا يقطفون الأزهار أو الأثمار قبل أن تنضج ويدفنونها أو يحرقونها فى الثلاث سنوات فمن أين إذًا تقدم الباكورات؟

أم أن شريعة البكورية عندهم يمكن أن تنتقل من البطن الأول إلى البطن الرابع، ويسمى -أيضًا- بكرا؟ كما صنعوا فى بكورية إسماعيل حيث نقلوها إلى إسحاق(٣)، وبكورية رأوبين بن يعقوب حيث نقلوها ليوسف(٤).

المطلب الرابع: شرائع بخصوص الجمع والحصاد وعشور الزروع والثمار:

يلزم سفر اللاويين فى تشريعاته اليهود عند الحصاد بأحكام معينة منها أن يتركوا زوايا الحقل للفقراء: **«وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد،**

---

(١) اللاويين ١٩ : ٢٣-٢٥.
(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٣٩.
(٣) التكوين ١٧ : ٢١.
(٤) أخبار الأيام الأول ٥ : ١-٢.

ولقاط حصيدك لاتلتقط، وكرمك لاتعلله ونثار كرمك لاتلتقط للمسكين والغريب تتركه»[١].

ويعلق الحاخام LEHRMAN على هذا الحكم بقوله: **«إنه يبرز لقارئه ملحوظتين من ميزات الشعب اليهودى: الحب اليهودى المتأصل لتراب إسرائيل، والتذكير بوصية تقديم العون لفقرائنا»**[٢].

ويلزمهم -كذلك- بحصر المحصول لإخراج العشور **«وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو للرب قدس للرب»**[٣].

وإذا كان ظاهر هذه الشرائع يبدو منه الإحسان فإن اليهودية الحالية لاتعمل بتلك الشرائع، ولاأدل على ذلك من حال يهود الفلاشا واليهود المهجرين من الحبشة وبعض البلاد الإفريقية والحالة المذرية التى يعانون منها بعد الهجرة إلى إسرائيل، برغم مالايخفى على أحد من ثراء اليهود عالميًا.

المطلب الخامس: وقف بعض المزارع على بيت الرب:

لقد شارك الكهنة الشعب فى كل مجالات الرزق وزاحموهم حتى فى مجال الزراعة، فوضعوا لهم من التشريعات مايضمن لهم إقطاعات واسعة من المزارع، فيقول سفر اللاويين: **«وإن قدس إنسان بعض حقله ملكه للرب يكون تقويمك على قدر بذاره. . . إن قدس حقله من سنة اليوبيل يحسب له الكاهن الفضة على قدر السنين الباقية إلى سنة اليوبيل فينقص تقويمك»**[٤].

وإذا وقف إنسان حقلاً لمدة معينة وأراد أن يفك الحقل يزيد على ثمنه خمس فضة ويرجع له **« فإن فك الحقل مقدسه يزيد خمس فضة تقويمك عليه فيجب له»**[٥].

ولاأدرى ماذا يعنى أن يفك الواقف ماوقفه فيشتريه بثمن، ويبدو أن الكهنة كانوا يرمون من وراء اشتراط هذا الفكاك تعجيز الواقف عن استرداد وقفه ليصبح ملكًا لهم.

ولذلك نجدهم فى الفقرة التالية يقررون أن الواقف إذا عجز عن فكاك وقفه فاضطر لبيعه لشخص آخر فإن الحقل لايفك بل يكون للكاهن.

يقول سفر اللاويين: **«لكن إن لم يفك الحقل وبيع الحقل لإنسان آخر لايفك بعد، بل**

---

(١) اللاويين ١٩ : ٩-١٠ .
(٢) أسعد رزوق: التلمود والصهيونية ص١٥٣ .
(٣) اللاويين ٢٧ : ٣٠ .
(٤) اللاويين ٢٧ : ١٦-١٨ .
(٥) اللاويين ٢٧ : ١٩ .

يكون الحقل عند خروجه فى اليوبيل قدسًا للرب. . . للكاهن يكون ملكه»[١] .

المطلب السادس: حكم بيع الأراضى الزراعية:

يقرر سفر اللاويين لليهود أن الأرض الزراعية لاتباع أبدًا، وإن حصل واحتاج يهودى فباع من أرضه شيئًا يفكه أقرباؤه، وفى حالة العجز عن فك الأرض ينتظر حتى تأتى سنة اليوبيل فترجع إليه الأرض بغير فكاك:

«والأرض لا تباع بتة لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى، بل فى كل ملككم تجعلون فكاكًا للأرض، إذا افتقر أخوك فباع من ملكه يأتى وليه الأقرب إليه ويفك مبيع أخيه، ومن لم يكن له ولى فإن نالت يده ووجد مقدار فكاكه يحسب سنى بيعه ويرد الفاضل للإنسان الذى باع له فيرجع إلى ملكه، وإن لم تنل يده كفاية ليرد له يكون مبيعه فى يد شاريه إلى سنة اليوبيل ثم يخرج فى اليوبيل فيرجع إلى ملكه»[٢] .

ويخص السفر حقول اللاويين (سبط الكهنة) بشيء من التأكيد على أنها لاتباع، فيقول: **«وأما حقول المسارح لمدنهم فلا تباع لأنها ملك دهرى لهم»**[٣] .

ونلاحظ فى هذا الحكم:

أولاً: التناقض، إذ كيف يقرر أن الأرض لاتباع ويؤكد الحكم بكلمة (بتة) وهى من ألفاظ العموم والإطلاق، ثم يأتى بعد ذلك فيقرر أنه فى حالة الافتقار يجوز بيع الأرض؟

فإن قيل: بأن الحكم فيه استثناء، قلنا ألفاظ الاستثناء معروفة، وليس فى السياق واحدٌ منها، وبهذا يثبت أنه تناقض.

ومما يؤكد أن الحكم ليس فيه استثناء أن بعض علماء اليهود فسروا لفظ البيع فى قوله (فباع من ملكه) على أنه الرهن، لأنه يظل مرهونًا حتى يفكه أحد أقاربه أو تأتى عليه سنة اليوبيل[٤] .

وهذا تفسير يأباه اللفظ تمامًا، وبهذا ينتفى القول بالاستثناء، وبحمل اللفظ على غير ما وضع له، ويبقى التناقض فى إصدار الحكم.

---

(١) اللاويين ٢٧ : ٢٠-٢١ .

(٢) اللاويين ٢٥ : ٢٣-٢٨ .

(٣) اللاويين ٢٥ : ٣٤ .

(٤) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٤٤ .

ثانيًا: هذا الحكم مما يتنافى مع حرية الإنسان وأهليته الكاملة للتصرف، فهو أشبه بمحجور عليه.

ثالثًا: إذا كان الغرض من هذا الحكم هو أن يحتفظ كل سبط بحقوله ومزارعه، فإن علماء اليهود قد ضيقوا على البائع (كالتأديب له) فلا يجوز له أن يستدين ليفك أرضه[١].

رابعًا: التأكيد على تحريم بيع حقول اللاويين بحكم خاص يدل على أن أمثال هذه الأحكام من وضع الكهنة زيادة في إضفاء القداسة على أملاكهم.

المطلب السابع: سبوت الأرض وإراحتها من الزرع:

يتحدث الإصحاح الخامس والعشرون من سفر اللاويين -في أوله- عن راحة الأرض، فيذكر أنه كان من شريعة اليهود بعد دخول الأرض المقدسة أن يزرعوا الأرض ست سنوات، ويريحوها في السنة السابعة: «**متى أتيتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم تسبت الأرض سبتًا للرب، ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك، وتجمع غلتها وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة سبتًا للرب، لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك**»[٢].

حتى ماينبت في الأرض في السنة السابعة من غير أن يزرعوه -كبقايا الحبوب التي تكون في الأرض- لا تحصد أيضًا: «**زريع حصيدك لاتحصد وعنب كرمك المحول لا تقطف، سنة عطلة تكون للأرض**»[٣].

ويرى علماء اليهود أن السنة السابعة تبدأ بعد عيد الفصح في السنة السادسة، بعد أن يكونوا قد انتهوا من جمع المحاصيل الزراعية، ويتركوا العمل في البساتين بعد عيد الخمسين[٤].

ويذكر الإصحاح -أيضًا- أن ما ينبت في الأرض في السنة السابعة يكون طعامًا مشتركًا بين الإنسان والحيوان: «**ويكون سبت الأرض لكم طعامًا، لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولمستوطنك النازل عندك ولبهائمك وللحيوان الذي في أرضك تكون كل غلتها طعامًا**»[٥].

---

(١) انظر: نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٤٤.
(٢) اللاويين ٢٥: ١-٤.
(٣) اللاويين ٢٥: ٥.
(٤) نجيب جرجس: السابق ص٣٣٧.
(٥) اللاويين ٢٥: ٦، ٧.

وهذا الحكم ينقض الذى قبله، فهذا يصرح بجواز الكل مما ينبت فى السنة السابعة من غير أن يزرعوه، بعكس الذى قبله حيث صرح بأن زريع الحصيد الذى سقط من غلال السنة السادسة ونبت فى السابعة لايؤكل.

وواضع سفر اللاويين صاحب حيطة كبيرة، فإنه توقع أن يسأل: ماذا يأكل بنو إسرائيل فى السنة السابعة إذا لم يزرعوا ولم يحصدوا؟

فجعل يحدثهم على لسان «يهوه» أنه يبارك لهم فى محصول السنة السادسة فتعطى ثلاثة أضعاف محصول السنة الواحدة، يقول كاتب السفر: «**وإذا قلتم ماذا نأكل فى السنة السابعة إن لم نزرع ولم نجمع غلتنا فإنى آمر ببركتى لكم فى السنة السادسة فتعطى غلة لثلاث سنين، فتزرعون السنة الثامنة، وتأكلون من الغلة العتيقة إلى السنة التاسعة**»[١].

ولاأظن أن طبيعة بنى إسرائيل -الذين لم يثقوا بربهم وموسى بين ظهرانيهم حين أنزل لهم المن والسلوى، ونهاهم عن تخزينه فخالفوا- يمكن أن تقبل هذا الحكم أو أن تثق فى وعد ربها أن يبارك لها فى محصول السنة السادسة!!!

هذا عن الراحة التى تكون كل سبع سنين، وهى كما ترى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفساد عقيدة اليهود فى الإله، إذ قالوا براحته فى سابع يوم -كما رأينا.

وهناك سبت يحصل كل تسعة وأربعين سنة ويكون هو فى السنة الخمسين وتسمى سنة اليوبيل[٢]، ولكن هذا السبت تتسع دائرة الأحكام المتعلقة به- ونفصل كل واحد منها فى موضعه- ونذكر هنا ما يتعلق بالزراعة، إذ يجب فى سنة اليوبيل الامتناع عن الزرع والحصاد، ورد الحقول التى كانت مبيعة أو مرهونة لأصحابها، يقول سفر اللاويين: «**يوبيلاً تكون لكم السنة الخمسون لاتزرعوا ولاتحصدوا زريعها ولاتقطفوا كرمها المحول، إنها يوبيل مقدسة تكون لكم من الحقل تأكلون غلتها فى سنة اليوبيل هذه ترجعون كل إلى ملكه**»[٣].

ونرى أن هذا الحكم لاقيمة له عند اليهود الآن فقد ألغوه من حياتهم الزراعية، والناظر إلى ما يصنع اليهود اليوم فى ظل تكنولوجيا الزراعة الحديثة، يجد أنهم ربما

---

(١) اللاويين ٢٥ : ٢٠-٢٢ .

(٢) اليوبيل: كلمة عبرية تشير إلى قرن الكبش أى بوق الشوفار، وتبدأ سنة اليوبيل من عاشر الشهر السابع الذى يكون فيه عيد الكفارة من السنة التاسعة والأربعين . انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٥ .

(٣) اللاويين ٢٥ : ١١-١٤ .

زرعوا الأرض ثلاث مرات فى العام لا أن يريحوها سنة كل سبع سنوات، وهذا يدلك على أنها تشريعات وضعية، ولذلك لما رأت إسرائيل أن مثل تلك الشرائع يعطل الإنتاج، نبذتها بكل حيلة عندما أرادت ان تحقق ذاتها فى المجال الدولى.

وقد اختلف علماء اليهود فى التمسك بهذا الحكم، فيرى جمهور الحاخامات أن هذا الحكم يرتبط بالوحدة الإقليمية التامة للدولة اليهودية على ضفتى الأردن، وأن مراعاة هذا القانون انتهت بنهاية الدولة اليهودية القديمة[١].

ويرى بعضهم صحة المبدأ التوراتى واستمرار فاعليته، ويلجأون إلى استخدام الحيل للتخلص من قيود هذا الحكم، ففى السنة السبتية التى وافقت عامى ١٨٨٨-١٨٨٩ للميلاد أصدر الحاخامات القائلون بهذا الرأى ببيع الأراضى اليهودية بيعًا صوريًا لغير اليهود فى السنة السبتية، أو تأجيرها لغير اليهود، أو استخدام الأيدى العاملة غير اليهودية خلال السنة السبتية[٢].

وبالفعل يتم بيع أرض إسرائيل كل ست سنوات إلى جندى درزى[٣] على أن يبيعها إلى الحكومة الإسرائيلية بعد انتهاء العام، وقد اعترض بعض الحاخامات على هذه الفتاوى بأن بيع الأرض نفسه محرم، فكان الرد أن بيعها بيعًا حقيقيًا أمر محرم أما البيع الصورى فليس بمحرم، ويحاول بعض اليهود التقليديين تنفيذ هذا الحكم، وذلك بالاحتيال على الدورة الزراعية، أو اقتراح استيراد الحبوب، ويساهم يهود الولايات المتحدة فى تمويل الاحتفال بالسنة السبتية عن طريق صندوق «شميطاه»[٤] بجمع التبرعات وإرسالها إلى الإسرائيليين الذين ينفذون التعاليم الدينية تنفيذًا حرفيًا[٥].

ويلاحظ أن اتجاهات العلمنة فى إسرائيل الآن تأخذ بالرأى القائل بانتهاء فاعلية هذا القانون بانتهاء الدولة العبرية القديمة.

وإذا أمكن القول ببطلان بعض أحكام التوراة وانتهائها، وجب القول ببطلانها كلها وانتهاء وقتها.

---

(١) انظر: التلمود والصهيونية ص٢٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) الدروز: طائفة باطنية تعيش فى سورية ولبنان وقد ظهروا فى نحو ٩٩٦م. فى أيام الحاكم بأمر الله، ولهم مخالفات عقدية، حتى إن الكثير يقرر أن ديانتهم ليس الإسلام. انظر: دائرة معارف البستانى ٧/ ٨٥، ٨٦.

(٤) شميطاه: كلمة عبرية معناها تبوير الأرض لإراحتها. موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٥.

(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٢٧٦.

المطلب الثامن : موقف الإسلام من تشريعات سفر اللاويين الواردة بشأن الزراعة :

الحق أن الإسلام يطرق كل مجالات الحياة ، ولكن هدفه من ذلك أن يجعل مقصود العباد من وراء كل شيء هو الله تبارك وتعالى .

فيوضح أن الله سبحانه وتعالى هو الذى هيأ الأرض للإنبات والإنتاج ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (١) . ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢) . والماء أنزله من السماء وأجراه أنهارًا ليخرج به النبات ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ (٣) .

بل يأمر الإنسان بالنظر وإعمال الفكر فى الزرع كآية دالة على قدرة الخالق قال سبحانه وتعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (٤) .

ومثل هذا الحديث ليس فقط عرضًا لقدرة الخالق سبحانه وتعالى لكنه ينطوى على إرشاد الناس إلى أساليب الزراعة ، فصب الماء هو رى الأرض ، وشقها هو حرثها وتسويتها بعد وضع الحب فيها .

كذلك يخبر القرآن فى حديثه عن الزراعة ، أن الله تعالى هو الزارع الأوحد قال سبحانه وتعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٥) .

إنها تشريعات وأحكام ، وفى ذات الوقت مناهج تربوية تؤهل النفوس على قبول تلك الأحكام والإذعان ، لذلك أمر المسلم أن ينسب الحرث إلى نفسه والزرع إلى ربه : «**لايقل أحدكم زرعت وليقل حرثت**»(٦) .

وهذا المنهج افتقده سفر اللاويين فى حديثه عن الزراعة ، فلم تتأدب النفوس على

---

(١) سورة نوح الآيتان (١٩ ، ٢٠) .
(٢) سورة الرحمن الآيات (١٠-١٣) .
(٣) سورة الأنعام الآية (٩٩) .
(٤) سورة عبس الآيات (٢٤-٣١) .
(٥) سورة الواقعة الآيات (٦٣-٦٥) .
(٦) البيهقى : السنن الكبرى : ك الزراعة ، باب مايستحب من حفظ المنطق فى الزرع ٦/ ١٣٨ .

قبول أحكامه، فطرحتها أخيرًا.

وهذا موقف الإسلام العام من الزراعة فى إيجاز.

أما موقفه من التشريعات التى فى سفر اللاويين، فمسألة تحريم زراعة صنفين فى حقل واحد، نجد أن الإسلام لايمنعها بل يجعلها آية دالة على قدرة الله تعالى فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

وانظر كيف فهم المسلمون هذا السياق البديع، يقول الطبرى -رحمه الله-: «إن فى مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها دليلاً واضحًا على أن الذى خالف بينها على هذا النحو هو المخالف بين خلقه فيما قسم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان، فوفق هذا وخذل هذا، وهدى ذا وأضل، ولو شاء لسوى بين جميعهم، كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التى تشرب شربًا واحدا.. وهى متفاضلة فى الأكل»[٢].

وقال العلامة أبو السعود[٣]: «إن من عقل هذه الأحوال العجيبة لايتلعثم فى الجزم بأن من قدر على إبداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الأشكال والألوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبدأه، بل هى أهون فى القياس»[٤].

أرأيت كيف كان الله واليوم الآخر من وراء الحديث عن الأصناف المختلفة فى حقل واحد؟

وأما الحكم بمنع الأكل من ثمار الأشجار فى السنوات الأربع الأولى، فإن الإسلام لا تصادم تشريعاته الفطرة، فهو يبنى تشريعاته على أن الإنسان مفطور على التعجل لجنى ثمار غرسه، فكله تطلع وترقب لهذا اليوم منذ أن يغرس غرسه، فهو لايمنع شيئًا من هذا بل يقول لمن تحدثوا وسألوا عن تأبيد النخل: «أنتم أخبر بشئون دنياكم»[٥].

---

(١) سورة الرعد الآية (٤). (٢) الطبرى: جامع البيان ١٣/ ٦٨.

(٣) أبو السعود: هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى الحنفى فقيه أصولى مفسر عالم باللغات التركية والفارسية توفى عام ٩٨٢هـ، انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٩٨ ط/ دار إحياء التراث العربى - بيروت.

(٤) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ٩٨.

(٥) القاضى عياض: الشفا بحقوق المصطفى ٢/ ٤١٧ دار الفكر -بيروت.

وفى مسألة زوايا الحقل، يقف موقفًا حضاريًا فيأمر أن يجمع الفلاح حرثه ويوصل للمستحقين حقوقهم، ويعلم أتباعه أن الفلاح لايزرع لنفسه وحده بل: **«مامن مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير ولا إنسان إلا كان له به صدقة»**[1]. ويغرس ولايهمه أن يجنى هو أو يجنى من بعده، ويروى الإمام أحمد **«أن رجلاً مر بأبى الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس جوزة فقال: أتغرس هذا وأنت رجل كبير، وهذه لاتثمر إلا فى كذا وكذا...؟ فقال أبو الدرداء ماعلى أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى؟»**[2]

وكذلك فى مسألتى بيع الأراضى الزراعية، وإراحتها من الزرع، ترك الإسلام تلك الأمور لتقدير الناس لضرورات حياتهم، فمن اضطر لبيع أرضه لدين لحق به أو لتحقيق ماهو أفضل فلا بأس، ومن رأى أن يريح أرضه فصلاً من فصول السنة الزراعية فلا حرج، ولكن لايرتبط ذلك بسنة سابعة ولاثامنة.

ونجد فى الفقه الإسلامى مايسمى بالتحجير وهو ترك الأرض بلا عمارة وقد نظمه فقهاء الإسلام فجعلوا أن ترك الأرض بلا عمارة لمدة ثلاث سنوات يسقط حقه فى الأرض[3].

وهذا يدل على الفرق الواضح بين تشريعات الإسلام واليهودية، فالإسلام يعطى من التشريعات مايرفع قدر الإنسان كمخلوق له حرية التصرف وأهليته الكاملة، وأما تشريعات اليهودية فجعلت الشعب كله أشبه بمجانين يجوز الحجر عليهم تحت وصاية الكهنة أو الحاخامات.

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر ٦٠١٢ ك الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٥٣١ .

(٢) انظر: د/ يوسف القرضاوى الحلال والحرام في الإسلام ص ١١٥ .

(٣) د/ أمين عبد المعبود زغلول: المال واستثماره فى ميزان الشريعة الإسلامية ص١٩٧ مطبعة الأمانة - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٦ .

المبحث الخامس

تشريعات تتعلق بالبيع والشراء والرق والعتق والإجارة فى سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : البيع والشراء .

ويشمل على أربعة نقاط :

١- حاجة الناس للبيع والشراء .

٢- لمحة تاريخية عن دور اليهود فى التجارة عالميًا .

٣- أبعاد التجارة اليهودية .

٤- الأحكام والتشريعات بشأن البيع والشراء :

أ- السفر ينهى عن الغبن والغش .

ب- حكم الربا فى سفر اللاويين .

جـ- المكاييل والموازين والمقاييس فى سفر اللاويين .

د- بيع الأرض والبيوت فى سفر اللاويين .

المطلب الثانى : الرق فى سفر اللاويين -وفيه ثلاثة نقاط :

أولاً : رق اليهودى مؤقت ورق غيره مؤبد .

ثانيًا : حكمة الشريعة اليهودية فى استرقاق غير اليهود .

ثالثًا : اليهود وتجارة الرقيق الأبيض .

المطلب الثالث : الإجارة فى سفر اللاويين .

المطلب الرابع : موقف الإسلام من تلك التشريعات .

المبحث الخامس

تشريعات تتعلق بالبيع والشراء والرق والإجارة في سفر اللاويين وموقف الإسلام من ذلك

المطلب الأول: البيع والشراء.

إن التشريعات التى تنظم أمور البيع والشراء من أهم الشرائع، وسنتناوله فى عدة نقاط:

١- حاجة الناس للبيع والشراء:

لقد كان من سنة الله تعالى فيمن خلق من البشر، أن يحتاج بعضهم إلى بعض، وذلك ليحدث الانسجام بينهم، ولم يوجد إنسان على الأرض ملك كل مايحتاج إليه، بل يملك هذا بعض ما يحتاج إليه الآخرون، ويحتاج إلى بعض مايستغنى عنه الآخرون، فقد يملك الإنسان من المال قناطير مقنطرة، ولكنه لايزرع طعامه، ولايصنع لباسه، وقد يملك الآخر زرعًا وضرعًا ولايملك مالاً، فألهم الله سبحانه وتعالى الناس أن يتبادلوا السلع والمنافع بالبيع والشراء، لتستقيم حركة الحياة، فى صورة الجماعة البشرية التى خلقت للعبادة.

ولكن لو ترك الناس وشأنهم ينظمون حركة التبادل لطغت الغرائز القبيحة من طمع وجشع وحب للمال، ولحرم الناس الوئام، ولساد اللئام، وضاع الأيتام، ولأصبحت همجية بشر، وفوضى حياة.

من أجل هذا كله جاءت تشريعات السماء، لتقول هذا حلال وهذا حرام، فحرمت ألوان التبادل التى فيها احتكار أو غبن، أو تطفيف أو بخس، وقد كان هذا فى شرعة كل نبى، حتى إن القرآن الكريم يقص لنا تحذير بعض الأنبياء لأقوامهم من التلاعب فى تبادل المنافع، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ﴾ (١).

(١) سورة الأعراف الآية (٨٥).

وجاء خاتم النبيين ﷺ ليحذر من وجدهم من أخبث الناس كيلاً ووزنًا ويذكرهم باليوم الآخر: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[1].

ولكن اليهود برغم أنهم داخلون فى هذا التحذير -لم يفهموا الحكمة مما استن الله لعباده من شرائع تنظم أمور التبادل فيما بينهم، فأفسدوا فى الأرض تطفيفًا وبخسًا وغشًا واحتكارًا للسلع والأقوات، ولعل لمحة عن تاريخ اليهود فى التجارة عالميًا يزيد الأمر وضوحًا.

٢- لمحة تاريخية عن دور اليهود فى التجارة عالميًا:

من لطيف الملاحظة أن سفر اللاويين -وسائر أسفار موسى- قد خلا من الإشارة إلى التجارة باعتبارها نشاطًا اقتصاديًا هامًا، بينما أكثر من الإشارة إلى الزراعة، وهذا يدل على طبيعة اليهود الرعوية.

ولكن مع نهاية الأسر البابلى كان اليهود قد ذابوا فى المجتمع الذى أسروا إليه وتعلموا أسرار التجارة، حتى جاء القرن الخامس الميلادى كانوا قد أصبحوا تجارًا دوليين، فاحتكروا معظم التجارات الدولية، وخصوصًا السلع الترفية والذهب والفضة والمنسوجات والرقيق، ولهذا أصبح اليهودى المتجول معروفًا فى كل بلد وسوق يذهب إليه، وكان بعض الدول التى تريد إنعاش حركة التجارة فيها ترسل فى طلب بعض اليهود وتوطنهم لكى يقوموا بدور الوسيط، وينشطوا حركة التجارة التى يعجز المجتمع الزراعى بتنظيمه عن القيام بها[2].

وقد كان ينص فى بعض المعاهدات -أحيانًا- على تبادل اليهود، فقد اشترطت مدينة رافنا فى معاهدة عقدت مع البندقية فى أواخر العصور الوسطى أن ترسل المدينة الأخيرة بعض اليهود ليقوموا ببعض الأعمال المصرفية والتجارية فيها، كما كان الملوك يحاولون الحفاظ على اليهود ضمن اهتمامهم بالتجارة والحركة التجارية، وقد ارتبط أعضاء الجماعات اليهودية بالتجارة، لدرجة أن كلمة تاجر أصبحت مرادفة لكلمة يهودى تقريبًا[3].

---

(١) سورة المطففين الآيات (١-٦).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٣/ ٢٥٤.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية ٣/ ٢٥٥ بتصرف.

وفى نحو القرن السادس عشر الميلادى استطاع بعض التجار المسيحيين التفوق وإنشاء الرأسمالية الغربية، فضيقوا الخناق على التجارات اليهودية التى كانت قد خربت البلاد بالنظام الربوى[(١)].

وفى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى استطاعت مجموعات يهودية كبيرة بعد أن استقرت فى البرازيل أن تحقق ماأسموه بالتجارة الدولية اليهودية، وأصبحت عالمية بشكل لم يسبق له مثيل[(٢)].

ولقد حاول اليهود عبر التاريخ احتكار السلع، والإبقاء على أسرار المهن، وعدم إتاحة فرص للآخرين للحصول على المعلومات، ومن هنا كان الجيتو اليهودى يلعب دورًا خطيرًا فى هذا المسار، وقد كان مفهوم الاحتكار والاستعباد أساسًا فى تفكير الجماعة اليهودية، وقد علق «راشى»[(٣)] على عبارة «تاجر الشعوب»[(٤)] التى جاءت فى سفر حزقيال، وفسرها بأنها إشارة إلى قانون الاحتكار الذى كان يمنع بمقتضاه التجار الغرباء من الاتجار فى المدينة التى يقيمون فيها بصفة مؤقتة كوافدين غرباء، وقد كان من المحظور على الوسطاء والوكلاء اليهود أن يقوموا بتعريف رجل أعمال غير يهودى بآخر غير يهودى، أو أن يدلوا مستهلكًا غير يهودى على محل غير يهودى . . ويحظر -كذلك- إفشاء أسرار مهنة التجارة لغير اليهود[(٥)].

وكان للتجارة اليهودية دائمًا بعد سلبى مظلم، فقد كانت تجارة هامشية طفيلية تعيش على تخلف المجتمع . . وتتسلل دائمًا إلى الشقوق الناجمة عن التخلف، وإلى الأطراف التى تحف بها المخاطر، ولاتجد من يعمل فيها، ولذا نجد أن أعضاء الجماعات اليهودية اشتغلوا بتجارات مشينة أمثال تجارة الرقيق والمشروبات الكحولية والرقيق الأبيض (البغاء)[(٦)].

ومن هذه اللمحة التاريخية تتضح أبعاد التجارة عند اليهود، وهى كما يلى :

---

(١) انظر : أنور الجندى : المخططات التلمودية ص١٤١ .

(٢) انظر : موسوعة اليهود واليهودية ٣/ ٢٥٧ .

(٣) راشى : اسمه (شلومويصحق) ولد فى مدينة تروبز بفرنسا ١٠٤٠م تبحر فى علوم التوراة حتى صار صاحب مدرسة تنسب إليه فى الفكر اليهودى وخصوصًا فى التفسير . انظر : د/ أحمد عبد الرازق : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص٢٦٧ نقلاً عن Rahi and Lhechristiar scholar P ١٧ .

(٤) حزقيال ٢٧ : ٣ .

(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٤/ ٢٩٦ .

(٦) المرجع السابق ٣/ ٢٥٧ .

٣- أبعاد التجارة اليهودية :

١- ضرب اقتصاد الأغيار أو الجوييم .

٢- السيطرة على مقدرات الأمم وخيراتها .

٣- التركيز على تجارة الجنس والسكر لإفساد المجتمعات .

٤- التركيز على تجارة الحروب .

وهى كما ترى أبعاد واضحة وضوحًا ظاهرًا سواء فى النظام الرأسمالى الغربى، أو الاشتراكى الشرقى، فكلاهما من صنع اليهود[(١)] .

وعلى ضوء تلك الأبعاد نعرض الأحكام والتشريعات الواردة بشأن البيع والشراء فى سفر اللاويين .

٤- الأحكام والتشريعات بشأن البيع والشراء :

أ- السفر ينهى عن الغبن والغش :

جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين : «**فمتى بعت صاحبك مبيعًا أو اشتريت من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه . . . فلا يغبن أحدكم صاحبه بل اخش إلهك**»[(٢)] . ولو صح أن هذا حكم عام لكان شيئًا محمودًا، ولكن صاحبك هو اليهودى، وأما غير اليهودي فغشه قربة تقرب اليهودى من ربه «يهوه» .

ب- حكم الربا :

جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين : «**وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبًا أو مستوطنًا فيعيش معك، لاتأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش إلهك فيعيش أخوك معك، فضتك لاتعطه بالربا وطعامك لاتعط بالمرابحة**»[(٣)] .

وأخوه المشار إليه فى هذا النص هو اليهودى -أيضًا- وقد فسر علماء اليهود عبارة «**غريبًا أو مستوطنًا**، بقولهم : «**سواء كان يهوديًا فى الأصل أو من المتهودين المتغربين فى أرضك**»[(٤)] .

ومما يؤكد أن تحريم سفر اللاويين للربا إنما هو مقصور على اليهودى فقط : ماجاء فى سفر التثنية من التصريح بجواز أخذ الربا من غير اليهود : «**لاتقرض أخاك بربا ربا**

---

(١) انظر : أ/ أنور الجندى : المخططات التلمودية ص١٤٣ .

(٢) اللاويين ٢٥ : ١٤-١٨ . (٣) اللاويين ٢٥ : ٣٥-٣٨ .

(٤) انظر : أ/ نجيب جرجس : تفسير سفر اللاويين ص٣٤٨ .

فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما ممايقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لاتقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ماتمتد إليه يدك . .» [(١)]

وبناءً على تلك التشريعات أخذ اليهود يعملون بالربا الفاحش، حتى إنهم كانوا ربما كانوا

-بسبب الأموال التى يسلفونها للملوك والأمراء فى أوربا- يأخذون صكوكًا برهن مدن أو ولايات بأكملها، بسبب الفوائد المركبة[(٢)]، ولخبثهم كانوا يتوزعون فى بلاد مختلفة، يعملون بين أهلها بتلك المهنة الحقيرة، حتى أنه لاتذكر كلمة «ربا» إلا وذكر اليهودى، حتى أن كثيرًا من الكتابات تسميهم امبراطورية للربا[(٣)].

وتذكر أسفار التوراة أن اليهود فى عصور مختلفة كانوا قد خالفوا حتى الأحكام الخاصة باليهودى، فأخذوا الربا من اليهودى، حتى أن سفر نحميا يحكى لنا استغلال أثرياء اليهود لفقر إخوانهم العائدين من السبى البابلى، حتى جعل اليهود يصرخون ويقولون «**حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن راهنوها حتى نأخذ قمحًا فى الجوع**». فأغضب هذا الصراخ نحميا فجعل يبكت الأغنياء اليهود ويأمرهم بترك الربا مع إخوانهم[(٤)].

وثورة نحميا هذه ليست إلا عودة للحكم الخاص الذى يقول «**لاتقرض أخاك بربا**».

والعجب من النصارى الذين يعرفون أنهم لايشملهم هذا الحكم فيجوز أخذ الربا منهم ومع ذلك يؤمنون بتلك النصوص العنصرية، ويعتذرون عن إباحة التشريع اليهودى أخذ الربا من غير اليهودى بأنه كالعقاب لأصحاب العبادات الوثنية.

يقول: نجيب جرجس معتذرًا:

«**صرح لهم الوحى بأخذ الربا من غير اليهود . . استنكارًا لشناعة العبادة الوثنية، وإعلانًا لغضبه عليهم ورغبته فى معاقبتهم . .**» [(٥)].

كل هذا برغم مايشهد به واقع التاريخ على مقدار الذل الذى نالته النصرانية وشعوبها من ربا اليهود، حتى أن بعض الكنائس قد رُهنت فى ديون أخذها رجال الكنيسة، بل قد حول بعضها إلى معابد يهودية -فى مصر- بعد أن عجز القساوسة عن

---

(١) التثنية ٢٣: ١٩، ٢٠.

(٢) انظر: مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى ص١١٠.

(٣) انظر: أ/ أنور الجندى موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٤٨١ مطبعة التقدم -مصر.

(٤) انظر: سفر نحميا ٥: ١-١٣.

(٥) تفسير سفر اللاويين ص٣٤٨.

سداد الديون اليهودية التى تتراكم فوائدها الربوية يومًا بعد يوم[(١)] .

أفلا يكفيهم أنهم فى نظر اليهود فى عداد الوثنيين؟

ج- المكاييل والموازين والمقاييس فى سفر اللاويين :

إن تحديد المكاييل والموازين والمقاييس من مسائل الشريعة الهامة، لأنه يتعلق بها جزء كبير من نظام التعامل بين الناس، وذلك ليتسنى لهم البيع والشراء والمبادلة، فالإنسان بطبعه لايستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس، بل لابد أن يخالطهم، ويكيل ويزن ويقيس لهم ومنهم.

وما من شريعة إلا وقد تناولت مسألة الكيل والميزان، إن لم يكن بتحديد معايير ومقادير معينة، فبوضع قواعد يبنى الناس عليها مقادير الكيل والوزن والقياس.

وسفر اللاويين -باعتباره شريعة اليهود- قد تعرض للمكاييل والموازين والمقاييس.

فأما عن المكاييل: فقد ذكر السفر أربعة أنواع من المكاييل:

١- الإيفة: وقد ورد ذكر هذا المكيال فى الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين: «.. **إيفة حق...**»[(٢)] .

والإيفة مكيال تكال به الحبوب والغلات، ومقداره عشرة أعمار، وتسع الإيفة من السوائل نحو ٢٢,٩٦٢ من اللترات[(٣)] .

٢- عشر الإيفة: وقد ورد ذكر هذا المكيال فى الإصحاح الرابع والعشرين «**وتأخذ دقيقًا وتخبزه اثنى عشر قرصًا، عشرين يكون القرص الواحد**»[(٤)] .

وعشر الإيفة فهو من مكاييل الحبوب -أيضًا- وكان يسمى «**العمر**» حيث جاءت تلك التسمية فى سفر الخروج: «**وأما العمر فهو عشر الإيفة**»[(٥)] . وهذا يعنى أن «**العمر**» = ١/١٠ من الإيفة.

ويسع عشر الإيفة أو «**العمر**» نحو ٢,٢٩ من اللترات سائلاً[(٦)] .

---

(١) انظر: مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى ص١١١ .

(٢) اللاويين ١٩ : ٣٦ .

(٣) د/ صموئيل حبيب وآخرين: دائرة المعارف الكتابية ١/ ٥٦٥ ط دار الثقافة -القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

(٤) اللاويين ٢٤ : ٥ .

(٥) الخروج ١٦ : ٣٦ .

(٦) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٢٦، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٣ .

٣- الحومر: وقد ورد ذكر هذا المكيال فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين: «.. **يكون تقويمك على قدر بذاره، بذار حومر من الشعير**»[١].

والحومر اسم عبرى معناه حمل الحمار وهو مكيال من مكاييل الحبوب -أيضًا- يَسَعُ عشرَ إيفات[٢]، وعلى هذا يكون الحومر أكبر المكاييل عند اليهود، إذ عرفنا أن الإيفة الواحدة يعادل ملئها من السوائل ٢٢,٩٦٢ من اللترات.

٤- الهين: وقد ورد ذكره فى الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين: «.. **وهين حق...**»[٣].

والهين مكيال للسوائل يسع نحو خمس لترات تقريبًا[٤].

ويذكر سفر اللاويين أن «الهين» كانت له أجزاء مكاييل أصغر منه، فمنه ربع الهين، جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين: «... **وسكيبه ربع الهين من الخمر**»[٥].

وعلى هذا فربع الهين كان يساوى نحو ١,٢٥ لتر.

* وأما عن الموازين: فقد ذكر سفر اللاويين «الشاقل» على أنه وحدة الوزن: «.. **يأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه كبشًا صحيحًا من الغنم، بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس**»[٦]. و«.. **يكون تقويمك خمسين شاقل فضة على شاقل المقدس**»[٧].

وقد جاء فى دائرة المعارف الكتابية عن الشاقل مايلى:

«وكلمة «**شاقل**» العبرية معناها (ثقل) أى وزن، وتقابل كلمة (مثقال) فى العربية، وكان الشاقل هو وحدة الأوزان للمعادن عند الشعوب السامية قديمًا، ولم يكن هناك معيار ثابت للشاقل، بل إن قطع الأوزان الأثرية التى عثر عليها، والتى تحمل نفس الرموز، ليست متساوية فى الوزن، فقد كانت هناك أوزان خفيفة وأخرى ثقيلة، وأوزان عادية وأوزان ملكية ويقدر الشاقل فى أغلب المراجع مابين ١١,٣٠-١١,٤٧ من الجرامات، وللشاقل وحدة أصغر تسمى (الجيرة)، ويزن الشاقل عشرين جيرة، كما تذكر كسور الشاقل، فيذكر نصف الشاقل فى (الخروج ٣٠ : ١٣)، وثلث الشاقل

---

(١) اللاويين ٢٧ : ١٦ .

(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٨٨، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٣ .

(٣) اللاويين ١٩ : ٣٥ .

(٤) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٤٦ .

(٥) اللاويين ٢٣ : ١٣ .

(٦) اللاويين ٥ : ١٥ .

(٧) اللاويين ٢٧ : ٣ .

فى (نحميا ١٠ : ٣٢)، وربع الشاقل فى (صموئيل الأول ٩ : ٨) . . وهناك شواقل اكتشفت فى بيت مرسيم[١]، تدل على أن الشاقل كان يزن ١١,٤١ جرام، وقد اكتشفت -أيضًا- سبعة أحجار منقوش على كل منها أنها نصف شاقل، ويزن الواحد منها مابين ٥,٨-٥,٦٥ جم مما يجعل الشاقل يساوى ١٢,٠٨ جرام، ويبدو أن هذا الوزن كان أكبر من المعتاد.

وقد اكتشفت أوزان أخرى زادت من تعقيد موضوع تحديد وزن الشاقل، حيث يبدو أنه كانت هناك شواقل يزن متوسط الواحد منها نحو ثلاثة عشر جرامًا، ولعلها كانت تستخدم فى وزن أنواع معينة من البضائع، فقد وجد وزن يزن ٥١,٥٨ جرام منقوش عليه أنه أربعة شواقل، ممايعنى أن الشاقل كان يعادل ١٢,٨٩ جرام، كما وجد فى جازر[٢] وزن من خمسة شواقل يزن ٦٤,٤٧ جرام وهو تقريبًا ١٢,٨٩x٥ جرامًا، كما وجدت فى جازر ثلاثة أوزان أخرى غير منقوش عليها وزنها، ومتوسط وزن الواحد منها ٦٤,٨٣ جرامًا (أى ١٢,٩٦x٥ جم)، كما اكتشف فى مجدو[٣] وحدة موازين تزن ١٣,٤ جرام، وفى تل النشب[٤] اكتشف وزنان كل منهما ١٣,٣ جرام، وهكذا يتضح أنه لم يكن هناك معيار محدد لوزن الشاقل، وقد يرجع هذا الاختلاف فى أوزانه إلى عدة عوامل، فلعله كان هناك ميل لتخفيض وزن الشاقل بمرور الزمن، فكانت تصدر قرارات رسمية بتحديد قيمة جديدة له، كما يحتمل أنه كان هناك اختلاف بين الأوزان الرسمية وغير الرسمية، أو لعله كانت هناك أوزان مختلفة تستخدم لوزن الأنواع المختلفة من البضائع . . وبالإجمال يمكن القول إنه كانت هناك ثلاثة معايير للشاقل:

١- شاقل القدس، وكان يزن نحو عشرة جرامات.

٢- الشاقل العادى، وكان يزن ١١,٧ جرامًا.

---

(١) بيت مرسيم: اسم موضع فى سوريا ويسمى تل برسيب يرجع اسمه إلى دولة بنى أدينى الآرامية خضعت للحكم الآشورى عام ٨٥٨ ق . م انظر: المنجد ٢/ ١٩٠ .

(٢) جازر: مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة ق . م واسمها الحالى تل الجزر على بعد ١٨ ميلًا شمال غرب أورشليم . انظر قاموس الكتاب المقدس ٢٤٢ .

(٣) مجدو: مدينة لسبط منسى ضمن تخوم يساكر، كانت من مدن الكنعانية فتحها يشوع مع قراها، ومكانها الآن تل المتسلم على بعد عشرين ميلًا من حيفا . قاموس الكتاب المقدس ٨٤٠ .

(٤) تل النشب: اسم موضع فى فلسطين ولم أقف له على ترجمة .

٣- الشاقل الثقيل وكان يزن ثلاثة عشر جرامًا»[١] .

ونلاحظ على ماذكرته دائرة المعارف مايلى :

أولاً: أن شاقل القدس الذى ذكره سفر اللاويين كوحدة وزن يدل على غلط كبير فى التوراة، إذ أن المعروف أن بنى إسرائيل -كما يقولون هم- حين تسلموا التوراة من موسى لم يكونوا قد دخلوا القدس، ولا عرفوا الشاقل كوحدة وزن أو عملة لهم[٢] .

فإن قيل : هذا من التشريعات التى أمر بها موسى الجماعة بعد دخول القدس، قلنا : إن كل تشريع خاص بجماعة إسرائيل بعد دخول القدس إنما يسبق بعبارة : **«متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم»**[٣] ، **«ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة . . .»**[٤] ، **«متى جئتم إلى أرض كنعان التى أنا أعطيكم . . .»**[٥] .

وهذا يدل على أن سفر اللاويين كتب بعد موت موسى عليه السلام بزمن غير محدد، وعلى أيدى رجال مجهولين قطعًا، وأن هذه التشريعات ليست من عند الله تعالى .

ثانيًا: بعد أن دخل بنو إسرائيل القدس، وعرفوا الشاقل واتخذوه وحدة وزن لهم، خالفوا الشريعة التى جاءت تأمرهم بعدم الجور أو التطفيف فى القياس أو الكيل والوزن : **«لاترتكبوا جورًا فى القضاء لافى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل»**[٦] .

ولعل مايسميه آباء التوراة -فى دائرة المعارف المشار إليها- (أوزان غير رسمية) يدلك على مقدار خبث اليهود فى الكيل والميزان، فالشواقل الثقيلة يزنون بها إذا اشتروا، والخفيفة يزنون بها إذا باعوا .

يقول الأستاذ/ نجيب جرجس :

«كان الغشاشون من التجار يحتفظون بمكاييل وموازين ومقاييس مغشوشة بعضها أكبر، وبعضها أصغر من مقاديرها المحددة لكى يستخدموا الكبير منها للشراء، والصغير للبيع . . . وبرغم أنه كانت توجد فى القدس نماذج صحيحة ومضبوطة للأوزان والمقاييس، إلا أن بنى إسرائيل قد وقعوا مرارًا فى الأمور التى حذرهم الله منها، فغشوا فى بيعهم وشرائهم غير

---

(١) د/ صموئيل حبيب وآخرين : دائرة المعارف الكتابية ٤/ ٤٩٠، ٤٩١ بإيجاز يسير .

(٢) انظر : د/ أحمد حجازى السقا : نقد التوراة ص٦٧ ط مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة ١٩٧٦م .

(٣) اللاويين ٢٥ : ٢ .

(٤) اللاويين ١٩ : ٢٣ .

(٥) اللاويين ١٤ : ٣٤ .

(٦) اللاويين ١٩ : ٣٥ .

مبالين بظلمهم للناس[١]، حتى وبخهم الرب على لسان عاموس النبى قائلاً: **«اسمعوا هذا أيها المتهمون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض قائلين: متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحًا والسبت لنعرض حنطة، لنصغر الإيفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش...»**[٢]

وليس هذا حال تجار الشعب اليهودى فقط بل والكهنة، ولانبالغ إن قلنا: إن الكهنة كانت لهم مكاييل وموازين كبيرة يستوفون بها عشور الغلال والأموال التى يزعمون أنها للرب، وليس لها مكان إلا بطونهم.

ولذلك يقول ول ديورانت عن تطفيف الكيل ومشاركة الكهنة فى ذلك: **«وظل التاجر يطفف الكيل ويغش فى الميزان، ثم يحاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة»**[٣] ويقول: **«إن الكهنة لم يكونوا يقلون فسادًا عن التجار، وإنهم كالشعب نفسه فى حاجة إلى أن تطهر أخلاقهم، أو تصاغ من جديد»**[٤].

اليهود يفسدون عملات الذهب فى إنجلترا:

وتاريخ اليهود مع الغش فى الكيل والميزان تاريخ طويل، فهم -دائمًا- كذبة غشاشون، ولعل الحديث عن سرقة الموازين وبخسها يذكرنا بما صنع اليهود بعملات إنجلترا الذهبية فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى حيث لم يكتفوا بالربا الفاحش - كما رأينا- بل دفعهم الجشع إلى الإلتجاء إلى حيلة شيطانية، فكانوا ينشرون أطراف العملات الذهبية بواسطة مناشير خاصة تتيح لهم الحصول على كميات من تراب الذهب ثم يعيدون تسليم العملة إلى المحتاجين من الأمراء والنبلاء وأعيان الإنجليز، الذين تدفعهم الحاجة إلى الاقتراض من اليهود، وتضطرهم الظروف إلى قبول العملة المنشورة، ولم يكتفوا بعملية نشر العملة بل انتقلوا إلى مرحلة أكبر من الإفساد، فكانوا يقصون العملات قصًا وبذلك تشوه الجنيه الإنجليزى وحصل اليهود كميات كبيرة من هذا المعدن الثمين، وتناول الشعب البريطانى هذه العملات على مضض رغم أنفه بسعر يقل عن ٢٠% إلى ٣٠% عن القيمة الحقيقية للعملة، وكان الناس يتذمرون ولايقولون شيئًا، لأن القانون الانجليزى والعدالة البريطانية كانت بجانب اليهود بسبب تدخل الأمراء والنبلاء الذين كانوا دائمًا فى حاجة إلى الذهب اليهودى،

---

(١) أ/ نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٢٤٦.
(٢) عاموس ٨: ٤، ٥.
(٣) قصة الحضارة ٢/ ٣٥٤.
(٤) قصة الحضارة ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠ بتصرف يسير.

وظلوا فى الإفساد حتى كانت نهاية القرن الثالث عشر الميلادى، خرج الشعب الإنجليزى ثائرًا على فعال اليهود، ففر اليهود مذعورين إلى بحر المانش(١) للهرب إلى شواطئ فرنسا، ولم تكن السفن البريطانية يومئذ تستوعب كل اليهود الفارين، وهنا خيل الوهم لأحد الحاخامات أنه ربما ظهرت على يديه معجزة موسى والعصا، فتطهر وصلى.. وقاد الشعب فى مغامرة خاسرة، وجعل يضرب البحر بعصاه، وخلفه تجرى آلاف اليهود، وكلهم ثقة وإيمان أن البحر سوف ينشق، وسيعبرون وسيغرق الانجليز، وعند ماوجدوا أن البحر قد ابتلع عددًا ضخمًا منهم، رجع الحاخام اليهودى يسب ويلعن لأن المعجزة لم تتم، فاستقبله بقية الشعب ففتكوا به، ونجا من نجا وهلك من هلك(٢).

ومن هنا يتضح صدق مقولة ول ديورانت السابقة: «.. **يطففون الكيل ويغشون فى الميزان ثم يحاولون التكفير بالتضحية والصلاة**» بل إنهم فى تلك المرة تمنوا معجزات الأنبياء برغم إفسادهم الذى لايخفى عليهم.

* أما عن المقاييس: فلم يرد فى سفر اللاويين تفصيل عنه، بل هو مجمل فى الاصحاح التاسع عشر: «**لاترتكبوا جورًا فى القضاء ولافى القياس...**»(٣).

ولكن إتمامًا للفائدة، نوضح أن أهم وحدات القياس التى عرفها اليهود، هى «**الذراع**» وتكرر ذكره كثيرًا فى الإصحاح السادس والعشرين من سفر الخروج الذى يحكى مواصفات المسكن ومقاساته. وهو يساوى ٦٧,٧٥ سنتيمتر للثياب، ٧٥,٨٠ سنتيمتر للأراضى والأبنية(٤).

وكان هناك مقياس أكبر اتخذه اليهود فى القدس اسمه «**الدونم**» وهو يساوى ١٦٠٠ ذراع مربع(٥).

وحتى وحدات القياس -أيضًا- لم تخل من خبث اليهود، فكثيرًا مايجورون على مدن وقرى وحقول بمقاييسهم الفاسدة.

---

(١) بحر المانش: هو بحر في أوربا بين فرنسا وإنجلترا يصل بين بحر الشمال والأطلس عرضه في أضيق نقطه ٣١كم، انظر المنجد ٢/ ٦٣١.

(٢) مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص١٣٨-١٤٢ بإيجاز.

(٣) اللاويين ١٩ : ٣٥.

(٤) أ/ عارف باشا العارف: تاريخ القدس ص٢٠٩ ط دار المعارف -مصر ١٩٥١.

(٥) انظر: السابق ص٢١٠.

د- بيع الأرض والبيوت :

لقد فلسف كاتبو الشريعة اليهودية القوانين الخاصة ببيع الأرض والبيوت فلسفة غريبة، توحى لناظرها أن القوم يحترمون ملكيات الآخرين، فالأرض عمومًا -سواء زراعية أو سكنية- «**لاتباع بته**»[(١)] .

أما البيوت وأراضيها فقد فرق بين ما إذا كان البيت فى مدينة لها أسوار، أو فى قرى بغير أسوار .

فإذا كان فى مدينة لها سور : فإن الشريعة اليهودية تقضى برد المبيع فى خلال سنة من تاريخ البيع ، فإذا لم يسترده البائع فى خلال السنة حكم به بيعًا أبديًا للمشترى ، ولايرجع حتى فى سنة اليوبيل .

يقول سفر اللاويين :

«**وإذا باع إنسان بيت سكن فى مدينة ذات سور فيكون فكاكه إلى تمام سنة بيعه، سنة يكون فكاكه، وإن لم يفك قبل أن تكمل له سنة تامة وجب البيت الذى فى المدينة ذات السور لشاريه فى أجياله، لايخرج فى اليوبيل**»[(٢)] .

وأما إذا كان البيت فى القرى التى ليس لها سور حولها فيأخذ نفس حكم الأرض الزراعية، يعنى أنه يسترد فى أى وقت يقدر البائع فيه على الاسترداد بمال، فإذا عجز البائع عن الاسترداد بمال فإنه يرجع إليه البيت المبيع فى سنة اليوبيل بغير مال .

يقول سفر اللاويين :

«**لكن بيوت القرى التى ليس لها سور حولها فمع حقول الأرض تحسب، يكون لها فكاك وفى اليوبيل تخرج**»[(٣)] .

وأما بيوت اللاويين (رجال الدين) فهى ملك أبدى لهم، فإذا بيع منها شئ فلابد من فكها وردها لصاحبها اللاوى فى الحال، وإن لم تفك فلابد من ردها فى سنة اليوبيل .

جاء فى سفر اللاويين :

«**وأما مدن اللاويين بيوت مدن ملكهم، فيكون لها فكاك مؤبد للاويين والذى يفكه من اللاويين المبيع من بيت أو من مدينة ملكه يخرج فى اليوبيل لأن بيوت مدن اللاويين هى ملكهم فى وسط بنى إسرائيل**»[(٤)] .

---

(١) اللاويين ٢٥ : ٢٣ .
(٢) اللاويين ٢٥ : ٢٩-٣٠ .
(٣) اللاويين ٢٥ : ٣١ .
(٤) اللاويين ٢٥ : ٣٢-٣٣ .

والمشرع اليهودي قد بنى هذه الأحكام على أساس أن الأرض ملك لله وأن الإنسان ضيف عند الرب الذي أعطاه الأرض: **«لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي»**(١).

ولكن مع ذلك فإن المشرع اليهودي الذي يحرم بيع الأرض بالمبالغ المالية، يجيز السطو على أراضٍ ومدن بأكملها والاستيلاء عليها، وتذبيح أهلها بحد السيف، جاء في سفر التثنية:

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك»(٢).

وأساس ملك الأرض عندهم ليس البيع والشراء، بل وطء الأرض بأقدامهم المقدسة: **«كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته»**(٣).

المطلب الثاني: الرق في سفر اللاويين:

وإن ممايتعلق بالبيع والشراء بيع الرقيق، ولايخفى أن أصل الفطرة الإنسانية قائم على أن الإنسان حر لايباع ولايشترى بيع البهائم والسلع، نعم قد يسخر بعض الناس لبعض، ولكن دون أن تملك رقابهم.

ولقد جاءت شرائع السماء لتقوم عوج الناس في تعديهم على حريات الآخرين، ولكن طبيعة اليهود القائمة على حب السيطرة جعلتهم يحرفون التشريع السماوي بحيث يخدم أغراضهم الدنيئة، وفي هذا المطلب نقاط:

أولاً: رق اليهودي مؤقت ورق غيره مؤبد:

فاليهودي جنس ممتاز -كما يزعمون- لايسترق ولايستعبد، وإن حصل ووقع في آصار الرق فلا يعامل معاملة العبيد، بل يخدم كالأجير، ويكون رقه مؤقتًا، فيخرج ويصبح حرًا بعد ست سنوات أو في سنة اليوبيل أيهما أقرب: **«وإذا افتقر أخوك عندك**

---

(١) اللاويين ٢٥ : ٢٣ .
(٢) التثنية ٢٠ : ١٠-١٤ .
(٣) يشوع ١ : ٣ .

وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد كأجير نزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته وإلى ملك آبائه يرجع . .»[١] .

وقد نص سفر الخروج على مدة الرق بالنسبة لليهودى، وحددها بست سنين، جاء فيه : «**إذا اشتريت عبدًا عبرانيًا فست سنين يخدم وفى السنة السابعة يخرج حرًا مجانًا**»[٢] .

وتفيض الشريعة اليهودية فى الإحسان للرقيق اليهودى، فتذكر أنه عند مايخرج حرًا لايخرج فارغ اليدين، بل يزوده سيده بشئ مماعنده : «**إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففى السنة السابعة تطلقه حرًا من عندك، وحين تطلقه حرًا من عندك لاتطلقه فارغًا تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك . .**»[٣]

هذا كله فى حالة استرقاق اليهودى عند أخيه اليهودى .

أما إذا استرق اليهودى لغير اليهودى، فلابد أن يفك من الرق مهما كان الأمر، فيخلصه أحد إخوته أو عمه أو ابن عمه أو أحد أقربائه من عشيرته، وإن لم يفكه هؤلاء، يفك فى سنة اليوبيل، كما نصت الشريعة اليهودية على وصاية اليهود بألا يسمحوا لغير اليهودى أن يعامل الأرقاء اليهود بعنف جاء فى سفر اللاويين :

«**وإذا طالت يد غريب أو نزيل عندك وافتقر أخوك عنده وبيع للغريب المستوطن أو لنسل عشيرة الغريب، فبعد بيعه يكون له فكاك، يفكه واحد من إخوته أو يفكه عمه أو ابن عمه، أو يفكه واحد من أقرباء جسده من عشيرته أو إذا نالت يده يفك نفسه فيحاسب شاريه من سنة بيعه له إلى سنة اليوبيل ويكون ثمن بيعه حسب عدد السنين . . . . لايتسلط عليه بعنف أمام عينيك، وإن لم يفك بهؤلاء يخرج فى سنة اليوبيل هو وبنوه معه**»[٤] .

وقد سمحت كذلك بهروب الرقيق اليهودى من سيده غير اليهودى، ونصت على عدم وجوب تسليمه : «**عبد أبق إليك من مولاه لاتسلم إلى مولاه، عندك يقيم فى وسطك، فى المكان الذى يختاره فى أحد أبوابك حيث يطيب له، لاتظلمه**»[٥] .

وهذا بالطبع العبد العبرانى ! ! ! !

أما الاسترقاق بلا قيود ولاحدود فهو للشعوب غير اليهودية، ويكون رقًا دائمًا يرثونهم فى أجيالهم، يقول سفر اللاويين :

---

(١) اللاويين ٢٥ : ٣٩-٤١ .
(٢) الخروج ٢١ : ٢ .
(٣) التثنية ١٥ : ١٢-١٤ .
(٤) اللاويين ٢٥ : ٤٧-٥٤ .
(٥) التثنية ٢٣ : ١٥-١٦ .

«وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدًا وإماءًا، وأيضًا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكًا لكم، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر . . .» [(١)] .

ثانيًا: حكمة الشريعة اليهودية فى استرقاق غير اليهود:

دائمًا وأبدًا نجد الشريعة اليهودية فى أحكامها الجائرة، تعللها بتعليل يفهم منه أن الرب يعاقب ويحاسب الأمم، ولكنه يفوض شعبه اليهود لتلك المحاسبة.

وفى حكمة الشريعة اليهودية فى إباحة استرقاق غير اليهود إلى الأبد، يقول الأستاذ/ نجيب جرجس:

«الله فى سماحه لشعبه أن يتخذوا عبيدًا وإماءًا من الشعوب الوثنية البعيدة عنه يقصد بحكمته . . أن يكون هذا استنكار لعبادة الأصنام والبعد عن الله وعمل الشر . . ويبين الفرق العظيم بين الشعب الذى يعبده ويحبه وبين الشعوب التى سلمت نفسها للشيطان، لكى يقفوا على الفرق بين الخير والشر»[(٢)] .

ثالثًا: اليهود وتجارة الرقيق الأبيض:

إن مما يتعلق بمسألة الرق عند اليهود مسألة تجارة الرقيق الأبيض أو البغاء أو تجارة الجنس .

والبغى هى: من تقوم بإشباع الرغبات الجنسية لعملائها نظير أجر تتقاضاه، ولذا يرى بعض الدارسين أن البغاء نشاط اقتصادى وحسب وكلمة «بغاء» تقابلها فى العبرية كلمة «زينون»[(٣)] .

ولم يرد فى سفر اللاويين ماينص على تحريم البغاء، وإنما ورد مايحرم على الإسرائيليين أن يعرضوا بناتهم للزنى: **«لاتدنس ابنتك بتعريضها للزنى لئلا تزنى الأرض وتمتلئ رذيلة»**[(٤)] وورد تحريم البغاء على الكهنة **« . . . امرأة زانية أو مدنسة لايأخذوا»**[(٥)] . وهذه تحريمات غير عامة إنما مقصورة على أفراد معينين وتحت ظروف

---

(١) اللاويين ٢٥ : ٤٤ - ٤٦ .
(٢) نجيب جرجس: تفسير سفر اللاويين ص٣٥١ بإيجاز .
(٣) انظر د/ عبد الوهاب المسيرى: اليد الخفية ص١٧٢ .
(٤) اللاويين ١٩ : ٢٩ .
(٥) اللاويين ٢١ : ٧ .

معينة، أما الرقيق فلم يعترض السفر على عملهن بالبغاء.

بل إن العهد القديم ليزخر بالنصوص التى تدل على أن البغى كانت شخصية مقبولة فى المجتمع العبرانى، ففى سفر التكوين «**أن يهوذا عاشر عاهرة نظير أجر، وكانت العاهرة كما اتضح فيما بعد زوجة ابنه وأنجب منها طفلين**[١]»، وليس فى السياق مايدل على رفض الأمر أخلاقيًا.

كما يذكر سفر يشوع قصة العاهرة «راحاب» التى أعانت العبرانيين على دخول أريحا[٢]، وفى سفر القضاة: زار شمشون عاهرة فى غزة[٣]، بل إن استير صاحبة السفر المعروف كانت هى الأخرى عاهرة، كما أن العهد القديم يشير إلى أن واحدًا من كبار الأنبياء قد استفاد ماليًا من العلاقة الجنسية لزوجته بفرعون مصر[٤].

وكل هذه النماذج تشير إلى أن مهنة البغاء أو الرقيق الأبيض كانت مهنة طبيعية، وتشكل بقدر كبير جزءًا من البناء الأخلاقى والاجتماعى.

وفى العصر الحديث عمل عدد كبير من اليهود فى تجارة الرقيق الأبيض قوادين وعاهرات، وأصبحت منطقة الاستيطان فى روسيا أهم مصدر للعاهرات فى العالم بأسره، وامتدت شبكة الرقيق الأبيض اليهودية من شرق أوربا إلى وسطها وغربها، فكانت هناك مراكز فى جنوب أفريقيا ومصر والهند وسنغافورة والصين، وتحولت قطاعات فى الجماعات اليهودية إلى جماعات تعمل بالبغاء وينظرون إليه بإعتباره مصدرًا مشروعًا للرزق[٥].

أما فى إسرائيل فإن الصورة مختلفة إلى حد كبير، فيلاحظ زيادة البغاء بشكل واضح حتى بين طالبات المدارس والفتيات القاصرات، بل إن إسرائيل تصدر العاهرات أيضًا إلى دول العالم الغربى... وقد صدر مؤخرًا فى إسرائيل قانون يبيح البغاء، وبحسب مشروع القانون المذكور يسمح للمرأة غير المتزوجة بممارسة البغاء فى بيت أو فندق أو سيارة أو قارب، كما يسمح لها بنشر الإعلانات المعقولة، وعلى كل فإن الصحافة الإسرائيلية كانت زاخرة بمثل هذه الإعلانات حتى قبل صدور القانون[٦].

---

(١) انظر التكوين ٣٨ : ١٤-١٩ .
(٢) انظر يشوع ٢ : ١ .
(٣) انظر القضاة ١/١٦ .
(٤) انظر التكوين ١٢ : ١٤-٢٠ .
(٥) اليد الخفية ص١٧٣ بتصرف .
(٦) المرجع السابق ص١٧٧ بتصرف .

وهكذا باسم الشريعة تهدر الكرامة الإنسانية، وتسرق الحريات الآدمية، ويعاث فى الأرض فسادًا، وتصبح المرأة (البغى) أمة لأكثر من سيد، إنها أمة الأحضان، وجارية الدولار والشيكل!!!

المطلب الثالث: الإجارة فى سفر اللاويين:

خلق الله سبحانه وتعالى الناس ووزع عليهم النعم، فمنهم من أعطى قوة فى بدنه، ومنهم أعطى مالاً وفيرًا، ومنهم من أعطى عقلاً ذكيًا ومواهب، ومنهم من أعطى ولدًا، ومنهم من أعطى سلطانًا، وماذاك من الله سبحانه وتعالى إلا لحكمة عظيمة: أن يحتاج كل واحد من هؤلاء لشئ فيجده عند أخيه، فيحتاج صاحب المال إلى قوة وصاحب القوة إلى المال، فيحدث تبادل المنافع ومن أجل هذا شرعت الإجارة لعمارة الكون، عمارة يشعر فيها كل إنسان بآدميته إذا مانظمت وفق سنن الله فى الكون.

وقد أقرت كل الشرائع الإجارة، وتفاوتت مدتها، فقد تكون يومًا أو أيامًا أو سنة أو سنين، وتعرف على أنها الأجرة على العمل[١]، وهذا يعنى أنه ليس فيها امتلاك لعين العامل.

وقد تعرض سفر اللاويين فى تشريعاته للإجارة فى صورة باهتة تتمثل فى موضعين:

الأول: الحث على إعطاء أجرة الأجير:

جاء فى الإصحاح التاسع عشر: «**ولاتبت أجرة أجير عندك إلى الغد**»[٢]. ويوضح هذا النص ماجاء فى سفر التثنية يشير إلى أن وفاء الأجرة لابد أن يكون قبل غروب الشمس: «**لاتظلم أجيرًا مسكينًا وفقيرًا من إخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك فى يومه تعطيه أجرته ولاتغرب عليها الشمس لأنه فقير وإليها حامل نفسه لئلا يصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطية**»[٣].

الثانى: يحرم على الأجير الأكل من أقداس بنى إسرائيل:

---

(١) انظر: الجرجانى: كتاب التعريفات ص١٠ ط دار الكتب العلمية -بيروت- ١٩٨٣.
(٢) اللاويين ١٩ : ١٣. (٣) التثنية ٢٤ : ١٤-١٥.

جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين: «**وكل أجنبى لايأكل قدسًا نزيل كاهن وأجيره لايأكل قدسًا**»[١].

وهذه التشريعات غير كافية لتنظيم الإجارة، أو حفظ حقوق الأجراء والعاملين، أضف إلى هذا أنه إذا نظر المشرع اليهودى للأجير غير اليهودى على أنه نجس لو أكل من الأقداس لنجسها، أفليس من باب أولى أن كل ما يصدر عنه من عمل يكون نجسًا؟

المطلب الرابع: موقف الإسلام من تلك التشريعات:

إن الإسلام أصلح المناهج لإعمار الكون على الإطلاق، ذاك أنه منهج يجمع بين حاجة الروح وحاجة البدن فى إطار واحد منظم.

وحين خلق الله العباد، وعرفهم الغاية من خلقهم، أمرهم بالسعى فى فجاج الأرض لإعمارها، ولكن هذا السعى مشفوع بالتذكير بالآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٢].

أى فسافروا حيث شئتم فى أرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات[٣]، بيعًا وشراء وإجارة... وغير ذلك.

ثم جعل هذا المنهج القويم ينظم أصول هذا السعى، فبين مايحل فيه ومايحرم، فأحل البيع والشراء ليحصل التبادل بين الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[٤].

وجعل التجارة أصلاً عظيمًا فى حل أكل الأموال، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٥] فنهى عن كل وسيلة لأكل الأموال، كالربا والقمار والسرقة والغصب والاختلاس، وأباح المتاجرة المشروعة عن طريق البيع والشراء.

وحين أحل البيع وضع مجموعة من الضوابط، تضمن بقاءه على حله، ويأمن الناس على أموالهم، وهى كمايلى:

١- حرم الربا:

وبالغ فى فطم الناس عنه، تارة ببيان أنه مهما ظهر فى الربا من الكسب الزائد إلا

---

(١) اللاويين ٢٢ : ١٠.
(٢) سورة الملك الآية (١٥).
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٨/ ٩٥ بتصرف يسير.
(٤) سورة البقرة الآية (٢٧٥).
(٥) سورة النساء الآية (٢٩).

أنها خسارة فادحة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (١).

وتارة ببيان أن الذى يأكل الأموال بمثل ذلك الطريق قد أعلن الحرب على الله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (٢).

ومن هذا نرى أن الإسلام اعتبر الربا منكرًا عظيم الإثم لأنه ظلم واستغلال وإضرار بالناس فى مصالحهم كما أنه زيادة فى الكسب بدون جهد، له غنم بدون تحمل الغرم، إلى جانب أنه يؤدى إلى تضخم رؤس الأموال عند طائفة من القاعدين الذين يخلدون إلى البطالة والكسل، ويلجأون إليه كوسيلة إلى تنمية أموالهم، يأخذه المرابون الأغنياء من الفقراء المعوزين بغير حق ولاجهد، وبهذا يفقر المجتمع وتهدم أركانه(٣).

كما أن الإسلام نظر إلى الربا على أنه يطبع الناس بطابع الأنانية والأثرة وعبادة المال، ويمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب مما يقضى إلى انقطاع الصلة والمروءة مع الإضرار بمصالح الخلق بترك التجارات والحرف والصناعات، بينما الإسلام يقيم العلاقات الاجتماعية على أساس المعروف والتعاون، ويربى الناس على التراحم والتعاطف، سيما عند شدة الحاجة(٤).

وحين حرم الربا -أيضًا- حرم كل الأسباب الموصلة إليه ولو كتابة أو شهادة، فقال رسول الله ﷺ: **«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه»**(٥).

وحرمه كذلك على المسلم وغير المسلم، وهذا بخلاف ماصنعت اليهودية فلم تحرم أخذ الربا إلا من اليهودى، وإباحته مع غيره، بل وجعلته سببًا لحلول البركة عليه.

٢- حرم بيع المحرمات:

فكل مايتخذ لمعصية حظرها الإسلام، أو يكون الانتفاع المقصود به عند الناس

(١) سورة الروم الآية (٣٩).
(٢) سورة البقرة الآيات (٢٧٨-٢٧٩).
(٣) انظر: د/ أمين عبد المعبود زغلول: المال واستثماره فى ميزان الشريعة الاسلامية ص١٩٩ مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٩٨٦.
(٤) المرجع السابق ص٢٠٣.
(٥) الإمام أحمد: المسند ١/ ٣٩٣.

نوعًا من المعصية فبيعه والاتجار فيه حرام، كالخنزير والميتة والخمر والأطعمة والأشربة المحرمة بعامة، والأصنام، والصلبان والتماثيل ونحوها، ذلك أن فى إجازة بيعها والاتجار فيها تنويهًا بتلك المعاصى، وحملاً للناس عليها، أو تسهيلاً لهم فى اتخاذها، وتقريبًا لهم منها، وفى تحريم بيعها واقتنائها إهمال لها وإخماد لذكرها، وإبعاد للناس عن مباشرتها(١).

وقد قال ﷺ فى هذا الضابط: «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**»(٢).

٣- حرم كذلك تطفيف الكيل والميزان:

وتوعد فاعليه بالويل والثبور قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾(٣).

وقد عامل المسلمون اليهود فى عصر نزول التشريع فما كان أوفى منهم كيلاً ولاوزنًا، سواء كالوا أو اكتالوا.

٤- حرم الاحتكار:

الذى قد يلجأ إليه بعض التجار استغلالاً لحاجة الأسواق لنوع معين من السلع، وجعل فاعله خاطئًا، فقال ﷺ: «**لايحتكر إلا خاطئ**»(٤). وقال: «**من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه**»(٥).

وهذا كاف فى بيان صرامة موقف الإسلام من المحتكرين، إذ أعلن براءة الله منهم، هذه البراءة التى لم يعلنها إلا لجماعة المشركين فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾(٦).

٥- حرم -كذلك- الغش:

وبين أن الغاش ليس من المؤمنين فقال ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»(٧)، وبين أن

---

(١) انظر: د/ يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام ص٢٣٦ وانظر أبى زكريا يحيى بن شرف النووى: منهاج الطالبين ص٤٥ ط مصطفى البابى الحلبى.

(٢) سنن أبى داود ٣٤٨٨ ك الإجارة، باب ثمن الخمر والميتة ٣/ ٧٥٨، وهو صحيح.

(٣) سورة المطففين الآيات (١-٣).

(٤) مسلم بشرح النووى: ك المساقاة والمزارعة، باب تحريم الاحتكار فى الأقوات ١١/ ٤٣.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٣٣.

(٦) الشيخ/ محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام ص١٧٦ ط دار الشروق -القاهرة- والآية رقم ٣ من سورة التوبة.

(٧) مسلم بشرح النووى: ك الإيمان، باب قول النبى من غشنا فليس منا ٢/ ١٠٨.

الغش والكتمان فى البيع ماحق للبركة، فقال -أيضًا- «البيعان بالخيار مالم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»(١).

وقال -أيضًا- «لايحل لأحد أن يبيع بيعًا إلا بين مافيه، ولايحل لمن يعلم ذلك إلا بينه»(٢).

٦- بل إن الشريعة الإسلامية فى تنظيمها لشئون البيع والشراء، نهت عن الأيمان الكاذبة، التى قد يستعملها بعض التجار لخديعة الناس، فقال ﷺ: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة»(٣). وفى كل تاجر محلاف نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

٧- حرم كذلك السخب فى الأسواق: ومايتبعه من التلاعب فى البيع، كالنجش وهو الذى يفعله بعض التجار من الزيادة فى ثمن السلعة ممن لايريد شراءها ليقع فيها غيره، ويقع ذلك بمواطأة البائع(٥).

وفى مسألة بيع الأرض فإن الإسلام قد أباح بيع الأرض وشراءها، ولاتنتزع من يد من اشترى شراءً صحيحًا إلا بطريق صحيح أيضًا كبيع أو شراء أو هبة أو ميراث، ولم يحدد سنة تعود فيها الأرض المبيعة -بيعًا صحيحًا- لأصحابها، لما فى ذلك من إهدار لحق المشترى، فماذنبه أن يدفع أموالاً وفى سنة معينة يخسر الأرض والأموال؟

وقد وقفت الشريعة الإسلامية من قضية الرق موقفًا طيبًا، فالمتأمل فيه يدرك أن الإسلام كثر مصارف الرق ونظمها ووسعها، وردم المنابع، أو وضع لها من الوصايا مايجعلها تجف من تلقاء نفسها(٦).

وقد تمثل موقف الشريعة الإسلامية من الرق فى ثلاثة نقاط هامة هى:

أ) تضييق باب الرق إلى أقصى حد، وحصره فى أسرى الحرب المشروعة، وهذا

---

(١) البخارى بشرح ابن حجر: ٢١١٠ ك البيوع، باب البيعان بالخيار مالم يتفرقا ٤/ ٤٠٣.
(٢) الإمام أحمد: المسند ٣/ ٤٩١.
(٣) البخارى بشرح ابن حجر: ٢٠٨٧ ك البيوع، باب يمحق الله الربا ويربى الصدقات ٤/ ٣٨٦.
(٤) سورة آل عمران الآية (٧٧)، وانظر أسباب النزول للواحدى ص٩٥.
(٥) انظر: فتح البارى ٤/ ٤٣٤.
(٦) الشيخ: محمد الغزالى: الإسلام والاستبداد السياسى ص١٢٤ ط دار الكتاب العربى -القاهرة.

خلاف ماكان فى اليهودية، الرجل يسترق فى دينه، وفى جريمته، ويختطف فيسترق، ويفتقر فيبيع نفسه. . . وغير ذلك.

ب) الدعوة إلى الإحسان للرقيق كآدميين لهم حق الحياة الكريمة، وفى القرآن الكريم جمع بين عبادة الله تعالى والإحسان إلى الرقيق، فى أكثر من موضع، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [١].

وجعلهم إخوانًا فى الإنسانية وكفل لهم طعامهم وشرابهم ونهى أن يكلفوا بأعمال فوق طاقتهم فقال ﷺ: «**هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولاتكلفوهم من العمل مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٢].

بل إن الإسلام ربما قدم الرقيق على الحر فيما يفضله فيه من شئون الدنيا، فقد صحت إمامته فى الصلاة إذا كان أحفظ من الأحرار، بل لقد أمر المسلمين بالسمع والطاعة إذا ملك أمورهم عبد مادام أكفأ من غيره[٣].

جـ) الدعوة إلى تحرير الرقيق وفك الرقاب، بل إنه جعل هذه الدعوة تشريعًا يلزم الناس فى كثير من الحالات ككفارة الظهار والقتل الخطأ، واليمين الحنث، والفطر فى رمضان، وفيما عدا ذلك جعل العتق قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، فقال ﷺ لمن سأله عن عمل يدخل الجنة: «**فك الرقبة، وعتق النسمة، قال: أوليسا واحدًا؟ قال: لا. فك الرقبة أن تنفرد بعتقها، وعتق النسمة أن تعين فى ثمنها**»[٤]. والنصوص فى هذا كثيرة -جدًا- زخرت بها أبواب العتق من كتب السنة.

* ولكن مما هو جدير بالملاحظة فى موقف الشريعة الإسلامية من الرق، هو أنها تتشوف إلى الحرية، لأنها حق فطرى لكل إنسان، وحين تأمر بالإحسان إلى الرقيق فهو الرقيق عامة مسلمًا وغير مسلم، وهذا بخلاف اليهودية التى أمرت بالإحسان إلى

---

(١) سورة النساء الآية (٣٦).

(٢) البخارى بشرح ابن حجر: ٣٠ ك الإيمان، باب المعاصى من أمر الجاهلية ولايكفر صاحبها ١/ ١٥٤.

(٣) انظر: الإسلام والاستبداد السياسى ص١٢٩.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٩٩ عن البراء بن عازب.

الرقيق العبرانى فقط حيث قالت: «لايتسلط عليه بعنف أمامك».

ودعت إلى تحرير الرقيق العبرانى فى كل سبع سنين أو فى سنة اليوبيل، وأما غيره فرقه أبدى يتوارثه الأجيال اليهودية -كما رأينا-.

وليس أدل على أن دعوة الإسلام لتحرير الرقيق دعوة عامة من أن الآيات التى نصت على العتق فى الكفارة، قيدتها بالإيمان فى القتل الخطأ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ [1]. وأطلقتها فى كفارتى الظهار واليمين الحنث، وقد قال بالإطلاق غير واحد من العلماء منهم الكوفيون وابن المنذر وأبو ثور [2].

وقد حرمت الشريعة الإسلامية -أيضًا- المتاجرة بأعراض الإماء واستغلالهن استغلالاً يحط كرامتهن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [3].

وقد كان اليهود يتاجرون فى البغايا، ويكرهون جواريهم على البغاء، حتى جاءت جارية لعبد الله بن أبى بن سلول إلى النبى ﷺ تشكو ذلك، فأنزل الله تعالى الآية السالفة [4].

وفى مسألة الإجارة:

فقد نظم الإسلام الإجارة تنظيمًا دقيقًا، سواء كانت إجارة إنسان، أو إجارة أرض أو عقار... أو غير ذلك.

ويتضح ذلك التنظيم بداية من تحديد مفهومها، إذ حددها بأنها: تمليك منفعة مباحة معلومة بعوض معلوم [5].

وهذا يعنى أن الإجارة هى بدل المنفعة فى كل حال، ولابد أن يكون الأجر معلومًا قابلاً للتحديد بمالايفضى إلى نزاع فيه [6].

وقد حثت الشريعة الإسلامية على وفاء الأجير أجره على الفور، فقال ﷺ «**أعط**

---

(١) سورة النساء الآية (٩٢).
(٢) انظر: فتح البارى ١١/ ٧١٠.
(٣) سورة النور الآية (٣٣).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩٩.
(٥) انظر: منصور بن يونس البهوتى: كشف القناع عن متن الإقناع ٣/ ٥٤ ط دار الفكر العربى -القاهرة، محمد بن أبى العباس الرملى: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٥/ ٢٥٨ ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨، محمد ابن عبد الرحمن المغربى: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٣/ ٧٣٥ ط بيروت ١٣٩٨هـ.
(٦) د/ أمين عبد المعبود زغلول: المال واستثماره فى ميزان الشريعة الإسلامية ص٢١٣، ٢١٤ بتصرف.

الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[١] . بل إنه ليعلن الخصومة لمن: «استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يؤده حقه»[٢] .

وفى إجارة الإنسان أوجبت الشريعة الإحسان إلى الأجير، وأوجبت عليه اتقان العمل وإخلاصه قال ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[٣] .

وفى إجارة الدواب للركوب اشترطت على المؤجر تجهيزها بالإكاف والبردعة والخطام، واشترطت على المستأجر (ويسمى المكترى) ألا يتعدى بأن يضرب الدابة أو أن يحملها فوق المعتاد، ويضمن إن هو فعل ذلك فتلفت[٤] .

وفى إجارة الأرض خلاف فى جوازها ومنعها، ووجهة نظر فقهاء الشريعة الإسلامية القائلين بكراهة تأجير الأرض أن الإسلام أباح المزارعة، يقول ابن تيمية: «**المزارعة هى الموافقة لعدل الشريعة ومبادئها . . فهى أحل من المؤاجرة، فإنهما يشتركان فى المغنم والمغرم، بخلاف المؤاجرة، فإن صاحب الأرض تسلم له الأجرة، والمستأجر قد يحصل له زرع أو لايحصل**»[٥] .

وفى إجارة الدور أوجبت الشريعة الإسلامية عمارتها على المؤجر، بشرط ألا يضر المستأجر بالعين[٦] .

كذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بالإجارة فحرمت الأجر على كل عمل محرم، فحرم أجر البغاء، وأجر الكهانة وأوجر النائحة والمغنية[٧] .

وبعد . . . فإن هذه الصورة لموقف الإسلام من تشريعات البيع والشراء والرق والإجارة

-التى وردت فى سفر اللاويين- على رغم وجازتها إلا أنها تعطى انطباعة طيبة عن مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بدقائق الأمور، وهذا يدل على كمال الشريعة الإسلامية، وتناولها لكل حاجات الناس، فى إطار منظم، يعرف الناس فى ضوئه

---

(١) البيهقى: السنن الكبرى: ك الإجارة، باب إثم من منع الأجير أجره ٦/ ١٢١ .
(٢) البيهقى: السنن الكبرى: ك الإجارة، باب إثم من منع الأجير أجره ٦/ ١٢١ جزء من الحديث.
(٣) محمد ناصر الدين الألبانى: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١١١٣ وهو صحيح.
(٤) انظر: النووى: منهاج الطالبين ص٧٦ .
(٥) ابن تيمة: الحسبة فى الإسلام ص٢١ ط دار الشروق -القاهرة، وانظر ابن حزم: المحلى بالآثار ٨/ ٢٢٤
(٦) انظر الإمام النووى: منهاج الطالبين ص٧٧ .
(٧) انظر: فتح البارى ٤/ ٥٦٤ .

مالهم وماعليهم فلا يتعدى على الأموال بأى أنواع التعدى، وتصان فيه الكرامة الإنسانية، وتنظم على هدى منه قوانين العمل، التى لازالت القوانين الوضعية إلى الآن تتعثر وهى تحاول ضبط العلاقة بين العمال وأرباب الأعمال، والمؤجر والمستأجر وغير ذلك.

ويدرك القارئ المنصف -من هذا- أن الشريعة اليهودية لم تحظ بشئ من هذا الكمال، فى هذا الجانب الذى نقارنه.

تتمة: وعد ووعيد

بخصوص العمل بالشريعة ومخالفتها فى سفر اللاويين

لقد اعتاد كاتب سفر اللاويين أن يعقب -فى أكثر المواطن- على الأحكام والشرائع بقوله: «**فتحفظون كل فرائضى وكل أحكامى وتعملونها**»(١). أو «**وتحفظون شعائر الرب فلا تموتون...**»(٢) أو «**فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا**»(٣).

وفى الاصحاح الثامن عشر عقب على مجموعة من التشريعات بقوله: «.. **ولاتعملون شيئًا من جميع هذه الرجسات... لأن جميع هذه الرجسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض، فلا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب التى قبلكم....**»(٤).

وفى الإصحاح السادس والعشرين -أى الإصحاح قبل الأخير من السفر- أخذ يعد العاملين بالشريعة وأحكامها، ويتوعد المخالفين لها فقال: «**إذا سلكتم فى فرائض وحفظتم وصاياى وعملتم بها أعطى مطركم فى حينه وتعطى الأرض غلتها، وتعطى أشجار الحقل أثمارها، ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون فى أرضكم آمنين، وأجعل سلامًا فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض، ولايعبر سيف فى أرضكم، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف، يطرد خمسة منكم مائة، ومائة منكم يطردون ربوة، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف، وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفى بميثاقى معكم، فتأكلون العتيق**

(١) اللاويين ١٩ : ٣٧.
(٢) اللاويين ٨ : ٣٥.
(٣) اللاويين ١٨ : ٥.
(٤) اللاويين ١٨ : ٢٦-٢٨.

المعتق، وتخرجون العتيق من وجه الحديد، وأجعل مسكنى فى وسطكم، ولاترذلكم نفسى، وأسير بينكم وأكون لكم إلهًا وأنتم تكونون لى شعبًا، أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر، من كونكم لهم عبيدًا وقطع قيود نيركم وسيركم قيامًا.

لكن إن لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا، وإن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى، فإنى أعمل هذه بكم أسلط عليكم رعبًا وسلاً وحمى تفنى العينين، وتتلف النفس، وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم، وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم، وتهربون وليس من يطردكم»[1].

ويبدو أن «يهوه» كان لايثق فى طاعة بنى إسرائيل، فجعل يكرر صبه لوابل التهديد والوعيد، ويخبرهم أنه سيجعل التأديب سبعة أضعاف ماقاله لهم من قبل:

«وإن كنتم مع ذلك لاتسمعون لى أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم، فأحطم فخار عزكم وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس، فتفرغ باطلاً قوتكم وأرضكم لاتعطى غلتها وأشجار لاتعطى أثمارها.

وإن سلكتم معى بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا إلى أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم، أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد وتقرض بهائمكم وتقللكم فتوحش طرقكم.

وإن لم تتأدبوا منى بذلك بل سلكتم معى بالخلاف فإنى أنا أسلك معكم بالخلاف، وأضربكم سبعة أضعاف خطاياكم، أجلب عليكم سيفًا ينتقم نقمة الميثاق فتجتمعون إلى مدنكم وأرسل فى وسطكم الوبأ فتدفعون بيد العدو، بكسرى لكم عصا الخبز، تخبز عشر نساء خبزكم فى تنور واحد ويرددن خبزكم بالوزن فتأكلون ولاتشبعون.

وإن كنتم بذلك لاتسمعون لى بل سلكتم معى بالخلاف فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطًا وأود بكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم، فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم تأكلون، وأخرب مرتفعاتكم، وأقطع شمساتكم، وألقى جثثكم على جثث أصنامكم، وترذ لكم نفسى، وأصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة، ولاأشتم رائحة سروركم، وأوحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها، وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة، ومدنكم تصير خربة، . . . والباقون منكم

(١) اللاويين ٢٦ : ٣-١٨ .

ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف، ويسقطون وليس بطارد، ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد، ولايكون لكم قيام أمام أعدائكم، فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم، والباقون منكم يفنون بذنوبهم فى أراضى أعدائكم، وأيضًا بذنوب آبائهم معهم يفنون»[١].

ولنا على هذا الوعد والوعيد عدة ملاحظات :

أولاً : أن هذا الوعد والوعيد لاعلاقة به بالآخرة ولا الحساب والجزاء، فالوعد بتكثيرهم وتكثير ثمارهم وزروعهم وانتصارهم على أعدائهم كله فى الدنيا، وكذلك الوعيد بإتلاف الزرع، والإصابة بالأمراض والأوبئة، ونزع البركة، والهزيمة أمام أعدائهم، وإلقاء الرعب والهلع فى قلوبهم، كله

-أيضًا- فى الدنيا، وهذا يدلك على أن تلك التشريعات السابقة ليست من التشريعات الإلهية، لأن التشريعات الإلهية وإن كانت تأتى لتنظيم أمور الحياة وتقويم مواطن الاعوجاج فيها، إلا أن المقصد الأساسى من تلك التشريعات أن يحسن الناس الورود على الله سبحانه وتعالى والاستعداد لليوم الآخر .

أين هذا من القرآن الكريم الذى يعد بنى إسرائيل إن ءامنوا وأقاموا تشريعات التوراة والإنجيل فيقدم وعود الآخرة على وعود الدنيا فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

ويتوعدهم لكفرهم بالله سبحانه وتعالى ونسبتهم له الولد، فيقول : ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

ثانيا : هذا الوعيد يبرز مدى ضعف «يهوه» رب إسرائيل، وذلك مايفيده كثرة التهديد، أصنع كذا، وأصنع كذا. . . .

ومعلوم أن الرجل القوى تكفى منه كلمة أو كلمات قليلة فى التهديد، كأن يقول أنتم تعلمون ماأصنع .

أما الضعيف العاجز فلا حيلة له إلا الكلام والثرثرة، فكيف إذا كان يتعلق بمن

(١) اللاويين ٢٦ : ١٨-٣٩ .
(٢) سورة المائدة الآيات (٦٥-٦٦) .
(٣) سورة المائدة الآية (٧٣) .

يزعمون له الربوبية؟

إنها تهديدات وضعها الكهنة خوفًا من نقص أو قطع أرزاقهم وأقواتهم -التى تقوم على التشريعات السابقة.

أين هذا من توعد الإله الحق لبنى إسرائيل بعد أن ذكرهم نعمه، وحذرهم الطغيان والغضب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۞٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [(١)].

ثالثًا: يلاحظ أن هذا الوعد والوعيد تغلب عليه النزعة الحربية أو العسكرية، التى هى من أهم خصائص الشخصية اليهودية، وكذلك هى من أهم صفات إلهها «يهوه» رب الجنود.

فتجد الوعد منصبًا على تأييد يهوه لليهود إن أقاموا الشريعة، وقبلوا أحكامها، فيطرد كل الشعوب أمامهم، ويبارك سيوفهم، ويسكن فى وسطهم.

وكذلك الوعيد ينصب أكثره على الهزائم العسكرية التى يتوعدهم أن يلحقها بهم إذا رفضوا أحكام الشريعة، فيذكر أنه يهزمهم أمام أعدائهم، ويسلط عليهم سيفًا ينتقم منهم، ويشتتهم فى الأرض، ويذريهم بين الأمم، ويجرد وراءهم السيف حتى يخرب مدنهم، ويلقى الجبن فى قلوب من يبقى منهم.

رابعًا: بعد هذا الوعيد حاول «يهوه» أن يظهر فى مظهر الإله الرحيم، ولكنه وقع فى أمر لايليق بإله، وهو إقرار الوساطة بينه وبين شعبه، حيث يقرر أنه يقبل وساطة الأنبياء، ويذكر ميثاقه مع آبائهم الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومعلوم أن هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام- جميعًا قد جاءوا يعلمون الناس أن الرب قريب من عباده، ولايحتاج إلى وساطة حتى يصفح أو يعفو.

وليس هذا بغريب على أسفار العهد القديم التى تذكر أن هؤلاء الوسطاء -كما يقولون عنهم[(٢)]- كثيرًا مايراجعون الرب فى غضبه، ليست مراجعة الشفيع، بل

---

(١) سورة طه الآيات (٨٠، ٨١).

(٢) لذلك كلما ترد كلمة (وكلم الرب موسى) يقول الشراح: «كان موسى وسيط العهد القديم بين الله وشعبه» انظر هذا فى مقدمة كل الإصحاحات فى سفر اللاويين حيث ينقله نجيب جرجس فى تفسيره عن مفسرى اليهود.

مراجعة الآمر، من نحو ماذكره سفر الخروج من أمر موسى للرب أن يكف عن غضبه عن بنى إسرائيل حينما عبدوا العجل يقول السفر : «**ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء . . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه**»[(١)] .

ونرى مثل هذا فى سفر التكوين فى مراجعة إبراهيم للرب بشأن إهلاك قرية سدوم قوم لوط، وكيف تقدم إبراهيم إلى الرب -الذى جاءه ماشيًا- ليراجعه فى ظلمه - تعالى الله عن ذلك- قائلاً :

«**أفتهلك البار مع الأثيم . . . أديان كل الأرض لايصنع عدلاً**»[(٢)]، [(٣)] .

وهذه الملاحظات الأربعة تدلك -أيها القارئ الكريم- على أنه لا التشريعات السابقة، ولا الوعد والوعيد الصادر بشأنها من عند الله -جل وعلا .

* * *

(١) الخروج ٣٢: ١٢-١٤ .

(٢) التكوين ١٨ : ٢٣-٢٦ .

(٣) انظر كيف يقص القرآن الكريم خبر مراجعة إبراهيم حيث يذكر أنه كان للملائكة وليس للرب، ولم يذكر عدلاً ولا ظلمًا من نحو ماذكر العهد القديم، يقول : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ العنكبوت الآيات (٣١، ٣٢) .

الفصل السابع

نظريات السياسة اليهودية كما يقررها سفر اللاويين
وموقف الإسلام منها

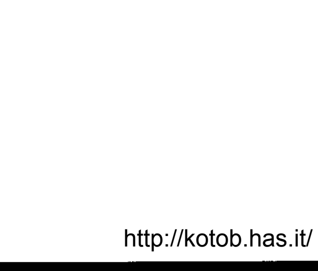
ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين

المبحث الثانى: حقيقة الاستيطان الإسرائيلى للأرض الموعودة فى سفر اللاويين.

المبحث الثالث: نظرية الشعب المختار كما يقررها سفر اللاويين.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من نظريات السياسة اليهودية الواردة فى سفر اللاويين.


http://kotob.has.it/

المبحث الأول

نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين


http://kotob.has.it/

المبحث الأول

نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين

من المعروف أن النظام القبلى يعتبر أول نظام عرفه البشر فى حياتهم، فكان لكل قبيلة (جماعة) رئيسها الذى يقضى فى أمورها ويحل مشكلاتها، ويمثلها فى المحافل القبلية إن لزم الأمر.

ويعتبر النظام القبلى أول نظام عرفه اليهود، وهذا ما تحكيه أسفارهم، حيث إنه لما قسم الأسباط جعل لكل سبط شيخٌ (أو رئيسٌ) ومن مجموع شيوخ الأسباط اتخذ اليهود ما عرف بالمجمع أو السنهدرين[١].

وقد جاءت الإشارة إلى هذا النظام فى سفر اللاويين فى الإصحاح الرابع: «**وإن سها كل جماعة إسرائيل وأخفى عن أعين المجمع، وعملوا واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وأثموا. . . يقرب المجمع ثورًا ابن بقرة ذبيحة خطية. . . ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الرب**»[٢].

وكان نظام الشيوخ -هذا- عند اليهود يمثل السلطةالمدنية، فهو بمثابة حكومة اليهود فى ذلك الوقت، فى حين كانت السلطة الدينية فى قبضة الكهنة.

ويلاحظ أن السلطة الدينية التى كانت للكهنة كانت أقوى نفوذًا من سلطة الشيوخ المدنية، إذ كان الكهنة هم الذين يسنون التشريعات والقوانين، وكان شيوخ الجماعة هم الذين يقومون بتنفيذها.

كما يلاحظ أن اليهود برغم احتكاكهم بأمم لها نظم حكومية راقية إلا أنهم حتى نقل الحضارة لم يكونوا يجيدونه، ففى نظم الحكم كمعلم من أبرز معالم الحضارة، عند أى أمة من الأمم -نجد اليهود ينقلون نظام المجمع أو (السنهدرين) عن الأمم

---

(١) السنهدرين: مجلس يضم حكماء اليهود وقضاتهم منذ عصر الهيكل الثانى وينقسم إلى سنهدرين كبير ويضم حوالى سبعين أو واحد وسبعين رجلاً، وسنهدرين صغير ويوجد فى كل قرية وعدده حوالى ثلاثة وعشرين رجلاً ومهمته النظر فى جميع شئون اليهود.

(٢) الاويين ٤ : ١٣- ١٥.

المجاورة ولكن على درجة وضيعة جدًا، ولذلك يقول الأستاذ/ زكى شنودة:

«. . . وقد أصبحت سلطة السنهدرين فى الخمسين سنة السابقة على خراب أورشليم سلطة شكلية، وقد بلغ من هوان شأنه أنه أصبح ينعقد فى حوانيت بيع الحمام التى كان يمتلكها رئيس الكهنة تحت بلوطة على جبل الزيتون فى مقابل هيكل أورشليم»(١).

حتى أنهم بعدما حاولوا الإرتقاء بنظام الحكم فعرفوا القضاة بعد حكم يوشع، لم يكن ذلك إلا طورًا من أطوار النظام القبلى، يقول ول ديورانت: **«ولم يكن القضاة وهم الذين كانت القبائل جمعاء تطيعهم فى بعض الحالات موظفين عموميين، بل كانوا زعماء عشائر أو رجال حرب»**(٢).

ويقول أيضًا: **«ولم تتألف من الغزاة -أى بنى إسرائيل- فى يوم من الأيام أمة موحدة متماسكة، بل ظلوا زمنًا طويلاً يؤلفون اثنى عشر سبطًا مستقلين استقلالاً واسعًا أو ضيقًا، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة، بل على أساس الحكم الأبوى فى الأسرة، فكان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل فى شئون القبيلة، وهو الذى يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذا ألجأتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة التى لا مفر من التعاون فيها»**(٣).

وقد كانوا يتخوفون من اتخاذ نظام حكومى تحت ملك واحد، ولذلك حينما اضطر الإسرائيليون -وهم يحاربون الفلسطينيين- إلى الاتحاد تحت ملك واحد، كان هذا مثار قلق وتخوف عند الكثيرين منهم، حتى أن صموئيل يحذرهم من بعض الأضرار التى تنجم عن اتخاذ مثل هذا النظام، وأن نظام الملك يترتب عليه أن يستأثر الملك بخيرات الشعب لنفسه، ويسخر الشعب فى مصالحه الخاصة كما تسخر العبيد(٤).

ويعتبر أول كيان سياسى عرف فيه اليهود نظام الملك هو الذى يبدأ بعهد شاول (١٠٢٠-١٠٠٠ ق.م) . . . وانتهى بكفاح مرير مع الفلسطينيين الذين أغاروا على المملكة الوليدة فى معركة كبيرة على منحدرات جبل جلبوع، حيث لقى شاول وثلاثة من أبنائه حتفهم(٥).

---

(١) المجتمع اليهودى ص ٢٥٥، ٢٥٦.
(٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٢٨.
(٣) المرجع السابق ٢/٣٢٩.
(٤) انظر: سفر صموئيل الأول ٨: ١١-١٦.
(٥) انظر: هـ ج ديلز: معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٢١٩ ترجمة عبد العزيز جاويد- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م، وانظر: سفر صموئيل الأول ٣١: ٨-١٣.

ثم خلف داود شاول فاتخذ من مظاهر الدولة الملكية على غرار الممالك فى عصره، فأقام أجهزة حربية وإدارية ودينية تعاونه على إدارة الحكم. واختار لرئاسة هذه الأجهزة بعض أقربائه الذين يثق فيهم[١]، وورث سليمان داود فعلم شعبه فضل القانون والنظام، ومازال بهم حتى أقنعهم بنبذ الشقاق والحرب والالتفات إلى الصناعة والسلم، وكان عهد سليمان عهد سلام بحق، ففى حكمه الطويل أفادت أورشليم -التى اتخذها داود عاصمة له- من هذا السلام الذى لم تألفه من قبل فزادت ثروتها وتضاعفت وأصبحت فى أيام سليمان من أنشط الأسواق التجارية فى الشرق الأدنى، وحافظ سليمان على ما أنشأه داود من صلات ودية مع الممالك المجاورة[٢].

ولكن سرعان ما انقسمت هذه الدولة بعد موت سليمان، ولازالت فى هذا الانقسام والتناحر حتى زال الكيان اليهودى على يد الأشوريين والبابليين[٣].

ومنذ ذلك الوقت تشتت اليهود فى الأرض، وعاشوا كأقليات فى ظل أنظمة حاكمة غير نظمهم، ولكنهم كانوا من أفسد الأقليات التى عاشت فى ظل دول أخرى.

ولعل ما عرف بالجيتو[٤] اليهودى إلى وقت قريب، كان تعبيرًا عن هذه النظرة القبلية التى ترفض الانفتاح على الآخرين، أو حتى مجرد الاحتكاك بثقافتهم احتكاكًا يثير فى النفس مشاعر الإنسانية المتحضرة.

وإن كان اليهود فى الآونة الأخيرة -بعد إعلان الدولة فى فلسطين- قد عرفوا فى نظم الحكم والسياسة: الأجهزة السياسية وشكلوا المجالس والهيئات والوزارات، فلم يكن هذا إلا نقلاً عن الأمم التى عاشوا فى ظلها ردحًا من الزمن.

ومهما تظاهر اليهود برقى أنظمة الحكم والسياسة عندهم -الآن- إلا أن روح العداء والهمجية التى يعيشونها متجاهلين للعالم من حولهم تسقطهم من قائمة الأمم أو الشعوب ذات النظم المتحضرة.

(١) المجتمع اليهودى ص٤٢٤ بتصرف. (٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٣٢ بتصرف.

(٣) انظر: معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٢٩٦.

(٤) الجيتو: تعبير يطلق على أحياء اليهود السكنية، وكان يشتهر بضيقه وقذارته.

المبحث الثانى

حقيقة الاستيطان الإسرائيلى للأرض الموعودة فى سفر اللاويين

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول : أرض كنعان فى سفر اللاويين .

المطلب الثانى : حدود أرض إسرائيل بين المستوطنين القدماء والمحدثين .

المطلب الثالث: كيف استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان قديمًا .

المطلب الرابع: مدى إلزامية الوعد الخاص بالأرض الموعودة فى سفر اللاويين .

المطلب الخامس: مفهوم الاستيطان كما يقرره سفر اللاويين .

المطلب السادس: وجه الشبه بين الإستيطان اليهودى فى الماضى والحاضر .

المطلب السابع: الأساس الصهيونى الذى تقوم عليه عملية الاستيطان .

المطلب الثامن: مدى شرعية الاستيطان فى ظل القانون الدولى .

المبحث الثاني

حقيقة الاستيطان الإسرائيلى للأرض الموعودة فى سفر اللاويين

لقد كثر الحديث فى كتابات متعددة حول الأرض الموعودة، تلك الأكذوبة التى لا يفتؤ اليهود يرددونها، معتمدين على نصوص وتنبؤات بعضها مزيف، وبعضها أخطئوا فهمه، أو تأولوه لأغراض سياسية بحتة، ولمعرفة حقيقة تلك المسألة لابد من عرض النصوص الواردة بشأنها فى سفر اللاويين.

المطلب الأول: أرض كنعان فى سفر اللاويين:

تعتبر أرض كنعان[١] من أهم المناطق التى ركز العهد القديم على ذكرها ووصفها، وذلك لأنها تمثل -بالنسبة لليهود- أرض الميعاد، وقد ورد ذكرها فى سفر اللاويين فى خمسة مواضع:

١- «وكلم الرب موسى قائلاً: متى جئتم إلى أرض كنعان إلى أعطيكم ملكًا»[٢].

٢- «ومثل عمل أرض كنعان التى أنا آت بكم إليها لا تعملوا»[٣].

٣- «ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها . . . . .»[٤].

٤- «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم . . . .»[٥].

٥- « . . . . . فتحفظون جميع فرائضى . . . لكى لا تقذفكم الارض التى أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها، ولا تسلكوا فى رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً»[٦].

ويفهم من تلك النصوص أن أرض كنعان كان سكانها أهل رجاسات ومعاصى

---

(١) أرض كنعان: تنسب إلى كنعان بن سام بن نوح وتقع فى فلسطين، وقد أسس أهلها حضارة خاصة وزاولوا التجارة والصناعة . انظر: المنجد ٢/ ٥٩٥ .

(٢) اللاويين ٣٤: ٣٣ .

(٣) اللاويين ١٨: ٣ .

(٤) اللاويين ١٩: ٢٣ .

(٥) اللاويين ٢٥: ١، ٢ .

(٦) اللاويين ٢٠: ٢٢ -٢٤ .

وعباد أوثان، توعد الله بنى إسرائيل بتمليك أرضهم لهم، إن هم غزوا أهل الكفر ودعوهم إلى الإيمان، وحذرهم من أن يعملوا مثل عمل سكان تلك الأرض من الكفر والمعصية.

المطلب الثانى: حدود أرض إسرائيل بين المستوطنين القدامة والمحدثين:

لا نقصد من محاولة معرفة حدود أرض إسرائيل الإقرار أو الاعتراف بها كدولة، ولكن نحاول الوقوف على النوايا والتطلعات الإسرائيلية بين الماضى والحاضر فى هذه الأرض.

والحق أن خريطة أرض إسرائيل لم تثبت عند حد معين، فسفر التكوين يحدد الحدود التى أعطاها الرب لإبراهيم بأنها على مرمى بصره فى كل الإتجاهات.. «**ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، لأن جميع الأرض التى ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد**»[١].

وفى العهد الموسوى اتسعت رقعة أرض إسرائيل لتضم إلى الأرض التى رآها إبراهيم أراضى شعوب أخرى، كالحيثيين والأموريين والقرزيين والحويين واليبوسيين كما يصرح بهذا سفر الخروج[٢].

وفيه أيضًا: ... أجعل تخومك من بحر سوف (البحر الأحمر) إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر»[٣].

وهذه هى نفس الحدود التى ذكرها سفر العدد فى الإصحاح الرابع والثلاثين بإطناب[٤].

وفى العصر الحديث تقدمت الحركة الصهيونية إلى مؤتمر السلام فى باريس عام ١٩١٩م، بخريطة اعتبرت فيها أرض إسرائيل التاريخية شاملة فلسطين بأكملها بما فيها شرق الأردن والجولان وجنوب لبنان، ويزداد الأمر تعقيدا بتدخل رجال الدين الإسرائيليين فى معترك المناقشات حول حدود أرض إسرائيل التوراتية، فبعضهم يرى أن هذه الحدود تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وشرق الأردن ودلتا النيل، ويرى

---

(١) التكوين ١٣: ١٤، ١٥.
(٢) الخروج ٣: ٧، ٨.
(٣) الخروج ٢٣: ٣١.
(٤) العدد ٣٤: ١-١٢.

بعضهم أن أرض إسرائيل تشمل لبنان حتى طرابلس، وأجزاء من سوريا والعراق كما تشمل سيناء[١].

وهكذا ترى مدى تطلع اليهود وأطماعهم التوسعية، فإن الحدود التى زعموا أنها أعطيت لإبراهيم على مرمى بصره مهما بلغت لا تتجاوز بضعة كيلو مترات، فإذا هى تتسع لتشمل هذه الأرجاء الفسيحة فما فائدة قوله: « **لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد** »؟ أليست الأبدية تعنى أن تكون بنفس الحدود؟

بل إن صلف اليهود وغرورهم وأطماعهم جعلتهم لا يقفون عند حد، فجشعهم لا يشبعه قليل ولا كثير وظمأهم لا يرويه نيل ولا فرات.

ولذلك من طريف ما يذكر: أنه فى حرب عام ١٩٦٧م يسأل أحد الصحفيين أحد الجنود الاسرائيليين قائلاً: ما هى حدود دولتكم؟ فيقول: -وقد ضرب الأرض بحذائه- كل ما تطؤه قدماى[٢].

وهم فى هذا الفهم يعتمدون على نص فى سفر يشوع يقول: « **كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته** »[٣].

فمن يدرى وفق هذ التلاعب من قدامى اليهود ومحدثيهم، فربما تمتد أطماع اليهود التوسعية لتشمل كل العالم !!! فالحذر الحذر.

المطلب الثالث: كيف استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان قديمًا:

من الثابت تاريخيًا أن بنى إسرائيل رفضوا دخول أرض كنعان فى عهد موسى عليه السلام برغم كل ما رغبهم به فيها، إلا أنهم تقاعسوا عن الدخول، وخافوا سكان تلك الأرض ولم يدخلوها إلا فى عهد يشوع بن نون.

ويحكى سفر يشوع المجازر الرهيبة التى أقامها بنو إسرائيل لشعوب تلك الأرض، حتى أنهم إذا دخلوا مدينة استأصلوا شأفة أهلها، وقتلوا كل من فيها حتى البهائم[٤].

ومن خاف القتال من تلك الشعوب وأراد أن يقيم صلحًا مع بنى إسرائيل كان لابد

---

(١) انظر: طاهر شاش: التطرف الإسرائلى ص٧٣، ٧٥، ط - دار الشروق - القاهرة - اللواء: محمود شيت خطاب: أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ص٤٤ ط - مجمع البحوث الإسلامية -القاهرة- ١٣٩٠هـ.

(٢) انظر: د/ يوسف القرضاوى: القدس قضية كل مسلم ص٦٢ ط دار التوفيق النموذجية - الناشر مكتبه وهبة القاهره ١٩٩٨م.

(٣) يشوع ١: ٣.

(٤) يشوع ٦: ٢٠، ٢١، قارن بين تلك المجازر وبين مجازر المستوطنين الجدد فى صبرا وشاتيلا ودير يا سين.

ان يقبل وصفه بأنه مستوطن أو غريب أو ساكن فى وسط اسرائيل، ولذلك يقول يشوع[١] لسكان مدينة جبعون[٢] الذين طلبوا منه ان يصالحهم: « . . . **لعلك ساكن فى وسطى فكيف أقيم لك عهدًا**»[٣].

وبعد تذلل مفرط من الجبعونيين -استمر ثلاثة أيام- أقروا فيه بأنهم عبيد لإسرائيل، قطع لهم يشوع عهدًا، وأنهم ساكنون فى وسط إسرائيل[٤].

وبرغم تلك الانتصارات التى حققها يشوع فى دخوله أرض كنعان إلا أنه لم يستول عليها جميعًا، حتى أن سفره يحكى أنه لما شاخ ناداه رب إسرائيل وجعل يذكره بأنهم لم يمتلكوا كل الأرض: « . . . **قد شخت، تقدمت فى الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة جدًا للامتلاك**» [٥].

وقد عرض الأستاذ/ هـ.ج. ويلز لغزو العبرانيين لأرض كنعان، وما أحدثوه بها، ثم قال: « . . . . **ولا يستطيع أحد أن يقول إن أرض الميعاد وقعت يومًا فى قبضة العبرانيين تمامًا**»[٦].

ولعلنا نلمح من خطاب يشوع لبنى إسرائيل -بعد أن عاتبه رب إسرائيل على التفريط فى امتلاك أرض كنعان- ما يؤكد أنهم لم يستولوا على كل الأرض، فيقول يشوع فى الإصحاح الثامن عشر: « . . . . **حتى متى أنتم متراخون عن الدخول لامتلاك الأرض التى أعطاكم إياها الرب إله آبائكم**»[٧].

وبعد أن عرفنا كيف استوطن اليهود قديمًا أرض كنعان، لنا أن نسائل اليهود المعاصرين: على أى أساس رسمتم حدود دولتكم المزعومة من النيل إلى الفرات؟

فإن قلتم: على أساس الحق التاريخى الذى تثبته التوارة لنا فى هذه الأرض، قلنا إن التوراة التى تحتجون بها تنفى أن يكون آباؤكم قد ملكوا هذه الحدود التى تزعمونها، وتثبت أنهم كانوا فى تلك الأرض من أزهد الزاهدين.

---

(١) يشوع هو: يشوع بن نون من سبط افرايم خادم موسى وهو الذى دخل بالعبرانيين أرض كنعان وقاد جيشهم فى محاربة العماليق. انظر: المنجد ٢/ ٧٥٠.

(٢) جبعون: مدينة قديمة فى فلسطين شمالى أورشليم يرجح أن موقعها فى قرية الجب انتصر يشوع بن نون لسكانها على الكنعانيين. انظر: المنجد ٢/ ٢٠٨.

(٣) يشوع ٩: ٧.

(٤) يشوع ٩: ١٦.

(٥) يشوع ١٣: ١.

(٦) معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٢٨٧.

(٧) يشوع ١٨: ٣.

المطلب الرابع: مدى إلزامية الوعد الخاص بالأرض الموعودة فى سفر اللاويين:

لقد صدع اليهود آذان العالم بفرية الوعد الإلهى الذى يبدأ من إبراهيم وحتى ينحصر فى نسل إسرائيل، ومرةً تحكى الأسفار ظهور الرب لإبراهيم[١]، وظهوره لإسحاق[٢]، ثم ليعقوب[٣]، ليكلمهم فى شأن الأرض، وكأن الرب لم يجد من الخلق من يعمر بهم تلك الأرض فتودد إلى بنى إسرائيل وعرضها عليهم بتلك الطريق السالفة.

وكل نصوص التوراة التى تحدثت عن الوعد أو الميثاق بخصوص أرض كنعان تنص على أن نفاذ الوعد أو الميثاق مشروط بطاعة إسرائيل للرب -تعالى- فمن ذلك فى سفر اللاويين:

« . . . **فتحفظون جميع فرائضى، وجميع أحكامى وتعلمونها لكى لا تقذفكم إلى أنا آت بكم إليها**»[٤]، وفيه يعد جملة من المعاصى ثم يقول لبنى اسرائيل: بكل هذه لا تتنجسوا لأنه بكل هذه قد تنجس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم. . لكن تحفظون أنتم فرائضى وأحكامى، ولا تعملون شيئًا من هذه الرجسات. . . فلا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب التى قبلكم»[٥].

وفى الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين -بأكمله- تفصيل عن الشروط الموضوعة لإنقاذ الوعد، وقد استوفينا الكلام عليه فى نهاية مباحث الجانب التشريعى[٦].

وبناء على هذا الكلام فإن أرض كنعان قد كرهت اليهود لأنهم لم يحفظوا شعائر الرب ولا أحكامه وفرائضه، بل خالفوا تعاليمه، وعملوا مثل رجسات الوثنيين، وبذلك لا يكون الوفاء بالوعد المذكور ملزمًا.

وقد جمع الأستاذ/ زكى شنودة أكثر نصوص التوراة التى ذكرت وعود الله لليهود ثم علق عليها قائلاً: « **ويبدو من هذه النصوص كلها -ومن غيرها فما جاء بمعناها فى التوراة- أن وعود الله لليهود كانت دائمًا معلقة على شرط واضح صريح لا يمكن أن تنفذ هذه**

---

(١) التكوين ١٢: ٧.
(٢) التكوين ٢٦: ٢.
(٣) التكوين ٣٥: ٩.
(٤) اللاويين ٢٠: ٢٢.
(٥) اللاويين ١٨: ٢٤- ٢٨.
(٦) انظر ص من هذا البحث.

الوعود إلا باستيفائه، وهو أن يطيعوا الله، ويعملوا بأحكامه ووصاياه، ويدينوا له بالولاء الدائم فلا يعبدوا سواه، وإلا انقلب وعده إلى وعيد، وتحولت نعمته إلى نقمة»(١) .

وقال الأستاذ/ وليم بيكر -أستاذ العلوم التوراتية والآثار القديمة بالجامعة العبرية بالقدس فى الثمانينات- : « **الميثاق المتعلق بالأرض والذى وعد الله به إبراهيم وبالتالى جميع بنى إسرائيل مثله كمثل جميع المواثيق التى تنشأ بين فريقين، كان مشروطًا، وبالتالى فإنه يتحقق فقط فى حال التزام كلا الطرفين بالشروط المحددة فى الميثاق، وقد حافظ الله سبحانه وتعالى بصورة دائمة على ما قطعه من التزامات، غير أن بنى إسرائيل كما هو معروف تاريخيًا أخفقوا فى تلبية الشروط التى وضعها الله فى الميثاق، وفيما يتعلق بميثاق الأرض: فقد وعد الله بوطن لبنى اسرائيل يبقى قائمًا ما بقى بنو إسرائيل يطيعون شريعة موسى، وعلى العكس من ذلك فقد وعد الله أيضًا أنهم سوف يخسرون الميثاق الذى تضمن الوعد بالأرض إذا عصوا الله ولم يلتزموا بشريعته كما نقلها موسى إليهم»**(٢) .

ثم يقول :

«إننى أحضكم على قراءة الفصل الثامن والعشرين من سفر التثنية بكامله، هناك أربعة عشر آية ترد فيها وعود الله، غير أن الآيات الأربع والخمسين الباقية تركز على اللعنات القاسية والآثار المأساوية التى تلازم اليهود إذا لم ينفذوا الجزء المتعلق بهم من الاتفاق، ولابد للمرء أن يسأل هل حافظ اليهود على شريعة الله وأوامره؟ الجواب جاء لكل الأجيال القادمة ضمن نفس السياق التاريخى والذى يتحدث عن الوعود الحارة والثواب الذى ينتظر الشعب الطائع، وتبين التوراة بوضوح ارتداد هؤلاء وعبادتهم لآلهة زائفة، ثم الضلال المطلق لأمة إسرائيل بكاملها . . . ومع ذلك يبدو أن كثيرين من الذين يؤيدون مسألة النبوءة فى احتلال إسرائيل لفلسطين لم يقرأوا ذلك! »(٣) .

المطلب الخامس : مفهوم الاستيطان كما يقرره سفر اللاويين :

رأينا كيف استوطن اليهود أرض كنعان، ومن العجيب أن اليهود عند دخولهم تلك الأرض كانوا غزاة وليسوا من سكان البلد الأصليين، ومعروف أن الغريب إذا نزل

---

(١) المجتمع اليهودى ص٥٤٧ .

(٢) وليم بيكر : سرقة أمة ص١٠٨، ١٠٩، ترجمة د . / سهيل ذكار، أ . / عدنان برينة - ط دار حسان للطباعة النشر - دمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

(٣) سرقة أمة ص١١٠، ١١١ .

أرض قوم يسمى غريبًا أو نزيلاً أو مستوطنًا، لأنه ليس من أبناء هذا الوطن، ولكن كاتب السفر عمد إلى هذا المفهوم فقلبه رأسًا على عقب، وجعل بنى إسرائيل هم أصحاب الأرض الأصليين، وسكانها الأصليين بمثابة مستوطنين.

ولهذا نلاحظ لهجة السفر كالآتى:

« . . . فاعضده غريبًا أو مستوطنًا يعيش معك . . . . . »[(١)]، : « . . . . ولمستوطنيك النازلين عندك»[(٢)]، « . . . . . وأيضًا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون عبيدًا»[(٣)].

وقد كان اليهود لصلفهم وغرورهم يعتقدون أن دخولهم إلى أرض كنعان عودة طبيعية إلى أرضهم، وليس غزوًا واستيطانًا، هذا برغم جدالهم لموسى وإبائهم دخولها فى حياته!!!.

المطلب السادس: وجه الشبه بين الاستيطان اليهودى فى الماضى والحاضر

الحقيقة أن الاستيطان اليهودى المعاصر كثير الشبه بنظيره فى الماضى، فهو يقوم على نفس الجذور القديمة إي أنهم مواطنون يعودون إلى بلادهم فزعماء اليهود المعاصرين لا يفتئون يذكرون أن الاستيطان اليهودى فى أرض فلسطين واجب مقدس، ولذلك يقول مائير كاهانا[(٤)] فى كتابه (شوكة فى عيونكم):

«لا يمكن أن يكون هناك آخرون يعيشون بحرية إلى جانب الشعب الإسرائيلى فى أرضه المختارة له، وأن يشاركوه فى السيادة والملكية لهذه الأرض، إن عرب إسرائيل يشكلون المعصية، إذ أن عدم تسليم العرب بالسيادة اليهودية على أرض إسرائيل -على الرغم من وجود العهد بين اليهود وبين رب إسرائيل- يعتبر رفضًا لسيادة الله رب إسرائيل وملكوته، لذا فإن طردهم من البلاد هو عمل أكثر من كونه قضية سياسية، إنه موضوع دينى، واجب دينى، أمر بإزالة المعصية»[(٥)].

ويقول مناحيم بيجن: **« من أجل صهيون لن أهدأ، ومن أجل أورشليم لن أسكت»**،

---

(١) اللاويين ٢٥: ٣٥.　　(٢) اللاويين ٢٥: ٦.

(٣) اللاويين ٢٥: ٤٥.

(٤) مائير كاهانا: ولد فى عام ١٩٣٢م، بالولايات المتحدة الأمريكية وهاجر إلى فلسطين فى عام ١٩٦٣م، ووصل إلى درجة حاخام وتزعم إحدى المنظمات اليهودية اليمينية المتطرفة وهى حركة كاخ، له أعمال إجرامية كثيرة. انظر: ترجمته كاملة فى مجلة الأمة القطرية ص٥٨ عدد شوال ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨١م.

(٥) عبد العال الباقوري: العرب وإسرائيل وفلسطين ص٣٤.

وبيجن هو رئيس وزراء إسرائيل في أواخر السبعينات وهو مطبوع بما فى التوراة والتلمود، وحريص على توسعة نطاق الاستيطان اليهودى، يقول فى حديث له لجريدة (دافار الإسرائيلية) بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٧٨م : « **لقد وعدنا هذه الأرض، ولنا الحق فيها** » ويتلو نص التوراة قائلاً : « **قال الرب : فى هذا اليوم قطع الرب مع إبرام عهده، وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير** » وعند ما صرح ريجان - الرئيس الأمريكى الأسبق بمبادرته للسلام(١) فى الشرق الأوسط - بعث إليه بيجن برسالة يعتب فيها على هذه المبادرة، جاء فيها :

«سيدى الرئيس إن ما يطلق عليه من قبل بعضهم الضفة الغربية هو يهوذا(٢) والسامرة(٣)، وحقائق التاريخ البسيطة هذه لن تتغيرا أبدًا، هنالك من يحاول الالتفاف على التاريخ، ويمكن لهم الاستمرار بهذا الالتفاف كما يرغبون، ولكن سأتمسك بالحقيقة التى تنص على أنه قبل ألفى عام كانت هناك مملكة يهودية في يهوذا والسامرة هناك تنبأ أنبياؤنا بالسلام الأبدى، وهنالك أنشأوا حضارات غنية حملناها معنا فى قلوبنا وأفكارنا وفى تجوالنا لأكثر من ألف وثمانمائة عام، وعدنا بها إلى وطننا فمن أجل صهيون لن أهدأ. ومن أجل القدس لن أسكت»(٤).

ويقول الحاخام يهودا كوك(٥) : « **إن الله أمرنا بأن نستولى على الأرض ونستوطنها، ومعنى الاستيلاء هو الغزو، فأداؤنا لفريضة الغزو هو الذى يمكننا من أداء فريضة الاستيطان**»(٦).

ويوم أن استولى اليهود على القدس فى عام ١٩٦٧م، رفض موشيه دايان -وزير الدفاع الإسرائيلى فى هذا الوقت- دخول القدس إلا فى أعقاب الحاخام الأكبر للجيش

---

(١) نحن لا نعتقد بأن ريجان من دعاة السلام الهادفين، فمراوغاته لا تخفى على محبى السلام .

(٢) يهوذا : إقليم كان فى جنوب فلسطين قديمًا وكان يطلق على المملكة الجنوبية بعد انقسام مملكة سليمان فى نحو ٩٦٢ق . م . انظر : أ/هـ . هـ روفى : أطلس الكتاب المقدس ص٧ طبعة مجمع الكنائس فى الشرق الأوسط .

(٣) السامرة : إقليم فى الشمال الشرقى من فلسطين يضم جبالا وسهولاً صالحة للزراعة وهى مدينة عبرانية قديمة صمدت أمام الغزو الآشورى نحو ثلاث سنوات لحصانته، وكانت عاصمة لمملكة إسرائيل الشمالية فى نحو ٧٢١ق . م . انظر : أطلس الكتاب المقدس ص٣٨ .

(٤) مجلة الأمة (القطرية) عدد ٥٩ ذو القعدة ١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م، نقلاً عن جريدة دافار الإسرائيلية .

(٥) يهودا كوك هو أحد الحاخامات اليهودية المعاصرين .

(٦) طاهر شاش : التطرف الإسرائيلى ص٧٥ .

الإسرائيلي «شلوموغورين» في هتافات تشق عنان السماء، ويومها قال دايان: اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب، فإذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فيجب أن تكون بلاد القضاة لنا، أرض أورشليم (القدس) وحبرون (الخليل) وأريحا ويافا(١).

ومما يجدر ذكره أن المدارس والجامعات اليهودية تدرس للطلاب النصوص التوراتية التي تحكي استيطان يشوع للأرض المقدسة بالصورة الوحشية التي يحكيها سفر يشوع دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر، وقد قام العالم السيكولوجي جورجتامارين بإجراء بحث في جامعة تل أبيب عام ١٩٦٦م حول ردود فعل الطلبة على سفر يشوع، وفظائع أريحا وغيرها من الأماكن، وقدم ثلاثة أسئلة إلى ١٠٦٦ طالبًا من الصف الرابع حتى الصف الثامن، وأهم تلك الأسئلة: «**هل تعتقدون أن يشوع والإسرائيليين قد فعلوا الصواب؟ لنفرض أن الجيش الإسرائيلي يحتل قرية عربية بالقتال فهل يتحتم أن يفعل كما فعل يشوع مع أهالي أريحا؟**» وكانت النتيجة أن ٦٠٪ أجابوا بأن يشوع قد فعل الصواب، و (٣٠٪) اتفقوا على عمل المثل ضد أهالي القرية العربية المحتلة(٢).

ومما يظهر وجه الشبه بين الاستيطان القديم والحديث أن الإسرائيليين المعاصرين قد كرروا ما فعله يشوع بن نون عند دخوله أرض كنعان في المذابح التي أقاموها في دير ياسين والحرم الإبراهيمي وقانا . . . وغيرها.

وقد كان قادة الاستيطان المعاصرين يمتدحون يشوع حتى أن ابن جوريون(٣) يقول: «**إني اعتبر يشوع هو بطل التوراة، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان المرشد لأنه توصل إلى توحيد قبائل إسرائيل**»(٤).

ويرى زعماء إسرائيل الحالية أن هناك استمرارية للتاريخ العسكري اليهودي منذ أيام

---

(١) انظر: مجلة الأمة القطرية عدد ٥٩ ذو القعدة ١٤٠٥هـ - يونيو ١٩٨٥م، عن جريدة الجيروزاليم بوست الإسرائيلية بتاريخ ١٠/٨/ ١٩٦٧م.

(٢) د. / رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص١٧١، ١٧٢ - بتصرف - .

(٣) ابن جوريون هو: أحد من تولوا منصب رئيس الوزراء في إسرائيل ويعتبر من المؤسسين لها.

(٤) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية ص١٧٢ عن كتاب التوراة والبندقية لمناحم بيجن ص٩٥، ٩٦.

موسى ويوشع وحتى الآن، فابن جوريون يسمح لنفسه أن يتحدث عن أعداء دولة إسرائيل الصهيونية على أنهم مصر وبابل، ويشير للعراقيين على أنهم آشوريون وبابليون، ويشير إلى اللبنانيين على أنهم فينيقيون، بل إنه كان يعتقد أن إسرائيل كشعب كانت تواجه كل هذه الأمم على حدة خلال الأربعة آلاف سنة الماضية، ولكنها الآن ولأول مرة تواجهها مجتمعة(١).

وقد علق موشيه مينوهين(٢) على وجه الشبه البارز بين الاستيطان القديم والحديث قائلاً: «**إن الاستشهاد بالتوراة والتوصل بالإرهاب لنشر الذعر، هما أسلوبان قديمان لتحرير أرض موعود بها، والتخلص من سكانها الأصليين، وما على ابن جوريون ومناحم بيجن إلا أن يراجعا سفر يشوع قبل أن يطبقا أساليب الإرهاب القديمة فى فلسطين فى دير ياسين. . . . وعدد لا ينسى من مذابح العرب الفلسطينيين، ويشوع وحده هو الذى يروى قصته بروح فطرية لم تصقل باسم يهوه صغير لم ينضج بعد، وفى غضون أزمنة بربرية، أما أشباه يشوع اليوم وهو دبلوماسيون مزيفون، فإنهم يتصرفون بنفس أسلوب يشوع فى العصور القديمة، ثم يعرضون السلام بعد أن يكونوا قد أنجزوا المهمة القذرة**»(٣).

كل ما يمكن أن يكون هنالك من فرق بين الاستيطان القديم والحديث هو أن الاستيطان القديم كان من بدايته عسكريًا، أما فى العصر الحديث فقد بدأ الاستيطان اليهودى فى شكل استيطان زراعى وهذا هو أسلوب كافة الدول الاستعمارية فهى تشجع رعاياها على مباشرة الزراعة والصناعة فى البلاد التى تريد استعمارها، لا بهدف تنمية اقتصاديات هذه البلاد ولكن بهدف توطين رعاياها تمهيدًا للسيطرة العسكرية(٤).

المطلب السابع: الأساس الصهيونى الذى تقوم عليه عملية الاستيطان:

ترتكز عملية الاستيطان اليهودى فى فلسطين على الأساس الصهيونى الذى يرفع شعار «**اليهود شعب بلا أرض، وفلسطين أرض بلا شعب**»، وبالطبع هذا الشعار يرمى إلى إظهار الذات اليهودية وتغييب وإنكار الآخرين، ومن ثم نجد الساسة اليهود

---

(١) المرجع السابق ص١٧٣ .

(٢) موشيه مينوهين هو: مفكر يهودى مناهض للصهيونية ولد فى روسيا عام ١٨٩٣م، ثم هاجر إلى فلسطين وتلقى تعليمه بالمدارس التلمودية بالقدس . انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٦/ ٤٢٧ .

(٣) الشخصية اليهودية ص١٧٢ - بتصرف يسير- .

(٤) انظر: د . / عبد الناصر توفيق العطار: تدمير عجل بنى إسرائيل الجديد ص٥٦ - ط مؤسسة البستانى للطباعة - القاهرة ١٩٩١م .

المعاصرين لا يتورعون عن إظهار هذا الشعار الذى يثير الأعصاب، فجولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل- فى النصف الأول من السبعينات -تسأل: من هو الصهيونى الحقيقى؟ فتقول: الصهيونى الكامل والخالص هو الذى يؤمن بأن العربى الجيد هو العربى الميت، وتسأل -أيضًا- من هو شعب فلسطين؟

فتقول: أنا لا أعرف شعبًا بهذا الاسم(١).

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس يحسبون أن نظرة المهاجرين والمستوطنين اليهود إلى فلسطين على أنها أرض بلا شعب نظرة كلامية، ويتجاهلون أنهم كانوا يعتقدون فى ذلك ويؤمنون به، وكان اعتقادهم فى ذلك راسخًا، وبعضهم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فوجئ عند هجرته إلى فلسطين بأنها أرض مسكونة وأن بها ناسًا يعيشون عليها، ففريق منهم أصيب بخيبة أمل، وفريق قرر ألا يعبأ بهذا الشعب الفلسطينى، وينظر إليه على أنه غير موجود(٢).

وفى سبيل تحقيق الذات اليهودية وإنكار الآخرين يرتكب المستطونون اليهود أقبح الأساليب: فعلى سبيل المثال:

«**أصدر الكنيست الإسرائيلى**(٣) فى ٢٧/ ٦/ ١٩٦٧م قانونًا يخول وزير الداخلية إعلان توسيع حدود البلديات وتطبيق القانون الإسرائيلى والقضاء والإدارة الإسرائيلية . . . فأعلن بصورة تعسفية أن يصبح ما يزيد على ٢٥ ألف من مواطنى القدس العربية مواطنين مقيمين فى إسرائيل»(٤).

وقد برر الحاخامات اليهود للعصابات اليهودية اعتمادهم على هذا الأساس الصهيونى فمثلاً:

كتب الحاخام يعقوب إريئيل يقول: «**إن السكان الأجانب فى بلادنا والذين ربما من غير ذنب أقاموا فيها عندما كانت خالية سوف يضطرون ذات يوم أن يحددوا مصيرهم برغبتهم الحرة بأن يكونوا متهودين عن إيمان، أو سكانًا مؤقتين، وإذا لم يقرروا فى النهاية برغبتهم**

---

(١) انظر: عبد العال الباقورى: العرب وإسرائيل وفلسطين ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥، ٢٦ -بتصرف .

(٣) الكنيست: كلمة عبرية تعنى جماعة إسرائيل وهو اصطلاح دينى حلولى يشير إلى الجماعة اليهودية ككل ثم أطلق هذا الإسم على البرلمان الإسرائيلي، انظر: موسوعة اليهود ٥/ ٧٦.

(٤) انظر: كتاب المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ص١٠٨، وهو عبارة عن تقريرات الندوة الدولية حول المستوطنات الإسرائيلية المنعقدة فى واشنطن ١٩٨٥م، طبع بتصريح جامعة الدول العربية.

الحرة فى الهجرة إلى بلد آخر فعليهم أن ينظروا إلى أورشليم باعتبارها عاصمتهم الروحية ومصدر وحيهم الأخلاقى، إننا ضد انتزاع ملكيتهم وظلمهم بالقوة، ولكن المنطلق الأخلاقى يفرض علينا أن نقول لهم الحقيقة، وألا نخدعهم، إن الأخلاق تفرض علينا ألا نكذب وألا نعدهم بوعود لن يمكننا تنفيذها فى المستقبل البعيد أو القريب»(١) .

وكتب الربى اليعازر ولدبزج يقول: « **إننى على سبيل المثال أؤيد الشريعة التى تنص على عدم السماح للأجنبى أن يسكن فى أورشليم وإذا كنا نقيم الشريعة كما ينبغى، كان ينبغى علينا أن نطرد كل الأجانب من أورشليم، وأن نطهرها تمامًا، كذلك فإنه محظور علينا أن نسمح للأجانب أن يشكلوا أغلبية فى أية مدينة من مدن إسرائيل»**(٢) .

أرأيت مثل هذا التجاهل للوجود الفلسطينى فى تلك الأرض؟ ثم أى منطلق أخلاقى الذى يتحدث عنه هؤلاء الحاخامات؟ هل من الأخلاق أن أقول لأناس -كل الشواهد تثبت ملكيتهم وإقامتهم- إنهم أجانب أقاموا بغير ذنب؟

إن كان الوجود يثبت بحق التاريخ، فإن التاريخ يشهد بأن مدينة اليهود قد زالت أكثر من مرة منذ قرون، وإن كان بحق البناء والتعمير، فإن التاريخ يشهد بأن المسلمين هم الذين بنوا وعمروا، وإن كان بحق الطاعة لله فواقع الناس يشهد بأن المسلمين - مهما قصروا- فهم أكثر الناس طاعة لله.

وكما أن الشمس لا يمحو أثرها تغميض العينين ولا تراكم السحب، فإن الحقائق الثابتة لا يمحوها مجرد إنكار.

المطلب الثامن: مدى شرعية الاستيطان فى ظل القانون الدولى:

إن أبسط معطيات العقل والمنطق ما أظنها يمكن أن تقر بشرعية الاستيطان الإسرائيلى، إذ هل يمكن أن يصبح المواطن الأصلى -فى ظل سياسة قلب المفاهيم- مستوطنا والمهاجر النزيل وطنيا؟

والواقع أن سياسة الاستيطان الإسرائيلى التى تقوم على الأصل التوراتى الصهيونى السابق قد لا يكون الرأى العام الدولى مهيأ لقبولها، لذلك يلجأ الإسرائيليون - وأنصارهم- فى تبرير وإثبات شرعية الاستيطان اليهودى- إلى استخدام عبارات مثل (أمن إسرائيل) و (مذابح الإبادة) و (الإرهاب) . . . . وغير ذلك من العبارات لتحقيق

---

(١) د . / رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية ص٧٥، ١٧٦ .
(٢) المرجع السابق ص١٧٦ .

سياسة محكمة التصميم فى إقامة المستوطنات، ومن خداع اليهود للرأى العام الدولى فى التظاهر بشرعية الاستيطان أنهم غالبًا ما يختارون مناطق مكتظة بالسكان الفلسطينيين ويطوقونها بمستوطناتهم محدثين بذلك تجمعات عربية منعزلة كل منها عن الأخرى بطريقة تحول دون إمكانية تشكيل كيانات عربية أو دولة للفلسطينيين[١].

وبرغم هذا الختل والخداع الإسرائيلى فى محاولة إثبات شرعية الاستيطان اليهودى فقد تعرضت بحوث عديدة ومتحدثون عديدون للحجج التى يتذرع بها الإسرائيليون لبناء المستوطنات، ولقد شرح المحاميان الدوليان ريتشاد فولك وتوماس ماليسون، العالم السياسى دان تشرغى موقف إسرائيل فى ظل القانون الدولى، وكان الإجماع على عدم مشروعية بناء المستوطنات لا لبس فيه ولا غموض، فكل من معاهدة لاهاى[٢] التى أبرمت عام ١٩٠٧م، ومعاهدة جنيف[٣] الرابعة بشأن الاحتلال العسكرى وحماية المدنيين، وحتى الحرب تجعل على التوالى الإجراءات الإسرائيلية غير شرعية، وقد أوضح السفير / خواجة حسين الدين -نائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها التاسعة والثلاثين- موقف المنظمة الدولية من المستوطنات حين قال: « **إن المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية والأراضى الأخرى المحتلة غير قانونية وهى معوقات مؤكدة لتحقيق حل شامل لمشكلة الشرق الأوسط**»[٤].

ويقول الدكتور/ أغوانى -أستاذ العلوم السياسية بجامعة جواهرلال نهرو بالهند- « **. . . بما أن الوضع لأهداف إسرائيل المعلنة من وجهة نظر القانون الدولى يخرج عن نطاق هذا البحث، فإننا نكتفى بأن هذه الأهداف تخل إخلالاً واضحًا بنص الأشكال المقررة للسلوك الدولة وروحها. . . ثم إن حجة إسرائيل -للمراوغة- بأنها حررت الأراضى التى احتلتها لأن اليهود لهم حق تاريخى فى إسرائيل الكبرى، أو أنها تسيطر على المنطقة على أساس الغزو الدفاعى وقد رفضها الرأى العام الدولى مرارًا بوجه عام، كما رفضها كل من مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة بوجه خاص، ومع ذلك أصرت إسرائيل على**

---

(١) انظر: المستوطنات الإسرائيلية ص١٤٠، من بحث بعنوان أهداف ووسائل وأنماط المستوطنات فى الأراضى المحتلة، للأستاذ/ محمد ملحم -عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

(٢) لاهاى: مدينة فى غرب هولندا قريبة من الشاطئ مقر المحكمة الدولية. نظر: المنجد ٢/ ٦٠٩.

(٣) جنيف: مدينة فى سويسرًا على بحيرة ليمان هى مركز الصليب الأحمر الدولى ومكتب العمل الدولى، وكانت مركزًا لجمعية الأمم. انظر: المنجد ٢/ ٢١٩.

(٤) المستوطنات الإسرائيلية ص٤٤٨.

موقفها -الذى لا يمكن الدفاع عنه بأن أطلقت على الأراضى المحتلة اسم « الأرض خاضعة للإدارة»[١] .

ويقول الدكتور/ ديفيد هـ. أون -رئيس قسم القانون العام بجامعة أبردين بالولايات المتحدة- : **«من أهم مظاهر النزاع الفلسطينى منذ البداية أن إسرائيل اضطرت إلى التمادى فى أنشطتها غير الشرعية للحفاظ على مركزها، وكان هذا عاملاً رئيسيا فى تقويض القانون الدولى فى عدد كبير من القضايا، فلقد خرقت إسرائيل قانون ميثاق الأمم المتحدة قاصرة استخدام القوة على شئون دفاعها الخاص. . فبرنامج الاستيطان الإسرائيلى جزء من نمط عدم الشرعية. . . وذلك النمط العام من الإصرار على عدم الشرعية يضع إسرائيل فى مقدمة الساعين للإخلال بالقانون الدولى، وبالتالى إضعاف الحماية التى يوفرها القانون بوجه عام. . . . ولذلك السبب فإن جهود العرب فى التمسك بالقانون الدولى فيما يتعلق بالمشكلة العربية الإسرائيلية هى لصالح المجتمع الدولى وفائدته فى مجمله»**[٢] .

هذه هى بعض أقوال المختصين العالميين فى عدم شرعية الاستيطان الإسرائيلى، ولكن يبدو أن القول شىء والفعل شىء آخر، فبينما ينص القانون الدولى على عدم شرعية الإستيطان الإسرائيلى بهذه الصورة[٣] نجد كثيرًا من الدول الكبرى والهيئات والمنظمات الدولية تدعم الوجود الإسرائيلى بكافة أوجه الدعم.

فأمريكا التى تزعم الجميع أنها راعية السلام فى الشرق الأوسط هى الأم الحنون لإسرائيل.

يقول الدكتور/ وليام هاريس -الأستاذ بكلية الدراسات الدولية العليا بنيوزيلندا: **«هناك مسئولية كبيرة تقع على الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها العامل الغربى الوحيد الذى يعتد به فى النزاع العربى الاسرائيلى، وفى حين تعارض الولايات المتحدة سياسة الاستيطان الإسرائيلى وتتقدم بمشروعات سلام خرقاء، فإنها فى الواقع عملت على زيادة الاستيطان اليهودى للضفة الغربية**[٤] وغزة[٥] والجولان[٦]، وساعدت

(١) المرجع السابق ص١١١، ١١٢ . (٢) المرجع السابق ص٨٩، ٩٠ بإيجاز يسير .

(٣) يلاحظ أن هناك اعترافًا من الغرب بالكيان الإسرائيلى ولكن فى إطار اتفاقيات التقسيم والتدويل .

(٤) الضفة الغربية: هى الضفه الغربية لنهر الأردن ويسكنها اليهود الآن، وتمتد من مردابن عامر فى الشمال حتى مشارف النقب فى الجنوب وتشمل القدس ونابلس والخليل ورام الله وبيت لحم. انظر: المنجد ٢/ ٤٣١

(٥) غزة هى: إحدى المدن الفلسطينية كانت متاخمة لكنعان من الجنوب، وكانت مسرح أحد أعمال شمشون الجبار. انظر: أطلس الكتاب المقدس ص١٢ .

(٦) الجولان: منطقة جبلية بين الأردن وسورية كانت مركزًا للغساسنة فتحها العرب فى القرن السابع الميلادى وكان سكانها من بنى مرة القيسيين . انظر: المنجد ٢/ ٢٢٢ .

على عمليات الاستيطان التى ستؤدى فى المستقبل إلى تعاسة الإسرائيليين والفلسطينيين على السواء، وأنه دون المساعدات الأمريكية التى تصل حاليًا (عام ١٩٨٥م) إلى ما يعادل ١٢٪ من إجمالى الدخل القومى لما استطاع الاقتصاد الإسرائيلى بالتأكيد تحويل مبلغ يتراوح من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ مليون دولار سنويًا إلى برامج الاستيطان»[١].

وأمريكا فى دعمها للاستيطان اليهودى -خارقة بذلك المواثيق الدولية- ينطلق ساستها من إيمانهم بالتوراة، وقد صرح بهذا كارتر -الرئيس الأمريكى الأسبق- حيث قال:

«لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هى أكثر من علاقة خاصة، بل هى علاقة فريدة، لأنها متجذرة فى ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه، لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون، ونحن نتقاسم تراث التوراة»[٢].

وليس هذا -المتضامن مع عدم شرعية الاستيطان الإسرائيلى- موقف أمريكا وحدها، بل موقف الغرب كله، يقول الدكتور/ ديفيد هـ.اوت: «**. . . إن المراقبين الغربيين موجهون بطريقة ما تمنعهم من إدراك حقيقة المأزق العربى، ويبدو أن عديدًا من العاملين فى الغرب -خصوصًا فى حقل القانونى الدولى- قد تمت أيضًا برمجتهم مسبقًا لكى يتجاهلوا أو يقللوا من أهمية القانون الدولى كنمط يتعين على الدول التمسك به، فإن فاعلية القانون الدولى تعتمد بدرجة ما على إدراك رجال السياسة والمواطنين العاديين بأن كل حالة من حالات عدم الشرعية تصبح سابقة لإخلال لاحق بأحكام القانون، ولكن يبدو أن كثيرًا من الناس لا يعنون بتطور جو من عدم الشرعية ما لم يشعروا بتأثيره المباشر عليهم، ويشكل هذا الأمر قصورًا عامًا فى حساسية أخلاقية تتعدى مسألة النزاع العربى الإسرائيلى**»[٣].

ولكن ترى: هل سيبقى المسلمون على حالهم فى الركون والاعتماد على المحافل

---

(١) المستوطنات الإسرائيلية ص٨٢ من بحث للدكتور/ وليم هاريس بعنوان: (الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية).

(٢) د. / سفر الحوالى: القدس بين الوعد الحق والعد المفترى ص٣٧ - ط مكتبة السنة القاهرة ١٤١٤هـ نقلاً عن كتاب البعد الدينى فى السياسة الأمريكية ليوسف الحسن ص٧٦.

(٣) المستوطنات الإسرائيلية ص٩٠ من بحث الدكتور/ ديفيد المشار إليه قبل.

الدولية فى أنها يمكن أن تنصفهم فى قضيتهم؟

كيف ونحن نعرف أن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض، ويشتركون فى الإيمان بأسفار تشكل جزءًا كبيرًا من فكرهم وسياستهم !!!

المبحث الثالث

نظرية الشعب المختار كما يقررها سفر اللاويين

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تحليل مصطلح الشعب المختار.

المطلب الثاني: المسالك التى سلكها السفر لتقرير نظرية الشعب المختار.

المطلب الثالث: قواعد تلمودية امتدادًا لقواعد توراتية لدعم نظرية الشعب المختار.

المطلب الرابع: دعاوى اليهود بشأن الشعب المختار فى ميزان علم الأجناس.

المطلب الخامس: مواقف النصرانية من نظرية الشعب المختار.

المبحث الثالث

نظرية الشعب المختار كما يقررها سفر اللاويين

لقد كان من الأمور الهامة فى الحياة اليهودية والتى دعمها السفر بعدة نصوص هى : نظرية الشعب المختار .

المطلب الأول : تحليل مصطلح الشعب المختار :

مصطلح «**الشعب المختار**» ترجمة للعبارة العبرية «**هاعم هنفحار**» ويوجد معنى الاختيار فى عبارة أخرى مثل : «**أتايحرتانو**» والتى تعنى : «**اخترتنا أنت**» . و «**عم سيجولاه**» أى شعب الإرث أو الشعب الكنز ، وإيمان اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية فى النسق الدينى اليهودى ، وتعبير عن الطبقة الحلولية التى تشكلت فى التركيب اليهودى(١) .

ويعتبر مصطلح الشعب المختار أقنومًا من أقانيم الثالوث الحلولى اليهودى الذى يتكون من : «**الإله والأرض والشعب**» ، فيحل الإله فى الشعب ليصبح شعبًا مختارًا مقدسًا ، ويحل فى الأرض لتصبح أرضًا مقدسة ومركزًا للكون(٢) .

وعلى ضوء هذا التحليل يمكن فهم المسالك التى سلكها سفر اللاويين فى تقرير نظرية الشعب المختار .

المطلب الثانى : المسالك التى سلكها السفر لتقرير نظرية الشعب المختار :

لقد سلك السفر عدة مسالك لتقرير تلك النظرية ، أهمها :

١] اليهود شعب طاهر مقدس : وفى هذا جاء فى السفر : «**ولا تدنسوا أنفسكم بدبيب يدب ، ولا تتنجسوا به ، ولا تكونوا نجسين ، إنى أنا الرب إلهكم ، فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس**»(٣) .

وفيه أيضًا : «**فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب إلهكم وتحفظون فرائضى**

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٧٢ بتصرف يسير .
(٢) انظر المرجع السابق : نفس الموضع .
(٣) اللاويين ١١ : ٤٣ ، ٤٤ .

وتعملونها أنا الرب مقدسكم»[١] . وفيه « **لأنى أنا الرب مقدسهم»**[٢] .

وفيه : « . . . **تكونون لى قديسين لأنى قدوس، أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى»**[٣] . وفيه : « . . . **كلم كل جماعة بنى إسرائيل وقل لهم تكونون قديسين لأنى قدوس الرب إلهكم»**[٤] .

ولذلك فإن اليهودى يزعم أنه طاهر مقدس لمجرد أنه يهودى مهما قارف الأقذار، أو لاصق النجاسات .

وأما غير اليهودى فإنه نجس لأن الإله لم يختره للطهارة والقداسة .

٢] الرب يجعل ربوبيته حكرًا على بنى إسرائيل : وفى هذا جاء فى السفر : «**إنى أنا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر ليكون لكم إلهًا فتكونون قديسين لأنى أنا قدوس»**[٥] .

وفيه : « . . . **الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلهًا»**[٦] .

وفيه : « . . . . **ولاتدنسوا اسمى القدوس فأتقدس فى وسط بنى إسرائيل، أنا الرب مقدسكم الذى أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهًا»**[٧] .

وهذا يعنى أن الإله ربما تتوقف ألوهيته على شعب إسرائيل وبغيرها لا يكون إلهًا، فكأنه رب مخصوص لشعب مخصوص، بل إن السفر ليذكر مغالاة رب إسرائيل فى اختياره لهم وقبول عبادتهم وقرابينهم ورفض ماعدا ذلك من قرابين فيقول : « **ومن يدابن الغريب لا تقربوا خبز إلهكم . . . .»**[٨] .

٣] السفر بجمع الثالوث الحلولى اليهودى (الإله -الشعب -الأرض) فى عبارة واحدة فيقول : « . . . . **أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ليعطيكم أرض كنعان فيكون لكم إلهًا»**[٩] .

وقد يعبر اليهود بالتوراة عن الإله باعتبار أنها تعاليمه لهم، ولذلك نجد إدوار جنسبارغ -مندوب لجنة التبرعات اليهودية فى أمريكا سنة ١٩٨٤م -يقول :

«**إن أى تحليل للتعاليم اليهودية لابد أن يقود إلى قوى فكرية ثلاث تكون الإطار العام لهذه التعاليم «صهيون -إسرائيل- التوارة»** أى الأرض والشعب والإله، فهذه العناصر الثلاثة

---

(١) اللاويين ٢٠ : ٧، ٨ .
(٢) اللاويين ٢١ : ٢٤، ٢٢ : ٩ .
(٣) اللاويين ٢٠ : ٢٦ .
(٤) اللاويين ١٩ : ١، ٢ .
(٥) اللاويين ١١ : ٤٥ .
(٦) اللاويين ٢٦ : ٤٥ .
(٧) اللاويين ٢٢ : ٣٢، ٣٣ .
(٨) اللاويين ٢٢ : ٢٥ .
(٩) اللاويين ٢٥ : ٣٨ .

تتداخل لتكون مثلثًا لا معنى للقدس من غير الهيكل، وكل يهودى لم يأت إلى إسرائيل لم يحقق ذاتيته، وكل تعاليم نابعة من غير التوراة أو التلمود هراء وسفسطة»(١).

وهذا قمة الإيغال فى رفع الشعب الإسرائيلى نفسه إلى درجة الإله، وإلا فماذا يمكن أن يفهم من أنه لا معنى للإله بغير شعب إسرائيل وأرضه؟

٤] السفر يقرر أن الله يختار شعب إسرائيل ليسكن فى وسطهم ويسير بينهم، وفى هذا يقول:

«. . . وأجعل مسكنى فى وسطكم . . . وأسير بينكم، وأكون لكم إلهًا، وأنتم تكونون لى شعبًا، أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر»(٢).

وسكنى رب إسرائيل فى وسطهم -كعلامة على اختياره لهم- يفهمون منها الحقيقة وليس المجاز(٣) وذلك لأن التوراة فى سفر اللاويين تصرح بأن الرب يظهر فوق غطاء التابوت لذلك جاء التحذير من دخول المقدس فى كل وقت(٤).

٥] كما سلك السفر مسلكًا آخر فى تقرير تلك الفكرة هو أن الشعب الإسرائيلى شعب حر، وهم السادة ومن حقهم أن يستعبدوا كل الشعوب من حولهم، وفى هذا يقول السفر:

«وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد كأجير نزيل يكون عندك . . . وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولك منهم تقتنى عبيدًا وإماءً . . . وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر، وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف»(٥).

وقد عملت إسرائيل على إبراز هذا المسلك التوراتى بكل وسيلة حتى أن الأستاذ/ شفيق عبد اللطيف يذكر فى كتابه السينما الإسرائيلية أن: «**إسرائيل عقب إعلان قيامها كدولة سارعت مدينة «هوليود»** الأمريكية بإنتاج العديد من الأفلام التى تبرز فكرة الشعب

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد ٥٩ ذو القعدة ١٤٠٥هـ، يونيو ١٩٨٥م .

(٢) اللاويين ٢٦ : ١١، ١٢ .

(٣) وليس هذا من قبيل ما جاء فى الإسلام من قول الله تعالى فى الحديث القدسى: «بيوتى فى الأرض المساجد وزوارها عمارها، فطوبى لمن توضأ فى بيته ثم زارنى فى بيتى، وحق على المزور كرامة الزائر» لأن هذا فى الإسلام المقصود منه المجاز وليس الحقيقة لأن الفكر الإسلامى الصحيح يجل الله تعالى عن الحلول فى مكان أو زمان .

(٤) انظر: اللاويين ١٦ : ٢ .

(٥) اللاويين ٢٥ : ٣٩-٤٦ .

المختار وأهمها فيلم بعنوان «التوراة فى البداية» يركز فى مغالطة دينية على أن إسماعيل أبا العرب هو من العبيد أصلاً لأن أمه هاجر من جنس العبيد، أما إسحاق فهو أبو اليهود من نسل السادة وأن أمه سارة كانت أميرة فى الأصل»[١] .

ويتضح من تلك المسالك الخمسة التى سلكها السفر فى تقرير فكرة الشعب المختار، أن هذا الشعب الذى هو طاهر مقدس لا يقبل الله عبادة أحد غيره ويسكن فى وسطهم ويسير بينهم، ولا معنى للإله من غيرهم لابد أنه شعب ممتاز مختار - هكذا يزعمون !!!

المطلب الثالث: قواعد تلمودية امتدادًا لقواعد توراتية لدعم نظرية الشعب المختار:

وقد غالى علماء اليهود الذين كتبوا التلمود فى شرح تلك النصوص التوراتية التى تؤيد فكرة الشعب المختار، وبنوا عليها قواعد تلمودية خطيرة جدًا كان لها أسوأ الأثر فى إذكاء الروح العدوانية فى الشخصية اليهودية.

وإن كان التلمود بما فيه من الشرائع يعتبر تمجيدًا للشخصية اليهودية ورفع الشعب الإسرائيلى على غيره، إلا أن هناك عبارات صريحة جدًا فى تمجيد الشعب المختار، ومن ذلك:

١ - **«نحن شعب الله المختار، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا، ذلك لأنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر أمم الأرض، فسخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم، ونمسك بعنانهم، ونستخرج أموالهم لمنفعتنا، لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة . . . وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها»**[٢] .

٢ - **«الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممى إسرائيليًا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت . . . ,لو لم يخلق اليهود لا نعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين**

(١) السينما الإسرائيلية ص١٤، ١٥ بتصرف يسير.

(٢) د. / محمد على البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦٠، ١٦١ ط الدار السعودية للنشر والتوزيع -الطبعة الأولى ١٩٨٧، وانظر إسرائيل والتلمود ص٧٢.

اليهود وباقى الشعوب . . . والنطفة المخلوق منها باقى الشعوب هى نطفة حصان»[(١)] .

٣- «إن أرواح اليهود عزيزة عند الله لأن أرواح غير اليهود هى أرواح شيطانية، وتتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده»[(٢)] .

٤- «الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم»[(٣)] .

٥- «كان الله -تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- قبل تهديم الهيكل وتشريد اليهود يقسم اليوم إلى ليل يرتاح فيه وإلى نهار يعمل فيه، ويقسم عمل النهار كالتالى:

فى الثلاث ساعات الأولى يدرس التوراة مع الأحبار، وفى الثلاث ساعات الثانية يحكم العالم ويدبر شئونه، وفى الثلاث ساعات الثالثة يطعم العالم، وفى الثلاث الرابعة يلعب مع الحوت ملك الأسماك . . . وعندما حكم الرب بتهديم الهيكل وتشريد أبنائه اليهود ألغى ساعات اللعب مع الحوت، واستبدلها بالبكاء على أبنائه اليهود وهيكله المحطم ويزأر قائلاً: تبًا لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق هيكلى ونهب أولادى وتسقط كل يوم منه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل»[(٤)] .

٦- «عندما يسمع الرب أبناءه اليهود يمجدونه، رغم ما فعله بهم من نكبات، يندم يلطم وجهه ويقول: طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه (اليهود) مع عدم استحقاقه لذلك، لأنه قضى عليهم بالنفى والتشريد والشقاء»[(٥)] .

وبعد هذا اليسير من الكثير الذى جاء فى التلمود يؤكد ويدعم نظرية الشعب المختار، لابد من الوضع فى الاعتبار أن هناك تفسيرات كثيرة طرحت من أحبار اليهود لنظرية الشعب المختار، وكلها تفسيرات حلولية تدور حول محور حلول الإله فى هذا الشعب المتميز أخلاقيًا وفكريًا وعقائديًا -كما يزعمون- مما يجعلهم جميعًا مملكة كهنة وقديسين، وأكثر التفسيرات تواترًا هو أن اختيار الله لهذا الشعب أمر ربانى وسر من الأسرار، فهو غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التى لاينبغى أن يتساءل

---

(١) السابق ص١٥٦، وانظر: إسرائيل والتلمود ص٦١ .
(٢) السابق ص١٥٥، وانظر: إسرائيل والتلمود ص٥٩ .
(٣) السابق ص١٥٦، ١٥٧، وانظر: إسرائيل والتلمود ص٦١ .
(٤) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦٢، ١٦٣ .
(٥) المرجع السابق ص١٦٣، وانظر: إسرائيل والتلمود ص٥٨ .

عنها بشر، والاختيار هنا لا علاقة له بالخير أو الشر ولا بالطاعة أو المعصية، ولايسقط عن الشعب اليهودى حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الإله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الإله شعبه كلية فى أى وقت من الأوقات مهما تكن شرور هذا الشعب، بل يدعى أحد المفسرين -اليهود- أن الإله هو الذى اختار الشعب اليهودى فالاختيار ملزم له وحده وليس ملزمًا للشعب، وتمادت المغالاة فى تفسيرات نظرية الشعب المختار بحيث حولت الشعب اليهودى من مجرد شعب مختار إلى شعب يعد جزءًا عضويًا من الذات الإلهية(١).

المطلب الرابع: دعاوى اليهود بشأن الشعب المختار فى ميزان علم الأجناس:

لقد كانت دائمًا دعاوى اليهود وهم يرددون أنشودة الشعب المختار تدور حول محور طهارة الدم ونقاء العنصر.

فهم يدعون أنهم حافظوا على الدم اليهودى دون أن يختلط بدماء الجويم، ويرتبون تسلسل العرق والنسب على هواهم، ويختارون من النسل ما يريدون، فهم يعتقدون أن آدم قد ولد له أبناء كثيرون، كان أحسنهم «**شيث**» وقد وقع عليه الاختيار كى يستمر ليخرج منه شعب إسرائيل، وكان لشيث أبناء كثيرون كان أحسنهم «**أنوس**» الذى اختاره الرب لاستمرار بقاء العنصر . . . وهكذا حتى نوح، وكان لنوح ثلاثة أبناء كان أحسنهم «**سام**» وكان أحسن أبناء سام «**أرفخشاد**» وأحسن أبنائه «**شالح**» . . . وهكذا حتى إبراهيم، وكان لإبراهيم ابنان: إسماعيل وإسحاق، فوقع الاختيار على إسحاق، وكان أبناؤه عيسو ويعقوب، وكان يعقوب هو الأفضل، وهو الذى اختير لمواصلة نقاء العنصر، وكان أبناء يعقوب وهم الأسباط كلهم أخيارًا ولا داعى لاختيار واحد منهم، فعنصر إسرائيل هى أنقى العناصر وأفخرها -على حد زعمهم- لأنه تكون عن طريق انتقاء الأفضل فى كل جيل»(٢).

ويغالى اليهود فى دعواهم أنهم عنصر ممتاز، فيزعمون أنهم حافظوا على النسل المقدس، هذا الذى ظل يحتفظ بصفاته الوراثية.

ولذلك يقول آرثردى لويس فى كتابه «**اليهود أمة**»: «**كان اليهود يؤلفون أمة فى**

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر: أ. / فؤاد محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ص٤٠٧، من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية..

السابق، وقد حافظوا أكثر من غيرهم من الشعوب على أحد عناصر القومية وهو عنصر الدم، ويمكن البرهنة على هذا بالطبع بالتجربة المنطقية لما يتمتعون به من مميزات خاصة، وفى وسعك أن تميز اليهودى بأنه يهودى بسهولة أكثر من تمييزك للإنجليزى بأنه إنجليزى»(١).

ولعل ما يدعيه اليهود من أن التزامهم بتعاليم التوراة التى تمنع الزواج بين اليهود وغيرهم هو الذى أعانهم على الاحتفاظ بسمات النسل اليهودى المميزة التى من أهمها الأنف البارز لا يثبت أبدا فى ميزان علم «الأنثروبولوجيا».

وذلك لأن علماء «الأنثروبولوجيا» يقررون أن قواعد الوراثة تؤكد أن الصفات الجسدية للأجداد يتوارثها الأبناء والأحفاد طبقًا لنظام ثابت تخضع له جميع الكائنات الحية من بشر أو حيوان أو نبات»(٢).

ويتخذ علماء الأجناس طائفة خاصة من الصفات الجسدية لتكون مقياسًا للتمييز بين مختلف السلالات البشرية أهمها: لون البشرة وشكل الشعر وطول القامة وشكل الرأس والوجه والأنف ولون العيون(٣).

ووفق هذه المقاييس العلمية يجب -من أجل أن تصح دعوى اليهود أن اليهود عنصر نقى- أن يكون لجميع اليهود فى جميع أنحاء العالم صفات وراثية متشابهة أو حتى قريبة الشبه، لأن الفروع مهما كثرت تحتفظ ولو بشىء من صفات الأصول.

ولكن بنظرة فاحصة فى يهود العالم يتبين أن الجماعات اليهودية فى مختلف أنحاء العالم تختلف اختلافًا جذريا، فنرى منهم السمر فى أثيوبيا ذوى الشعر المجعد والسود فى جنوب الهند، والصفر فى الصين، ومنهم الشقر ذوى الشعر المائل إلى الحمرة، ومنهم البيض ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر فى أوروبا وأمريكا، ونرى فيهم الطوال والقصار، وذوى الرؤوس المستديرة، والعرضة، والطويلة، حتى يوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكثر مما تجده بين الجماعات اليهودية فى مختلف أنحاء العالم، مما يؤكد كذب دعواهم(٤).

---

(١) مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص٨٠.

(٢) انظر: الدون جاردنر: مبادئ علم الوراثة ص٨٥٥، ترجمة: د. / أحمد شوقى حسن وآخرين -ط الدار العربية للنشر والتوزيع -القاهرة ١٩٧٨م.

(٣) محاضرات فى علم الوراثة: مجموعة من أساتذة الوراثة بكلية الزراعة ص١١٦، ط جهاز نشر وتوزيع الكتاب الجامعى -القاهرة- بدون تاريخ - بتصرف.

(٤) انظر: عالم الأديان ص ٤٠٨.

وها أنا ذا أنقل لك طائفة من أقوال علماء الأنثروبولوجيا بشأن دعوى طهارة الدم ونقاء العنصر:

يقول الأستاذ/ أوجين بتار -أستاذ علم الأنثروبولوجيا فى جامعة جنيف-: «إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودى»(١).

ويقول آخر: «من المرجح أن كثيرًا من الدم المسيحى قد امتصه اليهود بواسطة الزواج الخفى أو المخالف للقانون، فلقد سنت قوانين كثيرة فى العصور الوسطى تحرم على اليهود أن يتخذوا خادمات من المسيحيات، ولكن تلك القوانين كانت قليلة الجدوى، لأننا نجد أن أحد الأساقفة فى بلاد المجر عام ١٢٢٩م يقرر أن هناك يهودًا عديدين يعيشون حياة غير شرعية مع زوجات من النصارى، وأن المتحولين إلى اليهودية يعدون بالآلاف»(٢).

كما ذكر الأستاذ/ بتلر عن اليهود قال: «اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم إليها فى جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، وهؤلاء المتهودون الذين جاءوا من جميع الآفاق، فمنهم الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذو السحنة الجرمانية، ومنهم اليهود السود فى جنوب الهند. . . . . ، ومنهم الخزر والمفروض أنهم من الجنس التركى»(٣).

ويستمر الأستاذ بتلر فيذكر:

«أن من المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر أو العيون الصافية اللون الذين نلقاهم كثيرًا فى أوربا الوسطى يمتون بصلة القرابة -قرابة الدم- إلى أولئك الإسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون -وقتًا ما- بجوار نهر الأردن. . . إن تسعة أعشار اليهود فى العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافًا واسعًا ليس له نظير، وأن الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة، ولقد أصاب رينان فى تأكيده أن كلمة يهودى ليس لها معنى أنثروبيولوجى لا فى أوربا ولا فى حوض نهر الدانوب على الأقل، وصدق الأستاذ لمبروز فى ملاحظته بأن اليهود الحديثين هم أقرب إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى»(٤).

ويقول الأستاذ/ بنيامين فريد مان:

«لقد استطاع أسلوب الكذبة الكبرى للاحتيال المروع الذى لم يعرف كل تاريخ البشرية مثيلاً له، أن يغسل أدمغة مسيحيى الولايات المتحدة الأمريكية، لغرز فيها كذبة أن من يدعون

---

(١) مصطفى السعدنى: الفكر الصهيونى ص٧٢، وانظر: عالم الأديان ص٤٠١.
(٢) المرجع السابق ٧٢، ٧٣. (٣) المرجع السابق ص٧٣.
(٤) أ / أنور الجندى: المخططات التلمودية ص ٣٨، ٣٩ -بتصرف يسير-.

يهودًا فى كل مكان من عالم اليوم هم من الناحية التاريخية ينحدرون ممن يسمى الشعب المختار للأرض المقدسة فى تاريخ العهد القديم، ولكن أرفع المراجع والمستندات العلمية الخاصة بهذا الموضوع تؤكد على حقيقة موضوعية مدركة على الوجه الأفضل وهى أن من يزعمون أنفسهم يهودًا فى كل مكان من عالم اليوم ليسوا -من وجهة النظر التاريخية الصحيحة- من سلالة الذين عرفوا بيهود الأرض المقدسة»(١) .

حتى أن بعض اليهود أنفسهم لما رأوا رفض العالم من حولهم لدعوى الشعب المختار صاحب الدم المميز، اضطروا إلى الإقرار باختلاط السلالة اليهودية بغيرها، يقول الأستاذ/ فريد ريخ هرتس مؤلف كتاب «الجنس والحضارة» وهو يهودى :

«لم يعد بالإمكان أن يتمسك الإنسان بذلك الرأى الذى يمثل الآريين من جهة واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين أشد الاختلاف . . . فقد أثبت البحث الأنثروبولوجى بصورة لا تحتمل الجدل ما بين الاثنين من القرابة الشديدة، وقد استطاع اليهود خلال تاريخهم الطويل أن يمتصوا الدماء الأجنبية، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف فى الصور والأشكال، ومشابهتهم للشعوب التى يعيشون بينها، وقد كان اعتناق الديانة اليهودية بواسطة اليونان والرومان والشعوب الأخرى أمرًا كثير الحدوث وعلى الأخص فى القرن الأول والثانى قبل الميلاد»(٢) .

ويقول الأستاذ / جورفينيش -أستاذ عِلم الإنسان فى الجامعة العبرية وهو يهودى :

«إن اليهود ليسوا شعبًا واحدًا بل هى طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا دينًا واحدًا»(٣) .

ومما يجدر ذكره أن دولة إسرائيل الحالية قد أجريت بها دراسات عديدة للإجابة على سؤال : من هو اليهودى؟

ولما عجزوا عن الوصول إلى إجابة منطقية ضربوا بكل الحقائق العلمية والتاريخية عرض الحائط، وقرروا أن الذى يهاجر إلى إسرائيل لا يشترط أن يكون حاملاً لصفات وراثية تدل على انتمائه للشعب المختار، بل أقروا فى الدستور أن اليهودى هو الذى يثبت أنه يهودى .

---

(١) بنيامين فريد مان : يهود اليوم ليسوا يهودًا ص١١ ترجمة زهدى الفاتح -ط - دار النفائس - بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٨٨م .

(٢) مصطفى السعدنى : الفكر الصهيونى ص٧٣، ٧٤ .

(٣) عالم الأديان ص٤٠١ .

يقول الأستاذ / مصطفى السعدنى :

«وقد أخذت حكومة إسرائيل بهذا الرأى القائل بأن اليهودى هو من يعتبر نفسه يهوديًا، بمقتضى القانون الصادر فى ٢٨ يونية ١٩٥٨م، وينص على : «أن اليهودى هو الذى يؤكد بحسن نية أنه يهودى ولا ينتمى إلى دين آخر»[١] .

ويكابر قادة إسرائيل فى إثبات نظرية الشعب المختار -بعد أن أتت البراهين عليها من القواعد- فيقول ابن جوريون -مثلاً- : **«إنه لا يهم أن تكون واقعة العهد -أى الخاص باختيار الشعب- حقيقة أم لا، وإنما المهم أن هذه الأسطورة مغروسة فى الوجدان اليهودى»**[٢] .

المطلب الخامس : موقف النصرانية من نظرية الشعب المختار

إن النصرانية باعتبارها ذات أتباع يؤمنون بسفر اللاويين وما فيه من أحكام فهم دائمًا يتأولون ما فى العهد القديم على أنه إشارات ورموز لعهدهم الجديد، وفى نظرية الشعب المختار فإنهم قد آمنوا بها، ولكن حملوها على أنفسهم لا على اليهود، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى ترك اليهود واختارهم ليكونوا شعبًا له .

جاء فى كتاب **«التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة»** لمجموعة من كبار علماء اللاهوت ما نصه :

«لقد أراد الله جلت مشيئته أن يجعل البشر قديسين، ويخلق منهم لا أفرادًا متفرقين بلا أى رابط بينهم أو وثاق لأننا حتى على المستوى البيولوجى[٣] نولد من أسرة، بل أن يجعلهم شعبًا يعرفونه ويعبدونه معًا بالروح والحق، لذلك اختار أولاً فى القديم شعبًا من بين شعوب الأرض، ومن هذا الشعب الواحد اتسع الاختيار ليعم كل الأمم ليكون للرب شعب واحد مستعد هو شعب الله الجديد . . . وهكذا بدأ هذا الشعب الجديد بخميرة من الاثنى عشر تلميذًا على شبه الاثنى عشر سبطًا من شعب إسرائيل القديم، وصاروا يحسون فى أنفسهم أنهم هم إسرائيل الجديدة، وبعد صعود المسيح وامتداد البشارة بالإنجيل من اليهودية والسامرة إلى الأمم فى أقصى الأرض عم الإيمان بالمسيح كل المسكونة، وأصبح لله شعب مستعد من بين كل شعوب الأرض، وكما يقول الكاتب المسيحى ميليتس (١٨٠م) إنه حالماً بنيت الكنيسة وكرز بالإنجيل

---

(١) الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص٦٥ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٧٧ .

(٣) البيولوجى : أى الوراثى.

فإن الرمز الذى هو شعب إسرائيل القديم يكون قد أفرغ من مضمونه، إذ قد تكون الشعب الحقيقى الذى يطلبه الله، وكذلك ناموس العهد القديم قد أفرغ من غايته، بل إنه انتقل ليصير هو ناموس الإنجيل، ويذكر القديس يوستين الشهيد نبوة زكريا النبى عن شعب الله الجديد هكذا: **«فيتصل أمم كثيرة بالرب فى ذلك اليوم ويكونون لى شعبًا فيكونون فى وسط الأرض، ويقول القديس الشهيد يوستينوس: فإننا نحن المسيحيين لسنا فقط شعبًا، بل شعب مقدس، كقول الله «ويسمونهم شعبًا مقدسًا مفدى الرب» [إشعيا ٦٢: ١٢] لذلك فنحن شعب الله المختار**[١].

ويقول القديس أمبروسيوس -أسقف ميلان فى القرن السابع- وهو يقرر نظرية الشعب المختار: **«. . . الآن أزهرتم بمياه المعمودية وبدأتم تعطون ثماركم كالشجرة المغروسة عند مجارى المياه»**[٢]، ويستشهد بعبارات من رسالة بطرس الأولى فيقول قيل للشعب: **«وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. . . قبلاً لم تكونوا شعبًا، وأما الآن فأنتم شعب الله»**[٣].

ويغالى النصارى -أيضًا- فى ادعاء اختيار الله لهم فيجعلون أنفسهم أبناء له، وقد جاء فى كتاب «التدبير الإلهى» تحت عنوان: «كرامة شعب الله»: **«إنه يوجد شعب مختار فى المسيح. . . لأن كلكم الذين اعتمدتم فى المسيح قد لبستم المسيح. . . فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم. . . ولدى كل عضو فى شعب الله كرامة ومجد موهوبان من الله بسبب انتساب هذا الشعب للمسيح الابن الوحيد الذى سبق وأخذ من الله الأب كرامة ومجدًا، ولا يوجد تفاوت فى الكرامة لعضو على عضو فى شعب الله، طالما أن الكرامة والمجد الممنوحين لشعب الله هما أساسًا كرامة ممنوحة ومفاضة على الذين صاروا أبناء لله بالنعمة»**[٤].

وهكذا يتضح أن النصارى قد آمنوا بأسطورة الشعب المختار التى وردت فى سفر اللاويين -وغيره من أسفار العهد القديم- ولكن حملوها على أنفسهم.

---

(١) مجموعة من علماء اللاهوت: التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة ص٢٨، ٢٩ ط مجمع الكنائس الأرثوذكس -القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
(٢) المرجع السابق ص٣٠.
(٣) رسالة بطرس الأولى ٢: ٩، ١٠.
(٤) التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة ص٤٢، ٤٣.

وكان للإيمان بهذه الأساطير أخطر الأثر فى تعصب العالم النصرانى وخصوصًا الغربى ضد الشعوب الشرقية أو الأقليات المسلمة التى تعيش فى الغرب، كل هذا برغم دعاوى المحبة والتسامح والتواضع التى يتذرع بها النصارى حتى أن المبشرين اليوم يرفعون الشعار الذى كان يرفعه أسلافهم إبان الحروب الصليبية، زاعمين أن الله يريد تلك الحرب ويقولون:

«يأتى المبشر تحت علم الصليب يحلم بالماضى وينظر إلى المستقبل، وهو يصغى إلى الريح التى تصفر من بعيد من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسا، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد إلى أذهاننا قولهم بالأمس وصرخة أسلافنا -أى الصليبيين- من قبل: إن الله يريدها»(١).

وكم حمل الحقد والتعصب -شعب الله- النصارى كما يسمون أنفسهم- على أن يبيدوا أسرًا ومدنًا بأكملها باسم التوراة والإنجيل، وباسم المسيح وباسم شعب الله !!!

(١) انظر: المستشار / عزت الطهطاوى: التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص٦ -ط مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة ١٩٧٧م .

المبحث الرابع

موقف الإسلام من نظريات السياسة اليهودية الواردة فى سفر اللاويين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف الإسلام من نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين.

المطلب الثانى: موقف الإسلام من مسألة الاستيطان اليهودى.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من نظرية الشعب المختار.

المبحث الرابع

موقف الإسلام من نظريات السياسة اليهودية الواردة في سفر اللاويين

إن الإسلام لم يأت بالعقيدة الدينية وحدها، ولا بالنظام الأخلاقى أو المالى أو الاجتماعى فحسب، ولكن جاء بشريعة محكمة شاملة عادلة، تحكم الإنسان فى كل حال من أحواله، سواء فى خاصة نفسه، أو فى علاقته بأسرته أو بمجتمعه، وفى علاقات دولته بالدول الأخرى، وعلى هذا يكون الإسلام قد حدد النظم التى لابد منها لقيام الأمة والدولة على أسس ثابتة، وفى نفس الوقت وافية بحاجات أى مجتمع أو أمة فى أى مكان وزمان.

وسنعرض فى موقف الإسلام -هنا- من نظريات السياسة اليهودية الواردة فى سفر اللاويين على النحو التالى:

المطلب الأول: موقف الإسلام من نظم الحكم اليهودية الواردة فى سفر اللاويين

عرفنا أن سفر اللاويين قد ذكر أن نظام الحكم الذى كان يعرفه اليهود هو النظام القبلى، الذى كان يقوم على حكم شيوخ القبائل والعشائر دون أن يكون هناك نظام عام يجمعهم كأمة واحدة.

فلما جاء الإسلام تناول الحياة السياسية بشتى جوانبها، ونظر إلى ما يسوس به الناس أنفسهم فوجده قد اعتراه كثير من الخلل والفساد، فعول على إصلاح هذا الفساد.

ونظر إلى نظام الحكم على أنه وسيلة لا غاية، وسيلة فعالة إلى مقاصد معينة تتمثل فى حراسة الدين وإبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله ﷺ ثم فى سياسة الدنيا بالدين لأن أمور الدنيا محكومة بالدين[(١)].

كما أن الإسلام جاء يأمر بإقامة هذا النظام ويوجب له الطاعة حتى يضمن له

---

(١) انظر: د. / عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص٢٢٠-٢٢٢ -ط- دار عمر بن الخطاب- الاسكندرية الطبعة الثالثة ٩٧٥.

الاستقرار والاستمرار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (١)، وقال ﷺ: « **اسمعوا أطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى**» (٢)، وقال: « **من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» (٣)، وحذر الأمة أن زوال هذا النظام الإلهى فى الحكم يؤذن بوخيم العاقبة فقال: «**لينقضن الدين عروة عروة، أولها نقضًا الحكم وآخرها الصلاة**» (٤).

وبالطبع كان هذا بصمة حضارية رائعة تحسب للإسلام، فى حين رأينا أن بنى إسرائيل كانوا يتخوفون من قيام نظام حكومة تحت إمرة رجل واحد.

وأول ما فعله النبى ﷺ بعد استقراره فى المدينة واتخاذها وطنًا، أن عمد إلى بناء المجتمع والدولة، فأقام دولة لها مقوماتها وأركانها وأسسها، لها إمامها ورئيسها الذى يخضع له المسلمون جميعًا على اختلافهم فى الأصول والأجناس والألوان (٥).

وكان من أبرز معالم نظام الحكم فى الإسلام أن ركز النبى ﷺ على إقامة مجتمع بعيد عن حزازات الجاهلية والنزاعات القبلية، ولذلك قام النبى ﷺ بعقد المؤاخاة بين المؤمنين والمهاجرين والأنصار، والمهاجرين والمهاجرين (٦).

وكانت الحكمة فى المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين أنهم لم يكونوا جميعًا من قبيلة واحدة بل من قبائل متفرقة فكان لابد إزالة كل ما عساه أن يكون من نفرة الجاهلية، فهذه المؤاخاة كما تقيم التعاون بين الأنصارى والمهاجرى تقيمه بين العرب الذين كانوا من قبائل مختلفة والأنصار كانوا أوسًا وخزرجًا، وكان بينهم جاهلية، فكان التأليف بينهم أمرًا تقتضيه ضرورة التوحيد النفسى والتآلف الروحى الذى لابد منه للقضاء على النظام القبلى البغيض (٧).

وقد سجلت هذه النظم الراقية ضمن دستورالدولة الاسلامية، ولذلك تذكر كتب

---

(١) سورة النساء من الآية (٥٩).

(٢) صحيح البخارى بشرح ابن حجر ٧١٤٢ ك الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٣/ ١٤٩.

(٣) البيهقى: السنن الكبرى: ك قتال أهل البغى، باب الترغيب فى لزوم الجماعة ٨/ ١٥٦.

(٤) كنز العمال ١١٩٠ باب قلة الإسلام وغربته ١/ ٢٣٨.

(٥) د. / محمد يوسف موسى: نظام الحكم فى الإسلام ص١١ ط دار الفكر العربى -القاهرة- بدون تاريخ- بتصرف.

(٦) انظر: ابن القيم، زاد المعاد فى هدى خير العباد ٢/ ٥٦.

(٧) الشيخ/ محمد أبو زهرة: الوحدة الإسلامية ص ٦٤ -ط- دار الفكر العربى -القاهرة- بدون.

السير أن النبى ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم على دينهم وشرط لهم واشترط عليهم جاء فيه :

«**هذا كتاب من محمد النبى** ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريس ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، يتعاقلون فيما بينهم ويفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين يد على من بغى عليهم، وأنه لا يقتل مؤمن مؤمنًا فى كافر، وأنه لا ينصر كافر على مؤمن، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، إلا من ظلم وأثم فإنه يهلك نفسه وأهل بيته، وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل ثم إلى محمد رسول الله ﷺ(١)».

وبهذه الحكمة والحذاقة أرسى رسول الله ﷺ قواعد المجتمع الجديد وفق منهج رائع لا تدانيه النظم والدساتير.

وحتى فيما بعد عصر النبوة ظلت الدولة الإسلامية تطبق هذه النظم الفريدة، فأقاموا نظام الخلافة الذى اعتبره المسلمون فرضًا لابد منه، بل هو الفرض الأعظم الذى يتوقف عليه تنفيذ سائر فروض الدين، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والمرجئة وجمهور المعتزلة والخوارج أيضًا(٢).

ويعتبر نظام الخلافة نظامًا فريدًا فى ذاته، لم يسبق له مثيل، ولم يأت بعده ما يشبهه أو يدانيه لا فى الشكل ولا فى الجوهر، وإن لم يكن غريبًا على العقلية العربية فهو قريب مما كان يجرى عند اختيار شيخ القبيلة أو العشيرة، ومما كان قائمًا بمكة قبل البعثة عند الاختيار لمناصب الرئاسة كالسقاية، والجباية والرفادة واللواء، ولم تكن مناصب رياسة بقدر ما كانت مناصب للخدمة العامة يتولاها القادرون عليها، وقد

---

(١) انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٩٧، ٩٨ -ط- مكتبة الإيمان -المنصورة- الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

(٢) انظر: ابن حزم، الفصل فى الملك والأهواء والنحل ٤/ ٨٧، وانظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ص١٣٤ -ط- دار ابن خلدون -الإسكندرية- بدون تاريخ.

يقترب فى شكله مما كانت تسير عليه المدن اليونانية أو الجمهورية فى روما، ولكنه ظل نظامًا فريدًا من حيث الجوهر، ولعل مبعث تفرده أنه استطاع أن يوفق بين الدين والدنيا توفيقًا لم يطغ فيه الدين على الدنيا، ولم يضع قيودًا على العقل تعوقه عن التحرر والانطلاق والتأمل واليقين، وأنه قام فى الدنيا على تحقيق الخير العام، فوقر الحياة من كرامة الإنسان(١).

والخليفة أو الإمام فى نظر الإسلام ليست له سلطات مفتوحة كالتى أقرها سفر اللاويين -كما رأينا- للكهنة أو شيوخ العشائر.

«ولكن هو بشر يخطئ ويصيب، مكلف بعد اختياره للقيام على واجبات منصبه بشقيها الدينى والدنيوى من حماية الدين ورعاية للأمة وسهر على مصالحها، يساعده فى ذلك أهل الشورى من عدول الأمة ضمانًا لعدم استبداده بالسلطة»(٢).

ولعل من أهم ما يبرز الفارق بين نظام العمل السياسى فى الإسلام واليهودية، هو تحديد المفاهيم فى نظام مدلولاتها، فإذا كنا رأينا أن سفر اللاويين سمى الكهنة التى كانوا يمثلون السلطة الدينية «كهنة الرب» وما ذلك إلا لتوسيع نطاق سلطتهم، أما فى الإسلام: فإن الفقهاء وإن اختلفوا حول جواز إطلاق عبارة «خليفة الله» على من يلى الخلافة، إلا أن جمهورهم رفض ذلك وفضلوا عبارة «خليفة رسول الله» ﷺ الذى يستخلف للاستمرار فى أداء الرسالة من حفاظ على حدود الله واستيفاء حقوقه والزود عن دار الإسلام(٣).

ومما يجدر ذكره أن نظام الخلافة فى الإسلام كان يجمع أزمة القيادة مهما انتشر سلطان المسلمين واتسع ملكهم وكثرت ولاياتهم.

وذلك أن الخليفة الذى يختاره المسلمون لا يمكنه مباشرة كل أمور الناس بنفسه لأن ذلك فوق طاقته ويستحيل عليه لو أراده فكان من حقه أن يباشر أمور الناس بواسطة

---

(١) د. / حسين فوزى النجار: الإسلام والسياسة ص ١٥٠ - بتصرف -ط- دار المعارف -القاهرة- ١٩٨٥م.

(٢) د. / فتحية النبراوى، د. / محمد نصر مهنا، تطوير الفكر السياسى فى الإسلام ١/ ٢٣٥ -ط- دار المعارف- القاهرة- ط أولى ١٩٨٢م.

(٣) انظر: الماوردى، الأحكام السلطانية ص١٥ -ط- مصطفى البابى الحلبى -القاهرة- ط الثالثة ١٩٧٣م، وعبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية ص٢٤٦ -ط- مؤسسة الرسالة - بيروت- ط السابعة ١٩٨٦م.

عماله الذين يختارهم، ويشترط أن يكونوا أمناء أكفاء كما أشار القرآن الكريم: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [١] فإذا وفق الخليفة إلى حسن اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء حكموا بالعدل وحفظوا حقوق الناس، ومنعوا عنهم الظلم، وشعر الناس بالأمن والطمأنينة، وانكمش أولو الأطماع وأهل البغى، ولم يستطع قوى أن يعتدى على ضعيف لأن الدولة أقوى منه، ولم يخش الضعيف المحق عدوان القوى لأن الدولة مع المحق وإن كان ضعيفًا، وهذا كله يؤدى إلى كسب قلوب الناس وربطهم بالدولة وتعلقهم بالإمام، فيزداد حرصهم على بقاء دولتهم واستعدادهم للذود عنها لأنها فى نظرهم كالبيت لهم وكالحارس لحقوقهم . . . ولا يكفى أن يعين الخليفة الأكفاء الأمناء بل عليه أن يراقبهم فى أعمالهم، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وحتى إذا استبعدنا خيانتهم وغشهم فلا يمكننا استبعاد خطئهم، فإن ظلم الناس خطئًا كظلمهم عمدًا من جهة لحوق الضرر بالمظلوم وكرهه للظالم، فلابد من المراقبة المستمرة[٢] .

وقد قال الفقهاء: «**على الخليفة أن يباشر بنفسة مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، ليهتم بسيادة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال تعالى**: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [٣]، فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة»[٤] .

وهذا هو نفس المعنى الذى أشار إليه النبى ﷺ حين قال: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[٥] . وهذا يعنى أن الأمة مطالبة -بعد الخضوع للنظام- أن تعين الخليفة فى حفظ المسئوليات والمهام.

ولهذا رأينا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «**لو أن سخلة عثرت بأرض الشام لسألنى ربى لم لم تمهد لها الطريق يا عمر**»[٦] . هذا برغم أنه كان له على الشام

---

(١) سورة القصص من الآية (٢٦) .

(٢) د . / عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص٢٢٤، ٢٢٥ -بتصرف .

(٣) سورة ص من الآية (٢٦) .

(٤) أبو يعلى الحنبلى: الأحكام السلطانية ١٨١ -ط- دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣م .

(٥) البخارى بشرح ابن حجر: ٥١٨٨ ك النكاح، باب قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ٩/ ٣٠٧ .

(٦) ابن الجوزى: سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص١٦١ -ط- مطبعة الأنوار المحمدية -القاهرة- ١٩٩١ .

عامل ولكنه لم يكتف بالتفويض، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أيضًا يقول: **«من كانت له عند عامله مظلمة فليواف إلى موسم الحج فإنى آخذ له حقه من عامله»**(١).

وكل هذا يشهد بقدرة نظام الحكم الاسلامي على جمع المسلمين تحت هذا النظام العام مهما اتسعت رقعة دولتهم، وليس هذا النفوذ والسلطان الذى يجمعهم من قبيل الأنظمة المتسلطة التى تقوم على قهر أتباعها، ولكنه يجمعهم برباط الولاء الذى يكنه الخاضعون لهذا النظام لما رأوا من مسايرته لكل مراحل حياتهم ونجاحه فى ذلك.

ولا تتوقف قدرة نظام الحكم الإسلامى على جمع المسلمين فقط تحت لوائه ولكن تتعداه إلى جمع الأقليات الغير مسلمة التى تعيش فى كنف المجتمعات الإسلامية.

وأصل ذلك أن الإسلام يعطى الذى يعيشون فى كنف نظامه كافة الحقوق ويطالبهم بالواجبات، وهذه العبارة التى كانت تكتب فى العهود التى كان يعطيها الحكام المسلمون لأهل الذمة **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»**(٢).

ولا شك أن هذه الجولة السريعة فى نظام الحكم الإسلامى تعطى فكرة عامة عن مقدار رقى المنهج الإلهى، اما معرفة دقائق هذا النظام فيطول بنا البحث لو اسقصيناها، فقد شملت كل مناحى الحياة، وألفت فيها الأسفار الطوال التى كانت مبعث إعجاب كثير من علماء الغرب المؤمنين بالتوراة، ولذلك أنقل لك بعضًا من اعترافاتهم بأن الإسلام لم يكن دينا فحسب:

«يقول الدكتور/ فتزجرالد: «ليس الاسلام دينا فحسب، ولكنه نظام سياسى أيضًا، وعلى الرغم من أنه قد ظهر فى العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين ممن يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بنى على أساس أن الجانبين متلازمان، لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر».

ويقول الأستاذ/ نللينو: **«لقد أسس محمد فى وقت واحد دينًا ودولة، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته»**، ويقول شاخت: **«على أن الإسلام يعنى أكثر من أنه دين، أنه يمثل أيضًا نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معًا»**

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢١٩ -ط- دار الغد العربى -القاهرة.

(٢) انظر: الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٠٩، وما بعدها -ط- دار المعارف -القاهرة.

ويقول ماكدونالد: «هنا -أى فى المدينة- تكونت الدولة الإسلامية الأولى ووضعت المبادئ الأساسية للقانون الاسلامى».

ويقول توماس أرنولد: «كان النبى فى نفس الوقت رئيسًا للدين ورئيسًا للدولة».

ويقول هارجب: «... عندئذ صار واضحًا أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين فى الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة به»(١).

المطلب الثانى: موقف الإسلام من مسألة الاستيطان اليهودى:

لقد جاء الإسلام وهو يقرر أن ملك الأرض -جميعها- لله تعالى، وأى ملك فيها لأحد من البشر إنما هو بإذن الله وإرادته، وهذا هو المعنى الذى أفهمه موسى عليه السلام لبنى إسرائيل كما قص القرآن الكريم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

كما جاء يعلن أن التمليك فى الأرض استخلاف وليس تمليكًا وشرطه الإيمان، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٣).

وجاء القرآن الكريم يقص خبر استيطان بنى إسرائيل للأرض المقدسة، فبين أن موسى عليه السلام دعاهم إلى دخولها ولكنهم جبنوا وتقاعسوا وخافوا من العماليق الذين كانوا يسكنون فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى

---

(١) انظر: كل هذه الأقوال فى كتاب: النظريات السياسية الإسلامية ص٢٨، ٢٩ للدكتور/ محمد ضياء الدين الريس، -ط- مكتبة دار التراث القاهرة -ط السابعة ١٩٧٩م.

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٢٨).
(٣) سورة النور الآية (٥٥).

لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (١)

وفى المرحلة الثانية من مراحل الاستيطان الإسرائيلى فى عهد يشوع غلام نبى الله موسى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (٢).

وهذا يعنى أنهم حتى حينما دخلوا مع يشوع لم يدخلوا وفق أوامر الرب الذى وعدهم إياها إن آمنوا، بل خالفوا وبدلوا من اللحظات الأولى، ودخلوها مستهزئين ساخرين أمروا بأن يقولوا حطة (أى حط عنا ذنوبنا) فجعلوا يهزؤن ويقولون: حبة حنطة، وأمروا بأن يدخلوا الباب سجدًا، فدخلوا زحفًا على أدبارهم، وهذا قمة التألى على أوامر الله تبارك وتعالى.

ولذلك يقول النبى ﷺ: «**قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا حبة فى شعرة**» (٣).

كما جاء الإسلام يبين أن أمر الله سبحانه وتعالى لبنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة لم يكن إلا ليقاتل بمن أطاعه من عصاه فقد كان يسكن تلك الأرض جماعة العماليق الوثنيين كما هو معلوم.

إذن المسألة كانت لنشر دين الله، وقتال أهل الكفر وليس لأى هدف آخر.

وهذا هو الذى سار عليه الإسلام فى فتوحاته، فلم يكن هدفه استيطان الأرض ولا حيازتها، ولكن هدفه نشر كلمة الله سبحانه وتعالى.

كما أن الإسلام قد جاء بمنهج طيب فى فتوحاته ومغازيه، ففى حالة الحرب ينهى عن المثلة وعن قتل الشيوخ والنساء والصبيان، وعن قطع الأشجار أو قتل الدواب . . . . وغير ذلك.

وهذا هو المعنى الذى كان نبى الإسلام ﷺ يزود به جيوشه قائلاً: «**اغزوا فى سبيل**

---

(١) سورة المائدة الآيات (٢٠-٢٦). (٢) سورة البقرة الآيتان (٥٨، ٥٩).

(٣) البخارى بشرح ابن حجر ٤٦٤١ ك التفسير، باب ﴿وقولوا حطة﴾ ٨/ ٣٧٧.

الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع»(١) .

وفى حالة السلم أى إذا صالحهم أهل البلد المزمع فتحه، كانوا على الفور يمنحون كافة الحقوق، ويعطون عهدًا يأمنون فيه على أنفسهم وعلى أموالهم وذراريهم، ولا يعرض لبيعهم ولا لكنائسهم، فى مقابل الجزية، وهى مقدار يسير من المال ربما أعفى منه العاجز عنه(٢) .

وقد كان هذا طبعًا خلاف ما رأيناه حينما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان حيث أفرطوا فى إقامة المذابح حتى للبهائم.

ولابد فى هذا الصدد أن نذكر الموقف الإسلامى من عمليات الاستيطان المعاصر فى أرض فلسطين:

وذلك أن الاستيطان الإسرائيلى المعاصر فى أرض فلسطين -كما رأيناه- كان قمة فى الهمجية وإنكار حقوق الآخرين، وكم قامت المذابح وتعدى على الحرمات والمقدسات، وأخرج من أخرج من البيوت.

فماذا كان الموقف الاسلامى؟

لقد عقدت مؤتمرات إسلامية فى القاهرة ومكة المكرمة، وعمان (١٩٦٨م)، وعقد مؤتمر إسلامى فى كوالالامبور بماليزيا (١٩٦٩م) وقد شهد هذه المؤتمرات قسم من علماء المسلمين وقسم من السياسيين المسلمين، وأعلنت المؤتمرات الإسلامية الجهاد بإجماع آراء علماء المسلمين الذين شهدوا هذه المؤتمرات والذين لم يشهدوها(٣) .

لقد فرضت الحرب على المسلمين فرضًا بعد الغزو الإسرائيلى التوسعى الاستيطانى لبلادهم، وبعد طرد العرب والمسلمين من فلسطين، وبعد الظلم والتعذيب الذى لاقاه الفلسطينيون على أيدى الصهاينة، وبعد حرق المسجد الأقصى

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٣٠٠، وهو عن بريدة، والحديث صحيح رواه مسلم بمعناه .

(٢) راجع نصوص المعاهدات التى كتبها المسلمون إبان الفتوحات الإسلامية فى تاريخ الأمم والملوك: للطبرى ٣/ ٦٠٩، ٤/ ١٠٩، ٤/ ١٥٥ .

(٣) اللواء: محمود شيت خطاب» أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ص١٠٩ -ط- مجمع البحوث الإسلامية -القاهرة- ١٣٩٠هـ .

بالنار، وبعد تهديم مساجد المسلمين والاستيلاء عنوة على قسم منها، وبعد انتهاك حرمات أقدس مقدسات المسلمين فى الأرض المقدسة.

ورغم كل هذا إلا أن الموقف الإسلامى يبدو عليه التفكك والسلبية، وكل الآمال التى تنعقد حول هذه المؤتمرات سرعان ما تنهار لأسباب كثيرة أهمها الارتجال وعدم التخطيط الدقيق قبل عقد المؤتمرات.

إن الطريق لدعم الموقف الإسلامى ليكون إيجابيًا يتمثل فى العودة إلى دين الله تعالى، وسلوك هذا الطريق يؤدى إلى وضع حاسم لمطامع إسرائيل التوسعية والاستيطانية فى البلاد الإسلامية، وإلى استعادة حقوق العرب والمسلمين فى الأرض المقدسة، وما لم يسلك المسلمون هذا الطريق فإن إسرائيل ستمتد من النيل إلى الفرات اليوم أو غدًا.

كما لابد أن يوضع فى الاعتبار أن تنظيم الطاقات المادية والمعنوية للمسلمين أمر مهم جدًا لتصبح القوة الإسلامية قوة ضاربة تفرض السلام على منطقة الشرق الأوسط، وتزيل خرافة إسرائيل وتحطم مخططها التوسعى الاستيطانى على حساب الدول العربية، والمساعى السياسية لن تنجح ما دام المسلمون ضعفاء، وستتحقق حتما -بإذن الله- تلك المساعى والحلول إذا أصبح المسلمون أقوياء [١].

وقوة المسلمين فى تمسكهم بتعاليم دينهم، فهم بالإسلام كل شىء وبدونه لا شىء، وإلى هذا المعنى أشار ابن خلدون حين قال: «**إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين**» [٢].

ويوم يتوحد الصف الاسلامى، وتتكاتف الجهود، ويجتمع المسلمون تحت مظلة الدين، سيتوقف التوسع الاستيطانى اليهودى، ثم ينحدر، لتعود المعايير إلى أنصبتها، ساعتها -بإذن الله- سيقول اليهود المعاصرون ما قاله أسلافهم من قبل «**إن فيها قومًا جبارين**».

المطلب الثالث: موقف الإسلام من نظرية الشعب المختار:

لقد جاء الإسلام وهو يقرر أن لله سبحانه وتعالى مطلق الحرية فى الاختيار، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١١٦.
(٢) ابن خلدون: المقدمة ص١٠٦.
(٣) سورة القصص من الآية (٦٨).

واختيار الله سبحانه وتعالى لما يشاء من الخلق إنما يكون لأكثر من قصد وحكمة، أجل هذه الحكم: أن يناط بهم توحيده وطاعته وعبادته.

وقد قص لنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد اختار بنى إسرائيل وحباهم بكثير من النعم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١).

وقال تعالى مذكرًا لهم: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٢).

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يذكرهم بنعم الله عليهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ (٤).

ولكن هل كان هذا التقرير عن اختيار بنى إسرائيل على مطلق العالمين؟ أم على عالمى زمانهم؟

والجواب على هذا:

أن هذه التقريرات القرآنية جاءت فى معرض التذكير لمن عاصر رسول الله ﷺ من بنى إسرائيل بسالف نعم الله سبحانه وتعالى على آبائهم وأسلافهم بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالمى من كان فى زمانهم، فإن لكل زمان عالمًا، وكان هذا التذكير بتلك النعم شرف لهم وحسن سمعة، تعود عليهم وتعزيهم بالإيمان والطاعة لو كانوا يعقلون(٥).

والعبرة التى نستخلصها من هذه الآيات وأمثالها: أن الله سبحانه وتعالى فضل بنى إسرائيل على غيرهم من الأمم السابقة على الأمة الإسلامية، ومنحهم الكثير من النعم، ولكنهم لم يقابلوا ذلك بالشرك، بل قابلوه بالتمرد والبطر، فسلب الله عنهم ما

---

(١) سورة الجاثية من الآية (١٦).
(٢) سورة البقرة من الآية (٤٧).
(٣) سورة المائدة من الآية (٢٠).
(٤) سورة الدخان الآيات (٣٠-٣٢).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٣٥، الرازى: مفاتيح الغيب ١/ ٣٥٥.

حباهم به من نعم، ووصفهم فى كتابه بأقبح الصفات وأسوأ الطباع، كقسوة القلب، ونقض العهد والتهالك على الشهوات، والتعدى على الغير والتحايل على استحلال محارم الله، ونبذهم للحق واتباعهم للباطل . . . إلى غير ذلك من الصفات التى توارد ذكرها فى القرآن الكريم، وهذا مصير كل أمة بدلت نعمة الله كفرًا، لأن الميزان عند الله للتقوى والعمل الصالح وليس للجنس أو اللون أو النسب(١).

والمستعرض لتاريخ بنى إسرائيل يأخذه العجب من فيض الآلاء التى أفاضها الله سبحانه وتعالى عليهم، ومن الجحود المنكر المتكرر الذى قابلوا به هذا الفيض المدرار، فإن عقولهم الخرفة دعتهم إلى أن يتصوروا أن الإله الذى اختارهم ضعيف ومحتاج إليهم، أو حتى أنه لا يمكن أن يكون إلها بدونهم -كما رأينا- وهذا ما قصه القرآن الكريم من سوء أدبهم وتطاولهم على الإله الذى اختارهم، من نحو قولهم عن الله الغنى إنه فقير: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(٢)، واتهامهم المولى الكريم بالشح والبخل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٣)، وزعمهم لله الولد: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾(٤).

وناقش القرآن الكريم أهل الكتابين فيما زعموا من بنوتهم لله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٥).

بل إن القرآن الكريم جاء يذكر مقدار السخط والغضب الذى أوجبه الله على هؤلاء الزاعمين أنهم شعب مختار برغم عصيانهم، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(٦).

---

(١) د. / محمد سيد طنطاوى: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١/ ١٥٠ -بتصرف- ط دار الرسالة – القاهرة ١٩٨٧م.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٨١).

(٣) سورة المائدة من الآية (٦٤).

(٤) سورة التوبة من الآية (٣٠).

(٥) سورة المائدة من الآية (١٨).

(٦) سورة آل عمران الآية (١١٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ (٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٤).

وهذه الآيات -وغيرها- مما ينفى أن يكونوا بعد كل هذا اللعن والسخط والغضب من الله تعالى شعبًا مختارًا من قبله تعالى.

ومما يجدر ذكره بعض الفلاسفة اليهود قد تأثروا بالموقف الإسلامى من فكرة الشعب المختار فرفضوها، ومن أشهر هؤلاء: الفيلسوف اليهودى سبينوزا(٥)، الذى كان يقول: إن الإله مرتبط بجميع شعوب الإنسانية، وأن شعب الله المختار هو هذه الشعوب جميعًا حينما تنبذ خلافاتها وأحقادها وتتوحد شعبًا إنسانيًا واحدًا(٦).

كما أن الإسلام فى موقفه من نظرية الشعب المختار قرر أن الله -تعالى- قد اختار الأمة الإسلامية وجعلها خير أمة أخرجت للناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) سورة المائدة من الآية (١٣). (٢) سورة المائدة الآيات (٦٠-٦٢).

(٣) سورة المائدة الآيات (٧٨-٨٠). (٤) سورة المائدة من الآية (٦٠).

(٥) سبينوزا هو: أحد الفلاسفة اليهود المعاصرين وكانت له نظريات نقدية فى الدين اليهودى هيجت عليه اليهود ويعتبر من رواد نقد العهد القديم ورفض الإيمان بالمعجزات لأنه يتنافى مع قانون الطبيعة. انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٣/ ٣٨٠-٣٨١.

(٦) انظر: د. / أمين عبد الله محمود: مشاريع الاستيطان اليهودى ص٧٧ سلسلة عالم المعرفة - الكويتية عدد فبراير ١٩٨٤م.

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١) .

ولكن يلاحظ أن اختيار الأمةالاسلامية فهمه المسلمون فى كل عصر أنه بقدر ما هو تشريف فهو تكليف، يضع على كاهل الأمة المسلمة فى الأرض واجبًا ثقيلاً، ويفردها بمكان خاص لا تبلغ إليه أمة أخرى . . . وفى أول مقتضيات هذا المكان: أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد . . . وأن تكون لها القوة التى تمكنها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهى خير أمة أخرجت للناس لا عن مجاملة أو محاباة، ولا عن مصادفة أو جزاف -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- وإنما هو العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف (٢) .

ولم يوجد فى عصر من العصور من قال بأن خيرية الأمة الإسلامية إنما هى لبنوتهم لله -تعالى عن ذلك- ولا لنسب بينهم وبينه .

ويوم أن حدث بين المسلمين وأهل الكتاب -وقت نزول القرآن- جدال فى: أى الأمم خير وأحق بدخول الجنة؟ وزعمت كل طائفة لنفسها الأفضلية جاء الرد الحاسم: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٣) .

وقد حرص القرآن الكريم على تذكير الأمة الإسلامية بأن خيريتها مرتبطة بأداء واجبها فإذا ما تخلت عنه استبدلها الله سبحانه وتعالى بأمة أخرى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (٥) .

الله أكبر . . . هذا كلام رب العالمين -الذى لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض- يقرر أنه يختار الأمة من الأمم، ويرفع أو يضع منزلتها بمقدار طاعتها له سبحانه .

وهذا بخلاف ما رأينا فى سفر اللاويين كيف قرر عجز الإله الذى اختار الشعب

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠) .
(٢) انظر: الشهيد/ سيد قطب فى ظلال القرآن ١/ ٤٤٦، ٤٤٧ .
(٣) سورة النساء الآية (١٢٣) . (٤) سورة محمد من الآية (٣٨) .
(٥) سورة المائدة الآية (٥٤) .

الإسرائيلى، وأنه برغم كل ما يرتكب بنو إسرائيل من الخطايا، وعدم سماع وصاياه وفرايضه إلا أنه لا يكرههم ولا يعاقبهم :

« . . . وهم يستوفون عن ذنوبهم لأنهم أبوا أحكامى وكرهت أنفسهم فرائضى، ولكن مع ذلك أيضًا متى كانوا فى أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقى معهم لأنى أنا الرب إلههم . . . أخرجتهم من أرض مصر أمام أعين الشعوب لأكون لهم إلهًا»(١) .

وهكذا يتضح موقف الإسلام من نظريات السياسة اليهودية الواردة فى سفر اللاويين، سواء نظام الحكم أو الاستيطان أو نظرية الشعب المختار، وما على المسلمين -وهم ينشدون العزة- إلا أن يحددوا قبل كل شىء موقف دينهم من السياسات العالمية ثم ينطلقوا من خلاله .

وفى حالة غياب تحديد هذا الموقف عن الفكر الإسلامى، حدث ولا حرج عما يكون من انخداع كثير من أبناء الإسلام بسياسات العدو، فيعترف من يعترف وينادى من ينادى بتقسيم الأرض المقدسة، ويلهث الخطى خلف الكذبة من يلهث، ويصدق الوعود الكاذبة من يصدق، ويطبع العلاقات مع أحقاد القردة والخنازير من يطبع !!!

وبعد عرضنا لتلك الجوانب السابقة (عقيدة وأخلاقًا وعبادات وتشريعات وسياسات . . .) من سفر اللاويين لابد أن يقف القارئ الكريم على أنه لا سفر اللاويين -ولا التوراة عمومًا- هووحده مصدر الفكر اليهودى وإنما هناك مصدر خطير من أهم مصادر الفكر اليهودى، وقد سبقت الإشارة إليه فى ثنايا البحث، ولكن الأمر يحتم مزيد معرفة به، ومعرفة أوجه الاختلاف والاتفاق بينه وبين سفر اللاويين، وهذا ما سأوضحه فى الفصل القادم إن شاء الله .

* * *

(١) اللاويين ٢٦ : ٤٣-٤٥ .

الفصل الثامن

أوجه الاختلاف والإئتلاف بين سفر اللاويين والتلمود

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالتلمود

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف والإئتلاف بين سفر اللاويين والتلمود

المبحث الأول

التعريف بالتلمود

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى كلمة تلمود.

المطلب الثاني: نشأة التلمود.

المطلب الثالث: أقسام التلمود.

المطلب الرابع: أهمية التلمود عند اليهود.

المبحث الأول

التعريف بالتلمود

إن التعريف بالتلمود يستلزم معرفة عدة أمور ليكون القارئ الكريم على بينة من أمر هذا الكتاب الذى نعقد المقارنة بينه وبين السفر موضع الدراسة فى هذا الفصل، ونستوفى هذا التعريف فى الأربعة مطالب الآتية:

المطلب الأول: معنى كلمة تلمود:

أصل كلمة تلمود مشتقة من الجذر العبرى «لامد» يعنى الدراسة والتعليم، ويعود كل من كلمة «تلمود» العبرية، وكلمة «تلميذ» العربية إلى أصل سامى واحد(١).

وبرغم الدراسات الكثيرة التى تناولت التلمود إلا أن تحديد مفهومه بدقة، كان أشبه بعثرة لكثير من الباحثين، حتى أن الدكتور/ أسعد رزوق يقول -وهو يتساءل-: ما هو التلمود؟: « **إن الباحث عن تعريف جامع مانع للتلمود فى المصادر اليهودية وغيرها سوف يعثر على أقوال كثيرة تفيد امتناع التعريف المنشود وتعذر الإتيان بتحديد وضعى يدل على ماهية هذا الأثر، فالمفكر الدينى اليهودى «سولمون شختر» يعلن فى مقال له بعنوان: «حول دراسة التلمود ١٨٨٥م» بأن الإجابة على سؤال: ما هو التلمود؟ ضرب من المخال، ثم يعلل ذلك بقوله: إن التلمود أثر شديد التنوع والتفكك والتشعب فى عناصره، وهذا مما يحول البتة دون تعريفه بصورة موجزة ومقتضبة**»(٢).

وتختلف تعريفات التلمود بين الباحثين اختلافًا واسعًا، فمنهم من يعرفه بأنه: كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود، ومنهم من عرفه بأنه التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم فى امتدادها عبر ألف سنة من الزمن»(٣).

ومنهم من عرفه بأنه هو: التوراة الشفوية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع

---

(١) د. / عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٢٥.
(٢) د. / أسعد رزوق: التلمود والصهيونية ص١١١.
(٣) د. / صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص٤١ ط عالم الكتب -بيروت ١٩٨٥م.

دينية وأدبية ومدنية، وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيًا من حين إلى آخر[(١)].

وعرفه بعضهم بأنه سجل المحاولات التى بذلها اليهود لتفسير العهد القديم، بما يتناسب مع وضع اليهود باعتبارهم جماعات منتشرة فى العالم وليس باعتبارهم شعبًا مستقرًا[(٢)].

ومجمل تلك التعريفات تعطى دلالة واضحة، وهى: أن التلمود عبارة عن نتاج الفكر اليهودى وحلقات الدرس فى مختلف البيئات والأزمان التى عاش فيها اليهود.

المطلب الثانى: نشأة التلمود:

لقد نشأ التلمود حينما قرر الأحبار عجز التوراة عن وفائها بحاجات اليهود فزعموا أن موسى لم يترك شريعة مكتوبة فقط تحتويها الأسفار الخمسة، بل ترك أيضًا شريعة شفوية تلقاها التلاميذ عن المعلمين جيلاً بعد جيل، وأضافوا إليها زيادات وتنقيحات[(٣)].

وقد استغرقت عملية جمع الشريعة الشفوية مدة طويلة، اختلف الباحثون فى تقديرها من خمسمائة إلى ألف عام، وشارك فيها عدد من طبقات الأحبار، وقد اكتنف عملية جمع الشريعة الشفوية عند اليهود حالة من الغموض والتعقيد جعلت من الصعب ترجيح تاريخ معين بشأن نشأة التلمود.

يقول الأستاذ/ إبراهيم خليل أحمد:

«إن القصة التى تروى تلك العملية الطويلة . . . لمن أكثر القصص تعقيدًا وأعظمها إثارة للدهشة فى تاريخ العقل البشرى»[(٤)].

وعلى كل فإن أكثر المصادر -وخصوصًا اليهودية- تذكر أن عملة جمع الشريعة الشفوية تمتد من عصر عزرا الكاتب فى منتصف القرن الخامس (ق.م.)، وتستمر حتى القرن السادس (ب.م.)[(٥)]، ويرى بعض الباحثين أن التعليقات والإضافات

---

(١) من التلمود ص ٧ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، نقلاً عن كتاب أساس الدين للدكتور هلال فارحى اليهودى المصرى.

(٢) اليد الخفية ص٢٦ .

(٣) انظر: د. / عبد الغنى عبود، اليهود واليهودية والإسلام ص٥٣ ط دار الفكر العربى -القاهرة.

(٤) إسرائيل والتلمود ص٢٠ .

(٥) التلمود والصهيونية ص١٢٥ نقلاً عن مقالة الكاتب اليهودى «سولمون شختر» المشار إليه قبل.

استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر[١] .

المطلب الثالث : أقسام التلمود

إن التلمود يتكون من نص ، وشرح ، وتعليق ، وتعليق على التعليق ، وإضافات شتى ، ويقسم علماء اليهود تلك النصوص والشروح إلى قسمين :

القسم الأول: المشنا : وهى كلمة عبرية تعنى المعرفة ، أو القانون الثانى ، وهى مشتقة من الفعل العبرى «**شناه**» والذى يعنى « **يثنى أو يكرر**» ، ولكن تحت تأثير الفعل الآرامى «**تانا**» صار معناها يدرس ، ثم أصبحت الكلمة تشير بشكل محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية[٢] .

والشنا : تعتبر خلاصة الشريعة الشفوية ومجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية المتفق عليها باختصار وتفسير لها من علماء اليهود فى أوقات مختلفة[٣] .

ويزعم اليهود أن المشنا تناقلها أحبارهم عن موسى جيلاً بعد جيل ، حتى جاء الحبر «**يهوذا هنسيا المقدسى ١٨٩م**» فتابع عمل أسلافه وأعاد ترتيبها وأكملها ، فكانت مشنا الحبر يهوذا ، وانتشرت هذه بين اليهود انتشارًا أصبحت معه -بعد زمن- هى المشنا المعتمدة لشريعة اليهود الشفوية ، وقد أدخلت عليها حواشى متعددة من أيام يهوذا إلى الآن[٤] .

وقد كتبت المشنا باللغة العبرية التى تتخللها كلمات يونانية ولاتينية ، وصيغ لغوية يظهر فيها تأثر عميق بقواعد الآرامية ومفرداتها ، وتسمى عبرية المشنا ، ويصل حجم المشنا فى الترجمة الإنجليزية إلى ٧٨٩ صفحة ، وهى تهدف إلى تقديم المضمون القانونى للشريعة الشفوية بشكل مجرد دون العودة إلى النصوص التوراتية[٥] .

وبعد صياغة المشنا على هذا النحو كثرت الشروح وتضخمت جدًا ، ومن تلك الشروح نشأ القسم الثانى من التلمود وهو الجمارا .

القسم الثانى : الجمارا : كلمة عبرية تعنى الشرح أو الإكمال[٦] .

وهى عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التى وضعها على المشنا الفقهاء

---

(١) د . / عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٤١ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) من التلمود ص١٠ .

(٤) إسرائيل والتلمود ص٢٢ ، ٢٣ بتصرف يسير .

(٥) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٤٤ .

(٦) د . / إبراهيم محمد إبراهيم : اليهودية فى أسفارها المقدسة ص١٤٤ .

اليهود الذين يسمون «أمورائيم» أى الشراح، وهى تأخذ عادة شكل أسئلة وأجوبة[١].

والجمارا جماراتان، فلسطينية وبابلية:

فالجمارا الفلسطينية تعتبر نتاج مدرسة اليهود فى فلسطين فى الفترة من (٢٢٠-٣٤٠م)، وكان أول من بدأ شرح المشنا التى وضعها يهوذا ابناه الحاخامان جامالئيل وسيمون، ثم تتالت طبقات من الأحبار فى إعادة صياغته وإضافة الشروح إليه، وحذف ما يريدون حذفه على مدى القرون والأزمنة[٢]، وقد كتبت الجمارا الفلسطينية باللغة الآرامية وهى لغة أهل فلسطين آنذاك مختلطة بكلمات عبرية[٣].

وبإضافة تلك الشروح إلى المشنا يتكون ما يعرف بالتلمود الفلسطينى أو الأورشليمى.

وأما الجمارا البابلية -نسبة إلى أرض بابل بالعراق- وتعتبر نتاج المدرسة اليهودية فى بابل، ويعتبر الحاخام «آشى» المتوفى ٤٢٧م أول من شرع فى كتابة الجمارا البابلية فى نحو سنة ٣٩٧م، ثم تتالت طبقات الأحبار فى كتابة الجمارا البابلية، فجاءت طبقة الأحبار المعروفة بالسبورائيم -أى العقلاء أو المناطقة أو المناظرون- واستمرت من نحو ٥٠٠م إلى ٦٥٠م أى نحو مائة وخمسين عامًا، ثم جاءت طبقة الجاؤنيم -أى الفقهاء- وقد كانوا يعدون الرؤساء الروحيين ليهود العالم فى الفترة من أواخر القرن السادس وحتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى، وقد كتبت الجمارا البابلية بالآرامية الشرقية التى تختلف قليلاً عن الآرامية الغربية الموجودة فى فلسطين[٤].

وبإضافة تلك الشروح إلى المشنا يتكون ما يعرف بالتلمود البابلى، والتلمود البابلى أطول بكثير من الفلسطينى، فهو نحو أربعة أضعافه، وإذا أطلق التلمود انصرف إلى البابلى.

المطلب الرابع: أهمية التلمود عند اليهود:

لقد كان ينظر إلى التلمود فى بداية الأمر على أنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد التوراة، ولكن أصبح بعد حين يلقب بالتوراة الشفوية، أى أنه مساوٍ لتوراة موسى فى المرتبة،

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٤٥.

(٢) ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص٢١ ط دار النفائس -بيروت- ط الثالثة ١٩٨٠م.

(٣) د. / محمد على البار: المسيح المنظر وتعاليم التلمود ص٦٤.

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٤٥، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص٦٦-٦٨.

ولم يعد فى وسع أى يهودى مخالفته، وأخذت درجة قداسته فى الازدياد والاتساع حتى أصبح أكثر قداسة من التوراة ذاتها، وقد قال أحد الحاخامات: «**يابنى كن حريصًا على مراعاة أقوال الكتبة -اى الحاخامات واضعى التلمود- أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحتوى الأوامر والنواهى، أما شرائع الكتبة فإن من ينتهك واحدة منها يجلب على نفسه عقوبة الإله**. . . . وقد جاء أيضًا أنه: «**لا خلاص لمن ترك التلمود واشتغل بالتوراة لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى وهى أفضل من أقوال الأنبياء**»(١) .

وقد غالى علماء التلمود فى رفع منزلة التلمود، حتى إنهم يقولون: «**إن من درس التوراة وحدها فقد فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشنا فقد فعل فضيلة واستحق أن يكافأ عليها، أما الجمارا فلا تسمو على فضيلة درسها أية فضيلة أخرى، ومع ذلك ارجعوا إلى المشنا أكثر من رجوعكم إلى الجمارا**»(٢) .

حتى أن النصوص التى وردت فى التوراة لتقديسها تأولها علماء التلمود على أنها واردة فى حق التلمود، ومن ذلك فى سفر العدد: «. . . . **احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته قطعًا تقطع تلك النفس ذنبها عنها**»(٣) فيعلق أحد الحاخامات على هذا بقوله: «**إن تدرس التوراة ولا تلتفت إلى المشنا فإنك تقترف إثما بحق من أعطى التوراة، إذ لا يمكن فهم التوراة فهمًا صحيحًا بدون شروحات المشنا وتفسيراته**»(٤) .

ويمضى علماء التلمود فى مغالاتهم فى تقديسه فيقولون: «**إن التوراة أشبه بالماء، والمشنا أشبه بالنبيذ، والجمارا أشبه بالنبيذ المعطر، فلا يمكن الاستغناء عن هذه الكتب والأصناف معًا، إن الشريعة هى كالملح والمشنا كالفلفل، والجمارا أشبه بالتوابل، فلا يمكن الاستغناء عن هذه الأصناف أيضًا**»(٥) .

وترجع أهمية التلمود عند اليهود إلى أنه لا يقتصر على حياتهم العامة، بل يمتد ليشمل أخص خصوصياتهم، فهو يتناول ضمن ما يتناول كل دقائق إعداد الطعام وتناوله، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجته، وهو أيضًا كتاب طبى، وكتاب تنجيم وسحر وتفسير أحلام(٦) .

---

(١) انظر: د . / بد الوهاب المسيرى: اليد الخفية ص٢٧، ٢٨ .

(٢) د . / أسعد رزوق : التلمود والصهيونية ص١٩٣، ١٩٤ .

(٣) العدد ١٥ : ٣١ .

(٤) التلمود والصهيونية ١٩٣ .

(٥) التلمود والصهيونية ص١٩٣ .

(٦) اليد الخفية ص٣١ بتصرف .

وبالجملة فقد كان التلمود بمثابة وطن متنقل لليهود يحملونه معهم أينما ساروا، فحيثما وجد اليهود -حتى وهم جالية فى أرض الغربة- كان فى وسعهم أن يضعوا أنفسهم مرة أخرى فى عالمهم (الجيتو)، وأن يعيشوا مع أنبيائهم وأحبارهم، وذلك بأن يرووا عقولهم وقلوبهم من فيض هذه الشريعة(١).

ومما يزيد أهمية التلمود وضوحًا أن اليهود يتخذون منه أساسًا وجوهرًا للتربية، فالشاب العبرانى ينكب على دراسة التلمود سبع ساعات يوميًا لمدة سبع سنوات، يتلوه، ويثبته فى ذاكرته بلسانه وعينيه، وكان هو الذى يكون عقولهم وفكرهم، ويشكل أخلاقهم بما تفرضه دراساته من نظام دقيق(٢).

ولعل من أوضح القرائن على أهمية التلمود عند اليهود: ما نرى وما نشاهد من أفعالهم، والتى بمجرد مراجعتها على ما تلقفته الأيدى من نصوص التلمود يتضح أنهم ينطلقون من خلاله فى كل أمر.

وبرغم هذه الهيمنة التى تلاحظ للتلمود على الحياة اليهودية، والتى قد يظن أنها إيجابيات إلا أنه لا يخفى على كل ذى لب أن المغالاة فى تقديس التلمود وإظهار أهميته كانت سببًا فى إصابة العقل اليهودى بضيق الأفق، وأبسط الأمثلة على ذلك ما نراه من تردد وحيرة قادتهم هل يمضون نحو السلام -الذى لابد منه للاستقرار- أم ينفذون أوامر التلمود التى تأمرهم بالحرب وسفك الدماء وألا يقيموا مع الأغيار سلامًا؟

---

(١) إسرائيل والتلمود ص٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص٣٢ بتصرف .

المبحث الثانى

أوجه الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين والتلمود

ويشتمل على

المطلب الأول : أوجه الاختلاف

المطلب الثانى : أوجه الائتلاف

المبحث الثانى

أوجه الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين والتلمود

بعد أن عرفنا أهمية التلمود وأقسامه ونشأته، يهمنا هنا أن نقف على أوجه الاختلاف والائتلاف بين سفر اللاويين والتلمود، والغرض من ذلك أن نعرف مدى التناقض فى مصدرى الشريعة والفكر اليهودى.

المطلب الأول: أوجه الاختلاف:

أولاً من ناحية كاتب السفر وكاتب التلمود:

فعلماء اليهود يقولون إن كاتب سفر اللاويين هو موسى عليه السلام كما وضحنا ذلك فى التمهيد.

وهم أيضًا يقولون إن التلمود عمل جماعة من الكتاب والمؤلفين، يقول المؤرخ اليهودى/ غريتس، وهو يناقش قضية التفاها التى حواها التلمود:

«إن التلمود ليس من عمل مؤلف واحد بحيث نستطيع مطالبة هذا المؤلف بتحمل المسئولية عن كل كلمة وردت فيه» ثم يقول: « المؤلف هو الأمة اليهودية بأسرها»[١].

ثانيًا: من ناحية طريقة الترتيب:

فبينما نجد سفر اللاويين لا يراعى كاتبه التنسيق والترتيب فقد يتكلم عن شىء فى الإصحاح الأول ويعيده فى غيره من الأسفار بلا حاجة وربما تحدث عن القرابين ويدخل فيها حديثًا فى الطب وأحكام النساء، أو ربما تحدث عن جرائم الزنى واللواط، وفى وسط ذلك يدخل حديثًا عن الزراعة. . . وهكذا.

فى حين نجد التلمود مرتبًا على حسب الأبواب، فباب للزراعة وباب للأعياد والمواسم، وآخر للنساءِ، وآخر للمقدسات، وآخر للتطهيرات. . . وتحت هذه الأبواب أسفار كثيرة، لكنها مرتبة بحيث تكون أسفار الزراعة بعضها تلو بعض. . . وهكذا[٢].

(١) انظر: د. / أسعد رزوق، التلمود والصهيونية ص٢٠٤ .

(٢) السابق ص١٥١-١٧٥ .

ثالثًا : من ناحية مخالفة بعض الأحكام :

فقد خالف التلمود سفر اللاويين فى عدة أحكام ، وهاك بعض نماذج لمسائل وردت فى السفر وخالف التلمود فى حكمها :

١] **مسألة الزنى بالمحارم :** فقد حكم السفر بالقتل على اليهودى الذى يزنى بالأم أو زوجة الأب أو زوجة الابن أو أم الزوجة أو الأخت أو العمة أو الخالة أو امرأة العم . . . . »[١] .

أما التلمود فيبيح الزنى بأقرب المحارم حيث يقول : «**من رأى أن يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل**»[٢] .

٢] **مسألة اللواط :** فقد نهى السفر على فعل اللواط « **لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة إنه رجس**»[٣] ويحكم بالقتل على اللذين يفعلان هذه الفعلة «**وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسًا إنهما يقتلان دمهما عليهما**»[٤] وهذا حكم عام يشمل اللواط مع اليهودى وغيره .

أما التلمود فإنه يبيح لليهودى اللواط مع الأجنبى لكن بشرط أن يكون اليهودى هو الفاعل برغم وأن السفر قد حكم بالقتل على الجميع .

يقول التلمود :

«**إن الزنى بغير اليهود ذكورًا كانوا أم إناثًا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات**»[٥] .

وفى موطن آخر يبيح اللواط بالزوجة اليهودى جاء فيه : «**اللواط بالزوجة جائز لليهودي ، لأن الزوجة بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحمة اشتراها من الجزار ، ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته**»[٦] .

٣] **فعل المعاصى** حيث نجد السفر يحذر من ارتكاب المعاصى ففى الإصحاح الثامن عشر مثلاً يذكر جملة من المعاصى والمخالفات ثم يأمر بالكف عنها بقوله :

« . . . **بكل هذه لا تتنجسوا . . . بل كل من عمل شيئًا من جميع هذه الرجسات تقطع الأنفس التى تعملها من شعبها**»[٧] .

---

(١) انظر ص٣٢٧ من هذا البحث وما بعدها
(٢) إسرائيل والتلمود ص٦٨ .
(٣) اللاويين ١٨ : ٢٢ .
(٤) اللاويين ٢٠ : ١٣ .
(٥) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٩ .
(٦) إسرائيل والتلمود ص٦٩ .
(٧) اللاويين ١٨ : ٢٤-٢٩ .

أما التلمود فلا يرى رجاله بأسًا بارتكاب المعاصى ما دامت العزائم فاترة عاجزة عن المقاومة، جاء فيه: «**مصرح لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها**»[(١)].

٤] **مسألة الأيمان**: فى حين نجد سفر اللاويين يشدد فى النهى عن الحلف بالأيمان الكاذبة ويعتبرها من القدح فى الإله، حيث يقول: «**ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك**»[(٢)].

وفى موضع آخر يقرر أنه يذنب فى كل حلفه الكاذب والصادق الذى يقع منه بتهور أو بدون روية سواء أكان ذلك للإساءة أو للإحسان، أى لداعى الخير أو الشر[(٣)] جاء فيه: «. . . . **إذا حلف أحد مفترطًا للإساءة أو للإحسان من جميع ما يفترط به الإنسان فى اليمين وأخفى عنه ثم علم فهو مذنب . . . . يقر بما قد أخطأ به، ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيته التى أخطأ بها أنثى من الأغنام نعجة أو عنزًا من المعز ذبيحة خطية فيكفر عنه الكاهن**»[(٤)].

وواضح أن هذا حكم عام فى الحلف مع اليهودى أو غيره.

أما التلمود: فإنه يقول: «**مصرح لك أن تحلف أيمانًا كاذبة، ولليهودى أن يؤدى عشرين يمين كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه لضرر ما**»[(٥)].

بل غالى بعض حاخامات التلمود فأباحوا الكذب فى اليمين إلى مائة مرة، فقد جاء فيه: «**يجوز لليهودى أن يحلف مائة يمين كاذبة عند معاملته لباقى الشعوب، إذ أن اليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس، أما لغير اليهود من الحيوانات فلا اعتبار لها**»[(٦)].

٥] **مسألة تقديس السبت**: يؤكد السفر على تقديس يوم السبت وحرمة العمل فيه وعدم خرقه لأى سبب من الأسباب، جاء فيه: «**ستة أيام يعمل علم، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس، عملاً ما لا تعملوا، إنه سبت للرب فى جميع مساكنكم**»[(٧)].

أما التلمود: فيجيز خرق السبت متى اعتبر اليهودى أن ثمة أخطارًا تتهدد حياته فقد جاء فيه: «**حين تكون المسألة قضية خطر يتهدد حياة المجتمع فلابد من خرق السبت**»[(٨)].

---

(١) إسرائيل والتلود ص٦٩.

(٢) اللاويين ١٩: ١٢.

(٣) انظر: وليم مارش، السنن القويم ٢/ ٢٢.

(٤) اللاويين ٥: ٤-١٠.

(٥) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص٣٠٥.

(٦) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٩، ١٦٠.

(٧) اللاويين ٢٣: ٢-٣.

(٨) التلمود والصهيونية ٢٨٧، ٢٨٨.

المطلب الثانى : أوجه الائتلاف

فيما عدا الأوجة التى ذكرتها من الاختلاف نجد أن السفر يتفق مع التلمود فى جميع الأوجه، ومن ذلك :

١] **تصور الإله :** يتفق سفر اللاويين مع التلمود فى تصوره للإله فالإله الذى يرسم السفر صورته إله خاص بشعب اسرائيل، وله مجموعة صفات بشرية كالندم وحب الطعام ولحوقه التعب والنصب.

«رائحة سرور للرب» «كل الشحم للرب فريضة دهرية فى أجيالكم فى جميع مساكنكم»

«وإن قربت تقدمة باكورات للرب ففريكا مشويًا بالنار جريشًا سويقًا تقرب باكوراتك»

«ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة . . إنه سبت للرب فى جميع مساكنكم» . . . . وغير ذلك من الصفات البشرية التى فصلتها عند الكلام على العقيدة[١] .

وكذلك التلمود : يصف الإله سبحانه وتعالى بصفات البشر، وأنه يضحك ويلعب ويلطم ويبكى، فقد جاء فى التلمود :

«النهار اثنتا عشر ساعة فى الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك وأنه اعترف بأخطائه فى تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويزأر قائلاً : تبًا لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى، ويندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل، وليس الله معصومًا عن الطيش والغضب والكذب»[٢] .

وفى التلمود أوصاف بشرية كثيرة للإله لا تخرج فى شىء عن أوصافه فى سفر اللاويين والتوراة عمومًا مما يؤكد أنه إله خاص بشعب اسرائيل، وأن العقيدة فى التلمود هى العقيدة فى سفر اللاويين.

٢]تصور الأنبياء : يتفق سفر اللاويين مع التلمود فى تصوره للأنبياء فالأنبياء فى سفر اللاويين -كما رأينا-[٣] غير معصومين، وهم أشبه بسحرة، أو بكهنة النار فى الديانات الوثنية.

---

(١) انظر : ص٦٧ من هذا البحث وما بعدها .
(٢) إسرائيل والتلمود ص٥٨ .
(٣) انظر ص٧٨ من هذا البحث وما بعدها .

وكذلك التلمود يحط من قدر الأنبياء حتى أنه يفضل الحاخامات عليهم، جاء فيه: «اعلم أن أقوال الحاخامات هى أفضل من أقوال الأنبياء»[(١)] .

٣] قصر منافع التشريع على جماعة إسرائيل:

وهذا الوجه من أوضح ما يكون، حيث أن السفر وكذلك التلمود يسيران فى هذا الإطار، فالتشريع لحماية دم اليهودية وماله وأرضه وعرضه . . . وهو وحده لا غير[(٢)] .

أما الأميون فليس لهم الحق أن يستفيدوا من منافع التشريع أبدًا، لأنهم غير معتبرين فى نظر التشريع أصلاً؛ إلا كحيوانات، وبيوتهم زرائب بهائم .

جاء فى التلمود: «لليهودى لا تقرض بربا وللأجنبى لا تقرض إلا بالربا»[(٣)] . «السرقة غير جائزة من اليهودى، ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودى والسرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استردادًا لمال اليهودى إذ أن العالم كله لم يخلق إلا من أجل اليهود»[(٤)] . «يجوز لليهودى أن يشد زورًا وأن يقسم على ذلك حسب ما تقتضيه مصلحته مع غير اليهودى»[(٥)] . « على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينًا كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما»[(٦)] . «يجب على كل يهودى أن يبذل جهوده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم . . . »[(٧)] . « لا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود لأنهم أشبه بالحمير، ويعتبر اليهود بيوت باقى الأمم زرائب للحيوانات»[(٨)] .

٤] التأكيد على اسطورة الشعب المختار:

ويعتبر هذا الوجه من الخطوط العريضة التى تجمع بين التلمود وسفر اللاويين والتوراة عمومًا .

فقد زكى السفر أسطورة الشعب المختار بكم هائل من النصوص: « . . . . فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب إلهكم، وتحفظون فرائضى وتعملونها أنا الرب مقدسكم» « وقد ميزتكم من بين الشعوب لتكونوا لى» « إنى أنا الرب الذى أصعدكم من

---

(١) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦١ .
(٢) انظر ص٨٩ من هذا البحث وما بعدها .
(٣) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص ١٥٨ .
(٤) انظر: إسرائيل والتلمود ص٦٢ .
(٥) السابق ص٧٠ .
(٦) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦٠ .
(٧) إسرائيل والتلمود ص٥٩ .
(٨) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٦ .

أرض مصر ليكون لكم إلها فتكونون قديسين لأنى أنا قدوس» «وأجعل مسكنى فى وسطكم. . . . وأسير بينكم، وأكون لكم إلها، وأنتم تكونون لى شعبًا . . .» ونصوص كثيرة أثبتها عند الكلام على نظرية الشعب المختار[١] .

وكذلك فإن التلمود قد رفع لواء هذه الأسطورة، ودعمها بكثير من النصوص من ذلك :

«نحن شعب الله المختار، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا، ذلك لأنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنساني وهم كل الأمم والأجناس لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر أمم الأرض، فسخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج أموالهم لمنفعتنا»[٢] .

«الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة وإذا ضرب أمى إسرائيليًا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت. . » . . ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب والنطفة المخلوق منها باقى الشعوب هى نطفة حصان»[٣] .

«هناك أربعة أشياء يندم الواحد القدوس على خلقها: النفى، والكلدانيون، والإسماعيلون، ونزعة الشر»[٤] . والإسماعيلون هم العرب .

٥] توافق عام

من خلال ما رأينا نجد أن سفر اللاويين -وباقى أسفار التوراة- تعتبر أصلاً للتلمود، فأكثر نصوص التلمود ما هى إلا شروح وتفاسير وإضافات لتلك الأسفار .

يقول عمانوئيل دويتش -الكاتب اليهودى- فى مقال له من التوافق بين التوراة والتلمود: **«هناك تياران عظيمان تارة يسيران فى موازاة بعضهما بعضًا، وطورًا يبدو أنهما يتفاعلان ويؤثر الواحد منهما فى الآخر حتى أنه يعيق سيره ويعترض مفعوله»**[٥] .

---

(١) انظر: ص٤٤٨ من هذا البحث وما بعدها .
(٢) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٦٠، ١٦١ .
(٣) إسرائيل والتلمود ص٦١ .
(٤) التلمود والصهيونية ص٢٦٥ .
(٥) انظر: د . / أسعد رزوق: التلمود والصهيونية ص١٢٢ .

ويعقب الدكتور/ أسعد رزوق على هذا المقال فيقول :

«ومهما تعددت الأقوال والآراء بشأن العلاقة القائمة بين التوراة والتملود، ورغم كل ما يزعمه اليهود عن وجود تقليدين بموازاة بعضهما بعضًا وينحدران من مصدر واحد فإن التلمود لا يمكنه فصله عن التوراة أبدًا، كما أن الأحكام الشرعية الواردة فى المشنا لا تنفصل عن خلفيتها التوراتية فى أسفار موسى الخمسة، حيث يكمن مصدرها ومنبعها الأساسى، فالتلمود يبدو لنا وكأنه أشبه ما يكون بتطبيق التوراة، رغم الفروقات الكثيرة بينهما، ولا بأس من اعتبار التلمود بمثابة سجل حافل يبين لنا من خلال المناقشات والشروحات والأمثلة والردود والروايات كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية فى حياتهم اليومية، إن جذور التلمود ترجع إذن إلى تفاعل الشريعة المكتوبة مع أوضاع الحياة المتغيرة والحاجات الطارئة، وحين يصطدم التطبيق العملى بالنصوص المقدسة أو الموضوعة فى عهد الكهنة والكتبة، تبدأ المشكلة فى الظهور، وتكثر الاجتهادات، بينما يتصاعد الحث عن الحلول والمخارج، واستنادًا إلى هذا التفسير للعلاقة الوثيقة بين التلمود والتوراة يقول بركوفيتر : «التلمود هو الجسر الممتد بين التوراة والحياة، إنه التوراة فى التطبيق»[١] .

ومما يؤكد هذا التوافق العام بين سفر اللاويين -وسائر أسفار التوراة- والتلمود أن كثيرًا من مدارس التفسير اليهودية كانت تسلك فى مناهجها تفسير التوراة بالتلمود أو العكس بحيث يبدو كل منهما فى اتفاق وتناسق مع الآخر[٢] .

وبالطبع إذا بدا ثمة تخالف يلجأ الحاخامات إلى تأويل النصوص وتطويعها لمقاصدهم وأغراضهم، حتى لو لم تكن تقبل التأويل إلا فى خيالاتهم وحدهم .

* * *

(١) المصدر السابق ص١٢٢، ١٢٣ بتصرف يسير .

(٢) انظر : د . / عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهود ص٤٥٢-٤٧٧ .

الخاتمـة

نسأل الله تعالى حسنها فى الأمور كلها

أحمد الله سبحانه وتعالى على مايسر لى من السير فى هذا البحث، فمنه وحده العون والتوفيق والسداد.

وبعد / فقد طوفت فى بحث هذا الموضوع -سفر اللاويين دراسة تحليلية نقدية بمراجع كثيرة، فى نواحى متعددة، فى العقائد والشرائع والعبادات والنظم والسياسات، وقد أفدت كثيرًا -بحمد الله- من البحث، وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها:

١- أهمية الدراسات الدينية المقارنة للوقوف على معالم العظمة التى اشتمل عليها الإسلام، فكما أن الشمس لايعرف الناس قدرها إلا بدخول الظلام كذلك كل حق لاتعرف قيمته إلا بمعرفة نقيضه من الباطل، فلو سلك دعاة الإسلام -اليوم- ضمن منهجهم فى الدعوة أسلوب المقارنة ولو بشئ يسير بين العقائد والنظم والعبادات والشرائع الإسلامية وغيرها لربما رأينا غير مانرى من استهانة الشباب بفرائض هذا الدين وتفريطهم فيه.

٢- تحريف سفر اللاويين -كغيره من أسفار اليهود- وقد يقول قائل هذه نتيجة سبق أن قررها القرآن الكريم حين قال عن اليهود: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (١) ولكن ثم فرق بين أن يقرأ المسلم، الحكم بالتحريف وبين أن يقف على حقيقة وكيفية ومراحل هذا التحريف لأن هذه المعرفة ستزيده يقينًا فيما أخبر به قرآنه.

٣- عدم التوافق بين نصوص سفر اللاويين وبين الحقائق العلمية الثابتة.

٤- كفر اليهود بالله ووصفهم له فى السفر بأوصاف بشرية.

---

(١) سورة النساء الآية (٤٦).

٥- كفر اليهود بالأنبياء والاجتراء عليهم، وتفضيل الحاخامات عليهم.

٦- كفر اليهود باليوم الآخر وتحويله ليوم سياسى يحاسبون فيه الأمم بدلاً من حساب الله سبحانه وتعالى لهم.

٧- فساد الجانب الأخلاقى عند اليهود، حيث حولوا الوصايا الأخلاقية إلى وصايا خاصة للتعامل مع اليهود فقط.

٨- مغالاة اليهود فى تقديس الكهنة أو الأحبار مهّد للكهنة أن يحرفوا الوحى السماوى وهم مطمئنون إلى أن الشعب لايستطيع إلا أن يسلم ويذعن، وهذا يعنى أنه لاعذر لأى جماعة تسمح لبعض المضللين أن يتلاعبوا بعقولها وفكرها، ألا ترى كيف وصف الله قوم فرعون حين استنهضهم للكفر بموسى، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ (١) فلا عذر لجماعة تصم آذانها وتغلق أعينها وتسلم للمضللين قيادها ثم تقول: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ (٢).

٩- جنوح اليهود إلى التفسيرات المادية للعبادة والتشدد فيها أدى إلى مللها ونبذها فى كثير من الأحيان.

١٠- ارتباط العبادات اليهودية بالمناسبات القومية عندهم، مما أدى إلى اجتراء اليهود على الاختراع فى مجال العبادة.

١١- العبادات الروحية التى يتعبد بها النصارى ماهى إلا رد فعل للروح المادية الطاغية على عبادات اليهود.

١٢- جمع الإسلام بين المادية والروحية.

١٣- بساطة العبادات فى الإسلام ووضوحها وبعدها عن الدجل والخرافة والغموض.

١٤- فساد الجانب التشريعى عند اليهود، حيث رأينا فى السفر تخبطًا فى إصدار الأحكام، وفوضوية فى سن القوانين، وفوق كل هذا قصر منافع التشريع على جماعة إسرائيل، وفى هذا مايلفت أنظار العقلاء إلى الطفرة التى أحدثها الإسلام فى تنظيم الكون بشريعته الشاملة التى أسعدت الدنيا جمعاء.

١٥- تحايل اليهود على الشريعة سوغ لهم استحلال الحرام بأدنى الحيل.

---

(١) سورة الزخرف الآية (٥٤).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٦٧)

١٦- من البحث -أيضًا- ظهرت الروح العنصرية[١] طافحة من نصوص سفر اللاويين الذى غالى فى امتداح شعب إسرائيل المختار، ومن هذا ندرك أن روح الاستعلاء والغرور التى تهيمن على الشخصية اليهودية مصدرها إيمانهم بتلك الأسفار.

١٧- كذلك أسفر البحث عن فضح الشخصية اليهودية المراوغة، فهلا أفاق المسلمون وعرفوا أنهم أمام عدو مراوغ لايرقب فى المؤمنين إلاً ولاذمة.

١٨- كذلك نتج عن هذه الدراسة أن القرآن الكريم وحده -الآن- من بين الكتب هو كلام الله المصون الذى لم تنله يد التحريف.

* * *

(١) من العجيب أن كثيرًا من الدول عندما عقد مؤتمر «التفرقة العنصرية» فى سبتمبر ٢٠٠١م . بدربالة- رفضت أن تصف إسرائيل بأنها دولة عنصرية، حتى أن أمريكا أعلنت انسحابها من المؤتمر وتبعتها إسرائيل!!!! .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم -جل من أنزله

*** د/ إبراهيم خليل أحمد:**

١- إسرائيل والتلمود -ط مكتبة الوعى العربى -القاهرة ١٩٦٧م.

٢- محاضرات فى مقارنة الأديان -ط دار المنار- القاهرة ١٩٨٩م.

*** د/ إبراهيم محمد إبراهيم:**

٣- اليهودية فى أسفارها المقدسة -ط الأمانة- الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

*** إبراهيم محمد ضويان:**

٤- منار السبيل فى شرح الدليل -ط المكتب الإسلامى- بيروت ١٩٨٤م- تحقيق زهير الشاويش.

*** أبكار السقاف:**

٥- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة -ط مكتبة مدبولى- القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

*** أبو الأعلى المودودى:**

٦- نحن والحضارة الغربية -ط مؤسسة الرسالة- بيروت.

*** أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ٤٥٨هـ.**

٧- السنن الكبرى -ط مجلس دائرة المعارف العثمانية -بحيدر أباد ١٣٥٣هـ.

*** أبو بكر أحمد بن على ثابت البغدادى ٤٦٣هـ.**

٨- تاريخ بغداد -ط دار الكتاب العربى - بيروت.

٩- الكفاية فى علم الرواية -ط دار الكتب العلمية- بيروت.

*** أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المالكى ٥٤٣هـ.**

١٠- أحكام القرآن -ط دار الفكر -بيروت- تحقيق/ محمد عبد القادر عطا.

١١- عارضة الأحوزى بشرح صحيح الترمذى -ط دار الكتب العلمية- بيروت.

*** أبو الحسن على الندوى:**

١٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين -ط مكتبة الدعوة بالأزهر.

*** أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ٥٠٥هـ.**

١٣- إحياء علوم الدين -ط دار النصر للطباعة الإسلامية -الناشر- مكتبة الإيمان- بالمنصورة ١٩٩٦م.

*** أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ٦٧٦ هـ.**

١٤- شرح صحيح مسلم -ط دار الثقافة العربية- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٣٠م.

١٥- المجموع -ط المكتبة السلفية- المدينة المنورة.

١٦- منهاج الطالبين وعمدة المفتين -ط مصطفى البابى الحلبى- القاهرة.

*** أبو العباس أحمد بن إبراهيم القرطبى ٦٥٦هـ.**

١٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم -ط دار ابن كثير- دمشق- الطبعة الأولى ١٩٩٦م. -حققه مجموعة من العلماء.

* أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى ٧٢٨هـ.

١٨- التفسير الكبير -ط دار الكتب العلمية -بيروت١٩٩٨م- تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة.

١٩- الحسبة فى الإسلام -ط دار الشروق -القاهرة.

٢٠- فتاوى النساء -ط دار الريان للتراث ١٩٨٨- جمع وتحقيق د/ السيد الجميلى.

٢١- مجموع الفتاوى -ط دار الرحمة- القاهرة.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح -ط مطبعة المدنى- القاهرة ١٩٦٤م.

*** أبو عبد الله الحاكم النيسابورى ٤٠٥هـ.**

٢٣- المستدرك على الصحيحين -ط النهضة الحديثة- القاهرة.

٢٤- معرفة علوم الحديث -ط المكتب التجارى للطباعة والنشر- بيروت ١٩٣٥م. تحقيق/ السيد معظم حسين.

*** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج القرطبى ٦٧١هـ.**

٢٥- الإعلام بمافى دين النصارى من الفساد والأوهام -ط دار التراث العربى- القاهرة ١٩٨٠م. تحقيق د/ أحمد حجازى السقا.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن -ط دار الكتاب العربى- القاهرة- الطبعة الثالثة ١٩٦٧.

*** أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب -المعروف بابن القيم ٧٥١هـ.**

٢٧- أحكام أهل الذمة -ط دار العلم للملايين- بيروت ١٩٨٣م. - تحقيق د/ صبحى الصالح.

٢٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان- ط مصطفى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٦١م.

٢٩- زاد المعاد فى هدى خير العباد -ط المطبعة المصرية ومكتبتها- القاهرة.

٣٠- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى- ط مكتبة القرآن- القاهرة ١٩٩٠م.

*** أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى.**

٣١- السنن -ط عيسى البابى الحلبى- القاهرة -تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

*** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ٤٦٣هـ.**

٣٢- التمهيد -ط مطبعة فضالة المحمدية- القاهرة- تحقيق/ سعيد أحمد أعراب.

٣٣- الاستذكار- ط دار الوعى- القاهرة ١٩٩٣م. -تحقيق/ عبد المعطى أمين قلعجى.

*** أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ٢٧٩هـ.**

٣٤- الجامع الصحيح -ط دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٧م.

*** أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ٦٢٠هـ.**

٣٥- المغنى على مختصر أبى القاسم الخرقى -ط دار الكتاب العربى- القاهرة.

*** أبو محمد عبد الله بن الفضل بن يهرام الدارمى ٢٥٥هـ.**

٣٦- السنن -ط دار إحياء السنة النبوية- القاهرة.

*** أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ١٨٢هـ.**

٣٧- الخراج -ط دار المعرفة- بيروت.

*** أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد ٥٩٥هـ.**

٣٨- بداية المجتهد ونهاية المقتصد -ط المكتبة التجارية- مصر .
* أبو هلال العسكرى .
٣٩- الفروق اللغوية ط - مكتبة القدس - ١٩٩٤
* أتو كاريف .
٤٠- الأديان فى تاريخ شعوب العالم -ط مطبعة الأهالى للطبع والنشر والتوزيع - سورية - الطبعة الأولى ١٩٩٨م. ترجمة د/ أحمد فاضل .
* د/ أحمد إبراهيم خضر :
٤١- الإسلام والكونجرس -ط دار الاعتصام- القاهرة ١٩٩٤م .
* أحمد بن إدريس القرافى ٦٨٤هـ .
٤٢- الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة -ط مكتبة القرآن للطبع والنشر- القاهرة ١٩٩٢م .
* د/ أحمد حجازى السقا :
٤٣- المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجارات- ط مكتبة زهران- القاهرة ١٩٨٩م .
٤٤- نقد التوراة -ط مكتبة الكليات الأزهرية -مصر ١٩٧٦م .
* أحمد ديدات :
٤٥- الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام -ط المختار الإسلامى- القاهرة ١٩٩١م . ترجمة محمد مختار .
* د/ أحمد سعد الدين البساطى :
٤٦- مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية -ط دار أبو المجد للطباعة- القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
* د/ أحمد شلبى :
٤٧- اليهودية -ط مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة الحادية عشر ١٩٩٦م .
٤٨- المسيحية -ط مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة الحادية عشر ١٩٩٦م .
* د/ أحمد عبد الرازق قنديل :
٤٩- الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى -ط دار التراث بالاشتراك مع مركز

بحوث الشرق الأوسط -القاهرة ١٩٨٤م.

*** اللواء/ أحمد عبد الوهاب:**

٥٠- اختلاف فى تراجم الكتاب المقدس -ط دار التوفيق النموذجية- القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

*** أحمد عبد الله:**

٥١- الأصابع الخفية -ط بيت الحكمة للنشر والتوزيع -القاهرة.

*** أحمد عطية الله:**

٥٢- القاموس الإسلامى -ط مكتبة النهضة العربية- القاهرة.

*** أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ.**

٥٣- الإصابة فى تمييز الصحابة -ط نهضة مصر - القاهرة.

٥٤- إبناء الغمر بأبناء العمر -ط دار الكتب العلمية -بيروت ١٩٨٦م.

٥٥- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ط دار الحديث القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

*** أحمد بن على بن شعيب النسائى ٣٠٣هـ.**

٥٦- السنن الكبرى -ط دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩١م.

*** أحمد بن على القلقشندى ٨٢١هـ.**

٥٧- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.

*** أحمد بن محمد بن حنبل ٢٤٠هـ.**

٥٨- المسند -ط المكتب الإسلامى- بيروت، وبهامشه كنز العمال.

*** أحمد بن محمد بن خلكان ٦٨١هـ .**

٥٩- وفيات الأعيان -ط دار صادر- بيروت ١٩٧٧م. تحقيق/ إحسان عباس.

*** أحمد بن محمد بن مسكويه.**

٦٠- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق -ط المطبعة المصرية ومكتبتها- الطبعة الأولى.

*** أحمد بن يحيى البلاذرى:**

٦١- فتوح البلدان - ط مؤسسة المعارف - بيروت ١٩٨٧م.

*** د/ إسرائيل ولفنسون:**

٦٢- موسى بن ميمون حياته ومصنفاته -ط لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ١٩٣٦م.

* د/ أسعد رزوق:

٦٣- التلمود والصهيونية - ط منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠م.

* إسماعيل بن محمد العجلونى

٦٤- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس ط دار إحياء التراث - القاهرة .

* د/ إلدون جاردنر:

٦٥- مبادئ علم الوراثة -الدار العربية للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٨٧م. ترجمة د/ أحمد شوقى حسن وآخرين.

* الأنبا/ ألكسندر إسكندر:

٦٦- الحياة الكهنوتية والرسولية - ط مطرانية أسيوط للأقباط الكاثوليك.

* د/ آمال السبكى:

٦٧- تاريخ إيران السياسى بين ثورتي (١٩٠٦م-١٩٧٩م) سلسلة عالم المعرفة - عدد أكتوبر ١٩٩٩م.

* القس/ إلياس مقار:

٦٨- قضايا المسيحية الكبرى -ط دار الثقافة المسيحية -الطبعة الثانية- القاهرة.

* د/ آمنة محمد نصير.

٦٩- مباحث فى علوم العقيدة -ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤م.

* د/ أمين عبد الله محمود:

٧٠- مشاريع الاستيطان اليهودى -سلسلة عالم المعرفة -عدد فبراير ١٩٨٤م.

* د/ أمين عبد المعبود زغلول:

٧١- المال واستثماره فى ميزان الشريعة الإسلامية -ط الأمانة القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

* أنور الجندى:

٧٢- المخططات التلمودية -ط دار الاعتصام القاهرة . ١٩٧٧

٧٣- موسوعة مقدمات العلوم والمناهج -ط مطبعة التقدم -مصر .

* **إيمانويل هيمان :**

٧٤- الأصولية اليهودية -ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م . ترجمة سعد الطويل .

* **د/ بدران محمد بدران :**

٧٥- التوراة -العقل والعلم والتاريخ- ط مطبعة القدس -القاهرة ١٩٧٩م .

* **بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ٧٩٤هـ .**

٧٦- البرهان فى علوم القرآن -ط دار المعرفة- بيروت- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

* **بدر الدين محمود بن أحمد بن الحسين العينى ٨٥٥هـ .**

٧٧- عمدة القارى بشرح صحيح البخارى -ط دار الفكر- بيروت ١٩٧٨م .

* **بطرس البستانى :**

٧٨- دائرة المعارف - ط دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢م .

٧٩- محيط المحيط (قاموس عربى) -ط تيبوبرس- لبنان ١٩٨٧م .

* **بطرس عبد الملك وآخرين :**

٨٠- قاموس الكتاب المقدس -ط دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالقاهرة ١٩٩٥م .

* **بالفوهيفر/**

٨١- الاستزراع السمكى التجارى فى إسرائيل -ط ١٩٨١م . مودع بكلية الطب البيطرى بجامعة أسيوط .

* **بنيامين فريدمان :**

٨٢- يهود اليوم ليسوا يهودًا -ط دار النفائس- بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٨٨م . ترجمة وإعداد/ زهدى الفاتح .

* **بولس إلياس :**

٨٣- يسوع المسيح -ط بيت مدارس الأحد- القاهرة .

* **جارى وجوفان :**

٨٤- صور توضيحية فى علم الولادة -ط الشركة المصرية العالمية للنشر- الطبعة

الثالثة ١٩٨٠م.

* **جارى كنينجهام:**

٨٥- وليم فى علم الولادة - الطبعة المصرية.

* **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ٩١١هـ:**

٨٦- الاتقان فى علوم القرآن -ط المشهد الحسينى- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٦٧.

٨٧- تدريب الراوى - ط دار الكتب الحديثة- القاهرة- ١٩٦٦م.

٨٨- الخصائص الكبرى- ط دار الكتب الحديثة- القاهرة- تحقيق محمد خليل هراس.

٨٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور -ط دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

٩٠- طبقات الحفاظ -ط مكتبة وهبة- القاهرة ١٩٧٣م. تحقيق على محمد عمر.

* **جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن -الشهير بابن الجوزى ٥٩٧هـ**

٩١- زاد المسير فى التفسير - ط المكتب الإسلامى بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

٩٢- سيرة عمر بن الخطاب -ط الأنوار المحمدية- القاهرة.

* **جمال الدين بن منظور:**

٩٣- لسان العرب - ط مصورة عن طبعة بولاق- القاهرة.

* **جماعة من اللاهوتين الأرثوذكس:**

٩٤- التدبير الإلهى فى تأسيس الكنيسة وترتيب الكهنوت -الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

* **القس/ جميل حناطر نجان:**

٩٥- الكتاب المقدس فى اللغة العربية -ط مكتبة النيل المسيحية- مصر. ١٩٣٦

* **جيمس هنرى:**

٩٦- فجر الضمير -ط الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة ١٩٩٩م- ترجمة د/ سليم حسن.

* **حامد عبد القادر:**

٩٧- زرادشت الحكيم -ط دار الكتاب العربى- بيروت.

* حاى بن شمعون :

٩٨- الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين -ط مطبعة كوهين وروزنتال بمصر ١٩١٢م .

* حبيب جرجس :

٩٩- أسرار الكنيسة السبعة -ط مكتبة المحبة- الطبعة السادسة- القاهرة .

* حبيب سعيد :

١٠٠- أديان العالم- ط دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية - القاهرة .

* المستشار/ حسن جلال :

١٠١- الثورة الفرنسية - ط لجنة التأليف والترجمة والنشر -القاهرة ١٩٦٠م .

* د/ حسن ظاظا :

١٠٢- الفكر الدينى اليهودى -ط دار القلم- دمشق- الطبعة الثالثة ١٩٩٥م .

* د/ حسين محمد محمود عبد المطلب :

١٠٣- مفهوم الإله عند اليهود -ط دار الفردوس للطباعة- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

* د/ حسين فوزى النجار :

١٠٤- الإسلام والسياسة -ط دار المعارف- القاهرة ١٩٨٥م .

* الحسين بن محمد -الراغب الأصفهانى ٥٠٢هـ:

١٠٥- مفردات غريب القرآن -ط عيسى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٧٠م .

* الرافعى :

١٠٦- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير -ط دار المعارف- القاهرة- تحقيق/ عبد العظيم الشناوى .

* د/ رءوف شلبى :

١٠٧- الوحى فى الإسلام -ط مطبعة حسان- القاهرة ١٩٧٨م .

* رحمت الله الهندى ١٣٠٨هـ:

١٠٨- إظهار الحق -ط دار الحديث- القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩٢م، تحقيق د/ محمد أحمد عبد القادر ملكاوى .

* د/ رشاد عبد الله الشامى :

١٠٩- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية- سلسلة عالم المعرفة عدد يونيو ١٩٦٨.
١١٠- القوى الدينية فى إسرائيل -سلسلة عالم المعرفة- عدد يونيو ١٩٩٤م.
* د/ روهلنج:
١١١- الكنز المرصود فى قواعد التلمود -ترجمة د/ يوسف نصر الله- ط مطبعة المعارف- مصر ١٨٩٩- ترجمة د/ يوسف نصر الله.
* زكريا بن محمد بن محمود القزوينى:
١١٢- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات -ط دار ابن خلدون- الإسكندرية.
* زكى شنودة:
١١٣- المجتمع اليهودى -ط مكتبة الخانجى- القاهرة.
١١٤- تاريخ الأقباط - مطبعة ناشد- الروضة بالقاهرة ١٩٩٢م.
* زهير الشاويش:
١١٥- مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله -ط المكتب الإسلامى- بيروت ١٩٨١م.
* سبينوزا
١١٦- رسالة فى اللاهوت والسياسة - ط القاهرة ١٩٧١ ترجمة/ حسن حفنى.
* سحنون بن سعيد التنوخى ٢٤٠هـ:
١١٧- المدونة الكبرى - ط مطبعة السعادة -مصر.
* سعدى أبو حبيب:
١١٨- موسوعة الإجماع فى الفقة الإسلامى - ط دار إحياء التراث الإسلامى- قطر ١٩٩٦م.
* سعيد حوى:
١١٩- الإسلام -ط مكتبة وهبة- القاهرة ١٩٨٧م.
* د/ سعيد مراد:
١٢٠- المدخل فى تاريخ الأديان -ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية القاهرة ٢٠٠٠م.

* د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالى :

١٢١- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى -ط مكتبة السنة- القاهرة ١٤١٤هـ.

١٢٢- وباء العلمانية -ط مكتبة منارة العلماء -مصر- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

* د/ سلمان سلامة عبد المالك :

١٢٣- أضواء على التبشير والمبشرين -ط الأمانة- القاهرة ١٩٩٤م.

* سليمان بن أحمد الطبرانى ٣٦٠هـ:

١٢٤- المعجم الكبير -ط بغداد- الطبعة الأولى ١٩٨٠م. -تحقيق/ حمد عبد المجيد السلفى.

* سليمان بن الأشعث -أبو داود الجستانى ٢٧٥هـ:

١٢٥- السنن -ط دار الحديث -سورية ١٩٧٣م.

* السموءل بن يحيى بن عباس المغربى ٥٧٠هـ:

١٢٦- بذل المجهود فى إفحام اليهود -ط مطبعة الفجالة الجديدة- القاهرة.

* السهمى :

١٢٧- تاريخ جورجان -ط عالم الكتب- بيروت ١٩٨١م.

* سهيل ميخائيل :

١٢٨- التوراة تاريخها وغاياتها -ط دار النفائس- الطبعة الثالثة- مصر.

* السيد سابق :

١٢٩- فقه السنة- ط دار الكتاب العربى- بيروت ١٩٨٣م.

* سيد قطب :

١٣٠- فى ظلال القرآن -ط دار الشروق- القاهرة ١٩٨٢م.

* شفيق عبد اللطيف :

١٣١- السينما الإسرائيلية -سلسلة (إقرأ) العدد ٥٢٦ ط دار المعارف -القاهرة ١٩٨٧م.

* شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ٧٤٨هـ:

١٣٢- سير أعلام النبلاء -ط مؤسسة الرسالة- بيروت.

* شمس الدين محمد بن محمد الشربينى ٩٧٧هـ:

١٣٣- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج - ط مصطفى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٥٨م.

* المعلم/ شميد:

١٣٤- مختصر تاريخ التوراة- طبع بأورشليم- فى دير الرهبان الفرنسيسكان ١٨٥٦م.

* البابا/ شنودة الثالث:

١٣٥- الكهنوت -ط الأنبارويس الأوفست- القاهرة- الطبعة الخامسة ٢٠٠٠م.

* د/ صابر محمد طعيمة:

١٣٦- الأسفار المقدسة قبل الإسلام -ط عالم الكتب- بيروت ١٩٨٥م.

١٣٧- بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم -ط عالم الكتب- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٣٨- التراث الإسرائيلى فى العهد القديم ط/ دار الجيل- بيروت ١٩٧٦م.

* صالح بن إبراهيم البلهى:

١٣٩- السلسبيل فى معرفة الدليل -ط المكتبة العصرية- صيدا- الناشر مكتبة نزار- مكتبة مصطفى الباز- الرياض- الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

* د/ صلاح الصاوى:

١٤٠- تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين -ط دار الإعلام الدولى- القاهرة ١٩٩٤م.

* د/ صموئيل أتينجر:

١٤١- اليهود فى البلدان الإسلامية -سلسلة عالم المعرفة- عدد مايو ١٩٩٥م.

* د/ صموئيل حبيب وآخرون:

١٤٢- دائرة المعارف الكتابية -ط دار الثقافة- القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

* د/ ضياء الدين عبد الرحمن وآخرين:

١٤٣- علم الأمراض الجلدية والأمراض الجنسية -ط القاهرة ١٩٩٣م.

* طاهر شاش:

١٤٤- التطرف الإسرائيلى - ط دار الشروق - القاهرة.

* ظفر الإسلام خان:

١٤٥- التلمود تاريخه وتعاليمه -ط دار النفائس - الطبعة الثالثة- بيروت ١٩٨٠م.

* عارف باشا العارف:

١٤٦- تاريخ القدس - ط دار المعارف- القاهرة ١٩٥١م.

* د/ عبد الرازق نوفل:

١٤٧- صوم رمضان -ط دار الجيل- القاهرة- الطبعة الأولى.

* عبد الرحمن بن خلدون ٨٠٨هـ.

١٤٨- المقدمة -ط دار ابن خلدون - الإسكندرية.

* عبد الرحمن زادة:

١٤٩- الفارق بين المخلوق والخالق - ط شركة الأمل للطباعة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٧ - تحقيق د/ أحمد حجازى السقا.

* د/ عبد الرحمن نور الدين

١٥٠- رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام - بدون طبعة.

* عبد الرحمن بن محمد المقدسى:

١٥١- الشرح الكبير - ط دار الفكر

* عبد الرازق بن همام الصنعانى ٢٢١ هـ:

١٥٢- المصنف فى الحديث والآثار -ط المكتب الإسلامى- بيروت ١٩٨٣م. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى.

* عبد العال الباقورى:

١٥٣- العرب وإسرائيل وفلسطين نصف قرن من الصراع - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.

* د/ عبد الغنى عبود:

١٥٤- اليهود واليهودية والإسلام - ط دار الفكر العربى - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

* عبد القادر بدران:

١٥٥- تهذيب تاريخ ابن عساكر -ط دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩م.

* عبد القادر عودة:

١٥٦- الإسلام وأوضاعنا السياسية -ط مؤسسة الرسالة -بيروت- الطبعة السابعة

١٩٨٦م.
١٥٧- التشريع الجنائى الإسلامى -ط دار الكتاب العربى - بيروت.
* د/ عبد الكريم زيدان:
١٥٨- أصول الدعوة -ط دار عمر بن الخطاب- الإسكندرية- الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.
* عبد الله بن الشيخ الكوهجى:
١٥٩- زاد المحتاج بشرح المنهاج -ط المكتبة العصرية- بيروت ١٩٨٧م.
* عبد الله بن عمر بن محمد بن على البيضاوى ٦٨٥هـ:
١٦٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل -ط مصطفى البابى الحلبى- القاهرة- ١٩٦٨م.
* عبد الله بن محمد بن أبى شيبه ٢٣٥هـ:
١٦١- المصنف فى الحديث والآثار -ط دار الفكر- بيروت ١٩٩٤م.- تحقيق سعيد اللحام.
* د/ عبد الله ناصح علوان:
١٦٢- تربية الأولاد فى الإسلام -ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
* القس/ عبد المسيح بسيط أبو الخير:
١٦٣- الإعلان الإلهى وكيف كلم الله الإنسان -ط مطبعة المصريين- القاهرة ١٩٩٧م.
١٦٤- الأنبياء والنبوة والتنبؤ -ط مطبعة المصريين- القاهرة ١٩٩٧م.
* عبد الملك بن هشام ٢١٣هـ:
١٦٥- السيرة النبوية -ط دار النصر للطباعة الإسلامية -القاهرة ١٩٩٥م.
* اللواء/ عبد المنصف محمود:
١٦٦- اليهود والجريمة - ط القاهرة ١٩٦٧م.
* د/ عبد المنعم الحفنى:
١٦٧- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية -ط دار المسيرة- بيروت ١٩٨٠م.
* د/ عبد الناصر توفيق العطار:

١٦٨- أحكام الأسرة عند المسيحيين واليهود -الطبعة الأولى.
١٦٩- تدمير عجل بنى إسرائيل الجديد -ط مؤسسة البستانى للطباعة- القاهرة ١٩٩١م.

* عبد الوهاب عبد اللطيف:

١٧٠- المختصر فى علم رجال الأثر -ط مطبعة دار التأليف -مصر ١٩٤٩م.

* د/ عبد الوهاب محمد المسيرى:

١٧١- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية -ط دار الشروق- القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
١٧٢- اليد الخفية -ط دار الشروق- مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

* علاء الدين على المتقى الهندى:

١٧٣- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال -ط مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٧٩.

* على بن أبى بكر الهيثمى ٨٠٧هـ.

١٧٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد -ط دار الكتاب العربى- بيروت ١٩٨٢م.

* على بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦هـ

١٧٥- الفصل فى الملل والأهواء والنحل- ط دار الجيل- بيروت ١٩٨٥م- تحقيق/ د/ عبد الرحمن عميرة.
١٧٦- المحلى بالآثار -ط دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٨م.
١٧٧- مراتب الإجماع -ط دار الآفاق الجديدة- بيروت- الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

* على بن أحمد الواحدى النيسابورى ٤٦٨هـ:

١٧٨- أسباب النزول -ط دار الحديث- القاهرة ١٩٩٦م- تحقيق أيمن صالح شعبان.

* على الجوهرى:

١٧٩- بروتوكولات حكماء صهيون (ترجمة) ط مكتبة ابن سينا- القاهرة ١٩٩٠م.
١٨٠- مناظرة العصر بين ديدات وشروش- ط دار الفضيلة- القاهرة ١٩٩٢م.

* د/ على عبد الواحد وافى:

١٨١- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام- ط نهضة مصر ١٩٩٦م.
١٨٢- اليهود واليهودية- ط نهضة مصر - القاهرة.

* علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ٣٨٥ هـ:
١٨٣- السنن- ط عالم الكتاب - بيروت ١٩٨٣م - وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب.
* د/ علي مبروك:
١٨٤- النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ - بدون طبعة
* علي بن محمد الجرجاني
١٨٥- التعريفات- ط دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٣م.
* علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ:
١٨٦- الأحكام السلطانية والولايات الدينية- ط مصطفى البابي الحلبي- القاهرة ١٩٧٣م.
١٨٧- النكت والعيون (تفسير)- ط دار الصفوة- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
* د/ علي محمد نصر:
١٨٨- مراقي الإيمان في علوم القرآن -ط الأمانة- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
* عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٧٧٤هـ:
١٨٩- الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث - ط مطبعة حجازي- القاهرة ١٩٣٦م. تحقيق أحمد محمد شاكر.
١٩٠- البداية والنهاية- ط دار الغد العربي- القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٩٠م.
١٩١- تفسير القرآن العظيم- ط مكتبة الإيمان- المنصورة- الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
* القاضي/ عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٥٤٤هـ:
١٩٢- الشفا بحقوق المصطفى- ط دار الفكر- بيروت.
* غوستاف لوبون:
١٩٣- حضارة العرب- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.
١٩٤- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى- ط عيسى البابي الحلبي- القاهرة ١٩٧٠م. ترجمة/ عادل زعيتر.
* د/ فتحية النبراوي وآخرون:

١٩٥- تطور الفكر السياسى فى الإسلام- ط دار المعارف- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

* د/ فؤاد على حسنين :

١٩٦- التوراة الهيروغليفية- ط دار الكتاب العربى- القاهرة .

* فوزى محمد حميد :

١٩٧- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة- ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

* د/ قاسم عبده :

١٩٨- أهل الذمة فى مصر والعصور الوسطى -ط دار المعارف- القاهرة ١٩٧٩م .

١٩٩- قاموس المنجد فى اللغة والأعلام -ط دار المشرق- بيروت ١٩٧٣م . الطبعة الحادية والعشرون .

* د/ لبيب مشرقى وآخرون :

٢٠٠- التربية الدينية المسيحية - ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة ١٩٨٦م .

* مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) ١٩٧ هـ

٢٠١- الموطأ -ط دار الحديث- القاهرة ١٩٩٧م . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

* متى بهنام :

٢٠٢- مفاتيح كنوز الأسفار -ط مكتبة كنيسة الإخوة- بجزيرة بدران- شبرا ١٩٦٨م .

* متى هنرى :

٢٠٣- تفسير إنجيل متى -ط مكتبة المحبة- القاهرة ١٩٨٣م . - ترجمة القمص/ مرقس داود .

* مجد الدين محمد بن يعقوب -الفيروزآبادى :

٢٠٤- القاموس المحيط -ط الهيئة المصرية العامة للكتاب -القاهرة ١٩٨٨م .

* مجموعة من أساتذة الوراثة بكلية الزراعة :

٢٠٥- محاضرات فى علم الوراثة -ط جهاز نشر وتوزيع الكتاب الجامعى - القاهرة .

* المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة:
٢٠٦- من التلمود - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
* محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى:
٢٠٧- مختار الصحاح -ط دار المعارف - مصر.
* الشيخ / محمد أبو زهرة:
٢٠٨- الجريمة فى الفقه الإسلامى - ط دار الحمامى للطباعة - القاهرة.
٢٠٩- العقوبة فى الفقه الإسلامى - ط دار الحمامى للطباعة - القاهرة.
٢١٠- الوحدة الإسلامية - ط دار الفكر العربى - القاهرة.
* محمد بن أبى سهل السرخسى ٣٨٩هـ:
٢١١- المبسوط - ط دار المعرفة - بيروت ١٩٨٩م.
* محمد بن أبى العباس الرملى:
٢١٢- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج - ط مصطفى البابى الحلبى - القاهرة.
* د/ محمد أحمد دياب عبد الحافظ:
٢١٣- أضواء على اليهودية من خلال مصادرها - ط دار المنار - القاهرة ١٩٨٥م.
* محمد بن إدريس الشافعى ٢٠٤هـ:
٢١٤- الأم - ط دار المعرفة - بيروت.
٢١٥- المسند - ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٠م.
* د/ محمد إسماعيل أبو ريش:
٢١٦- الصيام فى الفقه الإسلامى - ط الأمانة - القاهرة ١٩٨٩م.
* محمد بن إسماعيل البخارى ٢٥٦هـ:
٢١٧- الجامع الصحيح - ومعه شرح ابن حجر - ط دار الحديث - القاهرة.
* د/ محمد بحيرى إبراهيم:
٢١٨- القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين - ط دار الطباعة المحمدية -القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
* محمد بن جرير الطبرى:
٢١٩- تاريخ الأمم والملوك -ط دار المعارف -القاهرة.
٢٢٠- جامع البيان فى تأويل القرآن - ط عيسى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٦٨م.

* د/ محمد جلاء إدريس :

٢٢١- الشخصية اليهودية -ط دار روتابر ينيت للطباعة - القاهرة - ١٩٩٣م .

* محمد جمال الدين القاسمى :

٢٢٢- محاسن التأويل - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٧م .

* محمد بن حبان البستى ٣٥٤هـ:

٢٢٣- صحيح ابن حبان -ترتيب ابن بلبان الفارسى - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

* د/ محمد حسن الحمصى :

٢٢٤- فهرست ألفاظ القرآن الكريم - ط دار الرشيد - دمشق .

* محمد بن الحسين الفراء أبو يعلى الحنبلى ٤٥٨هـ:

٢٢٥- الأحكام السلطانية - ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣م .

* محمد رشيد رضا :

٢٢٦- تفسير المنار - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

* محمد بن سعد :

٢٢٧- الطبقات الكبرى - ط دار صادر - بيروت .

* د/ محمد سيد طنطاوى :

٢٢٨- التفسير الوسيط - ط دار الرسالة - القاهرة ١٩٨٧م .

* محمد شفيق غربال :

٢٢٩- الموسوعة العربية الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - ط دار إحياء التراث العربى - بيروت .

* د/ محمد الصادق عرجون :

٢٣٠- الموسوعة فى سماحة الإسلام - ط مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٧٢م .

* د/ محمد ضياء الدين الريس :

٢٣١- نظريات السياسة الإسلامية - ط مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٧٩م .

* محمد بن عبد الرحمن المغربى :

٢٣٢- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل - ط بيروت ١٣٩٨هـ.

*** محمد عبد العظيم الزرقانى :**

٢٣٣- مناهل العرفان فى علوم القرآن - ط عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

*** محمد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستانى ٥٤٨هـ**

٢٣٤- الملل والنحل - ط مؤسسة الحلبى وشركاه .

*** محمد عزت الطهطاوى :**

٢٣٥- التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى محمد ﷺ وبلاد الإسلام - ط مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة ١٩٧٧م .

*** محمد عزت عارف :**

٢٣٦- نهاية اليهود - ط مؤسسة بدران للطباعة - جدة ١٤١٠هـ

*** د/ محمد على البار :**

٢٣٧- المسيح المنتظر وتعاليم التلمود - ط الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٧م .

*** محمد على السايس :**

٢٣٨- تفسير آيات الأحكام - ط مكتبة الكليات الأزهرية .

*** د/ محمد على الصابونى :**

٢٣٩- روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام -ط مكتبة الغزالى- دمشق ١٩٨٠م .

*** محمد بن على بن محمد الشوكانى ١٢٥٠هـ**

٢٤٠- الدرر المضية فى شرح الدرر البهية - ط مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة ١٩٨٦م .

٢٤١- نيل الأوطار - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

*** محمد بن عمر بن الحسين الرازى ٦٠٦هـ:**

٢٤٢- مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير) ط دار الكتب العلمية - طهران- الطبعة الثانية .

*** محمد الغزالى السقا :**

٢٤٣- الاستعمار أحقاد وحملات - ط دار الكتب الإسلامية - القاهرة - ١٩٨٣م .

٢٤٤- الإسلام والاستبداد السياسى - ط دار الكتاب العربى - القاهرة .

* محمد بن قاسم الغزى الشافعى :
٢٤٥- فتح القريب المجيب فى شرح ألفاظ التقريب - ط مصطفى البابى الحلبى - مصر - الطبعة الأخيرة ١٩٥٢م .
* محمد قاسم :
٢٤٦- التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة -ط مطابع ستاريرس - القاهرة ١٩٩٢م .
* د/ محمد كمال جعفر :
٢٤٧- الإسلام بين الأديان - ط مطبعة حسان - القاهرة ١٩٧٧م .
* محمد مجدى مرجان :
٢٤٨- الله واحد أم ثالوث - ط دار الفضيلة - الإمارات .
* د/ محمد محمد أبو شهبة :
٢٤٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم - ط الأنوار المحمدية - القاهرة .
* محمد بن محمد بن مصطفى العمادى - أبو السعود :
٢٥٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - ط دار المصحف - القاهرة
* د/ محمد محمود بكار :
٢٥١- من هدى البشير النذير فى الحد والتعزير - الطبعة الأولى ١٩٩١م .
* محمد بن موسى بن عيسى الدميرى :
٢٥٢- حياة الحيوان الكبرى - ط دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٩٩٩م .
* د/ محمد هاشم محمود عمر :
٢٥٣- الجنايات فى الفقه الإسلامى - الطبعة الأولى ١٩٩١م .
* د/ محمد يحيى :
٢٥٤- رحلتى من الكفر إلى الإيمان -[قصة إسلام المهتدية : مريم جميلة] ط المختار الإسلامى - القاهرة ١٩٨٥م .
* د/ محمد يوسف موسى :
٢٥٥- نظام الحكم فى الإسلام - ط دار الفكر العربى - القاهرة .
* د/ محمود سلام زناتى :
٢٥٦- مدخل تاريخى لدراسة حقوق الإنسان - ط القاهرة- الطبعة الأولى

١٩٨٧م.

٢٥٧- من طرائف العادات وغرائب المعتقدات - ط دار النسر الذهبى - القاهرة ١٩٦٦م.

٢٥٨- النظم الاجتماعية والقانونية عند العبريين والإغريق والفرس - ط دار النسر الذهبى - القاهرة ٢٠٠٠م.

* محمود شكرى الألوسى ١٢٧٠هـ:

٢٥٩- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - ط دار إحياء التراث العربى - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

* الشيخ/ محمود شلتوت:

٢٦٠- الفتاوى - ط دار الشروق - القاهرة.

٢٦١- من توجيهات الإسلام - ط دار الشروق - القاهرة.

* اللواء/ محمود شيت خطاب:

٢٦٢- أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية - ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٣٩٠هـ.

* د/ محمود عبد السميع شعلان:

٢٦٣- دراسة مقارنة لنظام الأسرة بين المسيحية والإسلام - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين أسيوط.

* د/ محمود على حماية:

٢٦٤- دراسات فى الكتاب المقدس - بدون طبعة.

٢٦٥- العبادات فى المسيحية - ط دار المعارف - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

* محمود بن عمر الخوارزمى - الزمخشرى:

٢٦٦- الكشاف - ط دار المعرفة - بيروت.

* د/ محمود الطحان:

٢٦٧- أصول التخريج ودراسة الأسانيد - ط دار الكتب السلفية- القاهرة ١٩٧٨م.

* محمود محمد خطاب السبكى:

٢٦٨- الدين الخالص - ط القاهرة ١٣٩٧هـ.

*** محمود بن محمد قطب الدين الرازى :**

٢٦٩- تحرير القواعد المنطقية - ط مصطفى البابى الحلبى - مصر ١٩٤٨ وبهامشه الرسالة الشمسية للكاتبى.

*** د/ محيى الدين الصافى وآخرون :**

٢٧٠- فى العقيدة الإسلامية والأخلاق - ط مطبعة جامعة الأزهر ١٩٩٥م.

*** مراد فرح (يهودى) :**

٢٧١- شعار الخضر - ط القاهرة ١٩١٧م.

٢٧٢- المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة -وهو عبارة عن تقريرات الندوة الدولية حول المستوطنات الإسرائيلية المنعقدة فى واشنطن ١٩٨٥م. طبع بتصريح من جامعة الدول العربية.

*** مسلم بن الحجاج القشيرى :**

٢٧٣- الصحيح -(مع شرح النووى) ط دار الثقافة العربية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٣٠م.

*** مصطفى السعدنى :**

٢٧٤- أضواء على الصهونية -ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

٢٧٥- الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة ١٩٧١م.

*** د/ مصطفى عامر حسين وآخرون :**

٢٧٦- نظام الأسرة فى الإسلام - ط مطبعة جامعة الأزهر ١٩٩٢م.

*** د/ مصطفى محمود :**

٢٧٧- من أسرار القرآن - ط دار المعارف.

*** م. ص. سيجال (يهودى) :**

٢٧٨- حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل - ترجمة د/ حسن ظاظا- من منشورات جامعة بيروت - بدون تاريخ.

*** منصور بن يونس البهوتى :**

٢٧٩- كشاف القناع - ط النصر الحديثة - الرياض.

* القس / منيس عبد النور :
٢٨٠- أسماء الله فى الكتاب المقدس - ط دار الثقافة المسيحية - القاهرة .
* موريس بوكاى :
٢٨١- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم - ط المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٩٠م .
* موسى بن ميمون :
٢٨٢- دلالة الحائرين - ط المركز الإسلامى للطباعة - القاهرة .
* نجيب جرجس :
٢٨٣- تفسير سفر اللاويين - ط مدارس الأحد - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
* القس/ نجيب مكرم :
٢٨٤- المعمودية بين المفهوم والممارسة - ط دار الثقافة - القاهرة .
* د/ نظمى لوقا :
٢٨٥- محمد الرسالة والرسول - ط دار الكتب الحديثة- القاهرة ١٩٥٩م .
* نعمة الله بن جرجس نوفل :
٢٨٦- كتاب سوسنة سليمان فى العقائد والأديان - ط بيروت . ١٨٧٦
* هـ . ج . ويلز :
٢٨٧- معالم تاريخ الإنسانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤م . ترجمة عبد العزيز جاويد .
* هـ. هـ. رُولى :
٢٨٨- أطلس الكتاب المقدس - ط مجمع الكنائس فى الشرق الأوسط .
* و . ت . ماليسون :
٢٨٩- الولاء المزدوج الذى تفرضه الصهيونية وإسرائيل على اليهود فى ظل القانون الدولى العام - ط مركز دراسات الشرق الأوسط - القاهرة .
* ول ديورانت :
٢٩٠- قصة الحضارة - ط جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٦٧م . -ترجمة محمد بدران .

* وليم بيكر :
٢٩١- سرقة أمة - ط دار حسان للطباعة والنشر- دمشق- الطبعة الأولى ١٩٨٥م. ترجمة د/ سهيل زكار، أ/ عدنان برقية.
* وليم كار :
٢٩٢- أحجار على رقعة الشطرنج - ط دار النفائس- بيروت ١٩٧٦م. ترجمة/ سعيد جزائرى.
* وليم مارش :
٢٩٣- السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم - ط مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى - بيروت ١٩٧٣م.
* د/ وهبة الزحيلى :
٢٩٤- الفقه الإسلامى وأدلته - ط دار الفكر - دمشق ١٩٨٥م.
* د/ وهيب جورجى كامل :
٢٩٥- مقدمات العهد القديم - ط دار يوسف كمال للطباعة - القاهرة ١٩٩٦م.
* ياقوت بن عبد الله الحموى ٦١٦ هـ :
٢٩٦- معجم الأدباء - ط دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٠م.
* د/ يوسف القرضاوى :
٢٩٧- الإيمان والحياة - ط المختار الإسلامى - القاهرة ١٩٨٧م. - الناشر مكتبة وهبة.
٢٩٨- الحلال والحرام فى الإسلام - ط مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٧٥م.
٢٩٩- فقه الزكاة - ط الرسالة - بيروت ١٩٨١م.
٣٠٠- فقه الصيام - ط دار الوفاء - المنصورة ١٩٩١م.
٣٠١- القدس قضية كل مسلم - ط دار التوفيق النموذجية - الناشر - مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٨٥م. .
* د/ يوسف الكتانى :
٣٠٢- الإمام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث - ملحق مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٨هـ.
* الكتاب المقدس - ط دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط

* مجلة مختارات إسرائيلية - عدد فبراير ٢٠٠١م. يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالقاهرة.

* مجلة منار الإسلام الإماراتية - ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ديسمبر ١٩٨٣م.

* مجلة الأمة القطرية - عدد شوال ١٤٠١هـ - أغسطس ١٩٨١م، وعدد ذو القعدة ١٤٠٥هـ - يونيو ١٩٨٥م.

* جريدة الأخبار المصرية - عدد بتاريخ ٢/ ٩/ ٢٠٠٠م.

* جريدة آفاق عربية (المصرية) عدد ٤١٢ بتاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٩٩م.

* * *

الفهرس